سر النكبة

تأليف المحامي

محمد نمر الهواري

سر النكبة

تأليف

المحامي محمد نمر الهواري

طبع في مطبعة الحكيم - الناصرة سنة ١٩٥٥

تقديم وتعريف

بقلم : الاستاذ ابراهيم حبيب

شغلت المسألة الفلسطينية العالم كله تقريباً فى السنوات الاخيرة ، واشتد الاهتمام بها فى هذه الايام ، وقد بحث فيها ، وكتب عنها ، مئات من الساسة والمؤرخين والنقاد والمعلقين ، كثير منهم من اعتمد على التقارير والمطالعة العابرة فنطق عن هوى ، وبعضهم قليل من خبر واقعها وكابد مآسيها بايمان عام ، فعرف ادق اسرارها واخبارها فنادى بالهدى ، ومن هؤلاء - وان قلوا - صديقنا مؤلف كتاب (سر النكبة) الاستاذ المحامي محمد نمر الهواري .

ويجدر بي ان اعرف القارىء قبل تعريف الكتاب انه لا يعنيني فى هذه المقالة شيء يتعلق بالسياسة ، ولكني اعنى بالمسألة الادبية والفنية والاجتماعية ، فالمجال هنا لا يتسع للتبسط فى تحليل الرأي السياسي الذى ذكره المؤلف حيث انحى باللائمة على فريق وأطرى بالثناء على فريق آخر . هذه آراء ، وتلك معتقدات تضمنتها دفتا الكتاب لا اتعرض لها ، فلا أنا محبذها ولا انا منكرها ، ولا يعنيني ان اوحي للقارىء بشيء من هذا بل أترك للقارىء حرية اعتقاده وقوة اجتهاده .

على ان غاية ما ارجو يا قارئي العزيز أن اعرفك بهذا الكتاب الذى ترى بين يديك . فلقد كان لي فخر المبادرة سنة ، ١٩٥٠ ، بالاقتراح والاشارة على

الاستاذ الهواری ، غبّ عودته من ديار الغربة، كي يشرع بتدوينه عبرة للاجيال القادمة ودرساً للتاريخ والادب . والذى حدا بي الى الاقتراح عليه ، آنذاك ، تلك الظروف التي عاد فيها الى اهله بعد غربة، وطبيعة عمله فى القضية الفلسطينية، واطلاعه الواسع على ما خفي منها وما بان ، وبعدما لقي من العنت ما تنوء به النفوس ، خلال خمس وعشرين سنة متتابعة . فلقد اتصل بمن لم يتصل بهم غيره، واطلع على السر والعلانية ، وتوفرت له الظروف ان ناظر وجادل ، وهجم ودافع ، فى السياسة والقانون ، فى الآراء والمعتقدات ، فى النوادى والمؤتمرات ، فى خفايا الميادين وقضايا اللاجئين، فكمل علمه بها ، واتسع اطلاعه عليها، وامتد افقه حوالیها . وانك لتراه هنا فى كتابه ينافح عن آرائه بمنطق قوي ، وحجة باهرة ، واسلوب اختص به لا تخفى نسبته اليه .

ولست هنا فى سبيل التعريف ايضاً بصديقي مؤلف هذا الكتاب ، فهو غني عن التعريف ، بيد اني اراني مدفوعاً ان اشير عليك ان تقرأ عنه فى صفحتي ۲۹ و ٥٥ فترى له احسن تعريف واجلى صورة ، وتسمع عنه افضل قول ، والفضل ما شهدت به الاعداء. غير اني لا بد لي ان اطلعك ما لا يعلمه الكثيرون، فالاستاذ الهوارى ، عهدته فى مطلع صباه قد ادّب نفسه وثقفها بأدب زعيم ادباء المهجر ، الفيلسوف جبران خليل جبران، اذ التهم مؤلفاته كلها وهضمها، فتذوق بذوق جبران وتطبع بصورته، وتأثر بفنه، ولو لم يكن الهوارى اليوم محامياً لكان اديباً رساماً فناناً من طراز جبران . تأمل معي فى الصورة الرمزية الصارخة التى تغلف هذا الكتاب - فهي من وحي خياله الخصيب وريشته الناعمة - امعن النظر فى القباب والخيام تجد سر الالهام وتتحقق صدق المقال .

وتعال معي - بالله عليك - تقرأ معاً هذه الفصول «الاهداء»، «هيكل

الزعامة» ، «ثورة على ابواب الهيكل» ، «قوة الروح» ، «بيان بنت جبيل» تجد شاعراً ملهماً ومصوراً بارعاً يستبدل بالبراعة والحبر والقرطاس ، ريشة المصور واصباغه وقماشه ، ولكأني بك تغل معه في قدس اقداس هذا الهيكل ، وتطوف بأرجائه متخيلا انك تصحب فيلسوف المعرة في فردوسه الذي صور في «رسالة الغفران» . اسلوب زاهي الالوان، فسيح الخيال ، موسيقي التعبير، عبارات متطرفة لاذعة ، واقوال سالقة حارقة .

ليس بودي ان يطول بي القول فأعرض لما في الكتاب من حسنات ، فحسبي منه هذه اللمحات الخاطفات ، فسيدرك القارىء بنفسه ، ويستمتع وحده ، وسيرى ان المؤلف كان مخلصاً لمشاعره الاخلاص كله ، عامر القلب بالحق ، مطمئناً للحقيقة كل الاطمئنان.

الخلاصة اني تصفحت المخطوط مرة وقرأت المطبوع اكثر من مرة ، فوجدته ماتعاً نافعاً ، يظفر منه عشاق الادب بنصيب وافر، ويرجع محبو التاريخ بقسط مليء زاخر ، ويتأسى به المفجوع الكليم لما حل به من عذاب أليم.

واخيراً ، انا لا اميل الى التقريظ والنقد ، وانما عرضت هنا لنواح من فن الاستاذ المؤلف ، تنويهاً بفضله ، فلقد وفق في تنسيق الحوادث وربط بعضها ببعض ، فجاء الكتاب سلسلة متينة محكمة الحلقات، ولقد ابدع في بيان الاسباب والاغراض والحقائق والتحليل وصدق الرواية ، بياناً قوياً واضحاً جلياً ، يجعل القارىء يملك عليه امره او يجبره على متابعة القراءة حتى يوفي على آخر ما بيده من البحث .

الناصرة نيسان ١٩٥٥

الاهداء

البها اقدم كتابي

لمن اقدم هذا الكتاب ، اللاجئين الشاكين الباكين ، الذين تتلوى نفوسهم جوعاً ، وخبز المعرفة اكثر من حجارة الاردن ولا يأكلون ، وقلوبهم تتلظى عطشاً وينابيع الحياة تتفجر تحت ارجلهم وهم لا يرتوون ،

ايه يا احبائى ، ناديتكم تحت جناح الليل لاريكم بهاء القمر ، الا انكم بقيتم تحت اطمار لحفكم ترتجفون ، وقبعتم فى عقر كهوفكم ، تغطون فى احلامكم ، كالعبيد تحلمون بالحرية ، فاشفقت من ان ازعجكم ، وعبثاً حاولت ان اوقظكم ، لانكم تمسكتم فى تلابيب احلامكم ، وقد زينها الابالسة فى وجوهكم ، فاعرضتم عنى وكنت ارغب ان تستيقظوا لاحدثكم عن الحرية ،

أأقدم اليكم صورة ما اصابكم ، وأريكم وجوهكم ، وقد اشعل الخوف الشيب فى رؤوسكم كالعجايز ، وذهب البؤس ببريق اعينكم فغدت كالمياه الداكنة فى نقر المستنقعات ، ولمست الجبانة جباهكم فبانت اسارير وجوهكم كالخرق المهلهلة ، وقبّل الفناء شفاه جموعكم فغدت كاوراق الخريف ،

كم كنت أود ان لا اقدم هذه الحقائق والوقائع الآن لكم ، ولكن كيف السبيل وبت اعتقد ان لا فائدة منكم لكم ، ولا خير فيكم اليكم . . . ارواحكم تنتفض بين مقابض المشعوذين والدجالين والسحرة الملاعين ، واجسادكم ترتعد من استبداد العتاة الظالمين ، وقلوبكم ترتعش من ظل اشباح الباشوات والباكوات ،

والزعماء المترعمين ، وانتم واموالكم ودياركم وابنائكم ، تحت حوافر خيول الفاتحين والغازين والمستعمرين ، فماذا أرجو من رفع هذه الصفحات اليكم ... !!

أأقدم هذا الكتاب الى سكان القصور من ابناء المسرات ، وهو مملوء بالاحزان والآلام ، ونفوسهم الصغيرة لا تتسع لعظم المصائب ، أاويهم الجروح والقروح وعلى عيونهم غشاوة ظلام النور فلا يرون نور الظلام ، أأسمعهم صرخة المظلوم وفى آذانهم وقر من ضجيج الايام وغفلات المسرات ويقظات الملاهي ، امن عبرة يتعظون بها ، او من خير يأتى على ايديهم ، ونحن ندنوا منهم كأصدقاء وهم ينفرون منا كالاعداء ، نحن نبنى لهم القصور وهم يحفرون لنا القبور ، نحن نفرش طرقهم بالريحان والورود وهم يحشون مراقدنا بالاشواك والاقتاد ، امن خير فيهم ومن احتادهم ، وعلى الاصول تنبت الاشجار ، ولا تلد الحية الا الحية ،

أأقدم هذا الكتاب الى الملوك والامراء ، وبتنا لا نخضع لهؤلاء ولا نلوى رقابنا لاولئك ... لاننا لم نلمس رفق الملوك ولا نبل الامراء... وهم من البؤس برخاء ، ومن الالم بنجوة ، وبينهم وبين اللاجئين والمنكوبين سدّ منيع ، نسجه الظلم وحاكه الجهل ، وأرخاه الضلال ، ونصبّه الاستعمار ،

أأقدم كتابى هذا للادباء والشعراء ، وقد ملأوا الشرق بعويلهم وبكائهم وعنتهم الدمن والاطلال ، وهل ينفع البكاء ، وهل البكاء الاّ للعجزة والمقعدين ، اليست النكبة الخرساء بأبلغ تأثيراً من كل النكبات ؟

كفى هؤلاء دموعهم فلطالما نسجوا خيوط افئدتهم اوشحة للملائكة ، ونثروا حبات قلوبهم بين اشواك حقول الحياة ، فضاعت هباء منثوراً فى صحارى بلاد العرب الجدباء.

لا ... لا ... لن ارفع كتابي لكم او لهم ، لهؤلاء او لاولئك ، انما اقدمه الى تلك الشرارة الخفية الكامنة فى صلب الامة العربية، تحت رماد الملوك والامراء والباشوات والباكوات ، المدفونة بين طيات الفقراء والبؤساء، المخنوقة تحت غيوم الجهالة والغباوة وبين دخان الكذب والرياء ،

ارفعه الى تلك الجذوة ، التى ستتقد شعلة زرقاء مقدسة ، تلتهم الهشيم النابت فى حقول بلاد العرب ، فتبعث رجلا من رجالنا يعيد للتاريخ سيرته الاولى.

فالى ذلك البطل الذى ما زال فى صلب الدهر وصدر الامة ، الى الروح التى لا تبالى بنور الشمس ولا بنار الارض ، ارفع كتابى هذا.

محمد نمر الهوارى

٢٨-١-١٩٥٠

آلام وآمال

الى الفردوس والنعيم والجنة، عدت بعد طواف سنتين مليئتين بالحزن والالم والاسى ، عدت الى بلدى ووطنى مهد حريتي ومثوى آبائى واجدادى ، عدت لاهنأ ، ولو كان فى العيش شظفاً ، والحياة قشفاً ، والماء ملحاً ، والنسيم سموماً ، ففي الشظوفة رخاء ، وفى التقشف هناء ، وفى الملوحة عذوبة الكوثر وشفاء زمزم ، وهذه السموم الهابة والخماسين العاصفة هى النسيم الذى تترنح بلطفه العرائس ، وتهيم بين طيات اريجه الارواح ، هنا المكان الذى شربت من مائه طفلا ، وقطفت من ريحانه شابا ، والى ارضه وسمائه صممت ان اعود بجسدى وانفاسى.

ما كدت القي عصا الترحال حتى اقبل الكثيرون وتكاثر الوافدون ، على اختلاف مللهم ونحلهم ، للسلام والكلام ، فكنت أرد التحية بأحسن منها ، واجيب المقال بما يناسب المقام ، ولم يكتف صحبي بما ادليت فى مجالسهم ، وافصحت فى محاضرهم ، بل كانوا دوماً وابداً يطلبون منى المزيد ، وكتابة آرائى واقوالى لابلاغ القاصى والدانى ، آلامي وآمالى ، اشجانى واحلامي بعد الذى حل في اهلى واوطانى.

وهكذا اخذت افكر فى الكتابة ، وكلما فكرت افكر فيما اكتب ، ولمن اكتب ، وبأى صحيفة اكتب ، وكانت تعترضنى اسئلة عدة منها :

هل الحرية مطلقة لطرق المواضيع المختلفة ، كما رأيتها ولمستها وشاهدتها

وعرفتها ، هل احدث الناس عن الحرب ، وما قبل الحرب ، وما بعد الحرب ، هـل ارضي ضميرى المتألم المتأمل ، او حاكمي المتصر المنتظر ، او الطبالين والزمارين ، من انصار الرجعية ومثيرى الفتن ، او القارىء المسكين وقد خنقته سموم الكتابة ، وضللته المبادىء الهدامة ، او الرأى العام وقد افسده الجهل والكذب والنفاق ، واعمته المصالح الذاتية ، واغوته المادة الفانية ، واين تلك الصحف العربية التى تتسع لحرارة انفاسى ، وزفرات آلامى ، ونفثات اقلامى ، ولا مجلة عربية وصحيفة حيادية ، او هل اقوم بنشر نشرة خاصة اطلع بها على الناس ، والنشرات للدعاية لمصلحة طائفة او حزب ، وانا امقت الطوائف واكره الاحزاب ، !

وهكذا ارانى نفسى مثقلة بأحمالها ، وروحي مضناة بآلامها وجياشة بآمالها ، وانى اشعر بنيران متأججة فى صدرى ، تنبعث منها سحائب دخان ، تظلل سماء حياتى ، وتكدر صفو عيشى ، فشقائى من نفسى ، يقظة الناس سعادة ، وشقائى يقظة النفس ، افاقت وكوميض البرق ارتفعت من بين الاموات الاحياء ، تبحث عمن تشكو اليه هذه الاحزان والآلام ، عمن تشاطره هذه الهموم والحسرات ،

فهلا قارئى الكريم ، لا تسىء فهمي ولا تشتط عن قرائتى ، فتحسبن اننى اشكو آلاما كهذه التى يشكوها مرضى الاجسام والقلوب ، ولا كتلك التى يضج منها اصحاب الاموال والاعمال ، فانا والحمد لله لا اشعر من ذلك بقليل او كثير ، وانما اشكو آلاما تتصل بحياة العرب وسيرتهم وسمعتهم ، آلاما مبعثها الدسائس على الحق والواقع والتاريخ والشرف والمبادىء السامية ، تلك الدسائس المتكررة المتتالية ، اضف اليها ما نراه من خيانة القادة ، ونوم

القادة ، وتضليل الدعاة ، واجرام العتاة ، وجهل الشعب وخنوعه وانقياده ، انقياد قطعان السائمة لرهبة مستبد عاتية ، او رغبة لاجرة زاهدة زائلة.

ولقد طالما روضت نفسى الصبر والتحمل وسعة الصدر فما كنت لازداد كل يوم بما اسمع وأرى الا ألماً على ألم ، وأسى على أسى. حتى فاض الاناء ، ولم أر بداً من ان القي هذه الالام من كأس نفسي الطافح ، القيها فى كلمات متعاقبة اقطفها من فؤادى ، وانتزعها من قرارة نفسى ، لا لاندب وانوح كما يفعل اهل اليأس والجزع ، بل لاستثير فيك ايها القارىء الكريم ، لواعج الالم وحرقة الفؤاد ، عسى ان تجتمع الالام فتنبعث منها الامال ، فتقوى النفوس وتشتد العزائم ، فتكون من ورائها الاعمال ، فتنفرج من بعدها الكرب ان شاء الله. وما كانت آلام الناس الا مصدر كثير من اعمالهم.

قبل الشروع فى الموضوع

وقبل ان نخوض سوية فى هيكل النفس ، ومواطن الالام ، ومواضع العلة فى آلامنا وآمالنا ، ارجو ان نسير فى طريق معبد ، لا اشواك ولا اوحال فيه ، ولما كثر المصطادون فى المياه العكرة ، والمستنقعات الخبيثة ، من الذين حاولوا ان يحملوا علينا حملات منكرة ، من شتائم وسباب ، وقذائف واتهامات ، قصد ايجاد القطيعة والبغضة بيننا وبين اهلنا وذوينا ، العرب من جهة ، وبيننا وبين اصدقائنا ومعارفنا من ابناء هذا الوطن من جهة اخرى. لهذا يجدر بنا قبل الشروع فى صلب الموضوع ، ان نمر مر الكرام ، على احاديث الاشراف والنبلاء ، من حماة الحرية والاستقلال ، وابطال الديمقراطية والنضال ، فنزيل ما قد علق فى اذهان بعض السذج ، من جميل الفاظهم ، وبداعة اسلوبهم ، وحلو

لسانهم ، وهيافة قدود شبابهم ، ونعومة اصوات رفيقاتهم ، المصونات الكادحات المستكرات.

الشيوعية تتهم الهوارى

لقد قدمتم ايها الرفاق النبلاء لوائح اتهامكم الى الشعب، بنشراتكم وعلى صفحات جريدتكم الغراء ، ولم تكتفو بل قدم نوابكم الكرام اصحاب المصونة السياسية والحصانة البرلمانية ، لمجلس الدولة لائحة اتهامية تطلبون محاكمة الهوارى كمجرم حرب.

سمعت رالكم وقرأت نشراتكم ، وبلغت شتائمكم ورقة الفاظكم ، وتلخصت كلها بكلمات اسطوانية جوفاء ، يرددها بعض المرضى من شباب جرفهم سيلكم ، وجلها قولكم الهوارى (١) خائن (٢) جاسوس (٣) من اعوان المفتى (٤) يريد اثارة الفتنة جديداً بين العرب واليهود.

وكنت اريد منكم ان تعددوا اعمال الخيانة ، والجاسوسية ، والفتن ، التى قام بها الهوارى. كنت اريدكم ان تفصلوا التهم وتبوبوها وتقيموا الحجة عليها ، والبرهان على صحة ما ادعيتم وافتريتم ، وانتظرت طويلا حتى اراكم فاعلين ذلك ، وها قد مضت المدة المعقولة الى ان اغلقتم قضيتكم ، وافرغتم جعبتكم ، واخذت ألسنتكم تقصر ، وضمائركم ترتعش ، وعادت اصداء شتائمكم تبدد صفوفكم ، وتذهب بريحكم ، وانقلبت الفتنة على رؤوسكم ، وظهرتم للناس ابوقاً ينفخ فيها وطبولا يقرع عليها.

على كل حال ولو جاءت تهمكم مجملة مبهمة ، غامضة مغرضة ، فتعالوا بنا لنحتكم ، عند العامة والخاصة ، اليهودى والعربى ، لنرى من الذين تنطبق عليهم

تلك الاتهامات ! فتقروا من الخائن ، ومن الجاسوس ، ومن اعوان المفتى ، ومن يريد اثارة الفتن.

١ ـ الخائن

صفة تطلق على من خرج على مبادىء قومه ، وجموعهم وآدابهم، وانحاز الى اعدائهم ليوقع بهم ويغدر بجموعهم.

كان حتى الامس فى فلسطين فريقان ، ومعسكران ، عربى ويهودى ، وكل منهما يحاول الوصول الى السيطرة والسلطان والحكم فى البلاد. فتعالوا على ضوء ذلك لنشرح خيانة الهوارى.

أ) هل الهوارى أثار الفتنة فى فلسطين قصد تشريد اهلها؟ قبل الحوادث الاخيرة التى ادت الى الحرب وقعت ثلاث حوادث. اولها ـ فى ابى كبير بين يافا وتل ابيب ، ووقع عدة قتلى بين عرب ويهود ، وكادت النار تعم البلاد لولا الهوارى وصحبه الذين حصروا الفتنة وأوقفوا المجرمين عند حدهم. وثانيها ـ الفتنة إثر حوادث مقهى العلمين وتعكير الجو فى المنشية ، فمن هدأ الحال ، وعالج الموقف غير الهوارى وصحبه ؟ وثالثها ـ ام الاحداث ، الفتنة الاخيرة ، التى قادت الى الحرب ، فبعد ان عجز الهوارى عن اقناع المفتى وصحبه فى عاليه فى لبنان ، عاد وحاول ايقاف الفتنة ، وتحادث مع اليهود لحصرها ، وما اجتماع النادى الارثوذكسى فى يافا بخاف على الناس. نظرة واحدة الى الصحف العربية والعبرية على مختلف انواعها فى اواخر كانون الاول سنة ١٩٤٧ ، تجدها تقول ان الهوارى اضطر لمغادرة البلاد لانه حادث اليهود لايقاف الفتنة. أفبعد هذا يجوز ان يقال بأن الهوارى قاد الفتنة وحركها

وغرر بالشعب ، وكان آلة فى يد تجار الفتن ، ومثيرى القلاقل ؟

هذا وفى الوقت الذى كان يقاوم فيه الهوارى الفتنة واتساع نارها، من كان منكم ايها الرفاق يعمل على اتساع الحرق واشعال النار بين الناس ، سلوا اميل توما زعيمكم فى حيفا ، ورفيق الاصفر ، ومحمد نمر عوده ، وقويدر وغيرهم فى يافا ، سلوا عضو الكنيست الاحمر توفيق طوبى عضو لجنة وادى النسناس الحسينية فى الجولة الاولى من حرب فلسطين ، وسلوا الشاب جرجورة واعوانه من اعضاء اللجنة القومية فى الناصرة ، وان فحصتم عن الحقيقة فقولوا بربكم من الخائن !

ب) هل الهوارى ساعد اليهود ضد العرب ، كثيرون من العرب الذين استعملوا الشارات النارية الملونة لمصلحة العدو ، وكثيرون هم الذين حفظوا الالات اللاسلكية ضد وطنهم، وهم من العرب لمصلحة اليهود، فهل كان الهوارى من بين هؤلاء ... وهل من اصحاب الهوارى ورفاقه من قام بمثل هذا .. ؟ نعم اراد الهوارى ان يقلد اليهود فى تنظيمهم وحركاتهم وانشائهم وتعميرهم ، وأراد ان يوجه الشباب الى العمل والانتاج والتنظيم ، فلم يحفل فى الدعاية والتطبيل والتزمير ، ولم يتكلم باسم الشعب والامة ، وكان اتباعه اضعاف اضعاف الشيوعيين اليوم ، وهكذا قامت معارضة الهوارى للمفتى ، وأراد هو وصحبه انشاء القرى الاشتراكية ، ومقاومة الفتن الاستعمارية البريطانية ، فثار ثائرة الهيئة العربية العليا ، والمفتى ، والحسينية ، والفتوة ، واخذوا يهاجمون الهوارى فى صحفهم ونشراتهم ، واجتماعاتهم وخطبهم ، ويطاردوهم ، ودسهم وكيدهم ، واغتيالهم ، الى ما هنالك من اعمالهم المشهورة المعروفة ، فلم يجد فى ساعة الخطر تلك احداً من خفافيش الليل وثعالب النهار ، ليقف معه فى وجه

المفتى وطغيانه. ولم تكن تلك الحملات المنكرة بخافية على الشعب !!

ج) وهل وافق الهوارى على الفتنة وايقاد نارها، تذكرون يوم كانت تنظم الحملات فى عاليه والقاهرة، وتذكرون اذ اعدت الهيئة العربية العليا بعض الرجال فى بغداد والشام، للقيام بالفتنة الاخيرة فى فلسطين، وكان بين هؤلاء الرجال بعض قادة حزبكم البارزين حتى هذا التاريخ - وسلوا ان كنتم تجهلون مخلص عمرو وبولس فرح، هل زارا المفتى فى باريس وفى القاهرة واستعانا به لنشاط الحزب، وسلوا اميل توما وحبيبى ونصار، هل زاروا المفتى فى عاليه، واسحاق درويش فى بيروت والشام، وحصلوا على التشجيع لايقاد النار، هل وافق توما زعيمكم واكبركم شارباً على اثارة الفتنة بجانب المفتى ضد اليهود ..؟ وسلوا الجميع الغائبين والحاضرين من كانت لديه الجرأة ان يقول للعاتى السفاح : لا ... لا ... لن نوافق، وهذا ضد مصلحتنا وسيقود الى دمارنا .. ! هل تجاسر احدكم، او احد زعمائكم على مثل هذا القول او على بعض ما قاله الهوارى ! ...

ان تحريتم عن هذه الحقيقة - فقولوا بربكم من الخائن، ومن الذى يلعب على الحبال ؟

د) من فضح اعمال المفتى وانتقده فى بلاد العرب، وقال أنه يدبر حملة للقضاء على العرب باسم الاستعمار ...، ارجعوا الى صفحات جريدتى السوادى والنداء فى مصر فى الشهر الاول من سنة ١٩٤٨، حيث كان ينشر الهوارى اقواله الصريحة فى الخط الاحمر العريض، وتحت توقيعه، عن اعمال المفتى وفتنة فلسطين، من تقدم منكم ولو بنشرة سرية بالداخل او الخارج فى ذلك الوقت، ألهذا السبب كان الهوارى خائناً وانتم شرفاء نبلاء مناضلين كرام؟

هـ) من انتقد حكومة غزة وقاومها على مرأى من المفتى ، والباشا ، وحسين سرى ، والصواف ، وغيرهم من كبار الحكام المصريين ، وخطب فى جموع الشباب ، وقال هذه المعركة ليست لنا بل هي للمفتى والاستعمار ، وان المفتى يود ان يؤسس دولة حسينية على جماجم ابناء الامة الابرياء ليخدم المستعمرين ، فلقد كان اذ ذاك منكم فى غزة بعض رجالكم ممن كانوا يتعاونوا مع المفتى فى دائرة الاستخبارات وعلى الالة اللاسلكية المرسلة ... فاين كان جهادكم ايها الابطال ؟

و) ذاك هو مؤتمر القدس المنعقد تحت رعاية كميل شمعون اول سنة ١٩٤٩، من تجرأ على اجابة رسل الاستعمار، وقال علناً وامام الحكام العسكريين، انسحبوا من ديارنا الى عواصمكم وملوككم ، واتركونا والاخصام ، نحارب ان قوينا ونتفاهم ان شئنا ، دون وساطتكم ووساطة اسيادكم من رجال الاستعمار ، لا شك هو صوت الهوارى الذى كان يدوّى فى القاعة علناً ، واين كنتم ايها الامناء والشرفاء ؟

ز) تلك هي نشرات الهوارى فى مصر وسوريا ولبنان وشرق الاردن . لقد اتخذتموها فى الامس هادياً ودليلا ، ودستوراً لاعمالكم ، وبرنامجاً لاهدافكم ، واقتبستم منها العبارات وعلقتموها فى نواديكم اثر انطلاق حريتكم حال احتلال الناصرة. فهل كنتم اذ ذاك سكارى ، او عمى ، او طرش، او اصابكم مس وبله ، واستفقتم فيما بعد ، ورجعتم ادراجكم، وسرتم مع القافلة ، ترددون اوامركم الحديدية ، بأن الهوارى خائن ... وانتم الشرفاء الامناء!

ح) حمل الهوارى على الاستعمار فى الشرق والغرب وقال انه المسبب

لهذه الكارثة بواسطة اذنابه ، وقال ان الخنجر الذى سدد الى صدر الامة العربية الفلسطينية ، هو خنجر استعمارى ، ولكن الايدى التى اغمدت ذلك الخنجر ، هي ايدى عربية قحطانية هاشمية حسينية ! فاين كنتم ايها الرفيقات والرفاق ، صح النوم ... سيروا وراء الشريفات الاديبات فى شوارع بلدتكم ولطخوا جدران الشوارع بشتائمكم وارستقراطية الفاظكم ، وصبّوا اكاليل الغار ، واسكبوا تيجان الشرف على رؤوس مستغليكم، ومستأجريكم وموجهيكم، هاتوا ايها الرفيقات والرفاق ، فكل اناء بالذى فيه ينضح.

ط) كان الهوارى رسول السلام ، بين كافة الوفود العربية المفاوضة فى لوزان ، وان كانت لكم ادارة ، واحزاب وعقول وفهم ، فابحثوا تجدوا ان الهوارى حارب فى سبيل السلام ، وكان وحيداً فريداً جريئاً فى نضاله ، وهذا هو سر الاحترام المتبادل والتقدير الذى سيكون له ما بعده بين العرب واليهود ان شاء الله. فاين كنتم يا دعاة القلاقل والفتن من مؤتمر السلام؟

ى) وكما ان الهوارى لم يكن خائناً لقومه لم يخن اليهود بشيء وما زالت صحيفته ناصعة البياض فى اسرائيل ، اما انتم فماذا تريدون من القاء القبض على بعضكم بحمل وثائق واسرار جيش اسرائيل للاعداء ، أليس هذا بخيانة ؟ او ليست خيانة ان تلقنوا مبادىء دخيلة عليكم ، لا لمصلحة قومكم وبلادكم ، بل لدراهم معدودة ومنفعة زائلة ، وشهوات بهيمية يجتنيها صغاركم، ويقطفها كباركم ، ورغم هذا غيركم الخائن وانتم الاشراف الامناء ... فما اغرب هذا المنطق!

ق) هل خيانة الهوارى انه حول اموال كتلة اتبعته ، وطائفة ائتمنته، لجيبه ولمنفعته الخاصة ، كان لدى الهوارى الوف من الشباب ، وكان مع الهوارى

مئات الالوف من اللاجئين ، ودخلت على الهوارى اموال طائلة ، فاين ذهبت تلك الاموال والدراهم ؟ هل اقام الهوارى القصور والدور، واشترى السيارات والبيارات ، او هل اقام الحفلات الراقصات ، او كان الهوارى دون حرفة يحترفها او عمل يكسب منه عيشه ، هل اتخذ من وطنيته ستاراً،او من مريديه دناراً،لجمع الاموال وشراء الاسهم فى دور السينما وشركات العمار ؟

ها هو الهوارى ذيل طاهر ، وعمل ناصع ، وماض نزيه ، وحاضر لا غبار عليه ، مع كل ذلك ما زالوا يطبلون ويزمرون ، ويتهمون ويدسون، ورغم كل هذا ما زالوا شرفاء نبلاء وديمقراطيين احرار ، ونواب لا تأخذهم بالحق لومة لائم.

٢ – الهوارى جاسوس

كانت الجبهات العدائية فى فلسطين بين العرب واليهود ، فهل كان الهوارى مأجوراً لجيش الانقاذ، ام للجيوش العربية المهزومة، او كان جاسوساً لليهود ضد العرب ، وما هى امارات التجسس البادية على الهوارى، اين الاوراق والوثائق التى ضبطت فى حيازته ، واين الاسرار والخرائط التى اميط اللثام عنها ، كل ما قام به الهوارى كان جهاراً وعلناً ، قاتل المفتى وقومه لانه لا يؤمن برسالتهم وبوطنيتهم ، وهجم على الجامعة العربية واعضاء دولها، علناً وفى مواطن ملكهم وحواضر مدنهم ، واتهم الجيوش العربية بالقصور والاهمال والتآمر مع الاستعمار لاحداث ما كان ! وقال بعضهم ان الهوارى جاسوس للانكليز ... لكن لم يعين الميدان والزمان ... والمكان. هل عاون الهوارى الانكليز على اثارة الفتنة فى فلسطين ، هل حصل منهم على اسلحة

هذا السبيل وكانت الاسلحة توزع فى يافا والجليل والخليل ، وهل ضم بين صفوفه بعض المتطوعين والمؤمنين من جنود البريطانيين فى القيادات والادارات، وبث الالغام ، واحكام النظام ، او كان فى معية رجال الجهاد المقدس تحت قيادة رجال البوليس البريطانى المسرح ، او تقدم لدى الهيئات الدولية وأحال قضية البلاد لهيئة الامم لاقرار التقسيم، او قطع الوعود والعهود لخدمة الاستعمار، واثارة الفتن والقلاقل فى الميدان ، هل سخره الانكليز لهدم صفوف الشباب فخلق قوة من مال الانكليز وبسلاحهم لمقاومة القوى الشعبية المنظمة ، او هل سبق للهوارى ان هاجم الشيوعية فى بلد ما خدمة للاستعمار ؟

اما الجواسيس ايها السادة فهم :

أ) الذين ساروا فى ركب اليهود باعطاء الاشارات واذاعة الاخبار ، وكشف الاسرار ، وامرهم معلوم فى كل بلد !

ب) الذين حملوا اخبار جيش الانقاذ من رام الله واخبار اللجان القومية لليهود !

ج) الذين حملوا اخبار اليهود للمفتى لقاء دريهمات تقاضوها ... !

د) الذين ضبطت فى حيازتهم اوراق ومستندات واسرار للجيش الاسرائيلى لتقديمها الى بلاد اجنبية ... !

هـ) الذين يتقاضون رواتب ومعاشات ويفتحون مكاتب ، ويوزعون نشرات واعلانات ، لمصلحة امة بعيدة عنهم ودولة غير دولتهم وجيش غير جيشهم.

و) الجواسيس هم الذين يعملون فى الظلام لتعكير الامن والسلام ، تلك

بضاعتهم وحرفتهم.

ز) الجواسيس هم الذين لا عمل لهم، ولا صناعة فى ايديهم، ولا دخل ولا انتاج يأتيهم بقوتهم الضرورى وزادهم اليومى، فتراهم فى ياقاتهم المكوية المقواة، وبدلاتهم الصوفية الارستقراطية، وقبيل الانتماء الى الاحزاب الكل يعرفهم كيف كانوا ومعظمهم يتضور جوعاً. وهذا وليس من داع ليكن الهوارى جاسوساً فله عمله ومورد رزقه.

٣ ـ الهوارى من اعوان المفتى

كنت فيما مضى وقبل ان ازال الله غشاوة عن ابصارى، اقدس المفتى واجله واعظمه، الى ان انكشف لى حقيقته وعرفت جوهره، فاخذت اعمل جاداً فى سبيل تقليص ظله، وتنبيه الناس للتخلص من عبوديته وسحره، وكم عرضت نفسى للاخطار فى هذا السبيل، ولقد حيكت المؤامرات لاغتيالى مراراً عديدة، واعلن الحزب العربى الجهاد ضدنا، بشكل سافر جدى، فاطلقت النيران على جموعنا فى القدس، واطلقت النار علي فى السافورية، وتقدم اعوان المفتى لاستئجار المجرمين من عين كارم والخليل وبورين، وحاول اغتيالى وانا اعمل فى صفوف اللاجئين فى رام الله، وسعى للقضاء علي فى مصر، وكان آخر ما قام به فى داخل اسرائيل اثر عودتى اليها. ورغم كل المحاولات باء بالفشل والخذلان وحمانى الله وابقانى لاهلى واوطانى.

لم يكتف المفتى واعوانه فى محاولة الغدر بى، بل اراد وسعى بالكيد والدس فاوهم المصريين، انى اعمل لجلالة الملك عبد الله، واوهم الملك عبد الله انى اعمل لمصر، وقدم الاخباريات ونشر على صفحات الجرائد فى مصر ولبنان

وسوريا يدعي انني اعمل لمصلحة الصهيونيـة ، وكان من جراء ذلك ان اوقفت فى سوريا ، واطلق سبيلى بعـد ان تبين ان ذلك كـذب وافتراء من المفتى وحاشيته واتباعه.

اما انا فقـد حملت على المفتي واعوانه فى فلسـطين قبل المعركة ، واثناء المعركة ، وفى مصر على صفحات جرائدها ، ورجال حكومتها ، وفى شرق الاردن ، ومن على صحافتهـا ومذياعها ، وفى سوريا ولبنان ، ولدى الجامعة العربية ، وكنت ورفاقي اول من اعلنوا وبلّغوا الجامعـة العربية ، والدول العربية ، والهيآت الدولية ، ولجنة التوفيق ، بأن المفتى لا يمثلنا ، ولا يجـوز له التكلم باسمنا ، ومذكراتنا الخطية فى هذا الموضوع حجة دامغة اطلع عليها البعيـد والقريب.

اما من تعاون مع المفتي ويدعي الان الحرية والدمقراطية والشرف، فهم:

أ) فى الثورات الماضية، اركان الحزب الشيوعي عرباً ويهوداً ، بقنابلهم والغامهم واسلحتهم ونشراتهم ورجالهم.

ب) فى الادارة والسياسة،رجال الحزب الشيوعي الذين اشتركوا باعمال الهيئة العربية ، واللجان القومية ، فى يافا وغزة وحيفا والناصرة ، وغيرها.

ج) الذين ما زالوا خارج البلاد يعملون بجانب المفتي حتى هذا التاريخ.

من هنا يتبين لـكم ، اننا لم نسترسل فى غينا وخطأنا ، وظلمنا ، من اللحظة التي عرفنا فيها كنه الهيئة العربية العليا وجوهرها ، وها أنذا اتحدى من يثبت خلاف ما اقول ، وهـل خفي على الناس يوم نحاني المفتي عن قيادة الشباب الفلسطيني ، وأتى بمحمود لبيب المصرى لتحريك الفتن فى فلسطين ،

وهل نسيتم يا قوم الاجتماعات ، والمصادمات ، فى القدس وعين كارم

وغزة ويافا وحيفا ، وفى كثير من الجهات ، انسيتم اذ رفضت ان اتقاضى من الهيئة العربية العليا رواتب خصصت لى ، ومصاريف بدل رحلاتى ونفقاتى ؟

فان جاز اعتبار المفتى مجرم حرب ، وان له اعواناً وشركاء ، قبل وقوع الجرم وعند وقوعه ، فالرجاء ان تسألوا النائبين المحترمين فلنر وطوبى ،من يكون هؤلاء المجرمون ، والرجاء من رئيس المجلس البرلمانى ان يزيل الحصانه البرلمانيـة عن امثال هؤلاء الابرياء ، واين رجال الامن تتحرى عمن تدثر باسم الشيوعية واختفى وراءها لخلق الفتن ، واثارة الشـعب ، وايقاع المـكائد خدمة لكل زي ، وتجارة فى كل باب.

٤ – هل الهوارى يريد اثارة الفتنة مجدداً بين العرب واليهود ؟

سبق ان بينا كيف حُلنـا دون وقوع الفتن فى منـاسبات عدة ،و كيف اننا بذلنا النفس والنفيس ،فى اقرار السلام والوئام ، بين العرب واليهود ،وها قد حملنا رسالة السلام من الشرق للغرب ، وقلنا اننا فلسطينيين لا نريد العيش الا فى بيوتنا ، نقدم الخضوع والطاعة للسلطات القائمة فيها ، ونقوم بكافة الواجبات التى علينا لدولة اسرائيل ، شرط ان تؤمن حقوقنا وحرياتنا ، وقدمنـا بذلك المذكرات الخطية والبيانات الشفهية وأعلنا وبلّغنا حكومات هيئة الامم ، والدول العربية ، واسرائيل نفسها ، وما زلنا جادين فى سبيل الامن والسلام ، لنعيش فى بلادنا آمنين مطمئنين، وإنّا بعد ما حل بنا ، عدنا اكثر ايمانا من قبـل فى سبيل التعاون والتفـاهم ، والتصافى ، بين العرب واليهود ، وقد بدلتنا المحن والايام ، تبديلا ، ولم نخف لنجهر برأينـا علنـاً فى العواصم العربية والغربية ، وامام كافة النـاس. وفى سبيل هذا المبدأ اعرضنا عن المناصب والمراتب ،

والكراسى ، والمقامات والهيآت ، والنياشين والوزارات ، وعدنا الى ديارنا نحمل رسالة نسأل الله ان تحقق آجلا او عاجلا ، انه سميع الدعاء.

اما غيرنا فالفتنة نائمة لعن الله من ايقظها ، قيادات شعبية ، وتحدث باسم الجماهير ، كأن العرب قطعان ماعز اوردوها من مجاهل سيبريا ، يدّعون التحدث باسمها منتهزين الفرص ، للاستغلال والاثارة والتهجم ، وهكذا نرى ان الاجنبى او البعيد ، يظن ان هذا البلد المسيحي المقدس ، العربى الصرف ، شيوعي من الباب الى المحراب ، وكلهم جنود مجندة يأتمرون بأمر رفاق ورفيقات.

وهكذا ، اقاموا الدولة واقعدوها ، موهمين الناس ان حياة الهوارى فى خطر من هياج الشعب ، وثورة الجماهير ، ضد اعماله المنكرة وآثامه الجمة ، يجب ان يخرج من البلاد والاّ حلّ فيه الويل والثبور وعظائم الامور.

والحقيقة ان العالم يعلم حقيقة امرهم ، وامر الهوارى من قبلهم ، وان الشعب لا بدّ وان يعرف الحقيقة ، وكان ربك اذ فضحهم شر فضيحة ، اذ بين حقيقة امرهم ، وعرف الجميع ان من عاداتهم الاصطياد فى الماء العكر.. والدجل والتزوير والدسّ والافتراء ، امور بدونها لا حياة لهم ، ولا معنى لوجودهم.

فدعهم فى طغيانهم يعمهون.

الذكرى الاليمة

على ضفاف الاردن ، وبيارات يافا، وهضاب الجليل ، وفوق قبر الخليل، كانت امة تجر اذيال النعيم والرخاء ، والعزّ والهناء ، آمنة فى ديارها ، عزيزة فى اوطانها ، تفخر على الاقطار العربية جمعاء ، بمستواها الثقافى والادبى والخلقي.

وفى الليالى المظلمات ، كثر عواء الذئاب ونباح الثعالب حتى تجمعوا من كل فج عميق. تجمعوا تجمع اللصوص والمجرمين ، يتهامسون ويتشاورون ، لا لسرقة اغنام ونياق ، ولا لسلب آنية واقراط ، بل لخطف صبية ووأد فتاة ، لقتل بريئة وارتكاب جناية، اجتمعوا وقد ماتت ضمائرهم وجفت دماءوجوههم، يهللون ويكبرون ، يتبجحون ويفتخرون ، وفى بطونهم يلعنون ويجدّفون. تآمر المشعوذون والدجالون على امتي فقادوها مكبلة باغلالها ، مقيدة باثقالها ، وساقوها الى مذبح شهواتهم واطماعهم ، واستلوا خناجرهم ونصال سيوفهم ، واغمدوها فى صدر عذراء لم تأت امراً إدّاً. قطعوا اوصالها ومزقوها إرباً إرباً، لا تأخذهم رحمة ولا تحركهم شفقة ، ولا يؤنبهم ضمير ، فسقطت تلك الروح النبيلة البريئة جثة هامدة تتضرج بدمها، وتفرق ابناؤها ايدى سباء ، بين جنبات الاودية واكتاف الجبال ، وصحارى العرب ، يتمرغون على ضفاف النيل ، يتقلبون على جنبات الرافدين ، يتضورون فى رياض سوريا ، ويرتجفون فى قنن لبنان ، وينازعون فى فيافى بنى صخر.

هكذا قضى السفاكون المجرمون على صبية من بنات العرب ، وقادوها فى رابعة النهار ، بين طبول زعمائهم ، وزمور ملوكهم ، وصهيل خيولهم ، وصليل سيوفهم ، وكذب قادتهم ونفاق منقذيهم ... قادوها عبدة ذليلة تباع فى الاسواق ، فى موكب النساء الشرقيات البائسات ، وهكذا قضت تلك الحمامة المتوف بين حبائل النخاسين وشباك المأجورين ، بينما كانت تسبح على اجنحة العزة ، فى فضاء تملأه انفاس الملائكة وارواح الانبياء ، وتعطره ازهار البرتقال ، وتغسل جنباته مياه بحر الروم.

تلك ايام مضت كالاشباح واختفت كالسحاب ، لقد افترس الوحوش الفريسة تحت اجنحة الليل ، وما زال الليل مرخ سدوله ، ولا بد لليل من آخر ، والشمس آتية فستشرق على البطاح والوهاد ، ستشرق ودماء الفريسة ما زالت خضراء على حصباء الوادى ، تدل آثارها على وقع اقدام الخطاة ، وتكشف انقاضها على نوايا المجرمين ومقاصد السفاحين ، وستبقى الحقائق مدفونة والوقائع مجهولة ، حتى يتحرر العرب من قيود عبوديتهم ، ونير تقاليدهم واصفاد ملوكهم ووزرائهم ، واغلال اقيادهم واستعمارهم.

قضت امة انا من ابنائها ، ولم يبق لنا من آثارها سوى الذكرى المؤلمة... فالعين التى كنت ارى بها جمال الربيع وبهاء الزهور ، وعناقيد الحقول لم تعد لتحدق الا بغضب السماء ، وعواصف الدهر ، وأملاً ضئيلا لا يكاد ينفذ من وراء الغيوم. والاذن التى كنت اسمع فيها اناشيد الشباب ، واغانى الصبايا ، لم تعد تصغي لغير انات الايامى واليتامى ، وعويل الفقراء والمحتاجين وتعاسة اللاجئين المنكوبين. والنفس التى كانت تقف نائرة بين القطعان والاغنام تنبهها وتروعها ، وتفتح اعينها لمهاوى ذلها وحتفها ، لم تعد تقوى الا لتبكي القطيع ،

ذبيحاً مشرداً منهوباً مسلوباً.

وذلك القلب الذى طالما خفق بحب اهله ووطنه ، يقف اليوم ليقطف زهور آلامه وباكورة رياحنه ، لينثرها على الصم والبكم والعمي ، علها بحرارتها وحراوتها ، تصحي السكرى ، وتشفي المرضى وتبعث من فى القبور.

اليقظة المفاجئة

ما اعذب وانبل تلك العاطفة الخفية التى تثور على حين غفلة فى قلب الفتى ، فتملأ خلاياه بالايمان والقوة والحياة ، وتعبىء شغاف صدره ، بنار مقدسة من وقود الملائكة ، وشعلة الحق ، فتجعل ايامه شبيهة باحلام العشاق ، ولياليه كايحاء الانبياء. ما اقوى تلك الشحنة الكهربائية التى تحل فى النفوس الهادئة فتضرم نيرانها ،وتثير اشجانها ، فتبعث فيها الحياة ، فتتحول السكينة حركة مستمرة ، فتقلب الاوضاع المعكوسة ، وتُقوم الاعوجاجات البادية ، فتقوض عروش الظالمين ، وتدك قلاع العتاة الأعين ، فتنشر لواء الحرية فوق اجداث الايام الخالدة ، وتبعث حلاوة الآمال فى مستقبل الايام.

كنا فى ظلام دامس وجهل مطبق ، نرى الفوضى ضاربة اطنابها بين صفوف الشعب فنظنها قوة ، نرى الاعتداء الصارخ على الابرياء الامنين ، فنصفق طرباً ونهتف فرحاً، ونردد انشودة الائمة المعتدين... خائن.. خارجي.. اقتلوه.. ازيلوه.. كافر لا تجوز الصلاة عليه ، وساقط لا يجوز الاقتراب منه ... كنا نتخبط فى فيافى الغرور ، ومجاهل الاعتداد والادعاء ... نسمع اصواتاً ضجاجة ، ونقرأ خطباً عجاجة ، ونشاهد مواكب الزعماء تحف بها الزعانف،

تجوب انحاء البلاد، على اصوات الحداة والدعاة ، فتتسابق فى الهتافات وتتبارى فى الزعبرات ... فترفع رؤوس الافاعي من حجورها لتسمم الاجواء، وتعكير الاصداء ، تحيّ الجماهير الشعبية ، وتشجع التقاليد البلدية ، فتنطلق القوى الكامنة فى صدور الجهلاء ، بالنار والبارود ، وتنطلق خناجر الفلاحين بأهازيجهم ، وتتحرك ألسنة النساء بالزغاريد للابطال الصناديد.

ضاق ذرعنا واستعصى داؤنا ، وتعقدت قضيتنا ، وعرضت علينا حلول ، وتكررت عروض ، وكرّت سنون ونحن كالاطواد لا نتحول ولا نتبدل، كأن الدهر لم يضع فى افواهنا الا كلمة النفي ... لا ثم لا.

على مقربة منا حضارة تتقدم على أسس علمية فنية تعاونية ديمقراطية ، ونحن نحتج ونتظاهر ونضرب ، وهم يكدّون ويجدّون ويدأبون ،نحن نثور فنقتل ونحرق ونهدم ونقلع ، وهم ينظمون ويعدون ، يبنون ويشيدون، يغرسون ويفلحون ، يتعلمون ويتمرنون ، وبقينا نسير على خطين متوازيين ، هم الى العلا الى المجد ونحن الى الهاوية الى اعماق القبور. وان حاول بعضنا ان يعكس اتجاهنا او يقارب خطواتنا او يحاكي جيراننا ، او يفهم ما يوحيه العقل والعلم والمعرفة وروح المدنية الجديدة ... فيا ويله من شر ما فكّر وقدّر ... كفى ان يقال ان ذلك خروج على المألوف والمعروف ... نشوز عن السياسة التقليدية والعداوة الوراثية ، التى تحافظ على كراسى الزعماء ونعيمهم واموالهم ، وحقهم الطبيعي الموروث ... كفى ان يشاع عنه ذلك حتى يتسابق القضاة والحكام من رجال الامة لقتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق.

وفى اواسط نيسان من سنة ١٩٤٦ ، فتح الله قلوبنا وأزال غشاوة كثيفة عن اعيننا ، فرأينا الحقائق بخطوطها الواضحة ، سافرة عارية ولا من تستحيه ...

هنالك فى ضاحية من ضواحي القاهرة ، فى حلمية الزيتون رأينا ابن الشرف الموروث ، يبنى قصراً منيعاً من اجساد الفقراء والضعفاء ، المفتي يقيم الحرم على اضرحه المخدوعين والمستسلمين ... "الكبير يقبض على قلوب الضعفاء ، وابناء الحاشية يعدون ايديهم فى جيوبهم ... هناك رأينا زمراً من أقرباء النبيل ، لا حرفة يحترفونها ، ولا مورداً ينقط فى حلوقهم ويملأ فراغ بطونهم ، الا هؤلاء الضعفاء والفقراء ، الذين يسكبون عصارة سويداء قلوبهم ، لمراضاة الدجالين والظالمين ، وهم بذلك يحسبون أنهم يتقربون للوطن ولله والامة.



الاحتفال بافتتاح منظمة النجادة في مدينة يافا سنة ١٩٤٥
الصف الاول من اليمين السادة: احمد الشقيري ، حسين الخالدي ، جمال الحسيني ، احمد حلمي عبد الباقي ، سعود جميل ، يوسف هيكل

هنالك لاول مرة اخذنا رويداً رويداً نرجع الى الحقيقة ، تتفتح اعيننا في ظلمات الماضي المطبقة ، على ضوء وميض اصطدام مفاجيء عنيف اثاره الرعونة والخفة على ايدي نائب الزعيم الاكبر ، والحبر الاعظم ، وابن [ا]عم النبيل وسليل مجده الاثيل المجاهد الكريم. وعبثاً حاولت ملامس الزعيم الناعمة وابتساماته الساحرة واياديه البيضاء وغمزاته الصفراء أن تنقذ الموقف. وكانت ليلة طال سهادها واحتدم حوارها ، والساعة بلغت الثالثة بعد منتصف الليل ، وكنت وصحبي قد مللنا الجلوس ، نود الانطلاق ولا سبيل ، ويود رجال البلاط تفريق وحدتنا ، وتشتيت كلمتنا ، وان نجحوا فقد كان نجاحهم محدوداً ،



النجادة في حامية الزيتون

هؤلاء رهط من قادة النجادة يقدمون الطاعة للسيد امين الحسيني وهم من اليمين السادة : احمد صالح ، بشير القيشاوي ، خليل هاشم

وكان نصيبي ان انتحى بي سيد القوم وعظيمهم الى خلوة في حجرة ، وقد احمرت عيناي وثارت اعصابي ، وهاجت اشجاني ، وانطلقت بالحديث يدفع بعضه بعضاً ، فيتساقط كالقنابل وينهمر كالبارود على اوكار الاعداء وحصونهم . ومرت في مخيلتي مشاهد اخلاصي الاعمى ، وتفانيّ في الضلال المبين ، وانقيادي البرىء الى الطغاة والظالمين ، ولم اكن لاعرف حقيقة امرهم ، ورجعت بنفسي الى مواقف ذلي وهواني ومواقع ضعفي وانخداعي ، ورنت في اذني اصداء اقوالي ، يوم انطلقت كالسهم من كنانة الزمان انادي في البلاد والاوطان : هيا يا قوم لاستقبال الاسد الضرغام ، عاد لحماية البلدان ، فهللوا وكبروا وابشروا ، جاء الفرج وعاد الهادي فلا تحزنوا ولا تهنوا وانتم الاعلون ... شاهدت نفسي واقفاً في جموع الشباب وقد اجتمعوا من كل حدب وصوب ، ووقفت على مرأى من الملأ ومسمع من العالم انادي في جموع الشباب والناس في يوم استعراض النجادة في يافا ، ذلك الاستعراض الكبير ، واقول اني ارى فوق هذه الاعلام والافواج والرؤوس روحاً حائمة حائرة ، ملاكاً ملكاً تاجه عمامة بيضاء ، وعرشه قلوب تطفح بالدماء ، ارى صاحب السماحة وحول عرشه يجب ان نخضع سجداً ، والى اوامره تشرئب الاعناق ، ورهن اشاوته تنطلق الارواح قبل الاجساد ... تذكرت كل هذا ورأيت الخطأ مجسماً ، والملاك شيطاناً ، والملك عبداً يجلس امامي كالساحر الماكر يستغويني ويغريني ويسلط قواه الكامنة في سبيل تذليلي وتحويلي ، فنظرت اليه نظرة ملؤها العتب واللوم والدهشة والاستغراب ، نظرة المظلوم الى الظالم ، والفريسة الى الوحش ، والمقتول الى القاتل وقلت ... لا .. لا .. لن يكون هذا ، اسمع يا صاحب السماحة ، اصغ الي وافهم كلامي وما وراء الكلام ، فقد عرفتك بعد لأي ، وخبرتك

بعد جهد ، وكشفتك بعد اختبار ، فانا معك كعاشق متيم احب فتاة اتخذها رفيقة لحياته ، فاهرق على قدميها عرق جبينه ودم قلبه ، ووضع بين كفيها ثمار اتعابه وغلة اعماله ، فملكت عليه فؤاده وحياته ، وباتت محط آماله وقبلة احلامه ، وفجأة انتبه واذ بقلبها الذى حاول دخوله قد اعطي مجاناً لغير ، قدم ضحية على مذبح الشهوات والملذات ، انت يا صاحب السماحة تلك الغانية الفاتنة وانا



النجادة تحمل ناراً ونوراً لمصر

هذا رهط من ضباط النجادة يحملون لجلالة الملك فاروق رسالة من ديارهم ، وجره من زيت الزيتون ، وشعلة من نار ، اخذ نورها من على قبر السيد المسيح وهم من اليمين لليسار السادة : غالب عويضه ، وكاظم بسيسو ، ومحمود الخطيب .

ذلك الشهيد البريء والضحية المسكينة. وهكذا اسدل الستار على رواية حبنا وضلالنا ، وعدت ادراجي الى اهلي واخواني وانا اتغنى بقول الشاعر :

تلك التي سلبتني العقل وامتنعت والغانيات وان واصلننا غدر

عدنا الى الوطن ، ووراءنا جود القوم اسلحتهم ودعاتهم ، وعلى اثرها نادى الفتى بتنحيتنا وعزلنا عن قيادة اخواننا وخدمة اوطاننا، واخذوا يروجون الدعايات المنكرة والحكايات الملفقة ، والحملات الملعونة وبات همهم القضاء علينا، كما قضى على الكثيرين من قبلنا ، الذين لا ذنب لهم الا ان رأوا ما رأينا واستيقظوا كما استيقظنا ، وما جزاء المستيقظ في نظرهم الا الموت.

عدنا ولم نجبن ، رجعنا ولم نقعد، وفهمنا ولم نكتم سرنا، بل طفقنا نبشر ونحدث عما رأينا وسمعنا وشاهدنا، وكانت اصطدامات بين الحق والباطل، بين الدجل والحقيقة ، واخذنا نبكي انفسنا وقومنا ، ووقفنا بين الجموع ، والجموع قد هرعت تسمع نداء الزعامة ، واكاذيب رجالها واضاليل دعاتها. ووقفنا مع نفر قليل من صحبنا وسط العاصفة ، ندافع عن انفسنا امام جهل الجماهير وبين مخالب الكواسر.

ابتدأت الحملات العلنية والسرية ، ونادت الزعامة بالنفير العام ، يا شباب البلاد اقسموا ، هؤلاء هم الفتوة جيش البلاد ، من المخلصين الموالين الى السدة الحسينية والاسرة الشريفة المشرفة ، التي لا تنطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى ، من لم يكن منا فهو علينا ، ومن كان علينا فهو الخارج على دينه ووطنه ، ومبادىء اجداده وتقاليد آبائه ، هو آلة في يد الاعداء ، وخادماً للاستعمار ، واجيراً للصهيونيين ، هو مجرم اثيم عليه يجب ان نصب نقمة الشعب ، ولن يبوء الا بخزي من الله ورسوله والمؤمنين.



هذا رسم الفتوه وقيادتها — كل من السادة : كامل العريقات، ومصطفى نجم، وبدر الوشق ، يتوسطهم سماحة المفتي في حلمية الزيتون بالقاهرة .

وقفنا وسط العاصفة حيارى ، انسير مع التيار فنبني للعتاة الظالمين قصوراً، حجارها من جماجم الشعب وفلذات اكباده ، وطينها مجبولا بعرق جبينهم ودماء قلوبهم ، انسير مع التيار فنقف على ابواب الهيئة العربية حجاباً للانانية والغرور، وخداماً للعائلية والحزبية المتمثلة فى سخافة جمال، وميوعة اميل، وخرف رفيق ؟ انكون اداة شر فى ايدى ائمة مجرمين يوجهون جموعنا للقتل والسلب والهدم والتطبيل والتزمير ، محافظة على عرش الظالمين الموهوم ومجد الآثمين المزعوم ؟ انسير مع القافلة فيطهرنا التيار من قاذورات اعمالنا، وانجاس افعالنا، ويلبسنا حللا زهية بهية ، فنتحكم فى رقاب العباد ، ونسيطر على مرافق البلاد ، فتسارع الصحف لنصرتنا والاشادة بذكرنا ، وتبادر الزعامة بزعانفها لدعمنا وتركيزنا ، وملء جيوبنا وبيوتنا من اموال اليتامى والمنكوبين من دخل

الأوقاف والارصاد ، من سيول الهند والسند ، من مخصصات الاستعمار والمستعمرين؟ او نتحى العزلة رغم ادراكنا تعاسة قومنا ، ورزوحنا تحت ثقل الاصفاد والاغلال الحديدية فى أعناقنا وأيدينا؟ اقف جامدين ونحن نسمع اصوات الابرياء وارواح الشهداء تصرخ متظلمة ، ينبعث انينها واوجاعها من ازقة القدس والخليل ويافا والناصرة وحيفا ...؟ انسمع اصوات الوف الضحايا تنادى الشعب السائر فى موكب الزعامة الى الهاوية سيراً حثيثاً، الى مذبحه ومقر حتفه ، وهو من سكرة الموت لا يشعر بألم النزع ، ومن حدة السكاكين يرقص ألماً لا طرباً ...؟ انسمع تلك الصيحات والصرخات ، ونبقى طرشاً، فى آذاننا وقر وفى قلوبنا مرض ، ونجلس القرفصاء مع الجبناء الرعاديد؟ رأينا القطعان البشرية من ابناء الديار المقدسة تسير فى اودية الظلام وبوادى الجهل ، وراء كواسر الطير وضوارى الوحش ، ورأينا الثعالب كلما تحينت الفرصة اجتاحت جنبات القطيع ، تنهش وتختطف ، تمزق وتفترس ، وكنا بين القطعان عرضة للصوص الانسانية وغرائز الحيوانات المفترسة !

رأينا الوحوش تصول ، والطيور تجول ، فصرخنا صرخة رددتها الجبال والاودية والوهاد ، صرخنا ولم نعد نقوى على السير مع التيار ولا الوقوف وسطه ، لان تلك الصرخة قد اقلقت الذئب الاكبر، واجفلت القطيع الاعمى فشعر بالخطر الداهم والشر الكامن ... فما كان الا واجتمعت الضباع والثعالب فى دار الذئب تتداول فى مصير القطيع خشية التمرد والجموح ، فيتفرق نافراً، ويرى المخالب والانياب بادية على حقيقتها فسر أثواب الحشمة والوقار ومسوح الورع والتقوى ... فلا تعود تستهوى اعلاف المذاود ولا خضراء الدمن ، فتنفر وتتفرق جموعها لكل ناحية، وتبقى الذئاب وحدها تعوى فى ظلام الليل.

في ظلمة الليل

اسدلت الحرب الثانية اوزارها ، وعادت الجنود المسرحة الى اوطانها ، عادوا من الحرب متوجين باكاليل الغار والنصر ، وعدنا نجر اذيال الخزي والعار من تصرفات زعمائنا وقاداتنا. وانتشر الرخاء بين الناس ، وكثرت المادة ، وتضخمت الارباح ، واشرأب تجار الاسواق السوداء يفخرون على العالم بثروات جمعوها من ميادين القتال ودماء البشر.

فنشط اليهود فى اعمالهم ونضالهم لجمع قواهم وإعداد جموعهم ، لاستئناف نضالهم فى سبيل تحررهم وخلاصهم. وبدأت حملاتهم الشعواء ضد الاستعمار والمستعمرين ، ونمنا نومة اهل الكهف نرقب النصر تأتى به الايام وتحققه الاحلام ... غنيّنا يعيش لنفسه ، وفقيرنا يدأب لعيشه ، نرى النيران تقترب منا ونحن نغطّ فى احلامنا ، ونشقى فى اموالنا ولسنا ندرى ما خبأ لنا القدر بين طياته.

وان هى الا جولة واختها حتى اخذ الانكليز يبحث عمن ينقذهم من ورطتهم ، ويقيلهم من عثرتهم. واذا بأسلاك البرق تحمل نبأ الافراج عن خليفة الزعيم ونائب الامين ، وما كاد يهبط البلاد حتى هرعت جموع العرب لملاقاة الزعيم ، وعلى الاكتاف والاعناق حملوه من اعالى لبنان بين هتاف الجماهير ، وزغردة النسوة تبشر بقدوم البطل عائداً من ميادين النصر ، فأقاموا الولائم

وشدّوا الرحال للتحية والسلام ، وطبقوا عنان السماء تهليلا وتكبيراً، تعظيما وتمجيداً ، وأحاط الابطال بموكب الزعيم ممتشقين السيوف رافعين الرماح ، وعلى مرأى من السلطات العسكرية والاحكام العرفية اطلقوا نيران بنادقهم تلعلع فى الفضاء ايذاناً بقدوم ابن الحرية جمال الدنيا والدين.

شرع الزعيم فى زياراته وابتدأ فى جولاته،وأخذ فى تطبيق خطته الموسومة، وغايته المنشودة ، يدعو الناس للاستعداد لتوحيد الصفوف وازالة الاحقاد ، وانقاذ البلاد من غطرسة اليهود وكيد الانكليز ... الكل يجب ان يكون فى قبضة يده ورهن اشارته وطوع بنانه ، كيف لا وهو عميد صاحب الزعامة وابن عم الزعيم وشريكه فى نضاله وجهاده. وحزبه حزب العرب ، حزب الامة ، حزب البلاد ، امامه يجب ان تحنى الرقاب ولعظمته يجب ان يسجد العباد ، ومن يجسر على المعارضة والمخالفة ، من يجرأ على الابتعاد والحياد ، من يقوى على العمل الشعبي مستقلا دون وحيه ومنفرداً دون موافقته ، والوطنية قد احتكرت العائلة الحسينية.

رأى «صندوق الامة» قائماً وحوله جمع من الناس ، فحمل عليه لضعفه حملة منكرة اهتزت لها فلسطين من اقصاها الى اقصاها ، فانقسم على نفسه وقلت اقواسه وتوقفت حركته ، ومات وهو فى المهد صغيراً. ورأى غرسة غضة يانعة من اجمل ما انجبت تربة بلاده ، وانيم ما اعطت زهور اوطانه ، واقوى ما ولدت الايام فى نفوس الشباب من قوة وايمان فى حقهم بأوطانهم وحياتهم... رأى النجادة ، فعزّ عليه ان يرى هذه الغرسة فى غير بستانه، وخشي ان اعطت اكلها ان يحرم من قطف عناقيدها وجني ثمارها. فحاول ان يبتاعها او يضمها ويحتكرها ، فاسقط فى يده ، وعبثاً حاول بالوعد والوعيد الوصول

الى ما يريد. وتحت جناح الليل ارسل رجاله الاشاوس يحملون بنادقهم ، الى اجتماع عقده النجادة فى وادى الجوز ، فاطلقوا النار على المجتمعين وفروا الى اوكارهم هاربين ، والى سيدهم يقبضون الاجر وينالون الثناء. وتكررت الاعتداءات على مرأى من السلطات ومسمع منها ، فلم تتخذ اى اجراء ولم تبد اى اعتراض، ولما ضاق ذرعنا وعيل صبرنا وخشينا شر فتنة بين العرب انفسهم، اجتمعنا ووجهنا انذاراً تاريخياً الى الهيئة العربية العليا، والحزب العربي، وصورة عنه للزعيم الامين ، ولاسياد الزعيم والمتزعمين، سلطات الانتداب والمستعمرين.

وفى ذات يوم ارسل مدير الامن العام يطلب مقابلتى ، فلبيت الدعوة ، ولدى مثولي امامه ، قال : « انا اعرفك فهل تعرفنى ؟ »

قلت : لا. قال : «انا اعرفك من التقارير الكثيرة القديمة والحديثة التى وصلتنا عنك وعن اخوانك» ، اسمع ما اعرفه عنك : اعرف فيك شاباً ذكياً متعلماً قويا عنيداً كاتباً خطيباً ، ذا اثر فى الحياة الاجتماعية ، لهذا ارى انك تستطيع فهم كلماتى وما وراء كلماتى فاصغ الي ... انت تقود سيارة جميلة حديثة قوية فى شارع مكتظ بالمارة ، عليك ان تسير فيها الى حيث تريد دون ان تحدث اى حادث او اصطدام ، والا اضطر بحكم وظيفتى ان اوقف السيارة ومن فيها. اصغيت وتأملت ، واستأذنت الكلام ، فاذن لى ، فقلت :ـ «انا افهم ان وظيفة الامن العام ذات شقين ، اولا منع الجرائم قبل وقوعها، وثم التحقيق فيها بعد الوقوع، أفلا ترى فى ذات الشارع سيارة اخرى قديمة بالية، يقودها سائق اهوج، وقد دججت بالسلاح تحاول الاعتداء على سيارتى؟ أليس من واجبكم ايقاف هذه السيارة والضرب على ايدى سائقها قبل ان يقع مالا تحمد عقباه ؟ او لست محقاً، ان هوجمت، بالدفاع عن نفسى وسيارتى؟ او ليس

ان فعلت ذلك اكن برئياً فى عين العدالة والقضاء»؟ وهكذا انتهت المقابلة ، وخرجت والالم يحز فى نفسى من تصرفات زعمائى وو كلاء الزعماء.

كان هؤلاء الزعماء يحتمون بالسلطان ، والسلطان يدعمهم لانه اقامهم اولياء على رقاب العبيد ، واوصياء على خراف القطيع ، وهم بدورهم يحافظون على تعاليمه وتقاليده ، يوطدون اركان بطشه وجبروته ، ويعلون عرش طغيانه واستبداده ، لأنهم يشاركونه فى قتل المعرفة واستغلال الشعب.

وفى ظلمة الجهل وغفلة الزمن ، قام جمال ينادى بالثورة ، مقاطعاً كل حل للقضية وفقاً لتعليمات سيده المخدوع . لم يخجل ان يصر امام اللجان الدولية على استعداده لملاقاة اليهود فى الاحضان ، ارتجالا واتكالا على غروره ووعود اسياده . فاحال القضيـة الى هيئة الامم الى ان اقرت التقسيم . والعرب فى فلسطين يرون هذه المهازل والآلام والآثام وهم صامتون لان انوفهم المرغمة بالتراب لا تجرأ على القول ، وقلوبهم الغارقة فى اوحال الحياة ، لا تنبض بالمجد والقوة ... لأنهم اموات والا موات لا يستنكرون ولا يكون».

وما زال جمال يطارد ويستعد ويعد ، حتى هيأ الاجواء ومهد السبيل الى وفد الزعامة ، فاتى بقيـادة الزعانف يحملون السـموم والدسائس فى جعبهـم ، ويضمرون الشر والاجرام فى نفوسهم ، وفى اعناقهم يحملون الطبول والزمور ، ومن حولهم مواكب المأجورين وجوقة المرددين المطبلين ، يعيدون تواقيعهم ويرددون مقاطعهم ، يضخمون اصواتهم ، ويفرشون امامهم الطرقات والمسارح بالريحان والزهور ، ويعطرون الاجواء حولهم وحيث كانوا بالند والبخور . تمهيداً لزرع حقول العامة القاحلة ، ومروج الامة الجدباء ، بأشواكهم وبلائهم . وهكذا اقاموا فى كل بلد زمرة من اعوانهم ومأجوريهم ، ضمنوهم رقاب العباد

وغلة البلاد استعداداً لليوم المشهود. فنظموا القيادات واقاموا اللجان القومية ، واحكموا اتصالاتهم ، قدر امكان شخصياتهم . وعلى اثر اعلان التقسيم ، اعلنوا الاضراب ثلاثة ايام تباعاً ايذاناً ببدء المعركة. فزلزلت الارض زلزالها ، واخرجت اثقالها ، وانتجت الحقول ثمارها ، ولم تزرع بساتين الحضر وحقول المدر ، الا العلث والزوان والشوك والبلان ، فكيف نرجو ان نقطف الا الزقوم والحنظل والعلقم؟ .

ليلة الجريمة

كانت ليلة سوداء من ليالي تشرين الاول سنة ٤٧ ، والزعيم الامين يذرع قاعة قصر طانيوس في اعالي لبنان ، يتنقل بين الجموع المحتشدة ، يقابل الوافدين ، ويشاور القادمين ، بهمة ونشاط وقوة وثبات ، باسم الثغر ، عاقد العزيمة على خوض المعركة ، وكأن النصر منه قاب قوسين او ادنى . وحوله الكماة الابطال من رجال الثورة المعروفين ، وخدامه واعوانه المشهورين ، هذا مسؤول عن مستودع الاسلحة ولا يميز الغث من السمين ، وذاك عُهد اليه بقيادة الرجال وتنظيم صفوف الابطال وهو اعجز عن تنظيم بيته وقيادة نفسه ، وآخر خصص للعمليات الحربية وخطط الميدان ، وترتيب الحملة وتعبئة الصفوف وتعيين المواقع واحكام النظام ، وهو لا يعرف من كل هذا الا عبادة الاصنام والسجود تحت اقدام الاوثان.

دعيت الى تلك الليلة الحافلة بكل اصرار، وحملت على مضض الى حيث كان يفد القادمون والمدعوون، وهنالك فى ردهة القصر، تصدر الزعيم المجلس وحوله جموع الرجال، يحدث هاشاً باشاً، وهو القائد، وهو الخطيب، وهو السياسى، وهو المنظم، وهو الكاتب، وهو المعبىء، وهو القوة المحركة، وهو كل شىء فى عالم الوجود ... والمجتمعون يشرأبون بأعناقهم لسماع اقواله والامتثال الى اوامره، ولا يصبح الرجل فى تلك الجلسة وطنياً مقدماً محبباً، الا اذا نزع عنه الارادة والفكر والميل، وغدا آلة عمياء خرساء فاقدة الحس والقوة.

وبعد المقدمات والتحيات الطيبات، دعا الزعيم صفوة القوم اليه، واختلى بهم فى حجرة من زوايا القصر الفخم - وكنت بينهم - وهنالك وقد انتصف الليل وتجلت الجلسة، وأعدّ رجال الجوقة الجو لاحاديث النار والبارود، نثر الزعيم كنانته وعجم عيدانها، فوجدها صلبة لا تأخذها بالحق لومة لائم، الكل يقول لبيك لبيك ... هيا للقتال والنزال، كلنا على اتم الاستعداد والاهبة، لدينا الوف البنادق، وكامل المعدات، ان تحركنا فستتحرك الجبال والوهاد، وسنهز التاريخ ونبعث امجاد الاجداد، ونكتب النصر بدمائنا على صفحات من نور، فنعيد عهد اليرموك والقادسية وذى قار.

كنت اسمع الاحاديث تلقى على عواهنها، وأرى الكذب والرياء والفساد، لا يتحمله جو القاعة فيخرج من نوافذها يشق عنان السماء ... وأنا صامت كأبى الهول، اتصور الفاجعة تدنو، فينزف قلبى دماً ويتفتت كبدى لوعة وأسى، اتميز غيظاً فتثور عواطفي، وانحفز للكلام، الا اننى اعود اردد فى نفسى قول الشاعر :

ألا ايها الليل الطويل ألا انجلِ   بصبح فما الاصباح منك بأمثل

وزن الزعيم رجاله، فوجدهم من العيار الثقيل والذهب الخالص ، لا يعوزهم صقل ولا يحتاجون الى صهر ، ونظر الي وأنا منكمش فى مقعدى وقال :

ـ مالى اراك لا تحير جواباً ولا تبدى خطاباً ، مالى اراك سابحاً فى عالم آخر لا تشاركنا ولا تنيرنا برأيك ، وما عهدى بك هكذا قبل الان ؟

ـ فقلت : عبثاً حاولت انقاذ الموقف وانقاذ التيار ففضلت السكوت. فأصر بابداء الرأى.

ـ فقلت: سكت لانى لا أودّ ان احفر قبرى واخوانى بيدى ،لان قلبي قد تعب فى داخلي من الاسترسال بالكذب والرياء،لان نفسى تأنف ان تنعم بأموال الفقراء والمساكين ، لان روحي تعرض عن التنعم بخيرات الشعب المستسلم للغباوة والجهل ، تريدون القتال وما الذى يحملكم عليه ...؟يريد الانكليز الخروج فليكن ذلك ، ترغبون عدم القبول بالتقسيم فانا معكم لا اعتقد فى نفاذه عملياً لان دونه عقبات جمة ، اقتصادية ومادية،عقبات فى المواصلات والجمارك، والمواقع والصلاحيات ، والى ما هنالك من صلات مشتبكة بيننا وبين اليهود فى الوطن الواحد. اتركوا الامر للايام تحلّ الصعاب وتذلل العقبات. وهل انتم واثقون من انفسكم عارفون لخصمكم ،ام مغرورون مخدوعون فى جموعكم وقوتكم غير حاسبين لاخصامكم حساباً ؟لست على استعداد لمشاركتكم وإنى اخالفكم فى المبادرة ، ولن يكون نصيب المبادر الا الويل والثبور ، ولا تنسوا انّ على الباغي تدور الدوائر وانكم فى عملكم هذا ستمزقون اجساد الامة وتهلكون الحرث والنسل ... فكان الجواب ابتسامة صفراء اشترك فيها كافة الاعضاء ، وكأني بهم يقولون داعية صهيونية ... ونفساً انتهازية انهزامية ...

وقال الزعيم: «انت واهم اتحسب للثعالب والارانب مثل كل هذا الحساب»، قلت: «اشهدوا انني برىء من دم هذا القتيل». فانفضت الجلسة، وانفرط عقد المجتمعين وهم يتغامزون ويتهامسون.

وهكذا حرمت من القيادة والوجاهة، واقصيت عن الاجتماعات المتعاقبة، وخرجت منبوذاً مرذولا، لان جسدي لم يعد يجد راحة في القصور الرحبة، التي بناها الظلام من اجساد السذج ... لان نفسي لم تعد تستسيغ الخبز المعجون بدماء اليتامى والارامل. خرجت مهملا محروماً لانني رددّت على مسامع السيد والاذناب، اقوال الحق وآيات الكتاب.

يافا تحترق

ما كاد اليوم الاول من اضراب الايام الثلاث، في غرة كانون الاول سنة ١٩٤٧، ينقضي، حتى غدت يافا تغلي وتقوم وتقعد، وفي كل لحظة تسمع شائعة وفي كل دقيقة تتضخم الاوهام والاكاذيب، حتى تبدو حقيقة في كثير من مجالس العامة ونوادي السذج، وما كادت الشمس تأذن في الغروب حتى اخذ بعض الزعانف من رجال الفتى وخدمة المباحث الجنائية الاستعمارية في لبستهم القومية العربية، يجوبون الشوارع في سياراتهم الخاصة وفي سيارات النقل التي راقتهم ينادون بالناس ... يا رجال ... يا ابطال ... النجدة ... النجدة، اوقفوا عدوان اليهود لقد اعتدوا على اخوانكم في المنشية فنهبوا بيوتهم وحرقوا

لمتعتهم وشردوا نساءهم ،وسبّوا وشتموا وأهانوا وارتكبوا اعمالا منكرة لا يقوم بمثلها الاّ الاذلاء الجبناء ... يجب ان نوقف الفتنة عند حدهـا ، والمعتدين عن غيّهم وغوايتهم ... واخذ رجال البوليس البريطاني يغمزون ويشجعون ويحمّسون القوم لاختراق النظام والعبث بالقانون،والعرب بطبيعتهم لا ينتظرون ليفكروا ولا يعقلون ليحسبوا ولا يتورعون ليقدّروا عـواقب اعمـالهم وطيش افعالهم ... فسرعان ما كرّوا وفرّوا ، وصالوا وجالوا ، وتجاوبت صيحاتهـم، وباشر الغزاة منهم بالسلب والنهب ، والغواة منهم فى اطلاق نيران مسدساتهم، فى ظهور الابرياء والعقلاء.

وفي ذات الليلة استعدّوا للقتال والنزال ، ورأيت معظمهم قادة ووجهاء، وبين عشية وضحاها اصبحت لا تكيّف عتالا ... ولا مسّاحا ...لا تجرأ ان تخاطب بحاراً ولا حماراً ... ولا تحكم فى ان يصغي اليك احد ... لان القـوم اخذوا يرددون قول الزعامة ... اذا تـكلم السيف سكت القلم. وهل يصغون بعد اليوم الاّ الى النار والبارود ... وهل يتحدثون بعد اليوم الاّ عن النهب والسلب والقتل والجرح ، والاغتصاب والاعتداء ... والحرق والهـدم ... هى ثورة تحطم النظام وتقوض بناء الظلم ، وتدك معالم الطغيـان ، هي شرّ مستطير يحرق الاخضـر واليابس ، هي صواعق سماوية تنقض على رؤوس الخونة والجواسيس ، وكل من اغضب الزعامة او تجرأ لانتقادها ومسّها ، هي براكين نفسية بشرية تحطم المعابد والقصور والدور ، فتلقي بحجارتها فى الاودية، تحرق فى النار كل انشاء وتعمير ، كل انتاج وابداع ، كل تقدّم وحياة ، وتجرف الى الهاوية ، كلّ من يجرؤ للوقوف فى تيارها ويحاول اخماد نيرانهـا. والغريب فى هذه الامة انها اذا جُنت كانت نسبة مجانينها ٩٠٪ من سكانها ، والباقون

يفرون ويضيعون ، ويغلقون ابوابهم حتى يمر غضب الرب.

سارت الحملة ... عليهم ... عليهم ... الى تل ابيب ... بلد الفجار ومهد الكفار. زرافات ووحدانا سار القوم وامامهم او فى وسطهم أو خلفهم وكلاء الزعيم من رجال اللجنة القومية ، وبعض افراد القيادة يهزأون بقوة اليهود وسلاحهم ... ويقولون لولا وجود الانكليز لكنا الليلة فى تل ابيب ... بهذا كانوا يشدّون أزر الرعاع ، ويشرون بذور الفتنة بين الجهلة الاغبياء . وما ان كرّوا بعصيهم وهراواتهم ومسدساتهم ، الا وعادوا يحملون الاسلاب من حوانيت العرب واليهود على السواء ، فعمت الفوضى وتجرأ البعض فاعتدى على الحدود ، فوقع الاشتباك وكانت النتيجة الطبيعية ان هاجر سكان الحدود الى ما وراء الحدود، تاركين النار تلتهم بيوتهم وتحرق امتعتهم ... واكتظت شوارع يافا بالنساء والاطفال من العائلات تشكو الجوع والفقر والتشرد ... واعضاء اللجنة القومية والهيئة العليا ، يبشرون الصابرين بالفرج القريب ، مكتفين بالاقوال دون الاعمال ، وهمهم توسيع الخرق ، واكثار الآلام ، ونشر الفوضى وتخريب النظام. وما جاء اليوم الثانى حتى كان لهم ما ارادوا ... وغدت يافا مرتعاً لكل مجرم أثيم ، ولص ذميم.

اجتمعت ولفيف من اخوانى لتدبر امر البلد ، اجتمعنا واضطربت احشاؤنا من هول البلية ، وفظاعة المصيبة. وقررنا العمل لايقاف الفتنة ... غير عابئين بما أثارته الزعامة الظالمة ضدنا ، بين صفوف العامة الجاهلة التى تقبض فى ساعات غضبها على اشراف ابنائها وتسلمهم للعتاة الظالمين ، وتضطهد مخلصيها ومحبيها ، لأنها غارقة فى بحر الذل والهوان. ولكن لا يترك الابن امه وأباه ، والاخ اخته وأخاه ، ان كانوا مرضى وتعساء واغبياء ، بل عليه ان يتقدم

لخدمتهم لأنهم وان قضوا على العقلاء والمخلصين ، تراهم بأنفسهم يضعون رقابهم تحت مقاصل الطغاة والمستبدين ، ولا يعلمون ما يفعلون.

قررنا ان نشمر عن ساعد الجد ، ونخوض المعركة بقوة ايماننا ، وشجاعة قلوبنا ، متوكلين على الله ، لخدمة امتنا ساعين لوقف الفتنة ، ضاربين ايدى مروجي الشر. وهكذا نزلنا الى البلد علنا ندعو الناس الى النظام والسلام والهدوء والسكينة.

رأينا فى شارع البلد الرئيسى ، امام سجن يافا وعلى مرأى من السلطات عشرات الالوف من الخلق ، فاغرة افواهها ، شامرة زنودها ، صائحة صاخبة ، كبحر زاخر تتقاذفه امواج من الرؤوس البشرية المشرئبة ، وكلها تصول وترتد على فتاة يهودية اوقعها سوء الطالع بين هذه الجموع الهائجة ... والفتاة تبكى وترتعد ، لا تدرى ماذا تصنع ، ولا يدرى الناس كيف يقضون على حياتها ، أشنقاً ، او رجماً ، او نحراً ، او باطلاق النار...وهم يفكرون ويصولون، تقدمت سيارتنا ، وفيها فريق من شباب الاسعاف ورجال البلد ، واخترقت الجموع حتى الفتاة فانتشلناها وأوقفناها وسط السيارة ، ثم الى الجموع قلنا : «ها هى فتاة قد اضاعت وعيها ، وكلكم يعلم سر وجودها ، افيليق بكم وبسيرة آبائكم واجدادكم ، وسمعة ابطالكم وعروبتكم الاعتداء على مثلها ، وللنساء حرمة وللامناء ذمة ، وللاسيرات شرعة لا تجيز لكم الاعتداء والقتل ..! وهكذا سارت السيارة بها حيث تركناها على حدود يافا الجنوبية ، وعادت آمنة الى بيت يام اليهودية. وكانت هذه الحادثة سبباً كافياً للجنة القومية وعضو الهيئة العربية فى يافا ، ان يشنوا علينا حرباً شعواء ... اضطرتنا ان نضاعف نشاطنا ، ونحد من نشاطهم. فوقعت الخصومة ، وطار الجميع الى لبنان لاخذ التعليمات الى

الزعيم وهو يرقب المعركة عن كثب.

واى تعليمات تنتظر من رأس الفتنة لزعانفها، ومن موقد النار لموظفيه ومأجوريه، ومن السفاح الجزار، الى وكلاء الحجاج فى ايام الفتن والثورات... النتيجة معلومة «رصاصة طائشة، ومكيدة مدبرة» وبعدها الاستنكار والاسترحام، والسير فى الجنازة، وقد ساروا من قبل فى كثير من الجنازات.

رسالة من لبنان

فى اليوم الرابع من الفتنة، زارنى فى مكتبى عضو الهيئة العربية العليا، رفيق التميمى، يحمل رسالة من الزعيم، ففضضتها واذا بها امر تعيين من الزعيم يعهد لى فيه بادارة الامن العام فى يافا، ويوصينى بالتعاون مع اللجنة القومية، للمحافظة على ارواح الناس واموالهم، وان كنت قد اضعت كل ما املك فى يافا من اثاث بيت، ومكتب ومستندات واوراق، ونوادى للشباب، الا اننى كنت حريصاً لاحمل معى هذه الوثيقة التاريخية، وهى اليوم محفوظة عند بعض الاصدقاء فى بلاد العرب.

اخذت الرسالة، واصدرت فى الحال نشرة اذعتها على الناس، ادعوهم للهدوء والسكون والتنظيم، وانتظار قدوم الفاتحين عبر الحدود عندما تأزف الساعة... وهكذا قمنا فى تنظيم الحراسة، والدفاع عن البلد، داخلها وخارجها، حفظاً لارواح الناس واموالهم. ومنعنا التجول بعد ساعات معينة عند

الغروب الا لاصحاب الوظائف ، وشكلنا مجلساً من عشرين عضواً من خيرة ابناء يافا ، ودعوناه «مجلس الامن» لتحقيق السلام وارجاع المياه الى مجاريها، وعينّا لجاناً مختلفة للدفاع ، وللحراسة ، وللاسعاف ، وللتموين ،وللمواصلات، وللاستخبار، وجمعنا الشباب لتلبية نداء الامة والوطن. غدا مجلسنا محور العمل والنشاط فى البلد ، ولم تنحصر اعمال اللجنة القومية الا فى ابى كبير ، حيث كانوا يدخرون السلاح ، ويخبئون الذخائر خشية ان تقع بين ايدينا. قمنا باعمالنا وكرسنا اوقاتنا ، ولم تكن لدينا الا سبع بنادق من اموالنا ، ادخرناها ايام السلم ، لتدريب الشباب على استعمال الاسلحة ، اضف الى ذلك بعض المسدسات الخاصة ، اما الذخائر فكانت شحيحة قليلة.

وفى خلال الاسبوعين الاولين ،وصلتنا من الخارج عن طريق الهيئة العليا خمس واربعون بندقية،عتيقة بالية ، مختلفة الاشكال والصنع ، وثلثها لا يصلح للاستعمال ، ووصلنا بعض اكياس الفشك الملوءة صدأ ، و٥٠٪ لا يصلح للاستعمال. وفى الاسبوع الاول علمت ان بعض اليهود من تل ابيب اتصلوا بالبلدية واللجنة القومية ، يدعونهم للتفاهم والتعاون ، لايقاف الفتنة ، وكان جوابهم أنهم لا يملكون الا ان يردوا الاعتداء بمثله ، ولا يسولوا لانفسهم الجلوس مع اليهود ، وان كان لهم ما يقال بشأن السياسة ، فدونهم والهيئة العليا.

اجتمعت باللجنة القومية وعضو الهيئة العليا ، وقلت لهم اريد مالا وسلاحا للامن والنظام ، فانكروا وجودها ، وشعرت أنهم اخذوا يمدون ايديهم فى البلد مباشرة ، حيث شرعوا يسلحون بعض الرجال ويستأجرون بعض الجنود ، لدعم مراكزهم وتوطيد اقدامهم ، واخذت الاسلحة تتسرب اليهم من الهيئة

مرآة. عقدت اجتماعاً لاهل البلد فى النادى الارثوذكسي وشرحت لهم خطورة الموقف، وان اموالهم وحياتهم وارواحهم معرضة للخطر، وان البلاد خالية من الدفاع، وليس فيها الا الكذب والنفاق ومروجوا الفتن. وان ارادوا العمل المنظم فعليهم تقديم المال، وعينا طريقاً قانونياً للجباية بواسطة البنك وتحت اشراف لجنة من المجتمعين لتأمين الجمع والاشراف على الصرف والانفاق، وان مجلس الامن بحاجة لنفقات شهرية تقدر بعشرة آلاف جنيه. وقلنا للمجتمعين، هذا حالكم ولن تنالوا من البر حتى تنفقوا مما تحبون.

ولما علمت الهيئة العربية بامر اجتماعنا، جاء رفيق التميمي محتجاً عليه، معترضاً على اعمالنا، وقال عملكم هذا خارج عن الصلاحيات المخولة لكم والواردة فى نصوص الرسالة التى اتيت بها اليكم. فقلت وردتنا الرسالة وعملنا هذا من مقتضيات الامن والسلام، وان كنتم تفسروه عكس ما نرى، فارجوكم ان تهيئوا لنا المال والسلاح للقيام بمهمتنا، فتوفروا علينا الكثير من العمل وتصيروننا من الشاكرين... فقال جمع المال من اختصاص الهيئة العربية واللجان القومية، وما عليكم الا مراعاة النظام والنزول الى الميدان. قلت: «ان السلام والامن يقضى عليكم ان تأخذوا برأينا عندما حدثكم اليهود فى تل ابيب قبل الاجابة على رسائلهم»، فقال احد اعضاء اللجنة القومية: «هذا من اختصاصنا، ونحن نصر على مواصلة القتال حتى الموت ومهما كانت النتائج، ومهما شحت الوسائل». فقلت: «اذكروا اقوالكم ولا تلومونا فى المستقبل ان تجاهلنا وجودكم وابتعدنا عن كل تعاون معكم، لانكم لا ترغبون فى التعاون وترفضون التفاهم.»

وهكذا اخذ كل منا يعمل فى حقله، وكان لهذه القطيعة اسباب جمة وقعت قبل المعركة بكثير.

اجتماع قصر البحر

فى اواسط كانون اول سنة ١٩٤٧ ، وبينما كنت فى مكتبى ، اتصل بى بعض رجال الدفاع اليهودى «الهجناه» يطلبون مقابلتى للمداولة بشأن الاضطراب فى يافا ، فاستبشرت خيراً ولبيت الدعوة ، وعينت موعداً لملاقاتهم فى اطراف يافا ، وهكذا فى اليوم الثانى ركبت وبعض صحبي السيارة الى حدود الجبالية فى يافا وترجلنا حتى الحدود ، ومن داخل المنطقة اليهودية استقبلت بعض رجال «الهاجناه» ومعتمديهم ، واتيت بعميدهم الى مقهى قصر البحر فى يافا ، حيث جلست وإياه منفردين ، وعلى مرأى من الحاضرين والعابرين ، وشربنا القهوة واتفقنا على حصر الفتنة وايقاف اطلاق النار ، على ان يعمل كل منا من ناحيته ، فيعود الامن الى نصابه ، والمياه الى مجاريها ، كما جرى ذلك من قبل فى حادثتين سابقتين لمحاولة الفتنة واشعال النار.

ولما بلغ خبر هذا الاجتماع اوساط الهيئة العليا واللجنة القومية ، جن جنونهم ، وارسلوا للشيخ حسن سلامه - وكان فى ضواحي قرية سلمة - يشكون اليه ما وقع ، يشكون همساً وسراً ، ولا يجرأون على الجهر بما فى صدورهم من غل وحقد.

حضر الشيخ حسن سلامة ، وهو شاب فى العقد الرابع ، طويل القامة ، كبير الهامة ، عريض المنكبين ، يميل وجهه الى البياض الضارب للصفرة ، صغير العينين ، قصير اهداب الجفون ، حليق اللحية والشاربين ، فى رأسه نصف صلع



البطل حسن سلامة : قائد الجبهة الجنوبية

المرحوم حسن سلامة في لباس الجندية يعين نقاط الدفاع ما بين يافا تل - ابيب على خارطة في دار اللجنة القومية في يافا

وبقيات من شعر سبّلت على الجانبين ، يلبس بذلة صوفية سوداء (سمو كنج) وقميصاً ابيض ، وكلها فى غاية الاناقة والنظافة ، وعهدى به من قبل يلبس القمباز البلدى والجبة الفضفاضة ، مرخ لحيته بشكلها الطبيعي غير المهذب، وعلى رأسه عمامة كثيرة التلافيف تعلوها غبرة الفلاح وتبن الحقول،وثيابه فى مجموعها تدل على الوسط من اهلنا الفلاحين، المنهمكين فى فلاحتهم واراضيهم ومواشيهم وخيرات حقولهم. جاء الى مجلسنا فى الليل ، يحف به اثنان من الحرس بمدافع الستين. وكان مجلس الامن اذ ذاك فى مكتب على الاعتيادى المحاماة فى شارع الاسعاف ، مقر المهاجرين اليهود اليوم «معدون لعوليم» وكان على ابوابه طاقان من الحرس ، باسلحتهم وقنابلهم ، خشية الأئمة المعتدين. ولم يكن لاحد

ان يقابلنى كائناً من كان الا بعد الاستئذان ، وكنت فى كل يوم أقابل المئات موجهاً منظماً ناشطاً عاملا ليل نهار ، لا سيما وقد فرغت لهذه الادارة ، وابتعدت عن ولدى واهلى ، حيث سبق ان اوسلتهم الى الناصرة فى اليوم الاول للاضراب استعداداً لخراب البيت ، والعمل للطوارىء والمجازفة فى لجج الاخطار.

استأذن الشيخ حسن سلامة فى الدخول فاذن له ، ودخل علىّ هاشاً باشاً ، وتعانقنا مسلمين ، لانى كنت اعرفه من قبل ولو طال فراقنا . رأى كثرة الناس وازدحامهم ، وشاهد حماس الناس واندفاعهم ، فاختصر الحديث، وكانت مهمته ان يحسن العلاقات بينى وبين الهيئة العربية واللجنة القومية. وكان جوابى بخصوص الهيئة : «لى الكثير ما اقول ، ولا نزاع شخصى بينى وبين احد منهم ، ولكن هي خصومة مبدئية ، وكراهة ناشئة عن جهلهم ، وغرورهم وقصورهم ، وفوضاهم ، واانانيتهم ، وحزبيتهم ، وعائليتهم ، ورعونتهم ، وكونهم آلات تتحرك واصناما بادية للناس ، الى ما هنالك من امور عرف رأيى فيها العام والخاص ، قلتها تفصيلا بحضور الهيئة العليا وعلى رأس الحاضرين مفتيهم».

واما بخصوص اللجنة القومية فجاءت صورة مصغرة للهيئة العليا ، وزيادة على ذلك جشع وطمع يتحفزان فى صدر كل منهم ، لجمع الاموال والاثراء على ظهر المساكين والابرياء من اكوام اللحم وأنهر الدماء الجارية فى الارض المقدسة. رأى الجواب فأغلق الباب. ثم سألنى عن الدفاع والشباب والاستعداد، فأعدت على مسامعه ، احاديث «ليلة الجريمة» واقنعته بأن الاولى والانسب حصر الفتنة وقمع الشر ، وهذا ما عزمت ان افعله ، وانى على استعداد لمقابلة الشر بمثله ، فواحد بواحد والبادى اظلم. وافهمته ان كل ما يتعلق بشأن السلام

فى يافا هو من اختصاصى ، اختصاصى وحدى دون شريك ، فلن اسمح بوضع ضرائب على الناس ، ولن احول دون دخولهم او خروجهم من البلد ، ولن اسمح بجمع اية اعانات او اشتراكات من قبل اية هيئة ، وانى اطالب بالالوف من الجنيهات التى جمعها بيت المال والهيئة العليا لاعداد الدفاع عن يافا ...

ونحن فى الجلسة اذ قدم محمد سليم ابو اللبن ، والحاج خالد الفرخ ، ومحمد تمر عوده ، وصلاح الناظر ، فسمح لهم بالدخول ، فجلسوا واتسع نطاق الجلسة وتشعب البحث ، واقتصر على اجتماعى باليهود فى قصر البحر. اما هؤلاء الفرسان الاربعة ، فلا اخال احداً من اهل يافا الا ويذكرهم ، ولا يليق ان اودد على صفحات هذا الكتاب نوع تلك الذكرى ، واقدمهم للقارىء الكريم موجزاً :

محمد سليم ابو اللبن ، قصير القامة ، فى العقد الرابع من العمر ، نحيل الجسم اسمر اللون ، محدوب الظهر قليلا ، جاحظ العينين ، يضع نظارات من الجنس المقعر السميك ، حليق اللحية ، واسع الشدقين ، سرعان ما يتظاهر بالدماثة والكياسة ، فتعلو وجهه ابتسامة عريضة تظهر سناً اصطناعياً من الذهب البراق ، مزدوج الحجم فى مقدمة فكه الأعلى ، وفى يده سبحة ، يسير متسللا فى الشوارع ، ويجلس وعلامات الخشوع والورع بادية على وجهه امام الناس ، هذا الناصح الامين ، والمستشار العظيم ، وصاحب الرأي ، ورئيس التنفيذ لسيد البلاد ومفتيها. وهو المدير العام والموزع الاكبر ، للهبات والحسنات ، والاجور والاتعاب ، وكان مخزنه فى الآونة الاخيرة فى سوق بسترس وفيه ملتقى الاحباب.

اما الحاج خالد الفرخ ، فهو يافيّ الاصل ، قصير القامة ، غزير الشعر ، ابيض الوجه يميل الى الشقرة الصفراء ، حليق اللحية ، خفيف الشاربين ، محدث ليّـن موارب ، يلبس لكل حلة لبوسها ، ويسير مع كل قافلة ... وهو صحافي دساس كان من اسرة اللواء في القدس سراً لا علناً ، وهو من كبار رجال الاستخبارات ، يتصل رأساً برئيس الدائرة العليا يد المفتي اليمنى.

اما محمد نمر عودة ، فشاب في العقد الرابع من العمر ، قصير القامة ، صغير الهامة ، اسود الشعر كثه ، صغير العينين قصير الرمشين رجاج اللحظات ، حليق اللحية والشاربين ، ضخم الشفتين قليل العناية بهندامه ، كثيراً ما يضع النظارات السوداء على عينيه ، يفعل ذلك حتى في الظل وايام الشتاء. كان في الماضي من اركان الشيوعيين في يافا،خليلا ورفيقاً لرضوان الحلو وماري الشقراء.

اما صلاح الناظر ، فشاب في العقد الثالث من العمر ، طويل القامة نشيط ، يميل الى المجون ، سهل التكيف والانقياد ، كالنحل يقع دوماً على الزهور والمحليات ، واكثر قوله سراً وغياباً.

سألوني عن اجتماع قصر البحر ، فحدثتهم بما جرى ، فاخذ بعضهم ينظر في الآخر ، ولم يجرأ احدهم ان يتحدث بما يخالج صدره ، واخذوا يلمعون ... ويقولون ... يا ابا مروان نريد ان نتعاون ... نريد ان نعمل سوية ... ولهذا نريد منك ان ترافق بعضنا الى نقاط الدفاع الليلية ، الى المنشية والجبالية وكرم التوت وسكنة درويش ، نحن على استعداد لانتظارك في الوقت الذي تراه مناسباً ... واخذوا يتمسكون بحديثهم الناعم ... لماذا لا تحدثنا بما اتفق لك مع اليهود ... أليس ذلك بأفضل ونحن اعضاء اللجنة القومية ووكلاء الزعامة المخلصة ... فقلت : «اما ما اتفق لي مع اليهود ، فهو من شأني ومجلس الامة

فقط، وامثالكم يجب ان لا يطلع عليه، لانكم ابيتم التعاون معنا من قبل، ولانكم جادون فى اشعال النار وخلق الفتن. واما النقاط الدفاعية فأسمح لكم بزيارتها فى اى وقت شئتم، اما انا ففي مركز القلب من جسد هؤلاء الشباب، انحرك وآجيء واذهب فى كل الاوقات ليل نهار، وانا اعين الاتجاه والزمان والمكان، وانا الذى يختار اعوانه وحراسه... فاحذركم من الدسائس والفتن...»

وانتهى الحديث واستأذنوا بالانصراف، وهم ينظر بعضهم فى وجوه بعض ومظاهر الريبة والخوف بادية على وجوههم ... ومعهم انسحب الضيف الاول مودعاً.

واستأنفنا السير فى اعمالنا كالمعتاد، ساهرين ليل نهار، قابضين على الموقف بأيدى من حديد، ان حسبنا لليهود حساباً فنحسب لهؤلاء الاشرار الف حساب. لا سيما وان بعضهم قد مات ضميره واتسعت ذمته، وبات لا يخشى انظمة الارض ولا شريعة السماء.

أفاعي

تلك طبيعة الحيات وذلك مسلك الافاعي، فى ايام البرد والشتاء، الهادئة العارية الساكنة الباردة، تقبع فى جحورها منكمشة على نفسها فيأمن الناس شرها وخبثها. وعندما تستأنس حرارة وناراً، تنسلّ بطرقها المعوجة تحت جنح الظلام، وبين طيات الخفاء، باحثة عن فريسة تنشب فيها انيابها وتنفث سمومها.



وهذا رسم البرجيدو كليتون وهو الشخصية البريطانية التي لعبت دور البطل في قضية فلسطين سراً في اتصالاته المباشرة مع جلالة الملك عبدالله والسيد سمير الرفاعي رئيس الوزراء والامين للجامعة العربية السيد عبد الرحمن عزام وسماحة المفتي الحاج امين الحسيني والسيد رياض الصلح وغيرهم من الشخصيات.»

واى جو تريد اكثر ملاءمة من هذا، وقد بلغت الحرارة درجة الاشتعال، فخرجت فاغرة افواهها وألسنتها المشعبة تتحرك ذات اليمين وذات الشمال ... الى يافا وتل ابيب، الى الحدود والطرقات، الى المجتمعات والقيادات، الى الشباب ودور الصحافة، الى كل المناطق ومختلف الحقول، تعشعش وتبيض وتفرخ ... ولم يكن مكتبي فى مأمن منها، وهكذا كثر ترددها على مختلف اشكالها والوانها فى مختلف الاوقات، ليل نهار. ومن الافاعي السامة التى



هؤلاء هم رجال الانكليز المسرحين من قوى الجيش والبوليس يرافقون عصابات المفتي في قضاء القدس.

انشبت انيابها فى الفريسة البريئة عدا الانكليز اسياد العرب وموجهوهم.

مساكين هم العرب، بسطاء القلوب، سذّج، تنطلى عليهم الحيل، ويكثرون حسن الظن بالناس، لا سيما ان كانت كلماتهم معسولة، ووجوههم باشة، والانكليز على جانب عظيم من كل هذا، كيف لا وذلك سر صداقتهم التقليدية للعرب، منذ وقع العرب فى مناطق نفوذهم، وتحت نير استعبادهم، وهل بين العرب من سلطان ونفوذ وشأن الا بفضل صداقة هؤلاء، وتأييدهم وإرشادهم، فكم رفعوا من ذكر بيوت لولاهم لكانت فى عالم النسيان، وكم رفعوا من اصحاب ألقاب واعتاب واوسمة وثروات، لولاهم لما كانت الالقاب، ولا رفعت الاعتاب، ولا سبكت النياشين، ولا تضخمت الثروات ... لولاهم لما خرج البترول، ولا شيدت مطارات، ولا اقيمت إمارات، ولا نيل استقلال، ولا دكت بلاد. ولولاهم لما تحركت فتنة، ولا عمت مصيبة، ولا حل فى الديار المقدسة ما حل بعاد وثمود وإرم ذات العماد !!!

رأيت منهم ما يجدر تسجيله للتاريخ والاجيال المقبلات :

أ) جاءنى رجال الشؤون العربية فى دائرة المباحث الجنائية فى القدس للزيارة وشد الازر وتقديم المساعدات ... سائلين عن الدفاع، والقوة وصفوف الشباب ... وكأن جوابى لم يرضهم فانسحبوا شاكرين.

ب) جاءنى الضابط المسؤول عن شؤون العرب فى دائرة المباحث الجنائية فى يافا، وهمس فى اذنى سراً: ان انتبه اذ وصلتهم معلومات ان اليهود عازمون على نسف جامع حسن بك فى يافا ... فشكرته على ما اسر ووعدته بالحرص والانتباه ... وما زال جامع حسن بك قائماً فى يافا ولو ان اليهود هدموا كل ما حوله اثناء المعركة وبعد المعركة، وهو قائم حتى اليوم يذكرنى بما قيل لي همساً.

ح) جاءنى ضابط المنشية فى يافا ووعدنى بتقديم المساعدات من أسلحة ورجال للدفاع عن المنشية ، فى وجه الاعداء الالداء من اليهود.

د) اتصل بى ان رجال الانكليز يوزعون الاسلحة والذخيرة على المقاتلين فى ميدان القتال ، ويبيعونها علناً فى الاسواق.

هـ) وعلمت ان احدهم فى صرفند ، احضر صناديق مقفلة من الذخيرة الجديدة حيث باعها الى اللجنة القومية بأثمان بخسة ، واللجنة القومية بدورها باعتها بأسعار السوق السوداء للعامة ، وارسلت لى بعضها ، النزر القليل لمواصلة الجهاد.

و) وبينما كانت البلد هادئة آمنة ، اثر اجتماعي مع اليهود وتعاونى لايقاف اطلاق النار ، وبعد انقضاء ثلاثة ايام على الهدوء والسكينة ، اللهم بعض طلقات طائشة فى مختلف الانحاء ، واذ فى ذات ليلة وبعد منتصفها اسمع نيرانا وطلقات كثيرة تدوي فى الفضاء ، على الحدود بين المنشية وتل ابيب ... وفى الحال خف فريق منا لاستطلاع الخبر ، وما لبث ان عاد وأفاد ان كل شىء كان هادئاً الى ان تسلق بعض رجال البوليس البريطانى متون العمارات المجاورة، وصوبوا افواه بنادقهم ورشاشاتهم تجاه تل ابيب وفتحوا نيرانهم على الاعداء... وكان لذلك صداه ، ولست ادرى علّ من كان يطلق من الناحية المقابلة ، من ذات الفصيلة التى كانت تطلق من اراضينا !!

ز) وفى ذات يوم حوالى العشرين من كانون الاول ، بينما كنت وفريقاً من «النجادة» نتفقد احياء المنشية لتعزيز حراستنا وتأمين سلامتنا ، اذ اعترض سيارتنا ـ وكانت تحمل فرقة من الشباب ـ مدير بوليس اللواء الانكليزى ، ولم اكن لاعرفه من قبل ، لحداثة عهده فى البلد ، وقال : ـ «انتم

تشوشون الامن ، وتثيرون الفتن ... وتطلقون النار ... لا ارغب ان ارى احداً منكم والا اتخذت الاجراءات لابعادكم ومعاقبتكم ، وهذا ما ارجو ان تبلغوه لرؤسائكم» والله من وراء النوايا ، واعلم بما تخفي الصدور.

ح) وفى حوالى الاسبوع الثالث من الفتنة اتصل بى ان بعض المسلحين يتسربون الى يافا من جهة «بيت يام» ... فنصبت كميناً لهم وشددت الخناق عليهم ... وفى ذات ليلة وقد عزموا الدخول الى يافا ... وقعوا فى ايدى الكمين ، فألقوا القبض على ثلاثة رجال بحيازتهم اسلحة وذخيرة وقنابل وقادوهم الي ... فوضعتهم تحت امر واقع ، اذ افترضت انهم يهود يريدون ارتكاب اعمال اجرامية فى يافا ، وعليهم ان يثبتوا انهم ليسوا بيهود والا حق عليهم العقاب ، «فما كان منهم وهم يرتجفون رهبة وخوفاً ، الا ان قالوا - مثبتين بأوراقهم - انهم من رجال الانكليز ، كانوا مقيمين فى سارونا ، واتوا الى يافا عن هذا الطريق. فحملناهم بسيارة خاصة مع بضاعتهم وسلمناهم الى مركز البوليس الرئيسى ليحجب شرهم عنا.

ط) وفى كل يوم كانت ترد لنا كثير من الاخباريات المغلوطة، والدسائس المقصودة ، والاشاعات الكاذبة ، مثلا : ان اليهود قتلوا الاطفال ، واعتدوا على النساء، وقطعوا الطرقات، وانهم فعلوا كيت وكيت فى مختلف انحاء فلسطين ... امور من شأنها ان تسكب البنزين على النار ، وابحث عن مصدرها تجده همسة انكليزى فى اذن بري».

ك) وكنت تشتهي ان ترى فى يافا ومراكز بوليسها المختلفة من يحقق او يدقق ، او يحرس الامن ويحافظ على النظام ، . دور البوليس مغلقة وحركته معطلة ، والتسلح واطلاق النار والسلب والنهب يجرى علناً وبتشجيع منهم ،

وفى رابعة النهار.

هكذا ساهم الانكليز فى المحافظة على الامن ، وقاموا بواجبهم الذى تعهدوا به فى صك الأنتداب للمحافظة على الرعايا الآمنين ... المسالمين ... واستمروا فى اداء هذا الواجب ، بتغذية الحرب المحلية بين السكان ، وعلى مرأى منهم وبوجودهم وتحت اشرافهم احتل اليهود طبريا ، وسمخ ، وصفد ، وحيفا ، ويافا ، وغيرها من القرى والبلدان حربا ، وقبل ان يلفظ الانتداب نفسه الاخيرة فى هذه الديار.

ومن بادىء الامر لو حصرت الفتنة فى يافا، واطفئت نيرانها، لما اندلعت ألسنتها فى مختلف البلدان ، ولما تقلب على ومضاتها الكثيرون من الفقراء والمنكوبين والشهداء والمشوهين والايامى والارامل والايتام، ولو اراد الانكليز ان يقفوا موقف شرف ، او على الحياد على اقل تعديل ... لما سالت انهر الدموع ولما غرقت البلاد فى بحور من الدماء.

فلا تغرنك مدنيتهم ، وحيادهم ، وتأييدهم للعرب تارة ولليهود طوراً ، فهذه وجوههم مزدوجة ، تلك قلوبهم سوداء، وذاك تاريخهم دهاء ورياء، وهذه تجارتهم فتن وحروب وفساد ونفاق ، ولكن القتلى والمصيبة والخسارة لا تقع على رؤوسهم ، ولا على خزينتهم بل على الاصدقاء والحلفاء :

ان الافاعي وان لانت ملامسها   عند التقلب فى انيابها العطب

طيران مفاجىء

في اواخر الاسبوع الثالث من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٧ ، ناداني الهاتف، فاذا به رفيق التميمي ، يبلغني رسالة تلفونية من الزعامة العامة في القاهرة، بوجوب زيارتها ، فشكرته والقيت بسماعة الهاتف ، واستأنفت عملي . وفي اليوم التالي تكرر الطلب. ولما كانت سوء الحال بالبلد تنذر بالخطر ، والاصطدام بيننا وبين اعضاء اللجنة القومية واقع حتما ، لهذا دعونا مجلس الامن لجلسة فوق العادة ، وبحثنا الامر ، فرأوا الاوفق والانسب ان اطير لمصر فأشرح للموقف للجامعة العربية ، وللمفتي شخصياً ، مبيناً لهم عاقبة الفتنة ومصير البلاد والبلد ، ومن ثمة اعود على جناح السرعة. فاتكلت على الله ، وفي صباح يوم ٢٤ كانون الاول سنة ١٩٤٧ ، غادرت يافا في سفرة قصيرة لم اصطحب فيها معي الا حقيبة اوراقي ، تاركاً ورائي كافة ما املك من بيت ومكتب واوراق وشهادات الخ ... وما كدت اهبط المطار حتى استقبلني احد رفاقي وكان يعلم بقدومي ، فحدثني بما يدور في اوساط المفتي حولي ، وكيف ان الغضب بينهم بالغ اشده ، وقال لقد اخبروني ان القاك في المطار وان اصطحبك في مساء اليوم الى «حلمية الزيتون».

ارتحت قليلا من وعثاء السفر . وسرت بلباس الميدان ومسدسي في وسطي ، ودخلت ورفيقي دار المفتي ، وكان من عادة المفتي ان يوكل امر استقبال ضيوفه لغيره ، وبعد اجلاسهم في ديوانه ببضع دقائق يأتيهم هاشاً باشاً

مرحبا مؤهلا من بعيد ، فيقف الجميع احتراما واجلالا ... الخ . ولكن اليوم ما كدت ادخل الدار حتى رأيت المفتى فى انتظارنا على مدخل الديوان ... وعلى وجهه ابتسامة صفراء ، وقد خلع من شدة الحر عمامته ، وما زال قابضا عليها بين يديه ... وبصورة خاطفة اهّل وسهّل ، ثم قال: ما هذا،ما هذا...؟ «اتريدون ايقاف الاضطراب؟ اتريدون الحيلولة دون حرب اليهود والتخلص منهم ؟» كان يقول ذلك ويديه ترتجفان واماراتِ الغضب آخذة منه كل مأخذ... ! وكانت آثار المعركة وسهر الليالي وتعب الايام بادية على محياى ، ولها الأثر الكبير على اعصابى وسرعة انفعالى ... فلم اشعر الا وقد اندفعت بالكلام قائلا :ـ

«مهلا ... فلست بحاجة لاخذ درس فى الوطنية من بشر ... لمَ هذه المجازر ، ومن سوّغ لكم سوق الناس الى المذابح كقطعان الغنم ؟ من اراد القتال فليتقدم بنفسه واهله ..؟ من اراد النزال عليه أعداد العدة ومعرفة العدو قبل العدوان ؟ فماذا اعددتم لوقاية الناس من شر الفتنة و كوارثها ..؟ ألم يكفكم ما فعلتم بالبلاد بالامس ؟ حيث قسمتم الصفوف ، وقتلتم روح الشباب،ونشرتم الفساد والاحقاد ، تريدون القتال وماذا اعددتم ؟ اين الاسلحة ؟ اين البنادق والمدافع؟اين القنابل والالغام؟اين السيارات والنقليات؟ اين الاسعاف والاطباء والمستشفيات ؟ اين الاقوات والامدادات ؟ اين الحصون والقلاع ؟ اين الدربة والحنكة ؟ اين الضباط والقواد ؟؟ هل تعلمون ان كل ما لديكم ، هو كذب ونفاق ، رياء وخداع ، تجارة فى دماء الابرياء واعراضهم وهنائهم ... اتعرفون ان البلاد ليست على استعداد للثورة وان الثورة تخلق من مظالم الشعب ، لا بفضل الغير وبترول الاعداء ، ماذا ارسلتم ليافا وعلى من اعتمادكم واطمئنانكم ؟

اعلى تقارير محمد نمر عودة والحاج خالد الفرخ؟ او على رفيق التميمي وامين عقل؟ ام على ابي اللبن وسلامة ؟ ام تلك سياسة ابن عمكم منيف يعلن باسمكم فيقول: — «ماذا يضيرنا لو قتل من اهل يافا ثلاثون الفاً من السماسرة وباعة الاراضي، فبدمائهم تنقذ البلاد، وتثير العباد لالقاء اليهود في البحر». ان كنتم تودون القضاء على باعة الاراضي فابدأوا اولا بحاشيتكم وذويكم، ابدأوا بمن باع ارض النزلة قرب ملبس، ابدأوا بجمال الحسيني وكيلكم، وابراهيم وزيد ابناء عمكم! وابدأوا بالعائلة الكريمة التي باعت ارض ادنبة في قضاء اللد، وابدأوا بالحاشية الكريمة فلان وفلان ... وهيان بيان. انسيتم كل هؤلاء؟ او أصدر مكتبكم باسم وزير الاراضي في دائرتكم، ابن اخيكم مصطفى الحسيني براءة تشهد بنبل هؤلاء؟ او هل طهرهم ابن عمكم جمال يوم ضمهم الى حزبه الكريم ... كفى، كفى ... يا صاحب السماحة، ان الله ليس بغافل عما تعملون ...»

انتفض المفتي فزعاً وغضباً، وعاد فامتلك اعصابه، وقال لصاحبي : — «يظهر انك لم ترفه عن ضيفنا، فما زالت آثار التعب والاجهاد بادية على محياه ... وهذه علة الحدة والشدة وثورة الاعصاب البادية عليه». فأشفق صاحبي علينا في هذا الموقف، وقال: «ارى يا صاحب السماحة ان تسمح لي بالانسحاب لاني مشغول الان وارجو ان اقابلكم في فرصة انسب ...» فأخذه المفتي جانباً وهمس في اذنه، ففهمت من همساته انه يلومه لقدومي وانا في مثل هذه الحال. فقاطعتهما وقلت: «وانا اعود مع صاحبي» وتركت الدار وخرجت.

وبعد اسبوع من الزمن، رأيت اعضاء الهيئة العربية وبعض رجالات اللجنة القومية قادمين الى القاهرة، وفي الحال عُقدت الجلسة ودُعيت اليها.

فذهبت وصاحبي حيث قابلنا صاحب السماحة هاشاً باشاً هادئاً رزيناً. واستهل كلامه قائلا : «ايه يا ابا مروان ... انت كحصان اصيل ، يأبى الا ان يسير امام الخيل ، وليس فى البلاد خيول باستطاعتها ان تجاريك ، لهذا ارى ان تبقى بالقرب منى وفيك مزايا لا تتوفر فى غيرك ، فأنت للخطابة ، والكتابة ، والرأى ، والتنظيم ، والعمل ، وانا بأمسّ الحاجة لامثالك» . وما كاد يفرغ من كلامه حتى اجبته : «ان هذا الحصان لم يعتد ان يكون فى اصطبلات الناس ... ففتش لك عمن يصلح ان يكون فى اصطبلاتك ... اما انا فبريء مما تعملون» وتركته رغم الالحاح والشدة وغادرت القاعة.

تركت الجو لانى شعرت ان انفاسى كادت تضيق من استنشاق ذاك الهواء العكر. وابتدأت اعمل لامتي بوحي ضميرى فى مختلف جهات العرب.

مصر بين المظاهر والمظاهرات

أتعرف البحر الهائج المائج، المتلاطم الامواج الصاخب العجاج، اتتصور السيول المتدفقة بين الهضاب وفى المنحدرات أثر فيضان فجائى وطوفان ارضى ؟... هكذا كانت شوارع القاهرة تتدفق بجموع المتظاهرين المتحفزين المتحمسين، لنجدة الارض المقدسة من العصابات الصهيونية الجامحة والمؤامرات الاستعمارية المفضوحة، لقتل شعب آمن واستباحة ديار هى مهد النصرانية وقبلة الاسلام.



الشيخ حسن البنا « إن كان ينقصنا السلاح فسنستخلصه من أعدائنا، ونقذف بهم فى عرض البحر »



صالح حرب باشا
زعيم الشبان المسلمين في مصر



أول طلقة من أجل فلسطين يطلقها عبد الله تلوم باشا معلنا استعداد القبائل العربية لافتداء فلسطين بالدماء ..!
وقد قال لنا إن هذه الطلقة كانت بمثابة خطة عملية لاعلان الجهاد المقدس ، وهو يعتبرها أبلغ من ألف خطبة !

أخذت هذه الصورة لاحد زعماء مصر في ميدان ابراهيم باشا في القاهرة من على ردهة فندق كنتننتال نزل اقطاب السياسة من عرب واجانب.

فى اليوم السابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٤٧ ، انفتحت ارتاج الازهر على مصراعيها، وخرج الناس افواجاً افواجاً، مهللين مكبرين،واصواتهم تشق عنان السماء ، صائحين : الحذار الحذار ... البدار البدار ... قبلة الاسلام طغى فيها الكفار ... بنت العرب ألبسوها العار ... كلنا لفلسطين ... كلنا لصخرة عمر .. كلنا لمهد الانبياء. مصر ارض الكنانة ، مصر بلاد الخيرات والبركات ، مصر بلاد الجنود والحملات .. مصر الفاتحة .. مصر المنقذة .. مصر كعبة العرب .. مصر مهد الحضارة .. مصر بلاد الفاروق ، والفاروق يجدد

عصر الفاروق ، يعيد الامن الى نصابه ، والحق الى اصحابه. اغلقت الحوانيت وتعطلت الاعمال واكتظت الشوارع ، وسار الناس الى ان فاق عددهم عشرات الالوف. واشرأبت الاعناق الى الخطباء من الشرفات والفنادق والندوات ... هذا من الاخوان المسلمين يصيح الله اكبر ... الله اكبر ... الجهاد يناديكم ، الجهاد فرض على كل مؤمن ومؤمنة ... انفروا خفافاً وثقالا ، وجاهدوا بأنفسكم واموالكم فى سبيل الله . وذاك من «جمعية مصر الفتاة» ينادى ... للقتال يا رجال هبوا يا ابطال ... كلنا لفلسطين ... كلنا للعروبة. واولئك هم «الشبان المسلمين» طلائع صالح حرب باشا ، يوزعون النشرات ويعلقون الشارات ، ويفتحون دور الاكتتاب للتطوع فى سبيل الله ، فى سبيل مجد العروبة والاسلام.

والى جانب هؤلاء المتظاهرين ، وعلى قارعتى الطريق ، كانت بعض الحوانيت مفتوحة ولم يكن على ابوابها الا بعض اللوائح المنمقة كتب عليها بأحرف بارزة : « كلنا للعروبة ، كلنا للكنانة ، عاش الفاروق وعاشت مصر ». واصحابها عن بعد يسترقون اللحظات وفى قلوبهم خوف وفى نفوسهم اشفاق على اموالهم وارواحهم وعيالهم ... تلك هى حوانيت اليهود المنتشرة فى شوارع القاهرة ، فى الموسكى والعتبة الخضراء وميدان ابراهيم باشا وشارع فؤاد ... الخ ..

وكلما اجتمعت الجموع اثر خطبة طنانة رنانة من بعض المشايخ فى ساحات الجوامع ... عادت وتفرقت بمثلها من خطب بليغة ارتجلها الزعماء والخطباء فى ميادين العاصمة.

وابتدأت الصحف نشر المقالات الطوال تهيىء الجو للقتال والنزال والتطوع والتبرع للزحف والنجدة ، وابتدأت سيول التصاريح ودب مرض

الادلاء وتزاحم الساسة وتبارى الاعيان فى التشدق والقيل والقال. ونشط مراسلو الصحف الى ردهات الفنادق وقاعات النوادى ودواوين الدولة ودور العاصمة يستطلعون الآراء ... وكلها، كلها امضى من السيف واحر من النار، وكالفولاذ او اشد.

وإن هي الا ّ ايام حتى اعلن النفير العام، هذه ندوات الاخوان المسلمين مفتوحة الابواب للتطوع والاكتتاب، واولئك خطباؤها الافذاذ ينادون من أعلى المنابر فى الصعيد والارياف ومختلف انحاء البلاد ينادون بالجهاد الدينى، وقد اشبعت نفوسهم حتى بلغت درجة الاتقاد، تحفزاً للاستشهاد فى سبيل الدفاع عن قبلة الاسلام. وسارعت الاحزاب تباري الافراد فى حماسها وتشجيعها. وغدت القاهرة خاصة ومصر عامة ناراً تتأجج وبركاناً يتحفز وامتلأت الاجواء برائحة البارود والدخان.

وبين الجوامع المنتشرة فى مختلف انحاء المدينة، والنوادى المتناثرة فى مختلف احياء البلد، والدواوين الحكومية الرحبة الفخمة ... كانت سيارة عليها مظاهر العظمة والابهة، طراز حديث وصنع ملكى، وشكل يستلفت الانظار، تشق الطريق وتغرى الجموع، يمتطيها كهل مربوع، مشرق المحيا وضاح الجبين، اشقر اللحية مشوبة ببياض، يرتدى عباءة صوفية شفافة موشاة بالقصب الفضى المذهب، تبدو من تحتها المسوح السوداء، ثوب الابرياء والاتقياء ... ذاك هو صاحب السماحة، يتفقد المجالس ويجوب المنتديات ويزور الحشود على حين غرة ودون سابق ميعاد، خشية الاعداء والرقباء، وتحرس سيارته سيارة جيب وفيها من الغر الميامين المدججين بالسلاح خفية لحماية الذات السنية من يد القضاء والاعداء. وما كان ليمر وترمقه الانظار الا وتطير وراءه القلوب، كيف لا

وهو فى عرف القوم واعتقادهم حامى الدين ، وخليفة المسلمين ، اكبر العلماء المجاهدين ، ورمز المتمردين الثائرين ، تجاوبت صيحاته فى اعماق الفضاء، وطبق صيته الآفاق ، وهو عين التضحية وسرّ الدهاء ، لقد استوى على عرش العظمة، وارتقى اعلى درجات سلّم الشهرة ، وأطلّ من افق العالم العربى ، حتى بات فى مصاف الانبياء والاولياء ، فى نظر العامة والخاصة من الاغبياء والابرياء ، وهو جاد فى الصعود الى عليائه على جماجم العبيد وجثث الفقراء ... هذا عصره الذهبى قد اشبع بالعظمة وطفح بالشهرة ولم يبق اى متسع لمزيد ... وكثيرون هم المبصرون المراقبون الذين كانوا يقولون خير له ان يقضي فى هذه الايام،وهو عزيز مهاب ، قبل ان تظهر حقيقة امره وتتفضح سريرة دخائله ، ويأخذ دولاب سعده يدور منعكساً الى مهوى ذله وسحقه. اما هو فأبت تلك النفس الطامحة الانانية الا ّ ان تمادى فى اطماعها وتسترسل فى شهواتها ، تحاول احتكار الشهرة والاستئثار بالموقف ، خشية ان يأتى خير للعروبة والاسلام عل يد غير يده ، وبسعي غير سعيه ، فيفقد ما قد اسلف ، ويضيع عرشاً موهوماً بناه من الدموع والدماء، فوق اضرحة الشهداء، وبين اكوام اللحم وأنهر الدماء ، وأعده لاسرة ملكية حلم فيها منذ نعومة اظفاره،وسعى لتحقيقها فى مختلف مراحل فتنه وعدوانه.

واخذت الصحف والمجلات المصرية تتحدث حديثاً ابعد من الخيال ، واقرب لخرافات الاولين واساطير الغابرين، عن شجاعة المقاتلين المجاهدين من العرب نظاميين عسكريين ومدنيين ومناضلين، واخذ القراء يستعرضون المدافع والاعتدة، والجنود والجيوش، وامامها قوادها وكبار ضباطها ورجالها السياسيين، متقدين مستطلعين ، حتى خيّل للعامة ان لدى العرب جيوشاً لا تحدّ واسلحة لا

نعدّ وكلها على ادق نظام واحسن انسجام ، ان تحركت يوماً وكرّت على الاسود الكاسرة لا تلبث امامها الا ان تولي الادبار مسرعة كالارانب والغزلان.

وصوّرت اليهود ابشم صورة ، كفرة فجرة ، شذّاذ آفاق ، واخلاطاً من البشر ، وحثالات اقوام ، مختلفي الاشكال والالوان والاخلاق والعادات، اختلطت رطانتهم وتنافرت لغاتهم ، ولم يبق ليجمع بينهم الا الشرك والالحاد، واحلام تبددت منذ آلاف السنوات ، وجنون صهيوني كحمّى صفراء معدية تفشت بين الجموع تفتك بالافراد ، وذلّ ضارب فوق رقابهم، هذا ما ورثوه من غضب الله ، ومسكنة تمثلت فى دمائهم وتأصلت فى نفوسهم لكثرة ما كرّت عليهم من شعوب ونزلت فيهم من ضربات ، صناعتهم الدسّ والتزوير والتجارة والرياء، وللحرب اهلها ورجالها وهم غنيمة باردة ولقمة سائغة لكل من اراد.

وراجت فى الاسواق والاوساط النكات والاختلاقات المبتكرات ... خارجة لبنت ساعتها ، حديثة تتقاطر من بين كلماتها ومقاطعها انفاس الحشاشين، ولهاث المأفونين ، وكلها غاية فى الابداع والفطنة والتركيب والترتيب حتى يخيل للسامعين والناظرين ان مصر قد بدأت الحملة واعلنت التعبئة واخذت مصانعها تصدر المعدات ... توطئة للضربة القاصمة والمعركة الفاصلة.

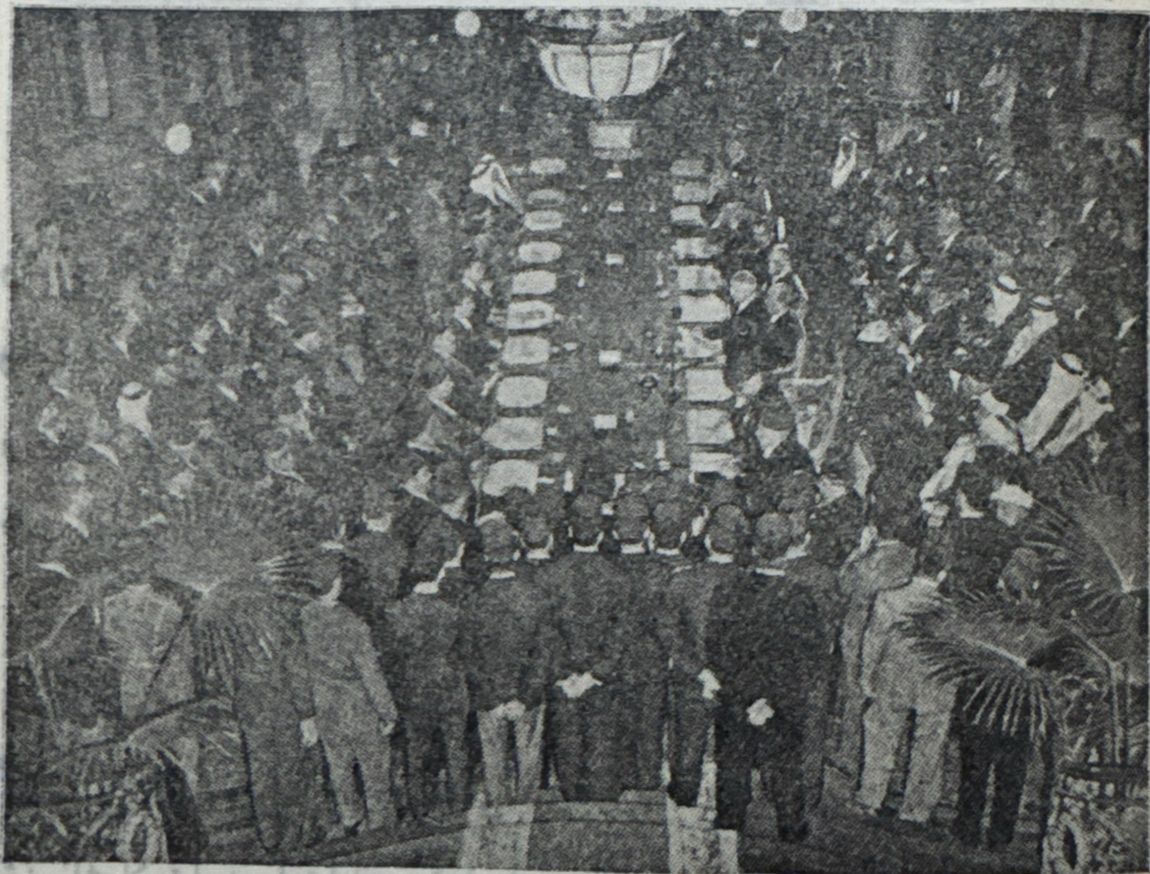
وكنت ترى جموع الناس يدفع بعضها بعضاً ، مقبلين راغبين ، ووجوههم مستبشرة ، باكية فرحة ، هارعين الى مكاتب التسجيل وكل منهم حريص على ان يكون فى طليعة الزاحفين وغرّة المجاهدين ، ومعظمهم يكاد يستشهد فى ميادين القاهرة قبل الوصول الى ميدان المعركة ، يود لو يموت فى الحال تخلصاً من عذاب الدنيا وتشوّقاً لدخول جنات النعيم، حيث الطيبات والملذات والراحة والرخاء ، وكل ما تهواه النفوس ، وتستطيبه الحواس. والغريب فى ايمان

هؤلاء انهم يودون حتى الانتحار، لو جاز بيع النفوس فى هذا السبيل مرضاة لله ... فهذا ترك زوجته واولاده يتضورون جوعاً ... وهذا ترك الدنيا ومن فيها سعياً لبيت المقدس ... وجميعهم يود لو يلفظ الروح وهو يردد آيات الكتاب خاشعاً خاضعاً، طائعاً لذكر الله. ولكن الفرق بينهم وبين المؤمنين فى صدر الاسلام هو عين الفرق ما بين عرب اليوم وعرب اليرموك، واجنادين، والقادسية، وطارق، والمثنى، وأسامة، وخالد .. اذ كان الايمان وليد العقل والقوة والحكمة، والرسالة الى الهدى والنور، وانقاذ البشرية من جهلها واوحالها، من وحشيتها وادرانها، الى الاخاء والمساواة، الى الهدى والنور، الى العلم والعرفان، الى الحرية والمدنية. واليوم ايمان مبتور وانقياد اعمى مبعثه الضعف والجهل والفقر، ومثيره الكذب والرياء والاتجار بدماء الابرياء، ورسالته تمجيد الملوك وتعظيم الرؤساء وتخليد الزعماء ... وهدفه التخلص من اثقال الحياة واعبائها حياة الطبقية والاقطاعية الوارفة الظلال على جنبات النيل، حياة البشوات والبكوات الذين امتصوا دماء الفلاحين وابناء الأرياف، فرفعوا على اعناقهم وبعزم سواعدهم قباب قصورهم واعمدة ابراجهم، وعلى ظهورهم نقلوا الطين والحجارة لتخليد ملاذهم وشهواتهم، فملأوا المخازن والعنابر من حبات قلوبهم وعرق جباههم، وهم لا يأكلون الا البصل والثوم. وفى ظلمات الليل وسهر الليالى حاكوا الحرائر والاصواف، ولم يلبسوا الا الخرق والاطمار. لهذا آثروا الموت على الحياة وعدالة القبور على جبروت القصور.

تراهم جمعاً وقلوبهم شتى

مصر قلب العالم العربي ومركز الدائرة من مواقع البلاد ، مقر الثقافة العربية والدينية واللغوية والعلمية والادبية ، وزعيمة الناطقين بالضاد دون ريب بالقوة والثروة والعلم والعدد والعدة ، اليها ترنو الابصار ، وبحبها تخفق القلوب.

ولقد كان بين البلاد العربية كل ما يؤلف بين ابناء الامة الواحدة من



اجتماع الجامعة العربية بحضور كافة مندوبي الاقطار العربية
في دار الجامعة في القاهرة



اجتماع انشاص في مصر

وشائج القربى والتاريخ والدين واللغة ، وكل ما يوثق الروابط ويعزز الالفة والوحدة من عقائد وعواطف وآلام وآمال ، وكل ما يلزم لحيوية البلاد والافراد من حقائق ومنافع من انتاجات وليدة الكد والجد ومستخرجات من قلب الطبيعة وجسد الارض.

كان يدخل العربي الى مصر والشام والعراق والاردن ولبنان ، يرى وجوهاً يعرفها وتقاليد يألفها ويسمع احاديث يعيها ولغة يفهمها، يتحدث عن آلامه واشجانه ، ويعرب عن مسراته وافراحه ، فيرى قلوباً تبكي لمصابه وعيوناً تضحك لارتياحه واغتباطه، وكيفما تقلب وتحدث يخيل اليه انه بين اهله واخوانه، بين عشيرته وقبيلته ، لا توحشه غربة ولا تفزعه رهبة ولا تخيفه قطيعة ولا يهدده عوز ،. وكان ابن فلسطين المستعبدة المقيدة باغلال الوصاية والولاية ،

واصفاد الانتداب والرعاية ، يرى داخل بلاده الاجانب حكاماً والاغراب امساراً ، بيدهم مقاليد الامور وتدبير الشؤون ، وهو كدمية مهملة. الدخلاء فى دياره اصلاء ، والابناء غرباء ، وهو فاقد السيادة مكبل الحرية اسير محكوم مقهور . لا علم يخفق قلبه بخفقانه ، ولا جيش يشد ازره بقوة رجاله ، ولا حكومة ترعى مصالحه وتعد لمستقبل احفاده وانجاله ... وكان يرى فى العرب على اختلاف اعلامها وتباين جيوشها وكثرة دولها وتعدد مشاربها ، وحدة آماله وقبلة احلامه والقلعة المنيعة والحصن الحصين لاتمام ما يشعر به من نقص وما يعوزه من قوة وما يشكوه من اضطهاد واستعباد.

وكان العرب يتطلعون الى الوحدة الكبرى الشاملة المؤمنة لمصالحهم ، المدافعة عن حقوقهم الموحدة لجهودهم ، الذادة عنهم كيد الاعداء وطمع الالداء. كانوا ينظرون الى الوحدة الكبرى بتأليف جيش عربي واحد فيه اليمني والحجازي والعراقي والسوري واللبناني والفلسطيني والاردني والمصري والمغربي وفيه كل ناطق بلغة العرب ، وحامل لرسالتهم وآلامهم. كانوا يتطلعون الى عرش الخلافة تعيد ايام الراشدين ، وربيع الامويين ، وعز العباسيين ، وسيادة العرب لانفسهم وديارهم. كانوا يتطلعون الى نهضة اجتماعية تبعث تاريخهم من سباته وحضارتهم من رقادها وعقولهم من بوادي جهلها ، وتطلق حريتهم من عقال مستعبديهم ولجم مسخريهم واكبال مستأجريهم ... كانوا يتطلعون لجامعة عربية حرة ابية ، تعمل على تحقيق هذه الامانى والآمال.

لهذا هللوا وكبروا واقبلوا مستبشرين مهنئين لتأسيس «الجامعة العربية» التى تمثل بلاداً تربتها غنية ، ومواقعها حربية تجارية ، وامة ابية قومية، وشريعة



السيد عبد الرحمن عزام امين الجامعة العربية الاول

حنيفة غراء ، وحضارة هضمت مدنيات وحضارات ، واعداداً لا تحصى من الشخصيات والافراد.

قامت الجامعة واخذت على عاتقها قضايا العرب الكبرى بصورة عامة

وقضية فلسطين بصورة خاصة ، وباشرت فى الاجتماعات تلو الاجتماعات ، واخذت تعد البيانات والخطابات تلقى فى المحافل السياسية والاوساط الدولية والاجتماعات القومية ، شرقاً وغرباً.

رأى اهل فلسطين العناية والحضانة لقضيتهم ، فهذه الجامعة تقرر انشاء البنوك والمكاتب ، وتدافع وترافع وتعمل على انقاذ البلاد والعباد ، فعلامَ الخوف والتحسب ولماذا القلق والارتياب وهى تضم صفوة الرجال وخلاصة الاعلام ، فاركن العرب اليها واتكلوا بعد الله عليها ، فلم يعودوا ليحسبوا للصهيونية والاستعمار اى حساب.

دارت الايام دورتها وآن اوان الجد ، واشتدت زيم ، وأجمع العرب فى جامعتهم على تحدى هيئة الامم وتمزيق قراراتها ، والتمرد على اوامرها ، ومقاومة كل مس لكرامتهم واعتداء على فلسطينهم بحد السيف ، مهما كانت النتائج الى ان يعود الحق الى نصابه وفلسطين لعروبتها. وتعاقبت الاجتماعات تنذر بالثورة والتمرد على قرارات هيئة الامم الجائرة والصهيونية الآثمة. وهكذا اجمع العرب على دخول فلسطين فى جيوشهم معلنين الحرب على الصهيونية بعد ان اتسع نطاق الاضطراب فى فلسطين واضطرمت نيران الحرب الاهلية فيها.

هذا ما كان يبدو فى اقوال الجامعة على ألسنة ساستها وممثليها، انهم دخلوا لتأديب العصابات الصهيونية المجرمة الآثمة التى اعتدت على الابرياء الآمنين من العرب الفلسطينيين ، فاستباحت حماهم ونهبت اموالهم وهدمت واحرقت واتلفت وقطعت وشرّدت وجرحت ونكّلت وشوهت وعذبت وسفكت الدماء وانتهكت المقدسات وعاثت فى الارض فساداً ، الامر الذى اضطر الدول العربية للتدخل لايقافهم عند حدهم والضرب على ايديهم ، واعادة الآمنين الى

دورهم موفوري الكرامة اصحاب الحق والسيادة فيها.

لماذا ثارت ثائرة العرب فجندوا وجردوا ، ودخلوا فلسطين بجيوشهم الجرارة ومدافعهم وطائراتهم ؟ ولماذا وقفوا على الحدود المعينة للعرب وفق قرار هيئة الامم لم يتخطوا قيد انملة ؟ ما الذي حملهم على اعلان الحرب ؟ وما الذي اجبرهم على التهاون وتوقيف القتال؟ ومن الذي دعاهم الى الاجتماع باليهود والاتفاق والتوقيع والانسحاب والرجوع الى حيث هم اليوم فى البلاد ؟ ما الذي منعهم من الدخول فى مفاوضات السلم وحل مشكلة اللاجئين ؟ تلك اسئلة على ألسنة العامة قبل الخاصة ! ولكن الجواب ليس بالهين السهل ، ولا بالظاهر البادي ، ولا بالصريح الواضح. لهذا كثرت التخرصات واختلفت التحليلات وتشعبت الآراء وتضاربت الاستنتاجات.

والحقيقة المرة تخجل ان تقف عارية ولا من تستحيه، الحقيقة المخزية وصمة عار فى جبين الملوك والرؤساء والساسة والقادة ، الحقيقة الجارحة تخبيء رأسها كالنعامة وراء كرسي عزام و كريم ثابت ، الحقيقة الدهماء تبدو كالافاعي من ثقوب الجامعة واعشاش العائلات والزعامات المحتكرة للدفة السياسية فى العالم العربي ، الحقيقة الخرساء جاثمة وراء الغيوم السوداء الضاربة فى آفاق العرب الواسعة ، الحقيقة الجرباء تشع وتبدو ظاهرة فى ردهات الجامعة وظلام مكاتبها واوكار موظفيها ، لا يطّلع عليها الا من ازال غشاوة الغباوة والجهل المسدولة على اعين العامة وجمهرة الشعب من البسطاء ، الحقيقة الراهنة هى ان مصر لا تعتمد الا على عبدالرحمن عزام و كريم ثابت وثلة الموظفين من اقاربهم ومحاسيبهم، وفى تعيين تقي الدين الصلح مندوبا دائما عن رياض لبنان ، والاخ عبد المنعم الرفاعي عن سمير شرق الاردن ، والعديل فوزى الغصين عن جميل سوريا. هذه

الحقيقة الباكية... بيوت عربية توالي السياسية الاستعمارية فى بلادها وممثلوا هذه البيوت يجتمعون لينفذوا تلك السياسية باسم العرب وجامعتهم.

فترى العرب جمعاً وقلوبهم شتى ، جامعتهم تقوم على محورين وتسير فى خطين متوازيين ، تتنازعها عوامل الأثرة والانانية وحب الذات. هذه مصر وسياستها العلوية وتلك العراق والاردن وسياستهما الهاشمية ، وبين العلويين والهاشميين ضاعت فلسطين ، وذل العرب وفضحوا فضيحة كادت تمحو ما سجله الآباء فى غابر التاريخ من ايام بيضاء وعصور ذهبية وحضارة ومدنية طبقت الآفاق.

تلك مصر فى الجامعة تريد احتكار الزعامة واستغلال الموقف والاستئثار بالسيادة والقيادة ، وهى حتى اليوم القائد الفرد للعالم العربى ادبياً وسياسياً واقتصادياً وحربياً. وهمها ان تحفظ هذا المركز وان تدعمه حتى ينمو ويزدهر، وتحرص عليه ان يتقلص وينحدر. والسياسة الهاشمية ذات برامج واسعة منذ ان اعلنت الثورة العربية الكبرى فى الحرب العظمى الاولى ، واعلن جلالة الملك حسين اهدافه ونواياه ، وأبى ان يوقع او يلقب ويكنّى الا بشريف مكة واميرها وملك البلاد العربية حسين. وكان المحرك الاول لهذه السياسة الهاشمية جلالة الملك عبدالله وارث احلام ابيه ، والساعي لاعادة مجد العرب، وخلافة المسلمين الى بيت الاسلام العربى الهاشمي القريشى ، لهذا كانت الاحلام الهاشمية جياشة خصبة بعيدة المرمى واسعة النظر ، ترمي الى تحرير الجزيرة جمعاء ... ومن هنا نشأت فكرة سوريا الكبرى ، والهلال الخصيب ، وضفتى الاردن وإعادة الحجاز ، وما هنالك من اطماع غير محدوده من العرب والى العرب ، ويعتقد

اصحاب هذه السياسة انها قادمة على العالم العربي كما يأتي النهار بعد الليل. ليست بحاجة لدعاية او نشر فستتغلب على كافة الصعوبات وتذلل العقبات وتحقق مع الايام عاجلا او آجلا، وكل آت قريب.

ومصر اذ وقفت على السياسة الهاشمية، وقفت لها بالمرصاد خوفاً على البيت العلوى المالك، والمجد الاثيل، وعرش وادى النيل، وزعامة العالم العربي. اذ ترى فى تحقيق احلام الهاشميين وتوسع مملكة شرق الاردن خطراً على مستقبلها ومركزها وزعامتها وسيادتها ووجودها، فان قدّر لجلالة الملك عبدالله ضم فلسطين او جزء منها او ضم سوريا او الاتحاد مع العراق، اصبح ذا قوة ونفوذ مالكا لمملكة واسعة الارجاء وشعب ذكي متعلم، وله من مواقعه وثروة بلاده ومن حلفائه واعوانه، ومن اطماعه وطموحه، ما يجعل له المكانة الاولى بين العرب وفى شرقهم المحبوب.

ورغم تبادل الزيارات والاوسمة والهدايا، بين الهاشميين والسعوديين، فهنالك عداوة تقليدية وحقد دفين بين البيتين، وكل منهما حريص من صاحبه، لا السعوديون يرغبون فى بقاء عبدالله، ولا الهاشميون راضون عن بقاء عبدالعزيز، وكل يحفر لاخيه يود ان يرميه، ولا يتورع اى فريق منهما من القدح فى الآخر علناً فى جلساتهم ومحاضرهم، وان اجتمعوا فى احضان الجامعة تبادلوا التحيات والدعوات، وسكروا بخمرة موائدها، وشربوا نخب وحدتهم الكاذبة وخداعهم المفضوح.

وما بين الاردن وسوريا، ما بين الشيوعية والفاشية، عداوة مبدئية وكراهة مطبقة، كثيراً ما أدت الى قطع العلاقات وإغلاق الحدود وتبادل

الشتائم على صفحات الجرائد ، فهذا عبدالله يود ان يبلع سوريا ، وتلك سوريا تصرخ لن اكون لقمة سائغة لرعيان شرق الاردن وأجلاف الصحراء ، وأنا مهد الحضارة والصناعة والعلم والعرفان والعروبة والاسلام ، فكم مرة هدّد عبدالله وكم مرة ندّد القوتلي وتوعّد الزعيم ورغم ذلك كلما اتسعت شقة الخلاف ، وأعرض ممثلو القطرين عن الاجتماع توسط الاصدقاء وتحرك القناصل والسفراء ونصحوا هذا وأقنعوا ذاك ، فعدلا عن رأيهما وعادا لتلبية الدعوة ، وطارا الى حيث يدعو الواجب وتقضي المصلحة العربية - استغفر الله - بل المصلحة الاستعمارية المتمركزة في مصر حيث تدار دفة الشرق الاوسط ، وهنالك يلتقي الجمع ويصرح الساسة ان التوفيق حليفهم وان الامور تسير دوماً الى الامام باتفاق وانسجام ، وبمثل هذه العبارات تُطلى الخلافات وتُدهن المشاحنات ويقال للعرب حقق الله الآمال.

والعراق معدن الشقاق والنفاق ، لم يتبدل ولم يتغير ، تراه يحمل حملة منكرة باسم العروبة والاسلام ، وسرعان ما ينقلب على العروبة والاسلام ، تماماً تصرفاته السياسية كأعماله الحربية في فلسطين. وعذره انه يتأرجح بين سياستين: سياسة الدم والقربى لشرق الاردن ، وسياسة العبودية والخنوع والخضوع للاسد البريطاني القابض على فكيّ دجلة والفرات. لهذا ترى العراق يهدّد بالانسحاب من الجامعة ثم يعود فيخضع ، يحمل عليها حملات منكرة ثم يعود ويسير مع التيار ، يوافق على تعيين وزارة وتبني سياسة ، وما يلبث ان يثور فيحطم الوزارات ويقلب السياسات.

ولبنان مزرعة التجار ومشتل الاستعمار ، فيه تربّى الرجال ، وفوق تربته

الخصبة يلقي المستعمرون بذور خبثهم ، وحبوب عبوديتهم ، فتنمو وتترعرع فى جو هادىء لطيف ، تحت ظلال شجر الارز الرابض على صدر لبنان ، ومن هناك تنتقل الفكرة غرسة طريّة الاهاب ناعمة الاظفار ، مختبئة بين طيات الرؤساء والزعماء ، خشية ان يلفحها نور الشمس ، وتلفحها حرارة الاجواء ، فيبطل مفعولها ويفسد سحرها ، ولا تعود تقوى للنمو فى التربة التى قُدرت لها وهُيئت لاستقبالها. فتحمل خفية غير منظورة الى حقول العرب الواسعة ويتعهدها السُعاة والدُعاة ، من اصحاب المناصب والمراتب ، بالسهر والعناية حتى تأتى اكلها ، فتنقطع لاشباع معد لا تشبع وإرواء غلة لا ترتوى ، ويبقى اهل البلاد يقاسون الجوع ويتألمون من شدة الظمأ. ولبنان تعمل تارة للعلويين وطوراً للهاشميين ، كريشة فى مهب الريح لا مبدأ ولا استقرار. وان تحدّث اللبنانيون فى بلادهم قالوا لبنان للبنانيين ، لسنا من العرب ولو تكلمنا لغتهم ، وان تحدثوا فى اوساط الجامعة العربية كانوا خير من حدث وصال وجال وأدلى وصرح ، حتى بات الناس يعتقدون ان لا قطر الا لبنان ولا زعيم الا رياض.

لهذا دخلت مصر والسعوديون والسوريون فلسطين ، لا لتحرير اهلها وردّ العدوان عنهم ، بل للحيلولة دون توسع عبدالله وضم الجزء العربى من فلسطين الى بلاده. ولهذا دخلت العراق وشرق الاردن ، لا لقمع الارهاب ونجدة العرب ، بل لقهرهم ودحرهم وضمهم قسر إرادتهم الى احضانهم وديارهم. ولهذا وقف الجميع عند الحدود المرسومة.

ولهذا خلقت «حكومة غزة» لا لتحمي العرب وتنقذ ديارهم وتحافظ على اموالهم وارواحهم وكرامتهم ، بل لتحول دون توسع شرق الاردن وضم

الجزء الباقي من فلسطين.

ولهذا اختلف العرب عن توقيع معاهدات الصلح مع اسرائيل، لا حرصاً على اهل فلسطين ولاجئيهم ومشرديهم، بل حرصاً على اطماعهم وشهواتهم.

وهكذا بين حانا ومانا، ضاعت يا عرب لحانا!



سلسله الجبهة العربية

هيكل الزعامة

ان ركبت القطار الصاعد من القاهرة شمالا ، نصف ساعة ، تلاقيك محطة حلمية الزيتون، وعلى مسافة خمس دقائق من المحطه شرقا تسير فى شوارع رحبة وتستوقفك حواجز وعوارض نصبت فى قارعة الطريق ، براميل كبيرة دهنت بالبياض الناصع لتخفي سوادها ، وتسترعي الناظرين والمارين فتخفف المركبات من سرعتها ويترجل الزوار وينزل الركاب. امام منزل منفرد ، قصر فخم ، تحيط به حديقة غناء ، مترامية الاطراف ، تتعانق فى جوانبها الاغصان ، وتطل من حيطانها الازهار ، وتعطر ارجاءها روائح الورد ، والفل والياسمين والريحان ، ذاك هو مقر الزعيم الامين فى شارع الكمال رقم (١٣) .

على باب الحديقة نصبت منطرة للحراس ، تقيهم زمهرير الشتاء وحر الصيف ، وداخلها وحولها بعض الجنود المصريين بطرابيشهم الحمراء ، يحملون بنادقهم متأهبين لمراقبة الزوار عند استقبالهم. وفى مدخل الباب من الداخل غرفة الخدم والحشم وفيها من ابناء فلسطين،تعرفهم من سيماء وجوههم وحطاتهم إذ تندر الحطة والعقال بين المصريين ، وهي فى مصر دليل على قيافة اهل الشام كما يدعونهم. وما نكاد تتخطى عتبة المدخل الخارجي للحديقة حتى يخف هؤلاء للتحرى فى الحال والاستقصاء ، من القادم الكريم ؟ ما اسمه ؟ وما بلده ؟ وماذا يريد ؟ وتحمل التفاصيل الى داخل القصر مدونة على وريقة صغيرة ، تماما وفقا للاصول المرعية ، والاجراءات المتبعة ، فى دوائر الاستعمار ، زمن

الحرب والقلاقل ، خشية الفتن والثوار ، والمتسللين من الفدائيين والغواة. فتقدم الورقة الى غرفة داخل القصر تغص بالامناء وانصاف الزعماء ، من افراد الاسرة الحسينية المالكة او من الاتباع والاشياع ... فيأخذون بالتحرى والتأكد من شخصية القادم ومهمته ، ويقدمون الدراسة الكافية الوافية وينصحون الزعامة بالسماح والتنازل بالمقابلة ؟ فان كان الزائر ذا أثر فى الحقل السياسى هشوا وبشوا وتكلفوا اللطف ولو كان دخيلا عليهم ، وتظاهروا بالترحيب والتأهيل، ولو كانت مجرد كلمات وضعتها التقاليد بين ايديهم ، وان كان القادم نكرة وكثيراً ما يكون هكذا فى نظارهم كشروا ونفروا ، وحالا اجابوا قولوا لهم ان الافندى مريض ... لديه زوار ... ليس فى داخل القصر ... لا ندرى اين الافندى ومتى يعود ... وهكذا تكون الدفشة والدفعة وفقاً لشخصية الزائر وطبق ما يناسب المقام. وان رغبوا فى الزيارة فلا يخلو ان ان يكون الزائر احد امرين ، اما شخصية عادية او اخرى فوق العادة، فان كان الاول ادخلوه لحشروه فى احدى القاعات ونقعوه ساعات ، وان كان شخصية فوق العادة اعطوه حق الاولوية على كافة الزوار. وفى هذه الحال ترى غرفاً خاصة للانتظار ، وخيمة اقيمت داخل الحديقة باب القصر الداخلى ، للخدم والحشم والحراس ، وكثيراً ما يحشر فيها القادمون الساعات الطوال للانتظار.

والقصر ذو طابقين الاعلى للحريم والاسفل للرجال ، فرشه عادى بالنسبة لدور الباشوات والبكوات فى مصر ، وامبراطورى نابليونى بالنسبة لاكواخ الباشوات وسقايف البكوات فى شرقي الاردن. وقاعات الاستقبال ثلاث ، القاعة الاولى للانتظار ، والثانية للعامة ، والثالثة للخاصة. ومن كانت زيارته

عادية دخل قاعتين وافرج عنه ، ومن اوقعه نكد الطالع فى مهمات واعمال عامة تتعلق ببرنامج الزعامة وضمن صلاحياتها ، حكم عليه بالتمرغ والتقلب تحت القاعات الثلاث اياماً وليال.

القاعة الاولى: غرفة مساحتها حوالى ٤ × ٤ امتار مربعة ، ذات بابين ، احدهما لداخل القصر وثانيهما لفرندة المدخل العام. يتعاقب الخدمة فيها والسقاية طائفة من المشايخ وصغار الزعماء ، مثل الشيخ ابي السعود او الشيخ عابدين او الشيخ العيزراوى او ابي اللبن ، او الحاج الفرخ او الداماد حيدر، او القريب منيف ، او رفيق او توفيق وامثالهم عدد وافر ، وكما قال المثل : «من الخروب السدة ملآنة».

وهناك فى هذه القاعة يحشد الزوار لاقامة طويلة وهم من كل حدب وصوب ، من كل عقلية وعقلية ، من كل لون ولون ، هذا مجلسى وذلك معارض ، هذا جبلى وذاك من سكان السواحل ، هذا منافق وذاك على بركة الله ، وهكذا ترى هذه الغرفة يحشر فيها الناس على اختلاف مللهم ونحلهم واشكالهم وألوانهم وعقولهم وثقافاتهم ، فهي كالقبر ، ضيقة لكل الناس ويحشر فيها كافة القادمين والزوار ، وما اصعبها على النازلين فيها اول مرة ، اذ لا يكاد يستقر الزائر ، وتدار عليه السيجارات والقهوة ، الا ويأتى اليه الزبانية كالملكين ناكر ونكير يسألانه : ما اسمك ؟ وما غرضك ؟ وماذا تريد ؟

وفى هذه القاعة اعدت منضدة صغيرة ، يتصدرها احد الموكلين بمجلس لمجاملة الناس وموآنستهم ، يتحدث بالطبع فى اول الامر عن الطقس والاجواء والمواسم والتقاليد والعادات ... يتحدث بلباقة وطلاقة ، لكثرة ما سمع هذه الاحاديث من الساسة والسادة ، عندما يشرعون فى الدراسة السطحية ويمهدون

الجو لطرق المواضيع التى يرغبونها. ثم يتقدم محدثنا عن مناقب الزعيم الخالدة ، وما ثره الجمّة ، وكثرة اعماله وزوّاره ، وسهره الليالى ودأبه الايام ،وانصرافه عن اعمال بيته واهله الى حيث كرّس حياته لخدمة الامة والشعب ،وينهي حديثه بالدعاء له بطول العمر وحسن البقاء . وهنا يبدأ المجلس فى الجواب ويتناوب الخطباء المدح والثناء ، ولا يكاد ينتهي دورهم حتى يأتى غيرهم ، فتدور الحلقة ويشترك القادمون ، وهكذا كلما خرج زائر ادخل غيره والحبل على الجرّار ، من الصباح الى المساء ، وصوانى القهوة، تدور والسيجارات تحترق. واحيانا تطول الجلسة ويملّ الجالس الانتظار فيتململ وتبدو عليه علائم الضجر والقلق ، ويأخذ بالتأهب للاعتذار والانسحاب ، فان كان غير مرغوب فى بقائه ، فرك الوكيل يديه ، وبسط عضلات وجهه ، وابدى ابتسامة عريضة ، اشعاراً باللطف والمحبة وإتيكيت الكبار ، وقال : «ما اضيق الوقت واكثر الاشغال ، لا بد وان الافندى سيكون شديد الاسف لعدم تمكنه من لقياكم ، وهو جد مشتاق اليكم ، وكثيراً ما كان يتحدث عنكم ... اذ هو مولع فى اهل الخليل وبكرمهم ورجولتهم و ... و ... » وان كان من نابلس او الناصرة غنى نفس الاسطوانة ولم يغير من كلماته الاّ اسم البلدة او القرية. وهكذا يودع الزائر باسم الزعامة ويخرج الاخير شاكراً فرحاً مسروراً ، لانه رأى دار الافندى ، وشرب القهوة ، وقدمت له السجاير ، وجالس الاعوان والاقيال ، والخلاصة كان فى بطنه شيء فذهب وفجر الدمل ، وكانت له الجسارة انه قال كذا وكذا ...فى بيت المفتى وعلى مسمع من خدامه واعوانه وبحضور زواره ورواده ... ويعود بعد الزيارة يبقى تالى عمره ، وهو يحدّث الناس عن هذه الحجه الصغرى وذاك الشرف العظيم . وان كان الزائر ممن لا يجوز اهماله

وتشريده على النمط السابق ، اخذ الملكان فى تهدئة روعه والترويج عنه وأمر ا
بكوب من الشراب (الليمونادة) او فنجان من السادة ، وأوعزا المقام السامى
بأن صاحبنا اخذ يتململ ويتحفز ... فلا ترى الآ والباب يقرع وصاحب
السماحة ... بشخصه بجلاله وقدره ، طلعة بهية ، خلقة جميلة ، ولحية ذهبية ،
عيون براقة وابتسامة جذابة ، وعباءة موشاة بالقصب المذهب ، شفافة هفافة فى
الصيف ، وذات وبر ناعمة لماعة بالشتاء ، وعلى رأسه ناجه المحكم اللف المتقن
البناء ، يحاكي تيجان الملوك. جمع اعلام العرب : بياضه الناصع رمز العمل ،
وحمرته القانية شارة التمرد والثورة ، وسواده القاحم رمز الليالى الحالكات ،
مربوع القامة ، عريض الجبين فى العقد السادس من العمر ونشاطه
اكثر حيوية من الشباب ، سريع الحركات ، رشيق الخطوات ،
وعلى فمه عبارات تسيل بالنعومة والرقة والدعة. يستقبل اقل الناس استقبال
اعزهم واقربهم. وما يكاد يشق الباب حتى يثب الحاضرون من مراقدهم ،
وتمتلىء الغرفة بالحيوية والنشاط ، ويتزاحم الزوار على لثم الايدى ، والزعيم
يسلمها للصغار طائعاً ويمنعها عن الكبار متواضعاً ، وكثيراً ما تؤخذ يده قسراً
وقهراً ، ولا يكتفي الزائر الكريم بلثمة او لثمات ، وفى كثير من الاحيان لا
يترك يده الا وقد اشبعها تقبيلا وتكريما ، وألهبها بحرارة انفاسه ، والزعيم يردد :
« بارك الله بكم وفيكم ... استغفر الله ... » ثم يبدأ بسؤال الخاطر ويكون من
قبل قد وصلته المعلومات عن اسم الزائر ، واهله وبلده ، واقاربه وصحبه ... وما
اسهل ذلك على ذاكرة المفتى ، يحفظها ويتقنها بكل سهولة ... فيشرع بالسؤال عنه
وعن والده واخيه واهله وذويه وبلده ، مستشهداً ببعض الحوادث ... فيخيل
للزائر ان شخصيته معتنى بها وانه ذو أثر فى عالم الوجود ، وان المفتى صديقه

الشخصي ، صديق العائلة والبلد ، لا تخفى عليه خافية ، ولا تنطوى عليه شاردة، فيذهل الزائر ، ويسحر السامع ، فيغدو كأنه من اقرب الناس ، ولا يسعه تجاه ما سمع ورأى الا ان يقدم آيات الاخلاص ويرفع الولاء، داعياً للزعيم بالتوفيق وطول العمر ... ومن ثمة يقول الزعيم ... اني جد مشتاق اليكم ولاستطلاع آرائكم فى امور هامة كثيرة تهم البلد والامة والمصلحة العامة ... امور لا بد ان نجلس جلسة طويلة لبحثها ودرسها، والرجاء السماح لي الآن لافرغ من زوارى وارجوكم الانتظار بضع دقائق ، وينسحب ونكتفي هذه المقابلة العارضة لان ينتظر فى سجنه بضعة ساعات اخرى ، وهو يفكر بهذا الخالق العظيم ، والذاكرة الفذة ، والاهتمام البليغ فتهدأ نفسه ، ويخلد الى السكون والاطمئنان ، ويستسلم للصبر والانتظار الساعات الطوال .

القاعة الثانيه : اذا اقترب الفرج جاء الحاجب او التشريفاتى او ابن العائلة او الحسيب ، يدعو الزوار الى حضرة الزعيم للقاعة الثانية ، فينهضون ، هذا يصلح ربطة عنقه وقد شدها شداً محكماً لا يتلاءم مع حرارة القاهرة ، وذاك يهندم عباءته وهى تقليد لعباءات الزعماء ، وآخر يهندم كوفيته وعقاله او يعدّل طربوشه ويمسح جبينه ، وقلوبهم تخفق للساعة الرهيبة فى القاعة الكبيرة فى حضرة الزعيم ، فيتعازمون للخروج من القاعة الاولى الى ليوان ضيق فيه سلم حشبي يصعد الى الطابق العلوى ، وتلفون مشغول ليل نهار اما يقرع او يُقرع ودوما على اتصال ، ومنه الى ممر طويل يقود الى قاعة رحبة فخمة رتبت فيها الارائك، ونضدت المجالس ، وقسمت الى مقعدين كبيرين داخلى وخارجي ،وكل مقعد فى منتهى العظمة من الفراش والرياش ، والاثاث والمتاع . والزخارف والنقوش والرسوم والتماثيل والمصاحف والى ما هناك من تحف الاكابر والاغنياء .

والقاعات كلها مفروشة بالسجاد الكاشانى والاصفهانى والشيرازى والتبريزى ، وكل سجادة تفوق الثانية جمالا ونقشاً وابداعاً وحبكا ، وعلى النوافذ والمداخل اسدلت الستائر المخملية الحمراء ، ومن بينها تبدو شباك البرادى المخرمة والمزركشة المطرزة ، ومن خلال النوافذ تبدو الحدائق والجنائن تحف فى جنبات المنزل .

الى القاعة الثانية والمقعد الاول منها ، يدعى الزوار للجلوس ، فيهبطون فى الكراسى الحريرية المخملية الحمراء وكل مقعد منها كعرش ذهبت قوائمه وبطنت حواشيه . تذكر الزائرين بابهة الملوك وعظمة الفراعنة ،وما يكاد يجلس الزوار الا وتأخذ رؤوسهم تدور ذات اليمين وذات الشمال ، والى الاعلى والاسفل ، يحتارون اين ينظرون ، وبأى شيء يتمتعون ، ابثريات السماء ، او نقوش السقوف او بزخرفة الجدران ، او بالرياش والفراش ، المطروحة فى الردهات والزوايا ، «انطراح الاسمال البالية، والقطع الخاوية، والرمم المتناثرة، والقاذورات المتراكمة، والويلات والحسرات المنتشرة فى بيوت المساكين والفقراء» .

وبين تلك الكراسى والارائك ، اعدت مرتبة خاصة لسماحة الزعيم وعلى احدى اكتافها ربط جرسان كهربائيان ، للاستعمال الخاص ، ولكل جرس شارات وحركات ، لا يعلمها الا الله والراسخون بالعلم ... وكثيرون هم الزوار الذين لا يعرفون سر البيت فيجلسون على كرسى الزعامة ، وما يكادوا يفعلون حتى ينبههم اخوانهم او يرشدهم رجال القصر ، فيعتذرون ويخلون ، وبينما الناس جلوس وكأن على رؤوسهم الطير ، يحدقون فى هذا المحيط ...اذ ترى حركة يتبعها الزعيم خارجا من خلف الستائر المخملية ، خروج ابطال المسارح للنظارة امام الناس ، وحوله بعض الاعوان والاعيان ، فيقف الجميع اجلالا وتعظيما ويستوى الزعيم على اريكته ويعيد التحيات والمجاملات .

وفى هذه القاعة يجتمع الناس على مختلف مهامهم واشكالهم لسماع حديث عام حول القضية والبلاد والجهاد ، والتضحية والرجولة ، والصهيونية والاستعمار ، والعروبة والاسلام . وكثيراً ما سمعت وقيل لى ان فى فم الزعامة دوما روايتين يكثر ترديدهما ، بشكل موزون مقفى يأخذ بالالباب .

الرواية الاولى : حب الانكليز لليهود عجيب . تقول الزعامة : «سمعت قصة طريفة ، عن امرأة مسكينة اضاعت بعلها فى عنفوان شبابها ، ولم تبق لها الايام الا طفلا يذكرها بايام السعادة والهناء ، يعزيها ويواسيها على ايام وحشتها وقطيعتها ، تحبه حباً جماً فهو الاب والاخ والزوج والخليل والرفيق . وفى ذات يوم خرجت لقضاء حاجتها وعادت واذ الديار تنعي من بناها ، وذاك الطائر الصغير والمغرد الانيس ، قد اخذ من عشه ، وسرق من بيته ، وعبثاً حاولت العثور عليه ... فقضت ايامها رهينة الحزن والاسى ، تبكى وتنتحب ، حتى تبدلت زهرة شبابها اليانعة ، فقضت ذابلة ذليله حزينة ، كزهرة انيقة عطرة ، قطفت فى عنفوان ازدهارها ، ووضعت فى كأس ماء جفت طراوته ، فذبلت وانحنت ، وغدت فحمة جافة ، تدل آثارها على بائد عزها وبهاء جمالها ،وقضت تلك الام الرؤوم والارملة الوحيدة ، على هذا الحال اربعين سنة ، وفى ذات يوم دعيت الى حفلة شائقة اقيمت على شرف ميلاد احد ابناء النبلاء الاثرياء ، ضمت صفوة القوم ، ونخبة اهل البلد ، وازدانت بافراحها وانوارها ومآكلها ومشروباتها ، والام الفاقدة اتت للخدمة ، ومثل ما فى القوم من فرح ومرح فى قلبها الهم والاسى ... وفجأة ادارت لحظها فى الجالسين ، وكالنسر الخاطف ، واللبوءة الكاسرة ، انقضت من بين الجميع على كهل تعانقه وتقبله ، تضمه الى صدرها ودموعها على عرض خديها ، فذهل الناس ووجموا وتساءلوا واستفسروا

وذعر الرجل واستغرب ... والكل اخذ يتساءل وهي تجهش في البكاء ، وتبالغ في اللثم والضم والتقبيل ، وبعد هنيهة سألوا الرجل من اين انت؟ قال: «أنا يتيم ربيت وانجبت في دير مع اليتامى ، لا اعرف لي اماً ولا اباً ، يقال انهم عثروا عليّ وانا ادبّ على الارض دبّاً ، ولا افهم سؤالا ولا اعي جواباً فاخذوني واحتضنوني وربوني» .

ولما علموا قصة المرأة لم يجدوا تفسيراً لهذه العاطفة الجامحة والمحبة الخارقة ، الاّ ان هذا الرجل هو ابن تلك المرأة المفقود ... وانا لا استطيع فهم محبة الانكليز لليهود الى هذه الدرجة ، الاّ انهم ذلك السبط الاسرائيلي الضائع.

اما الرواية الثانية : فهي ، بلغني انه كان من الموظفين ، لدى الامانة العامة في دار حكومة الانتداب في القدس ، موظفة من بنات اليهود ، عهد اليها في طباعة التقارير السرية والمخابرات الرسمية ، وذات يوم وقع بين يديها تقرير لاحد حكام الالوية عن بعض اعمال الاستفزاز والاضطراب في فلسطين ، يقول ان اليهود هم المسؤولون عن اعمال العدوان ، وسبب الفتنة التي جرت بين العرب واليهود، فتوقفت عن الكتابة ، لا بل تخطت هذه العبارة ، واستمرت في الطباعة، وهي ترتعد غضباً وحنقاً ، ولما ان شاهدها الرئيس على ما هي عليه قال: «لماذا تخطيتي هذه العبارة واغفلتي طباعتها؟» فقالت: «هذا كذب وافتراء ، ولن اطبع ما يسيء لامتي وشعبي» ، فقال لها: «لا تنسي انك موظفة وواجبك ان تقومي بما يعهد اليك فقط». فقالت: «لا تنس اني يهودية تحافظ على قوميتها وامتها ، ولن تقوم بامر ضد مبدئها وشرفها». ولما امر الرئيس عليها ، غادرت القاعة وقالت: «ان كانت الوظيفة تحكم عليّ بالاساءة الى امتي فدونك الوظيفة». وانصرفت ...

بهذه الروح يسود اليهود ، وبتلك المحاباة يرعاهم الانكليز ، فتصوروا عظم المصيبة وقوة الاخصام ،فهل يجوز ان نتغافل عمّا نحن فيه من بلاء وشقاء، وهكذا ينتهي الزعيم من قصته .

ثم تدور احاديث عادية بالدعاء الى الزعامة بالتاييد والنصر، وبعد الفراغ من هذه المظاهر والمشاهد ، يستأذن الزعيم ، ويودع القوم ، واعداً زيداً بالاجتماع به غداً ، معيناً الموعد ، ويأخذ عمرو للخلوة بين الستائر المخملية الحمراء، فى غرفة خاصه .

القاعة الخاصة : من بين الستائر المخملية ، المدلاة من قنطرة قائمة بين هذه القاعة والقاعة العامة ، تستطرق الى القاعة الخاصة ، وفيها مثل غيرها من الطنافس والارائك ، وفيها كرسى آخر ذو اجراس اعد للزعامة ، وفى هذه القاعة يجتمع الزعيم بعلية القوم واكابرهم، وهنا تدور الاحاديث وتحاك المؤامرات سراً وهمساً ، وهنا تعين المخصصات وتقدم المعاشات ، وتمنح الهبات ، وهنا يضع صاحب السماحة فى جيوب اعوانه الظروف مملوءة بالجنيهات ، وعندما تأزف ساعة الطعام ينفتح باب زجاجي على مصراعيه ، ويدخل الخاصة الى غرفة الطعام وفيها الخدم والحشم وعليها اطباق الاكل، وفيها يتجلى الكرم الحاتمي ويقدم صاحب السماحة الاكل لزواره بايديه الكريمة ، فيأكلون مريئاً ويشربون هنيئاً .

وفى اسفل القصر كراج رحب واسع فيه سيارتان ملكيتان ، والى جانب هذا القصر تقوم دار الهيئة العربية العليا ، وفيها المكاتب والموظفون ، وهناك تدبّج المقالات وتطبع الخطابات وتدقق الاخباريات ويتم التنفيذ الى كافة الجهات ، ومنها يأتى الموظفون للنصح والمشورة واستطلاع رأي الزعامة فى النصوص والردود واللوائح والمذكرات الخ . . .

ثورة على ابواب الهيكل

منذ فجر الانتداب الى افوله ، من مهده الى لحده ، والفئة المتمسكة بالشرف الموروث ، والعائلية الطاغية ، تتحالف وتتفق مع اللصوص والمشعوذين باسم الدين والوطنية ، على الشعب الجاهل الغبي ، وهي ، هي كيفما تلونت وتبدلت لجنة تنفيذية عربيـة ، او مجلس اسلامي اعلى ، او مؤتمر اسلامي عام ، او هيئة عربية عليا ، او حكومة لعموم فلسطين ، اسماء متنوعة تدل على مسمى واحد هو المفتي . وهو الامة ، وهو الدين ، وهو الوطنية ، وهو الحرّية ، وهو المحبـة ، وهو الرعب ، وهو الجهاد ، وهو الرأس المفكر ، وهو الاخلاص المتفاني ، وهو التضحية ، وهو العقل ، وهو الحكمة ، وهو المنظم ، وهو القائـد ، وهو المحيي ، وهو المميت ، وهو بعد الله على كل شيء قدير .

وهو من قيل فيـه :—

انا من اهوى ومن اهوى انا   نحن روحان حللنـا بدنا

اندلعت السنـة الثورة فى فلسطين ، وانتصب العاتية الطاغيـة على منصة القضاء القائمة فوق رابية من الجماجم ، تسحّ من جنباتها دماء الخلـق ، وتتصاعد من صدرها انات الضعفاء والفقراء ، من الجرحى والقتلى ، والمنكوبين ، والمشردين ، والجياع والهائمين ، وجلس على يمينه وشماله بطانـة السوء وحاشية الرياء ، وعلى وجوههم قترة ترهقها غبرة ، وانتصب الجنـد حوله وقد باعـوا نفوسهم ، وقتلوا ضمائرهم ، واصبحوا كالآلات ، لا عين ترى ، ولا قلب يعي ،

ولا عقل يفهم ، رهن الاشارة وطوع البنان للتنفيذ ، ووقف الناس امامه بين متفوج مرتقب ، وشامت مغتبط ، وحزين واجف ، ومضغوط كاظم ، والكل يحني الرقاب خاشع البصر مطرق النظر ، ماسك الانفاس ، كأن فى اسم الطاغية رعب الارض وغضب السماء ، وقد دبت فى نفوسهم فقطعت نياط قلوبهم، حتى اذا ما اكتمل عقد المجلس وازفت ساعة القضاء ، رفع الزعيم رأسه وقال للزبانية: «احضروا المتهمين اليّ ، واخبرونى بذنوبهم ومعاصيهم». فاجاب رجل من اعوانه : « لقد كثرت الذنوب ، وعمت المعاصى ، باعثها ومصدرها ، ومنظمها ومدبرها ، وناشرها ومعلمها ، زمرة من الاشخاص ، ادعوا الوطنية والمعرفة اليقظى، وتقدموا للعمل والخدمة... ولقد تعذر علينا القاء القبض عليهم لكثرتهم واختلاف مواقعهم وتعذر جمعهم ، الا اننا انتصرنا على رأس الفتنة وزعيم الزمرة ، وهؤلاء الذين علموا الناس الفساد ، وقادوهم الى التمرد والالحاد ، فحاربوا عروشا للزعامة وقد نصبها الله ، وسلكوا طرقا احتكرت لابناء الشرف الموروث وافراد الحاشية الكريمة ، واخذوا يستقلون بتفكيرهم ، ويحاولون خلع نير وضعته الطبيعة لنا فوق اعناق البشر . وها نحن ندعو الناس للتضحية ، وتقديم القرابين التى اعتادوا ان يقدموها لنا فى المواسم والثورات ، من فلذات اكبادهم ، ودماء قلوبهم ، وعرق جبينهم ، فاعترضنا هؤلاء وكادت بضاعتنا تبور ومذابحنا تجف يا صاحب الزعامه فتلتم الابرياء والفقراء ، لمجرد وشاية واهية ، دسيسة مشكوك بها ، ورغم انكم استبحتم دماء الناس ، وأفتيتم بالقتل ، لأن مبدأكم افناء الثلثين لاحياء الثلث ، ولكن فى بعض الاحيان ابتدأتم فى الثلث الصالح وتركتم الطالح ، وكم نصحنا وكم اتهمنا وكم اشرنا الى وجوب ازالة هذه الطائفة ، قبل ان تنمو وتتكاثر ، فيتعذر قلعها . وها يا صاحب الزعامة ،

قد تقدم لكم هذا الخائن الشرير الذى اعترض بالامس قائدا من قوادكم ولجنة من لجانكم ، وداس اوامركم تحت قدميه ، وتمرد على قداستكم امام الناس، وقد قبض عليه متلبساً بجريمته يحاول ايقاف الفتنة واطفاء النار .

اصفر وجه الزعيم ثم احمر ، وقام وقعد ، وابرقت نيران الغضب فى عينيه، واخذ يتكلم بصوت جهورى متقطع ، وعلامات الشدة والغضب والنقمة بادية على محياه ، وصاح باعلى صوته :— «ابعدوه عني وانشروا للناس بشاعة جرمه، عظموا وضخموا ، وارسلوا لاعوانكم ورجالكم واتباعكم ، اخبروهم ليشهروا امره ويقللوا قدره ، ليكتبوا فى الصحف السيارة فى مختلف الاقطار العربية ، وليوزعوا النشرات السرية ، واعلنوا لافراد الحزب العربى من دعاتنا وجنودنا ليحملوا عليه فى المجالس الشعبية ، بين القرويين والبدو فهم احب الناس الي ، لانهم يأتمرون ولا يفكرون ، يحملون ولا يسألون ، يرددون ولا يفهمون ، يطبلون ويزمرون ويرقصون ويدبكون ، ولا يدرون اهم فى حلقة مأتم ، او عرس لاحد ابناء اسيادهم ... ان نشرتم ذلك فقد ذللتم الصعاب ومهدتم الرأى العام لتقبل اوامرى بالغبطة والسرور ، والآن جردوه من السلطة وانبذوه ، وفى الغد اطلقوا النار من افواه مسدساتكم عليه علناً وفى رابعة النهار، حذار ! حذار! ان تضربوه وجهاً لوجه فقد يؤذيكم او يتعرف عليكم ... اضربوه فى ظهره ، ولست بحاجة لارشادكم فلقد اكتسبتم الخبرة ونجحتم فى كثير من اعمالكم وبطولتكم ، واتبعوا المسلحين بطائفة من العزّل ، كي يسهلوا امر فرار القتلة خشية وقوعهم فى يد المستعمرين والظالمين وضللوا المارة والمحققين ، غيروا صفات الابطال واتجاهم ، وكيفية وقوع الجريمة واسبابها ... وان وقع قتيلا مضرجاً بدمائه ، قولوا للناس : خائن ... خارجي ... جاسوس ... لا تصلوا عليه ولا

تحملوه ولا تغسلوه ... اتركوه على قارعة الطريق ، وان سنحت لكم الفرصة اطرحوا جثته فى البرية طعماً للعقبان والكواسر ، لتنهشها الثعالب والضوارى ، ولتحمل الرياح رائحتها النتنة الى اعوانه واخوانه واتباعه ومحبيه وذويه . هكذا قضت مشيئتنا ان نتركه عبرة للناس ، فيرتدون عن كفرهم ويعودون الى صوابهم ، ويبقون دوما وابدا يوقدون المرّ والبخور امام ابواب هيكلنا ، وعلى مواطيء اقدامنا ، ويعطرون بالطيب والمسك اهداب حواشينا ، واذيال اتباعنا ورجالنا».

خرج الجلادون من مذبح سيدهم ، ولم يجرأوا على الجريمة فى بلاد العرب ، فلقد اذاعوا واشاعوا ولكن الناس عادوا لا يسمعون لافتراءآتهم واكاذيبهم ، طبّلوا وزمروا وطاروا وهدوا ، وحملوا وتحاملوا ، وصالوا وجالوا ، ولكن لم تعد الفرصة سانحة لاقتراف الجناية ، فالكل لهم بالمرصاد ، والكل مجنيّ عليه من جراء اعمالهم واقوالهم وتصرفاتهم وغرورهم وعدوانهم .

وعاد الجلادون وبجيوشهم حكم الموت ، ولكن الظروف لا تساعد على التنفيذ ، لا بد من فرصة يكون فيها الجو هادئاً ، والزعامة مرتفعة الاسهم عالية الجناب ، يكون باطلها حقاً ، وظلمها عدلا ، وغضبها رحمة ، واجرامها مبرّة ، لان الناس اخذوا يفكرون ويتأملون ، بعد ان اخرجهم الظلم من ديارهم ، والخنوع من مغاورهم ، والاستعباد من سجونهم ، وطهرتهم الالآم وكرزتهم المصائب ، فاجتمعوا وقد وقعت اعينهم على لوائح الاتهام التى قدمها الاشرار الى سيدهم . ثم اتوا بالمتهمين يسمعون الى دفاعهم وقضيتهم ، ولم يكونوا من قبل ليجيبوا على تهمة امام مجرمين ، ولا من خيانتهم امام الخون ، ولا عن اخطائهم امام الغارقين فى الخطايا والموبقات . فوقف زعيم المتهمين امام الشعب ، وعلى

قمة جبل المقطم ، اجتمع الناس لسماع دفاعه والحكم عليه بما جنت يداه وارتكب من خطايا وآثام... وقف وصاح بصوت جهوری مفعم بالالآم والآمال ، وقف امام محكمة الشعب وناداهم قائلا: —«ايها الاخوان، ان سفك الدماء محرم، ولكن من حلله للزعيم الامين ؟ ان سلب الاموال جناية ، ولكن من اباح سلب الارواح ؟ » ايها الاخوان : ان الرجل الذى اقامه ضعفكم وجهلكم وغباوتكم سيدا عليكم، جلس بين حاشيته حيث قدمت المتهم غيابياً لحاكمی، فی ذاك القصر الذى قطعت حجارته من لحومكم وجبل طينه من دمائكم ودموعكم ، اما انتم فسرعان ما كنتم تقبلون الضحية تلو الضحية وانتم تضحكون وتقهقهون ، ولولا ان فتح الله بصائركم ، واوقفكم على حقيقة زعمائكم ، لوقفتم تنظرون اليّ وانا فی قفص الاتهام متألما ، وتسمعوننى شاكيا ، تنصرون زعيمكم ظالما ومظلوما ، واليوم وقد اجتمعتم من كل حدب وصوب ، تجرون خلاخيل عبوديتكم ، وسلاسل قيودكم ترن وراءكم كحديد خيولكم ، ولكن دفعتكم الالآم لسماعي والحقيقة للاصغاء اليّ ، انا هو المتهم المعفر الجبين ، انا الخائن الجانى اخاطبكم ، فاسمعوا دفاعي وخطابى ، واحكموا عليّ بالعدل والقسطاس ، ولا تشملونى بعطفكم ، او تغدقوا برحمتكم ، لان الرحمة لا تكون على الاثمة والمذنبين ، والشفقة لا تكون على الاشرار المخطئين ، اما العدل فهو ما يطلبه اصحاب الحق الابرياء ، ارادتكم ارادة الشعب وارادة الشعب فوق العروش والهياكل ، واعلى من الملوك والزعماء ، اليّ اليّ بعقولكم وقلوبكم وضمائركم ، واسمعونى جيداً ، اسمعوا كلماتى فهي تخرج من اعماق قلبى ، لا من اطراف الشفاه ، ورؤوس الالسن ، افهمونى فانى اتكلم بجراحي ودموعي ودمائي لا كما يتكلم البشر ، انصتوا اليّ فعلى لسانى تنطق خرائبكم وآثاركم ، واصغوا فاحدثكم باسم

شهدائكم وجرحاكم ومنكوبيكم ولاجئيكم ومشرديكم ، اقتربوا مني لاحدثكم عن سر مصيبتكم الخرساء ... لقد نشروا بينكم صيغة الحكم عليّ ، وكدتم تصدقون اقوال الجزارين والسفاحين ولم تلمسوا آثامي وانا بينكم ، ولم تشعروا بضرري وانا اشتغل فى حقولكم ، ارافق التجار والصناع والعمال والزراع ، والرعاة ليل نهار ... لقد سمعتم باثامي واجرامي ولكن لم يقم بينكم من يدل على فضائلي وخدماتي ، لان الاعمال الصالحات تذهب مع الارياح او تجرفها امواج البحر ، اما الدس والهمس والكذب والافتراء فتظهر للناس كالمشاعل فى ظلام الليل ، لان تربة بلادكم ، وطبيعة جبلتكم عوّدها الزعماء والقادة على مثل هذا ، جريمتي يا قوم هى ادراكي تعاستكم واستغلالكم وعبوديتكم وثقل السلاسل فى اعناقكم والحديد فى ارجلكم ، ولقد تحملت الاضطهاد والاخطار والاشاعات والاتهامات من اجل الحقائق الجارحة التى رأيتها فى قصر زعامتكم وحاشية مفتيكم وعلى ابواب اصنامكم واوثانكم .

لقد اخترتم الزعامة لقيادتكم وارشادكم ، والسهر على مصالحكم وبلادكم ، فهل قادكم الراعي الصالح للرياض الخضراء والمراتع الهنيئة ، او أمن مستقبلكم واولادكم ودياركم ، وانتم قمتم بواجبكم حق القيام ، طلبتم للطاعة فكانت منكم عمياء خرساء ، وطلبتم للتضحية فقدمتم الاموال والبنين ، طلبتم للاضراب والتظاهر فضربتم الرقم القياسي ستة اشهر تباعا ، وبلغت احتجاجاتكم وصيحاتكم واستنكاراتكم اقاصى الارض ، طلبتم لبيت المال فسخيتم ، ولصندوق الامة فاعطيتم ، ولمقاطعة اللجان فقاطعتم ، ولمحاربة الاستعمار فحاربتم . طارت الوفود باسمكم شرقا وغربا ، وجمعت الاموال والهبات ، وكم من مرة ومرة القيتم بانفسكم فى السجون والمعتقلات وضحيتم بالنفس والنفيس ، تلبية لزعامتكم ،

ولكن الزعامة الامينة الشريفه المشرفة ، ماذا فعلت فى سبيلكم وبلادكم؟ هل فتحوا المدارس والجامعات لتعليم جهلتكم . وقد جمعوا من الهند والسند مئات الالوف باسم الجامعة الاسلامية ، فاين ذهبت تلك الاموال ؟ لقد استولوا على اوقافكم سنوات عدة وفيها مئات الالوف من الجنيهات فهل عمّروا الاوقاف ؟ رأوا البلاد تشرى الدونم تلو الآخر ، فهل علموا الناس كيف تجب العناية بالحقول والانتاج ، والعمل لاحيائها والتمسك بها ، او عاقبوا المريض بالقتل والبائع بالغدر ، وعفوا عن الكثيرين وساهموا مع البائعين لفدية اخذوها وضريبة استوفوها . رأينا اليهود ينشئون المستعمرات ويحفرون الآبار ، ويزرعون الاشجار ، ويقيمون المشاغل ، والمعامل والمصانع ، والطرقات والمواصلات ، والجمعيات والشركات ، كبيرهم يعتنى بصغيرهم ، وصغيرهم خادما لمبادئهم وجموعهم . فهل قاموا بشيء من هذا ، خلال ثلاثين سنة من طغيانهم واستبدادهم ؟ هل سمعتوهم مرة واحدة يقولون خذ ، ابنِ ، اغرس ، اصنع ، ازرع ، علِّم ، ونظم . او كانت كلماتهم امريه بالشر والدمار ، والقتل والخراب ، والسلبية المتطرفة حتى الجنون .

هذه هى الصرخات الاليمة التى كانت تنبعث من قبور شهدائكم ، ومن ظلمة سجونكم ، ومن افواه ايتامكم واراملكم ، ومن افواه فقرائكم ومشرديكم ، هذه هى الآهات والصيحات التى سمعتها من عيونكم وقلوبكم ، من نسائكم واطفالكم ، فاستيقظت وتمردت على سكان الهيكل ، والاسرة المالكة والزعامة الجائرة الخائنة ، فوقفت اردد اقوالكم ، وامثل قضيتكم ، واطالب بحقوقكم ، وحقوق بلادكم ، فاتهمونى بالخيانة ورمونى بالمروق ، وحكموا عليَّ بالموت : فكرهت الحياة بين اللصوص والمجرمين ، والآثمين ، واتيت اليكم لامسح

جراحي بدموعكم ، واغسل جراحكم بدموعي ، وما زلتم تسمون دعاية المضللين والظالمين ، وتستسلمون للمأجورين وتجار الدماء وجنود الطاغية .

اسمعوا وفكروا وانظروا وتأملوا وهذه بعض فعاله :—

١. الهيئة العربية العليا: رئيسها حسيني ، نائب الرئيس جمال الحسيني ، وزير الخارجية منيف الحسيني ، وزير الداخلية اسحق درويش الحسيني ، وزير المالية رجائي الحسيني ، وزير الحربية خالد الحسيني (خليفة المرحوم عبد القادر الحسيني) وزير الدعاية علي حيدر الحسيني ، وزير بلا وزارة الشيخ حسن ابو السعود حسيني اكثر من الحسينيين . وغيرهم من الوزراء المحرومين المبعدين : احمد حلمي عبد الباقي ، والدكتور حسين الخالدي . ووزراء مستقلين: عزت دروزه ، ومعين الماضي ، ووزير مفوض اليد اليمنى للزعيم : اميل الغوري .

هذه ادارتكم فمن انتخبها «ومن عينها» ومن جعل القيادة موقوفة على آل البيت ، وهم ليسوا من آل البيت «أليس الانانية والغرور والاثرة وحب الذات ، الدافع لهذا» ربنا اطعنا رؤساءنا فأضلونا السبيل ... !!

٢. من قتل مشاريعكم الاربعة : صندوق الامة ، والمشروع الانشائي ، والعمال ، والنجادة . «سلوا بربكم رئيس حكومة عموم فلسطين وسلوا موسى العلمي ، سلوا روح سامي طه ، وسلوا شباب النجادة» هل كل هؤلاء «يهود... صهيونيون ... خوارج ... أئمة ... يجوز قتلهم وسفك دمائهم .»

٣. من اجرى في بلادكم انهر الدماء ، وازهق ارواح الابرياء . . . استحضروا ارواح رجالكم الابرار ... من ازهقها ... من قتلها ، ومن اباح للقاتل القتل ... من اجاز للذئب افتراس حملان القطيع . استحضروا ارواح هاشم عمر ، ورشدي موسى ، والشيخ عبد الحافظ حمور من قبور الخليل !

استحضروا ارواح المشايخ : اسماعيل الخطيب ، وسعيد الخطيب ، والدنف ، والمحامى حسن صدقي من قبور القدس! استحضروا ارواح انور الشقيرى، ورافع الفاهوم وذويه ، والمصرى ، وكوش . وغيرهم من المخاتير والوجوه والاعيان والعمال والتجار والفلاحين، التى تطالب بالثأر والانصاف والعدل... او بعد كل هذا تقولون كيف قتلت الحرية وكيف استكان الشعب، وكيف ضاعت البلاد.. سلوا الزعيم من قتل هؤلاء وما ذنبهم ومن اجاز له ولذويه سلب ارواحهم .

٤. سلوا الزعيم اين اموال الهند والسند، اين اموال السعوديين والمصريين والسوريين ، اين اموال العرب فى فلسطين والمهجر ، اين التبرعات والهبات... اين ما اخذه باسم الجهاد والجاهدين من النازيين والمستعمرين ، ومن اين له هذه النفقات الباهظة ، ومن اين يعيش جمعه وربعه فى سياراتهم وقصورهم فى حلهم وترحالهم «اين المحاسب والرقيب والمدقق والمحقق لهذه الاموال» سلوه ما صنعه اسحق درويش ، ومنيف ، وتوفيق ، والبديرى ، والغورى ، وعلي ، والتيمي ، والعبزراوى ، والفرخ ، وعوده ، وزايد ، والالوف المؤلفة من الاتباع والصناع .

٥. سلوا الزعيم لماذا اشعل نار الفتنة فى فلسطين ، ولماذا اضراب الايام الثلاثة «واين الاسلحة والعتاد» والجيوش والحصون والقلاع ، والاسعافات والمواصلات ، والقادة المدربون والمنظمون، اين وسائل الحرب والدفاع، ولماذا الحرب ونحن على غير استعداد له. لماذا هذا الاستهتار بالعدو والقريب ، أكان ذلك خطأ وغروراً، وهل الخطأ والغرور الا سقطات الزعماء والقادة، او ليست الفتنة تعود على رؤوس مثيريها والنقمة على هام مسببيها ، فلماذا يحل بنا الخراب والتشرد وهم جميعهم فى منجاة من كل ما قاسينا ونقاسى .

لقد سمعتم الشرائع السماوية تقول «بعرق جبينك تأكل خبزك» فلماذا يأكل الحاكم خبزه معجوناً بدمائكم ومخبوزاً بحرارة قلوبكم ؟ العالم ثار على هتلر وعدّوه مجرم حرب ، ولكن هتلر شعر بالخطيئة وعلم انه سر المصيبة التي دمرت الالمان وقوّضت حضارتهم وهارت مجدهم ، فانتحر خجلا من التاريخ وخشية العقاب ... ولكن زعيمكم ما زال يحزّ في رقابكم ، وكأنه لم يكتف بذبحكم فاعمل سكاكينه في تقطيع اوصالكم وسلخ جلودكم .

ما الذي يحملكم ايها الرفاق على قبول هذا الظلم ، وبقاء هذا الطاغية يحيا وصحبه على اشلاء قتلاكم وآثار دمائكم ؟ وما الذي يحملكم على هذا الخنوع والرضوخ للذّل والهوان ، ويبقيكم ساجدين امام اصنامكم ، وما اللات والعزة الا حجارة لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً . لماذا تقيمون للظالم وزناً ، وللجاني حساباً ؟ اما زلتم غارقين في بحر ظلماتكم ، تائهين في بوادي جهلكم ، رازحين تحت اغلال عبوديتكم ؟ اجنحوا الى شاطىء السلامة وحطموا قيودكم ، وانظروا الى المجرمين يلغون من دمائكم ، واللصوص يدخلون الى بيوتكم ، والمشعوذين الدجالين يضللون سبيلكم ، والمتدينين المؤمنين يكفرون بآيات الكتاب وسنة النبي ... اصغوا لآياتكم ، تسمعوها ولا تفهموها ، تأملوها واعيدوا تلاوتها ... «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق» ، «ولا تأكلوا مال اليتيم وابن السبيل والمسكين» ، «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ، «العزّة لله ولرسوله والمؤمنين» «انما المؤمنون اخوة» ، او بعد هذا تخافون الحق وتخشون الباطل ؟

هذا هو الزعيم الذي تحنى له الرقاب ، هذا هو المفتي الذي يأكل لحومكم ويشرب دماءكم ايها الفقراء ، هذا هو الامين الذي سرق اموالكم واستباح اعراضكم) هذا هو السياسي الذي ضلّ سبيلكم واغرق سفينتكم ، هذا هو الحاكم

العادل الذى حكم عليّ بالموت ! هذا هو العاتية الجبار الذى استساغ لحم البشر واستمرأ دماء العباد ! هذا الذى اداننى وقضى عليّ بالموت ليحيا فوق رقاب الشعب !

لهذا ثرت ، وستبقى ثورتى الى ان يحطم الهيكل ، وتقوض قوائم العروش المرفوعة على الجماجم والعظام ، وتمزق ستائر الحمل وارائك الحرير ، ويطهر الهيكل بالدم والنار ، فما الله بغافل عما يفعل الظالمون!

بخيفة الله تعبدتنا وانت عين الظالم اللاهى
تأمرنا بالزهد فى هذه الد نيا ، وما همك الا هى !

حملات وخطابات ومحادثات في مصر

شعرت ان الجو مسمم فى مصر ، وان الاوضاع مغلوطة ، وان الجهالة لقضيتنا مطبقة ، عامة لكافة المواطنين ، وان اختلفوا فى الكثير من مرافق حياتهم ، فهم فى فهمنا على وفاق فى اخطائهم ، ولم تقتصر جهالتهم على وضع فلسطين فحسب بل العالم العربى ايضاً ، وكما كنا نجهل مصر ونظنها منبع النطنة ، والعلم ، والدين ، والثقافة ، والوطنية ، والشعور بالعروبة ، كذلك كانت مصر ومن فيها تظن ان زعامتنا منزهة عن الاخطاء ، قوية ، حية ، يقظة ، عاملة ، منظمة ، ساهرة ، جادة ، قادرة على ما تدعيه ، مالكة لناصية القوم ، عالمة بعصبية البلاد ، دارسة لشؤون الصهيونية ، لا تنطق عن هوى ولا ادعاء ، ولا

رجما فى الغيب . وان السبب الاساسى فى الجهل ، الزعامة الفلسطينية الضالة المضللة . ولم تكن حقيقة المفتي معروفة للمصريين ، بل كانوا يستقون معلوماتهم من الصحف والمجلات ، وكان المفتي اشترى معظمها لا لشرح قضية البلاد ، بل للدعاية لشخصه الكريم ، وجهاده وامانته وصدقه وتضحيته .

اذاً لا بدّ من شرح الوقائع واظهار الحقائق ، خدمة لامتى واشفاقاً عليها . وحرصاً على مصر من هذا الضلال المبين . فاخذت اطرق ابواب النوادى والمجتمعات ، ودور الصحف والمجلات ، ومجالس النواب والشيوخ ، والفنادق الكبرى نزل السادة والقادة فى العالم العربى ، ودار الامانة العامة للجامعة العربية . ساعدنى على ذلك معرفتى السابقة لمصر ورجالاتها ورجالات العالم العربى الذين يترددون عليها وساعدنى وشدّ ازرى وجود زمرة من النواب واعضاء مجلس الشيوخ من اقاربى ، لا يستهان بها فى الوسط المصرى ولدى المقامات السياسية والهيئات الرسمية ، من رجال العرب فى صعيد مصر المعروفين بالهوّارة ، فقد مهدوا لى السبيل بعد ان وقفوا على حقيقة ما جرى بينى وبين المفتى . وثاروا لثورتى ، وذهب وفد منهم مؤلف من خمسة عشر شيخاً ونائباً للمفتى وطلبوا اليه ان يوقف حملاته المنكرة عليّ ، وان لا ينسى انهم لا يقفون مكتوفى الايدى عند ايّ عدوان او اجرام .

وكنت فى مصر اقف يومياً على ما يجرى فى مختلف انحاء فلسطين بصورة عامة ، وفى يافا بصورة خاصة ، وذلك من كثرة الوافدين يومياً الى مصر فى سيارات الشركة العربية وفى القطار . وعدا ذلك كنت اتصل واخوانى اكثر الليالى تلفونياً مع القدس وحيفا وغزة والناصرة .

زرت دار الاخوان المسلمين ، وللاخوان المسلمين عدة دور فى القاهرة ،

ولهم مركز رئيسى وهو مقر للرحوم زعيمهم حسن البنا . وكان المرحوم من كبار اصدقاء المفتى ومؤيديه . وممن ساهم بقسط وافر بالقتال فى فلسطين برجال جمعيته واموالها . وللاخوان المسلمين اثر كبير فى الاوساط المصرية ، ومعظم اتباعهم من الفلاحين فى الصعيد والعمال فى المدن ولهم مراكز عدة فى البلاد . وفيهم الخطباء المفوهون امثال سعيد رمضان ، والساعاتى ، وعابدين ، وغيرهم كثيرون . والاخوان المسلمون اكثر الناس تعصباً وحماساً وعملا فى سبيل الاسلام والمسلمين عامة وفلسطين خاصة ، وجمعيتهم غنية ثرية ، واعضاؤهم يتقدمون للتبرع بسخاء وكرم لكافة مشاريعهم واعمالهم ، ولهم عدة ورش ومعامل ، ولديهم معدات حربية ومفرقعات كثيرة جمعوها فى مناسبات عدة علناً وسراً ، وهم يهدفون الى الحكم الدينى فى البلاد وتبديل السياسة والسيطرة على مرافق الدولة . وهم اكبر كتلة واشد قوم فى مصر ، لا يضاهيهم فى نفوذهم الا الوفديون ، والفارق بينهما ان الوفديين اقل تكتلا ، وتكتلهم سياسى محض ، وفيهم من رجال الاقطاع واصحاب العزب والاطيان ، بينما الاخوان المسلمون اكثر تنظيما وارتباطا ، وجل اعتمادهم على الطبقة العاملة من الناس ، يقودونها بالسحر الدينى والسيطرة الروحانية .

المرحوم الشيخ حسن البنا ، شخصية ذكية ، قوية ، عالمة ، الا انه يميل الى السيطرة والظهور ، والشدة والعنف . شرعت فى الحديث بحضور الشيخ المرحوم ولجنة من رجاله واعدت على مسامعه ما ذكرته على ابواب الهيكل . وكشفت النقاب عن اعمال المفتى وزبانيته ، واوقفتهم على حقيقة الحال فى فلسطين . وهناك انهالت علي الاسئلة كأنى امام هيئة ممتحنة ، ولكننى والحمد لله خرجت متفوقاً موفقاً ، الى درجة قال الشيخ المرحوم : «هل اطلعت عزام

على هذه الحقائق ... وهل زودّت الرأى العام بما تعلم ... عليك بذلك ، وهذا واجب ، اياك ان يشغلك شاغل عنه ».

حضرت مذكرة طويلة تقع فى خمسين صفحة ، حاوية منظمة . على عدة نسخ ، ارسلتها للجامعة العربية ، وللوزارة المصرية ، وللديوان الملكى ، وللاخوان المسلمين ، والشبان المسلمين ، وبعض الصحف المصرية . وما كادت تبلغ الزعامة العامة لفلسطين الا وجن جنونهم .

زرت الجامعه العربية والتقيت بعزام باشا ، شرحت له واقع الحال واوقفته بصورة خاصة على ما اتفق لى بيافا ، وما تقاسيه هذه المدينة من شرّ الفتنة . اخبرته عن ضعفنا الداخلى ، وفوضانا ، ورعونة اطراف الزعيم وحواشيه ، ونشاط جمال واميل الغورى ورفيق التميمي والاتباع والاذناب ، لاشعال النار فى فلسطين ، سردت له طائفة من اعمال الزعامة فى الماضى ، وكيف انهم قتلوا المؤسسات القومية ، وروح الشباب واخمدوا انفاس الامة وربوها على الجهل والخنوع ، بعسفهم وبطشهم ، واغتيالهم وغدرهم . اوقفته على حقيقة ما فى البلاد من سلاح وعتاد ، وقلت له وقعت الفتنة ولم يكن فى يافا العظيمة المحاطة بنيران اليهود الا سبع بنادق . اخبرته ان كل الاسلحة التى اشتراها المفتى وقدمها للبلاد كانت لا تصلح للاستعمال لقدمها وتلفها ، وذخائرها اكلها الصدأ وأطفأتها الرطوبة . قصصت عليه مهزلة تأسيس اللجان القومية ، كيف ان لجنة غزة شكلت من اربعة وخمسين عضوا ، ارضاء للعائلات والحمائل . وفى يافا عينت تعيينا من قبل الشيخ ابو السعود ورفيق التميمي . وفى حيفا أمليت املاء من قبل سرور ودلول وعوده وشبلاق ، رجال الامه وابطالها ايام السلم والثورات على ابناء جلدتهم فقط ، وكيف فرضت فرضا فى القدس من قبل اعضاء الحزب العربى ،

وكيف سكّجت تسكيجاً فى الناصرة مراضاة للطوائف وابناء الحارات. وان هذه اللجان هى ذات الصلاحيات الواسعة المدنية والحربية، من تاريخ اعلان الحرب وقبل انتهاء الانتداب. واظهرت له قوة اليهود وتنظيمهم واخلاصهم وفهمهم وصدق زعمائهم، ومتانة حصونهم وخطوط دفاعهم، وحسن تدريبهم وحداثة اسلحتهم، وانهم يفوقوننا بكثير فى متانة الاخلاق وصدق الزعماء. واظهرت له وجه الخطأ فى البدء بالعدوان، وحدثته كيف اتفقت مع اليهود لا يقاف النار، وان فى ذلك مصلحتنا وديارنا. والافضل لنا ان ننتظر حتى انتهاء الانتداب فيبقى التقسيم مفتقراً للتعاون لتنفيذه، ومهما بلغ التعاون فيتعذر التنفيذ لاستحالته ولاشتباك المصالح بين الاراضى اليهودية والعربية، فيضطر الطرفان الى الاتفاق .... والخلاصة حذرته من اعمال المفتي، وانقياد العرب لسياسته وفتنته. وطلب مني بدوره ان ازوده بين حين وآخر بكل ما لدي من معلومات عن البلاد والمفتي واعوانه. وتعاقبت الزيارات مرارا عدة فى البيت والجامعة، الى ان فهمت ان عزام يشد ازر المفتي، ولو كان شخصيا قانعا بان المفتي ليس على حق فيما يعمل. وبعد ايام فهمت السر، قبل استقالة كلايتون بقليل.

ابتدأت بنشر مقالات مطولة فى الصحف المصرية، فى (السوادى) و(المصرى) و(النداء)، وبعض المجلات الاخرى. وكانت اهمها سلسلة السوادى التى كانت تصدر فى القاهرة كل يوم جمعة، تحت عنوان: «اسرار الميادين ومفتي فلسطين» بقلم قائد النجادة العام الهوارى. وكانت تعنون بالخطوط الحمراء وتتناقلها الصحف والايدى والالسن، وكم كتبت فى الصحف المصرية عن اللاجئين، والعرب، والحرب، والسلم، والهدنة. ولكن اجمل ما كتبت

هو عن المفتى ، وجيش الانقاذ وجيوشنا فى فلسطين .

قابلت المرحوم النقراشى رئيس الدولة ، وعبد الرحمن بك عمار وكيل وزارة الداخلية ، ودسوقي اباظه باشا وزير المواصلات اذ ذاك ، وعبد الحميد سعيد بك وزير التموين ، وهيكل باشا رئيس مجلس الشيوخ ، وعبد المجيد صالح باشا وزير الزراعة والرى ، ومحمد علوبة باشا رئيس الاتحاد العربى ، والوزير المفوض فى الباكستان صديق المفتى الحميم ، وصالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين ، وفؤاد باشا حافظ رئيس قلم المخابرات الحربية ، وغيرهم الكثيرين من الباشوات والبكوات ، من رجالات مصر ، و كلهم اطلعتهم على مواضع الضعف من نفوسنا وقوانا وزعامتنا ، والعاب الانكليز ومكرهم .

وقابلت الوفود العربية للجامعة : وفد سوريا والعراق والسعوديين واللبنانيين والاردنيين ورجالات جيش الانقاذ ، وجميع الوافدين الى مصر ، وكانت مصر فى ذلك الوقت كعبة الحجاج والقاصدين للشؤون السياسية والحربية .

وهكذا حدثت وحذرت وانذرت من تضليل الزعماء وحلول الكارثة .

المفتي يقاوم القاوقجي

كانت للعرب اجتماعات جمة بخصوص قضية فلسطين ، منهـا : بلودان ، وصوفر ، وعاليه ، وعمان ، والقاهرة ، وانشاص ، والاسكندرية . وكانت كلها تاريخية تجلى فيها الكرم الحاتمي ، ليس فى الطبيخ والنفيخ فحسب ، بـل فى الجعجعة والبعبعة ، فتلك شنشنة نعرفها من اخزم .

وكان اجتماع صوفر سنة ١٩٤٧ ، من الاجتماعات الهامة ، تقرر فيه اتخاذ الاجراءات العامة لنجدة فلسطين بالقوة والمال وتشكيل جيش ، لانقاذها ، وان دعت الضرورة اسناده بالجيوش العربية لانهاء اى مقاومـة يتعرض لها فى بضع ساعات ، وكان يمثل الزعامة الفلسطينية اميـل الغورى ، وفى هذه الجلسة اقترح ايجاد قوة فلسطينية تدرّب وتتمرّن فى بلاد العرب وتأتى لفلسطين تحت قيادة قادة من العالم العربى ... وفى هذه الجلسة نطقت الزعامة فتكلم الغورى معارضا : «تدريب ... استعداد ... عالم عربى ... قواد من الخارج ...!! نحن لسنا بحاجة لكل هذا ولا لأى شيء من هذا ، امدّونا بالمال والسلاح وهذا كل ما نريد» . ولما جاء ذكر فوزى القاوقجي كقائد للجهاد ، اعترضت الهيئة العربية بكل شدّة ، فاقترح طه باشا الهاشمي ، او غيره من رجالات العرب ... فكان جواب الزعامة : لا ... لدينا القواد والاسياد ... ولن تنقاد جموعنا الا للمرحوم عبد القادر الحسيني وصحبـه . ونزولا على ارادة المفتى اقصي القاوقجي ، وترك للهيئة العربية العليا ان توفد الشباب للتدريب فى قطنة من بلاد الشام ، دفعت

الاموال لصاحب السماحة ليشتري السلاح اللازم ليدخره في البلاد استعداداً للمعركة .

اما التدريب والرجال فوكل امرهم للاعوان : عمر التميمي ، ومحمد سليم ابو لبن ، وكامل عريقات ، وفيصل النابلسي ، وعبد الرؤوف الفارس ، ومحمد الريس ، وسعيد عزيز . اخذوا النفقات الكبيرة باسم هؤلاء ، وغرروا ببعض الشباب وساقوهم بادىء الامر الى لبنان حيث يقابلهم المفتي ويشد عزائمهم ، وبعدها يأخذهم مأمور السوقيات — وكان لفترة من الزمن احد قواد النجادة — المسؤول ، وبعد ان يقضي هؤلاء الشباب ليلتين في فندق الرياض في عاليه ، يؤخذون حيث يسلمون الى الشام ويساقون الى قطنة . وكثيراً ما شكى اليّ الكثيرون سوء المعاملة وقلة الغذاء والحالة الصحية والكساء والغطاء ومحلات النوم . الامر الذى اضطر الكثيرين للهرب والرجوع الى فلسطين ، ورأيت هؤلاء الشباب يتسولون في شوارع دمشق ليتمكنوا من جمع اجرة الطريق . ولا انكر ان هذه المدرسة تقدمت فيما بعد باشراف سوريا ، يوم اختير لها ثلاثة معلمين ، احدهم من القدس ، وهو فنيّ لاعمال التخريب والتدمير والهجوم والانسحاب ، وثانيهم من حيفا وهو من ضباط الكومندو في الجيش البريطاني تمرن في ساحات القتال في طرابلس وبرقة من شمال افريقيا ، وثالثهم من قرية الرينة قضاء الناصرة وهو من ضباط سوريا المبرزين ، وهؤلاء خرجوا ستين ضابطاً من ابناء فلسطين ، ومعظمهم من ذوى الاخلاق والبسالة ، الا انه صادف خروجهم من المدرسة نهاية المقاومة الثانية من دور جيش الانقاذ في فلسطين ، فقسم منهم سرّح وقسم منهم وظف في سوريا حيث ما زال حتى اليوم .

وعلى أثر هذه المشادة بين المفتي والقاوقجي ، وعلى أثر قرار المفتي في

وجوب تشتيت شمل النجادة واقصائها ، وفى ذات يوم اثناء زيارة فريق منتخب من النجادة الى سوريا بمناسبة عيد استقلالها سنة ١٩٤٧، اجتمع القاوقجي بهؤلاء واخذ يتقرب منهم ورافقهم الى نوادى دمشق وزاروه وحدثوه وحدثهم ، واخذ لنفسه عدة صور بين جموعهم ، ووعد ان يعمل بين صفوفهم فى المستقبل القريب. وحملهم الي ولاخوانى من مجلس النجادة الاعلى التحيات الطيبات ، ثم عقبها زيارة مندوبى القاوقجي الي وعناية سوريا بشأن النجادة . فجاءنى العظم والعريسي ، وتحدثا معي وطلبا الي زيارة دمشق والاجتماع بالقاوقجي . زرت دمشق فى شهر نيسان سنة ١٩٤٧ ، وزرت القاوقجي ، فأهل وسهل واجتمع بي اجتماعين طويلين اختلينا وتحدثنا طويلا عن البلاد واحوالها . وشكى الي المفتى واتهمه انه فى اوروبا كاد يقضي عليه بدسيسة قدمها لهتلر وهملر ، اتهمه فيها انه جاسوس بريطانى ، ولفق شهادة لاحد العرب اسمه بدر الدين وارفقها مع خطاب الى هتلر وهملر ، وارانى صورة زينكوغرافيـة للشهادة المذكورة ثم قال : يدعى المفتى انه لا يجوز اشراكي فى الحملة الفلسطينية لانى اشرب الخمر واتابع النساء ، فانا لا اريد ان آتى لفلسطين لازاحمه على كرسى الافتاء ولا لأكون بطركا فيها ، بل لألبي صوت الجهاد ، واشد ازر الرجال، فما له ولتصرفاتى الشخصية. وسألنى القاوقجي عن رجال المفتى وتنظيماته وقوته فى البلاد ، فقلت : «ان كل ما تراه وتسمعه هو تهويش وتهريج ، والبلاد لا أثر للنظام فيها ، وكل ما تراه من مظاهر القوة هى بعينها مظاهر الضعف والانحلال» .

تركت القاوقجي ، وبعد ساعة من فراقه احاطنى رجال المفتى فى مقهى العباسية فى الشام ، وكانوا قد اخذوا خبرا بقدومى واحاطونى بعيونهم وعرفوا انى زرت القاوقجي، فشددوا علي ان اقلع عن هذه الزيارة واقطع ذاك الاتصال،

واخذوا يتهمون القاوقجي بما هبّ ودبّ من ابشع التهم واشنعها ، واصرّ على المرحوم عبد القادر الحسيني ان ارافقه الى لبنان ، وبصورة خاصة الح على المرحوم ابو عاطف ، وهكذا ذهبنا ثلاثتنا الى لبنان تحت جنح الليل .

فى لبنان زرت المفتى ، وعلم بزيارتى للقاوقجي ، وسألنى فقلت : «هذا صحيح» ، فاخذ يشرح لى من هو القاوقجي ، وخلاصة اقواله ، «انه جاسوس انكليزى ، وعامل صهيونى ، عدا اخلاقه الشخصية من سكر وتهتك ، وانه لا يصلح لقيادة الحملة فى فلسطين ، وان رجل الميدان الصحيح هو عبد القادر الحسينى ، يجب ان اعمل تحت قيادته ، وبزعامته فقط يجب ان يسير الشباب» .

وهكذا جرت الترتيبات العامة فى بادىء الامر ، واعلن ان المرحوم عبد القادر هو القائد العام للثورة ، وان هنالك قواداً للمناطق : الشيخ حسن سلامة لمنطقة اللد ، وتوفيق الابراهيم (ابو ابراهيم الصغير) لمنطقة الجليل ، وكامل عريقات ، لمنطقة القدس ، ودون هؤلاء عدد من صغار القادة واتباع الحاشية .

وشرع فى جمع الاسلحة ، وموردها الرئيسى مصر والصحراء الغربية ، ومن هنالك اشتروا كميات من بقايا الحرب الاخيرة كان يجمعها فى بادىء الامر المرحوم عبد القادر الحسينى ، وارسل قسم منها حيث حفظ فى صيدا تحت اشراف ابى ابراهيم الصغير ، وقسم الى سوريا تحت اشراف عمر التميمي ، وقسم الى القدس تحت اشراف اللفتاوى الريماوى . وشرع فى تعبئة الصفوف ، وذلك ان جاء القادة واعوانهم ، وكل منهم قدم قائمة باسماء رجاله يعدهم بالمئات ، يطلب لهم الاسلحة والاموال للتجهيز ، والغريب فى امر هذه القوائم ان الكثير من اسمائها خيالية لا حقيقة له . وهكذا كان الواحد منهم يأخذ اربعة جنيهات راتباً شهرياً للجندى الواحد ، وكان عدد الجنود لا يذكر بالنسبة للقوائم ،

والدراهم التى توزع اليهم نصف المخصصات او دون ذلك ، وكانت توزع شهرا وتؤكل شهوراً .

ان القاوقجي ما كاد ينزل فلسطين حتى اصدرت القيادة العامة بياناً للناس تقول فيه: «كل من تعاون مع الغرباء فهو خارج ، يجب طردهم وابعادهم». عندها جن القاوقجي ، فقدم اسماعيل صفوت مفتش جيش الانقاذ الاحتجاجات للجامعة العربية على ذلك .

واصبح القاوقجي بعد ان نال تأييد الجامعة العربية مدعوما بعدد من الرجال يشدون ازره ويحولون دون هجمات المفتى ، امثال طه باشا الهاشمي ، ومحمود الهندى ، وصبحى الخضرا ، واسماعيل صفوت ، وهم اركان جيش الانقاذ المختار من قبل الجامعة العربية .

وهكذا حققت الايام ما ذهب اليه القاوقجي من فوضى المفتى ، وصحة ما ذهب اليه المفتى من اتهام القاوقجي .

اما نحن فبقينا وثبتنا «لا مع ستي بخير ، ولا مع سيدى بخير» وحرمت من مؤآزرة الجامعة العربية خشية غضب المفتى ، ومن مؤآزرة القاوقجي لغرض فى نفسه .

قوة الروح



وكان حقا علينا نصر المؤمنين

« وحق علينا نصرة المؤمنين » هذه هي الروح التي اخرجت العرب من بطن الصحراء ، فدحروا الاكاسرة ودوخوا القياصرة وجابوا العالم شرقاً وغرباً .

انا لست من القائلين ان السلاح هو كل شيء في المعركة ، حتى اقول : «لا يفل الحديد الا الحديد» ، ولو كان ميسوراً موفوراً لدى العرب لتغيير وجه التاريخ ، ولما تشتت قوم وارتدت جيوش وقامت اسرائيل .

فالاهم من التعبئة الحديدية ، هي التعبئة الروحية ، والاخيرة كانت مفقودة في هذه المعركة عند العرب ، رغم وجودها فيهم ولقد كانت القوى العربية التي برزت للقتال على مسرح فلسطين ثلاثة :—

اولها قوى المفتي وكانت روحها مهزومة خائرة فوضوية كاذبة ، يستثنى من ذلك بعض الافراد ، اما الجموع وهي الاساس ، فلقد صدق سيدنا عمر اذ قال : «اذا تداعت اخلاق امة فبشرها بالهلاك». فهناك ابطال الاضطرابات ، ورجال الاغتيالات كل منهم قائد ، وكل منهم مرشد ، وكل منهم مستقل ، وكل منهم جيش برجاله واعوانه . وهناك العائلات ، قامت لحماية نفسها من شر الاعتداءات قد تنالها كما جرى في اضطرابات سنة ٣٦ — ٣٨ ، فشكلت لها قوى خاصة بها للدفاع والهجوم اذ اقتضى الامر . وهناك السماسرة وباعة الاراضي ، حرصاً على انفسهم تقدموا للميدان بحماس منقطع النظير . وهنالك اللجان القومية المتعددة ، فضلا عن انقسامها على بعضها في الداخل ، فكانت كل لجنة مستقلة ضمن بلدها ، عن اللجان الاخرى ، ويكاد الاتصال بينها يكون معدوما ، اما التعاون فمفقود . وهناك القيادات الرئيسية المختلفة في فلسطين : قيادة القدس واللد والجليل ، وكلها تتلقى اوامرها مباشرة من الهيئة العليا ، او الاصح من صاحب السماحة . اما في القتال فلم يكن هنالك قائد عام يدير المعركة مباشرة ، وان كان عين المرحوم عبد القادر الحسيني ليملأ هذا الفراغ ، الا ان الفراغ في الواقع بقي شاغراً ، وعبثاً حاول المرحوم ان يتسلم زمام السلطة ، نظراً للفوضى

والارتجال ، وضيق المجال ، وعدم قدرته على تذليل هذه المصاعب ، الى ان مات منتحراً فى معركة القسطل ، فخلفه خالد الحسينى ، ولم يكن لدى هذا من اسباب القيادة والزعامة الا انه حسينى ، وبقى محافظاً على هذه القيادة الموهومة ، بينما كان يقضى اوقاته فى لعب الورق بين جدران القدس القديمة .

اما الزعامة والقيادة العليا فكانت بعيدة عن الميدان ، تقود غيابياً ، وتشير وهى من العاصفة فى منجاة ، بينما الزعامة اليهودية كانت تقضى تحت القنابل وتشارك الشعب الآلام ، وحق عليّ ان لا اهضم الناس حقوقهم ، فهنالك قرى وقفت موقف البطولة ، رغم عدم استعدادها ونقص دفاعها والظروف المحيطة بها وهى :ـ سلمة ، بيت صفافا ، طيرة حيفا ، طيرة بني صعب ، ولوبية . وهناك رجال دخلوا المعركة بصدق ونبل وهم :ـ ابراهيم ابو ديّه ، محمود سليم الصالح (ابو عاطف) ، عبد القادر الحسينى ، نمر محمد ابو النعاج ، موسى ابو حاشية ، وعبد الحليم الجولانى . وان كان فيهم اى عيب فهو انهم كانوا عميالا يعرفون ان المفتى قادهم الى الانتحار .

اما جيش الانقاذ ، فجاءت تعبئته آية فى الحروب العصرية والتعبئة الروحية ، قوم اخلاط شذاذ آفاق ، اجتمعوا من العراق وسوريا والاردن وفلسطين ولبنان ومصر ، ومعظمهم من المتشردين والمجرمين والمنبوذين والحثالات فى العالم العربى . اللهم الا بعض الذين زجّوا فى هذا الجيش ظلماً وعدوانا ، ساقهم العاطفة ودفعهم الاخلاص ، وحزهم الايمان ، فاندفعوا مع التيار . اما الروح المعنوية الاجمالية التى كانت تتمثل فى جموع هذا الجيش ، فهى روح النهب والسلب والاعتداء والجهالة والهزيمة .

اما الجيوش العربية المباركة ، فاولها الجيش المصرى : ضباط اجمالا

يحملون روحاً تختلف عن روح الجنود . فبينما ترى الضباط اقوياء اشداء صابرين على القتال مؤمنين بجنديتهم ، ترى الجنود على عكسهم ، روح انحلال وضعف وقلة ايمان . لقد فتت فى ساعد هذا الجيش الطبقية الموجودة فيه ، فالجندى كأنه العبد الذليل ، والخادم الكسير ، امام ضابطه ورؤسائه ، والضباط كأنهم فراعنة على الجنود . وعلى العموم لم يكن هذا الجيش يحمل رسالة لادائها ، ولا هدف له من القتال ولا دافع يحمله عليه ، فهو لا يعرف فلسطين ولا اهلها ، ولا يهمه امرها . وكل ما يعرفه انه امر للقتال وسيق للميدان نزولا على اوامر جلالة الملك .

ولكن فى الجيش المصرى ، دخل فريق من الجيش السعودى ، وروحه المعنوية اعلى الجيوش العربية . اقل ما فى الامر انه يعرف انها قبلة الاسلام ، وانى بحافز دينى للذود عن حياضها . ولكنه كان قليل العدد مسلوب الارادة والقيادة ، ولم يكن له اثر فى الميدان يذكر اللهم الا أستبساله فى الدفاع فى معركة بيت حنون .

والجيش الاردنى رغم دربته ، وقوته ، ونباهة افراده ، وجرأة رجاله ، كان كالجيش السعودى مسلوب الارادة ، فاقد القيادة ، كالقاصر امره بيد وصيه ، وكالولد يأتمر بامر ابيه ، ومن ابوه ومربيه ، هو الميجور كلوب وضابطه لاش . فمثل الجيوش العليا كانت ، اطاعة الاوامر والامتثال لارادة الانكليز ، لاجلها دخل المعركه ، وبامر منها كان ينسحب من ميدان تلو ميدان ، حتى استقر وراء خطوط التقسيم فى الجزء المنوى ضمه الى شرق الاردن .

اما الجيش السورى ، ففيه افراد روح العروبة خامرة فى رؤوسهم ، وقوة التضحية بادية فى اعمالهم . اما الباقون منهم فكانوا مرتزقة ، وكان الجيش

بالاجمال يقاد بالعاطفة لا بالعقل ، وهو الجيش الوحيـد الذى كان بعض افراده يحملون عقيدة تختلف عن عقيدة رجالات سوريا ، اذ كانت عقيـدة الرؤساء دخول الحرب فى فلسطين خشية ضم الجزء العربي منها الى الاردن ، وبالتالى لمقاومة الصهيونية فيها . اما الجيش نفسه فكانت اهدافه الاولى محاربة الصهيونية وانقاذ فلسطين ، وبالتالى تخليصها من ايدى الاردن باعتبارها جزءا من سوريا .

اما الجيش العراقي ، فقد خيَّـب آمال العرب ، وهدّ عزائمهم ، كان فيـه بعض الضباط والقادة الذين اشبعت روحهم بالاستبسال والقتال ، جاءوا بقصد النجدة والدفاع عن ديارهم وعروبتهم واسلامهم ، وكانوا يودون خوض المعركة بقلوب ملؤها الايمان والتضحية ، الا أنهم اقصوا وحيل دونهم وما يصبون اليه ، فقسم منهم اعتقـل ، وقسم سجن فى الزرقاء ، وقسم اعيد للعراق ، لمخالفته الاوامر ، ارادة الوصي على عرش العراق التى كانت تبعدهم عن المعركة ، لاسباب عدة لا تنطلى على عاقـل ، الا انه الاستعمار هكذا يريد . اما الجيش فى مجموعه فخانع ذليل منقاد ، لا روح ولا عقيدة ولا ايمان ، همهم السكر والميسر ومطاردة الغلمان .

ولبنان ، ما ادراك ما لبنان ، جيش الجانتلمان او الظرفاء ، همـه فى هذه المعركة أن يقال عنه انه اشترك فى القتـال . اما عقيدته فلبنان للبنانيين ، اما العروبة والاسلام ومهد المسيح والصهيونية والنجدة والاخوة والعدوان والتوسع والفتوح ، والى ما هنالك من الاهداف العسكرية المعنوية ، الحافزة لـلامم والجيوش ، فلم يكن ليفكر فيها وهكذا اعلن الحرب ، وعوض الدخول فى ميدان الاعداء ، دخل الاعداء بلاده سالمين .

وبقيّة الفلول الزاحفة من الاقطار العربية بالجملة والمفرق ، فجاء من مصر

الاخوان المسلمون ، وهم اكثر المحاربين عقيدة وايمانا ، وهدفهم انقاذ الديار الاسلامية من طغيان اليهود . وقد ابلوا بلاء حسنا فى كل موقع وطأته اقدامهم ، فى الجبهة المصرية وفى معركة القدس . اما فزيع شرق الاردن فكان الدافع له للقتال ، الاسلاب والغنائم .

هذه هى الروح المعنوية فى الجيوش العربية الغازية الفاتحة ، وللروح المعنوية المعركة ، لا للكثرة ولا للعدد والعدة . ذاك تاريخ العرب المفعم بالحوادث على قوة الايمان ... ذلك هو خالد بن الوليد يوم وطىء اراضى الشام بجيوشه ، فقابل جموع الروم فى معركة اليرموك ، وقبل ان يشرف على المعركة سمع قائلا يقول : «ما اكثر الروم وما اقل العرب» فانتفض خالد اسدا وقال : «بل قل ما اكثر العرب وما اقل الروم» فان الجيش يكثر بالنصر ويقل بالخذلان . او لم يقل الله عزّ وجل «وحق علينا نصرة المؤمنين» . وذاك هو عمرو بن العاص ، دخل حصنا من حصون الروم يتفقد جموعهم قبل الفتح ، ولما عاد سأله القائد الاعلى ابو عبيدة الجراح : «كم عدد العدو؟» قال : «خمس مئة» . وبعون الله كرّ وكان النصر حليفه . وفى حصن آخر وجد عدد الحامية خمسة آلاف ، فطلب خمسين الفا لغزوه ، فقال ابو عبيدة : «عجبا يا عمرو ، الحصن الاول مثله بالعدد افتتحته بخمس مائة ، وما لك اليوم تطلب عشرة اضعافه ؟» فقال : «لدى هذا الحصن روح معنوية عالية مشبعة بالتضحية ومتانة الاخلاق» .

هذه الروح التى لا ترى ولا تمس ، هى العنصر الاساسى والركن الاول فى الحروب ، هى التى اخرجت العرب من بطن الصحراء ، فقوضوا عروش الاكاسرة وحطموا تيجان القياصرة . فبأى روح تنتظرون اليوم للعرب النصر يا قوم !!

اما قوة اليهود المعنوية ، فكانت على جانب عظيم من التعبئة والتضحية

والصبر والاخلاص والتعاون والتفاني فى سبيل خدمة قضيتهم وكيانهم ، ورغم الحافز الاول الذى دعاهم للهجرة الى فلسطين وبناء كيانهم ودولتهم فيها ، وهو العودة الى مجد اسرائيل وديارهم تخلصا مما قاسوه من ظلم واستعباد ، وعسف واضطهاد ، فى العالم المتمدن . وفضلا عن التربية التى تلقنوها بفضل قيادتهم الحازمة ، العاملة ، الساهرة ، الفاهمة ، الواعية ، المخلصة ، المتفانيـة ، تلك التربية التى شحنت نفوسهم بحب الموت فى سبيل الحرية والاستقلال ، تلك التربية التى خلقت منهم نساء ورجالا ، يتطلعون الى الحريـة لتخليص ارواحهم المعذبة التى كانت تتنقل من عبودية المصريين ، الى سبى بابل ، الى قساوة الفرس ، الى ظلم الروم ، الى خدمة الاغريق ، الى استبداد الجرمان ، الى اضطهاد العالم . فتحوا اعينهم فرأوا هول المصيبة والنتيجة المفجعة التى سيؤول اليها مصيرهم فيما لو كتب للعرب النصر عليهم، ودخول ديارهم، ففضلوا الموت على الابادة المحتومة والقضاء المبرم. وهكذا كانت روحهم مشحونة بالاستبسال حتى الموت ، فوقفوا وصمدوا امام المصريين فى النقب صمود الابطال ، وتجلت روحهم فى حومة الميدان ، وسجلت حصونهم ، وقراهم ، ومنازلهم ، مواقف خالدة فى تاريخهم. وهكذا وقفت : جدّين ، والزرّاعـة ، ورمات هكوفتش ، ومشهار هاعيمك ، وقريات عنفيم ، والنبى يعقوب ، و كفار عتصيون ، ونتسالبم ، وديراسنيد ، وغيرها من مواقف البطولة .

والى هذه الروح التى تمثلت فى الزعامة اليهودية يعزى النصر ، والى روح زعامتنا وقيادتنا وجيوشنا ، يعود الذل والعار .

وانما الامم الاخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وصدق شوقي اذ قال :

ولو ان ابطال الحروب تفرقوا   غلب الجبان على القنا الابطال

قوة السلاح

ان العنصر الثانى فى الحرب بعد قوة الروح ، قوة السلاح ، فكما انه لا نصر بلا روح ، كذلك لا تقوى الروح الا بالسلاح . اما العرب فالحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه لا روح ولا سلاح .

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يتق الشتم يشتم

لِمَ ذاك النقص الخطير فى السلاح فى بدء المعركة ؟ اكان ذلك بسبب الاحكام الاستعمارية الجائرة التى كانت تقضى على حامل السلاح بالموت او بالحبس المؤبد ؟ هذا ما يزعمه القادة والساسة ، وهذا ما يدعيه سماحة المفتي ! ! لكن هل هذا صحيح؟ اصحيح ان حكومة الانتداب كانت تسمح لليهود بالتسلح واقامة الحصون والقلاع ، وتمنع ذلك العرب ؟ او اى قلعة او قرية قام العرب فى تحصينها وحال الانكليز دون ذلك ؟ او لم تكن الاسلحة ميسورة كالحطب لدى العرب اثر الحرب الماضية ؟ او لم تكن جيوش الحلفاء فى فلسطين تبيع الاسلحة الثقيلة قبل الخفيفة ؟ الم يشتر اليهود الكميات الهائلة منها على مرأى من زعماء العرب ومسمع منهم؟ الم يسمعوا بالصفقات الكبيرة والشحنات العظيمة التى احضروها من اوروبا مفتوحة على مصراعيها امام كافة الشواطىء العربية؟ الم يحضروا السلاح من طبرق وبرقة؟ أوليست طبرق وبرقة بلادا عربية ؟ او هل ان السلاح لا يأتى الا بطرق التهريب ، وان كان ذلك صحيحا لماذا لا يهرب العرب، وهم ابطال التهريب فى المخدرات والحشيش والمؤن؟ كم وكم من

الاسلحة التى هربها العرب وباعوها لليهود ، لست مبالغا ان قلت ان نصف اسلحة اليهود وصلتهم من ايدى عربية فلسطينية ومصرية واردنية . لنقل الحقيقة لقد شاهدت بعينى وعرضت علي كميات وافرة من الاسلحة قبل المعركة واثناء المعركة . عرضت واصلة سالمة الى الامكنة التى اريدها ، ولكن الدراهم كانت فى ايدى الزعماء والقادة فقط . فلماذا لم يشتر صاحب السماحة ما هو بحاجة اليه ؟ وهو مصمم على خوض المعركة ، اصحيح ان اليهود اشتروا لان لديهم دراهم ؟ واين ذهبت النقود التى جمعت وانهالت من العالم العربى والاسلامى ، والسلاح كان بابخس الأثمان ؟.

لقد كانت اسلحة العرب فى فلسطين حتى سنة ١٩٣٩ ، من البنادق الالمانية والانكليزية وبعض المسدسات. وذخائرهم من بقايا الحروب ومن بعض ما يشترى من افراد الجيوش المختلفة . وبانتهاء اضطرابات سنة ٣٦ — ٣٨ فى فلسطين قلت هذه الاسلحة من ايدى الناس لكثرة تحريات الحكومه الانكليزية وتشديدها فى التفتيش وكثرة التعذيب لجمع السلاح . وهكذا تبددت الاسلحة . قسم منها بيع الى شرق الاردن ، وقسم منها اخذته الحكومة ، وبقي قسم بسيط جداً فى القرى النائية ، وما بقى كان مخبأ تحت طبقات الارض ، حفظ بصورة فردية وبطرق سقيمة عقيمة حتى اكله الصدأ وحلته الارض ، وبات بين ايدى الناس النزر القليل والنادر من السلاح .

وفى زمن الحرب اخذ فى الزيادة ، وكثر بصورة لم يسبقها مثيل ، حتى كنت تجد اسواقه تكاد تكون علنية وبائرة ، وذلك فى القرى العربية المتاخمة للمعسكرات الانكليزية مثل : بيت نبالا ، واليهودية ، والطيرة ، والبصة وهربيا ، وغزة ، وغيرها الكثير. وكثيراً ما سمعت القصص الغريبة الطريفة عن الاسترالبين

والانكليز فى بيع اسلحتهم . الا ان العرب اعرضوا وامتنعوا عن الشراء ، لا خوفاً من الحكومة ولا حرصا على القانون ، بل لانهم اعتادوا ان لا يستعدوا لمجابهة الامور الا بالحاضر المرتجل ، ولانه لم تكن هناك هيئآت واعية للاستفادة من هذه الفرص . وان اقبل العرب على شيء من هذه الاسلحة ، فلقد اشتروا بكثرة المسدسات الصغيرة التى يسهل نقلها واخفاؤها، اشتروها للدفاع الشخصي او للانتقام والاعتداء ، او لتحية الزعماء فى مهرجاناتهم. واكثر الذين حازوها للدفاع ، كانوا من العائلات التى اصيبت واغتيل ابناؤها بايدى العرب فى اضطراب سنة ٣٦ – ١٩٣٩ ، والذين اشتروها بقصد الانتقام فهم اللصوص المحترفون والمجرمون الوطنيون استعداداً للفوضى والاعتداء على الضعفاء . اما الاسلحة الثقيلة والالغام والمتفجرات والقنابل والمدافع فهي كثيرة و كثيرة جداً ، ولكن ليس من يجمعها او ينقلها او يعتنى بها او يفهم كيفية استعمالها وحفظها .

وعندما اقترب الالمان من العلمين ، دبّ الخوف فى صفوف اليهود واخذ العرب يستعدون للحرية والاستقلال . وابتدأت الرسل تعود من العراق لتمهيد السبيل لارسال الاسلحة وحفظها فى البلاد وجمعها من الاسواق . وجاء وفد العراق على اثر ثورة رشيد عالى الكيلانى . ودخل فلسطين شخصيتان فى وقتين مختلفين ، وهما اليوم من قادة الحزب الشيوعي فى البلاد . الاول جاء بحملة عراقية فلسطينية الى الرطبة وسن الذبان على حدود سوريا-العراق ، ثم دخل البلاد سراً . والثانى هبط حيفا ثم جاء وبقى يعمل بين يافا ويازور وبيت دجن مدة من الزمن ، الى ان عادا فظهرا ، وبتأييد من الحزب الشيوعي اليهودى الفلسطينى ، اسس الاول وعمل فى عصبة التحرر الوطنى على اخراج جريدة

الاتحاد ، وشرع الثانى يشتغل فى رقابة البيض فى دائرة التموين ، وبعد زمن قليل من قدومها اكتشف سر الطائرة الجرمانية التى انزلت السلاح والذهب من السماء فى بيارة محي الدين الحسينى فى اريحا . واختفى بعض الاشخاص الذين تسربوا الى داخل البلاد بعد ان افتضح امرهم ، وكانت تحمل المرحوم الشيخ حسن سلامة ، وذو الكفل ، وبعض رجال الالمان الذين بقوا فى مزرعة مدة من الزمن ، ثم عادوا جميعاً حيث استقروا متنقلين بين سوريا ولبنان .

اما اليهود فعندما شعروا بالخطر المحدق بهم ، ضاعفوا جهودهم كأنهم فى حرب ، فهبوا لبناء الحصون والقلاع واقامة الخنادق والمخابىء وخطوط الدفاع ، واخذوا فى شراء وخزن كميات هائلة من السلاح والذخائر ينقلونها من مختلف ميادين القتال . وكثيراً ما افتضح امرهم ، اثناء النقل ، واكتشفت لديهم كثير من الاسلحة فى المستعمرات والمدن والسيارات وحيازة الافراد . وتقدموا للمحاكم العسكرية غير هيابين ولا وجلين وكلهم كانوا يقولون امام المحاكم العسكرية ، ان لديهم ما يبرر وجود السلاح عندهم، لان حياتهم مهددة وفى خطر والحكومة اعجز من المحافظة عليها ويستشهدون بحوادث الاغتيالات الغادرة المتكررة عليهم ، فى مختلف الثورات التى قامت فى فلسطين .

اما العرب ، فتلك هى مواقفهم امام المحاكم العسكرية بخصوص حيازة الاسلحة ، مواقف ذلّ وعار . معظمهم من اللصوص وتجار السلاح . والغريب فى امر تجارتهم انهم كانوا عمالا لليهود لا للعرب. وكم من مرة وقف المحامون للدفاع وكانوا فى معرض تخفيف العقوبة عن المجرمين والمتهمين ، يقولون انهم لا يحملون اية نية اجرامية للاخلال بالامن العام وتهديد سلامة الدولة، وما هم الا تجار، دفعهم حب المال لهذه التجارة باغراء من اليهود الذين يتسلحون ويجمعون

للاخلال بالامن . وكثيراً ما ضبطت فى حيازتهم الالغام والمفرقعات والقنابل والاسلحة التى اتوا بها من معسكرات الجيش البريطانى لليهود. وان حفظ العرب شيئاً من المفرقعات ، فكانوا يحفظونها لاعمالهم . ولذلك كنت تجد كميات كبيرة عندهم من الديناميت كانوا يشترونها لاعمال البحر وصيد الاسماك ، ثم انتقل هؤلاء الصيادون انفسهم لنقل هذه البضاعة عينها لليهود ، لان ثمنها ومرابحها اوفر من استعمالها لصيد الاسماك .

بقى الحال على هذا المنوال ، حتى شرع اليهود فى حملتهم على حكومة الانتداب، عندما اخذت الايام تبشر برجحان كفة الحلفاء واندحار الجرمان ، فقام اليهود بجولة عنيفة على دور الحكومة ورجالها وجيشها ، وانفتحت فى البلاد جبهات داخلية ، وابتدأت عظمة التسلح والاستعداد تطل من عالى مجدها ، واخذ الانكليز يفرون امامهم كالارانب فى كل مكان .

ورغم تكرار الحوادث ، لم يعتبر العرب لانهم كانوا كقطيع من الاغنام فقد راعيه ، ولم يتجرأ صغار الرعاة لقيادة القطيع . فلم يظهر فى الميدان اى حزب يجرأ على القيادة . فسعادة «راغب بك النشاشيبى» رئيس حزب الدفاع (او المعارضين) شيخ عجوز هرم ، لا هم له الا التمتع فى هذه الدنيا قبل مغادرتها ، واكتفى بزيارة الوجهاء من رجالات الاقطاع وابناء العائلات . «وعبد اللطيف بك صلاح» عجوز خرف ، يبكى عزه الضائع ومجده الغابر ، ليس لديه الا الاتهامات والشتائم ، يحاول جمع ربعه وهو اعجز من جمع باقي اشلاء جسده . «وحسين بك الخالدى» رئيس حزب الاصلاح ، لم يحز من صفات الزعامة الا الابداع فى الكلام وحسن الانتقاد ، يحاول النهوض فيتعثر وتخور قواه ، ولم يعد طبّه ليقوى على معالجة جسده المتهدم وعزيمته الخائرة . واما المرحوم

«يعقوب بك الغصين» زعيم حزب الشباب ، فقد شاخت همته قبل جسده ، وعاد من المنفى محطم البيت والجيب والقوة ، الاّ انه لم يتنازل عن قيادته الاسمية الى ان توفاه الله غما وكمداً . «وجمال بك الحسيني» زعيم الحزب العربي فعاد من منفاه يتوثب للثورة والجهاد معتمداً مستنداً على من اطلقوا سراحه وفرشوا الطرقات امامه بالزهور والرياحين ، واكتفى بالتطبيل والتزمير واشعال النار اعتمادا على اسياده . «واحمد حلمي باشا» رئيس صندوق الامة ، لا هم له في هذا الحقل الوطني الا جمع المال وشراء البيارات وتكديس الثروات ، وقد نجح وفاز بثروته وثروة زبائنه في بنك الامة حيث نقلها الى مصر ، وجلس يجاهد في تصاريحه وعرائضه من قصور القاهرة وجنائن وادى النيل . «وموسى بك العلمي» مندوب الاحزاب ، ورئيس المشروع الانشائي ، تنعم باموال العراق وجلس على ضفتي الاردن يحلم بالهلال الخصيب ، ينفق عن سعة ، على طائفة من المرتزقة من الشباب . وحزب الاستقلال لا وجود له الا على صفحات الجرائد وفي قاعات الساسة .

وهكذا قبع زعماء فلسطين واحزابهم يرون الاخطار المحدقة ، والكارثة تقترب لا بل يشعلون نيرانها بايديهم ، وليس لديهم اى وسيلة لدفعها او لمقاومتها او الصمود لحظة في وجهها . الامر الذى أدى الى قيام طائفتين جديدتين : الاولى النجادة ، والثانية : عصبة التحرر الوطني . اما النجادة ، وان انتشرت في البلاد انتشار النار في الهشيم ، وعمّت الحضر والمدر ، وكثر اتباعها ومريدوها ، وشرعت في التعبئة الروحية قبل التعبئة الحديدية ، الاّ ان عوامل كثيرة حالت دون نموها ونضوج ثمرها : اهمها المفتي والاحزاب الفلسطينية والاستعمار الانكليزي ، ولذلك علل واسباب لا مجال لذكرها الان ، وان كان من برنامجها

جمع ما استطاعته من قوة وسلاح واعتدة للدفاع وبناء كيان الامة ، الا انها لحداثة عهدها وفراغ جيوبها ومرض الناس ومقاومة الزعامة ، لم تستطع ان تسلح نفسها ولم يتقدم احد لمساعدتها ، فكان كل ما لديها من سلاح بعض القطع الخفيفة فى المدن والقرى المختلفة من مال الافراد وملكهم الخاص ، ولم يكن للمنظمة الا قطعة او قطعتان فى كل بلد للتمرين والدراسة ، واما عصبة التحرر الوطنى فهي كتلة دخيلة على العرب تعمل لمصالح اجنبية وتشتغل فى الدعاية الشيوعية وتعمل على نشر الفتن فى كافة البلاد الاستعمارية . وهى فئة مسيّرة لا مخيرة ، تعتمد فى ذخائرها واسلحتها واموالها على الحزب الشيوعي الرئيسى اليهودى الذى يمدها بما تحتاج اليه ، عندما يحتاج الى تعكير الجو واثارة الاضطراب ، لهذا لم تكن بحاجة للتفكير لشراء اسلحة او ذخائر فغيرها يفكر عنها . والسرّ فى موقف العرب هذا وعدم تسلحهم حتى هذا الدور يعود لاسباب عدة منها :—

أ) انحلال الاخلاق القومية الوطنية فى نفوس الافراد ، فالوطنية ، الجهاد ، العزه ، الاستقلال ، حب البلاد ، التضحية ، كلمات جوفاء لا معنى لها فى قلوبهم ، وان هى الا زفرات الظلم والاستعباد التى رزحوا وآباءهم تحت قيودها واثقالها مئات السنين ، بدت ترددها السنتهم وتتغنى فيها احلامهم . وناموا يغطون فى تلك الاحلام ، يحلمون فى الحرية ، ولم يقيض الله لهم من يوقظهم ليحدثهم عن الحرية .

ب) الجبن والخوف من بطش المفتى . عرف المفتى طبيعة هذه الامة وانها لا تذلل الا بالشدّة والظلم والاستبداد وسفك الدماء ، فأمعن فى طغيانه ، وكان لهذا أثره البارز ، اذ لم يتجرأ احد ان يتقدم ليعمل فى المصالح العامة ، لان المفتى اقام فى كل بلد طائفة من الناس مأجورة مسلحة للفتك بكل من

تحدثه نفسه بالاستقلال بالعمل او التفكير بالاستقلال... وهكذا اصبح التسلح للدفاع، من صلاحيات الزعامة، ومن يتقدم لذلك فحياته بخطر، لهذا نجا الزعماء والوجهاء والعامة والخاصة بارواحهم وابتعدوا عن شراء السلاح.

ج) عدم وجود المال لشراء الاسلحة والذخائر والاعتدة وما يلزمها من نقل وخزن وحراسة والى ما هنالك لدى الهيئة الوحيدة التى كانت تعتقد بضرورة ذلك ولا يخاف معظم رجالها السفاحين، ألا وهى النجاده.

شرع المفتى سنة ١٩٤٦، فى التسلح وشرع متأخراً رغم وجود الاموال الطائلة لديه لهذا الخصوص. الا ان جهازه فاسد مفسود، ونواياه لا تبشر بنجاح مسعاه. فمن يختار لهذه المهمة؟ أيختار الاحزاب الاخرى التى تنتهز الفرص للانقضاض عليه؟ او يعتمد على النجادة وقد ابت ان ترضخ لانانيته وحزبه، ورعونة رجاله وتوجيهه الخاطىء للاستبداد فى البلاد والتحكم فى رقاب العباد؟ لهذا لم ير مندوحة من الاعتماد على عائلته وبعض افراد حزبه. فاوكل الامر على جمال واسحق درويش والشيخ حسن ابو السعود ورفيق التميمي ومحمد سليم ابو اللبن وعبد القادر الحسيني. وتحت هذه الطائفة طوائف من المأجورين والتجار والدعاة والاتباع. وهكذا صرفت الشيكات وفتحت الارصدة فى البنوك باسماء عدة من الرجال.

كانت الشحنة الاولى واكبر الصفقات من الصحراء الغربية فى مصر حيث اشتروا بضعة الوف من البنادق ونقلوها براً وبحراً الى لبنان وسوريا وهذه البلاد. وكانت هذه الاسلحة التى عليها الاعتماد الاول من الاسلحة الحربية التلفة التى سبق ان جمعتها الجيوش المنسحبة والمنتصرة، واحرقتها فاكلت النيران مقابضها الخشبية، فاتوا بالقوائم الحديدية واخذوا ينجرون ويسحون

لاعدادها للميدان . ولدى استعمالها وجد انها لا تصلح للاستعمال لان النيران افقدت فولاذها صلابته فاصبحت هشّة سهلة الانفجار. الا ان التجار لم يكتفوا بجريمتهم اذ غرروا بالزعامة وبددوا اموالها فى شراء اسلحة خاسرة بل استرسلوا فى غشهم وغدرهم وباعوا هذه الاسلحة بدورهم الى الشعب ، باعوها باثمان السوق السوداء . فبينما كانت البندقيه لا تكلف الجنيهين بيعت باربعين جنيها لليد الاولى حتى وصلت الميدان بسبعين جنيها. وهكذا اُكلت هذه الشحنة وما



حذاء يقلب دكانه الى تجارة اسلحة علنية

عقبها ثيران الفلاحين وابقارهم وأتت على الاخضر واليابس من مزارعهم قبل ان تأتى على نفوسهم . وبهذه البضاعة وما لحقها من الذخائر العفنة الصدئة ، افتتحت المعركة واخذت الاسلحة تتسرب رويداً رويداً للميدان. ثم فتحت اسواق التجارة على مصراعيها وكثر التجار.

اما منابع السلاح فكانت :—

أ) مخازن الهيئة العربية العليا الآنفة الذكر فى القاهرة والشام ولبنان وفلسطين .

ب) حقول المعارك فى شمال افريقيا فى الصحراء الغربية وبنغازى وطبرق .

ج) الاسلحة المبعثرة فى مختلف انحاء مصر من بقايا الجيوش العابرة والمحتلة .

د) بقايا اسلحة الثوار فى سوريا ولبنان وبعض اعراب شرق الاردن .

هـ) المملكة السعودية ، اذ ارسلت حوالى ثلاثة الآف قطعة من الاسلحة المختلفة قديمة وحديثة .

و) الحلفاء وما قدموه للاهالى فى فلسطين ، للقرى والمدن قبل انسحابهم للحراسة والدفاع .

ز) الجيش البريطانى يبيع فى المدن والقرى بسياراته اسلحة جديدة مختلفة وذخائر فى اوراقها ، وباثمان المعامل .

ح) تجار الاسواق السوداء من اوروبا وشحنات مختلفة الى البلاد العربية لسوريا ولبنان ومصر والجامعة العربية .

تجار الاسلحة وما اكثرهم ، واهمهم :—

أ) تجار الهيئة العربية العليا : فرقة تشترى من الاسواق الآنفة الذكر مباشرة وتضعها فى مخزنها الاول فى مصر ثم تشحنها بسياراتها الخاصة ، او سيارات الجيش المصرى او بالطائرات ، وقسم شحن عبر الصحراء ، الى ميادين فلسطين مباشرة ، وقسم شحن رأساً بالطائرة الى دمشق ، وقسم عن طريق العقبة الى شرقي الاردن . وو كلاء الهيئة الرئيسيين كانوا يوزعونها بدورهم على وكلائهم فى الاقطار العربية . ثم من هؤلاء الى وكلائهم فى المدن والقرى من اللجان القومية ، وكل طائفة تضيف اتعابها وآجار نقلها ومخاسرها ومرابحها فتصل الى يد الفلاح بعد عدة ايدى فيضطر بيع متاعه وعدة حراثته ، وفى بعض الاحيان منهم من باع بناته فى سبيل التسلح .

ب) تجار اللجنة العسكرية او جيش الانقاذ : اوفدوا بعثة على رأسها احد الاركان الاربعة لجيش الانقاذ ، ومن ابناء فلسطين ، اختار معه بعض المجاهدين من الجلسيين والمعارضين واخذ يتلقط الاسلحة ، وكانت تجارة رابحة خلدت ذكرى التجار واقامت لهم قصوراً بدمشق فوق جثث القتلى .

ج) تجار الجامعة العربية : بعض الشخصيات اقارب عزام وانسبائه ، اشتروا من الشرق والغرب ، حتى كانت لهم طيارة خاصة تنزل آمنة مطار بيروت ، وعادت عليهم هذه التجارة بالارباح الفائضة حتى باتوا لا يمشون على الارض كالعباد ، بل لا يتنقلون من زقاق لآخر الا بالسيارات الفخمة التى تدل على وجاهتهم وصدق وطنيتهم .

د) تجار الحكومات العربية : اتوا بالسلاح من سويسرا وتشيكوسلوفاكيا ،

وبعضها يبع فى الاسواق الاجنبيـة الى اليهود انفسهم ، وعوضاً من ان تأتى البواخر الى شواطىء بلاد العرب رست آمنة على ساحل تل ابيب .

وما قضيتا ابناء العائلتين المالكتين فى سوريا ومصر بخافيتين على الناس ، فلقد بلغت المحاكم وادين بعضهم بتهم شنيعة امام الناس .



النبيــل عباس حليم

هو الزميل العزيز لفؤاد مردم فكما تاجر الاخر باسلحة سوريا كذلك تاجر هذا باسلحة مصر وعرض جيشها وسمعتها لما اصابها .

هـ) التجارة الفردية : هرع الناس الى منابع السلاح من كل فج ، واشتروا بالوف الجنيهات وباعوها بارباح فاحشة للفلاحين .

و) تجارة المجاهدين : حتى المجاهدون انفسهم كانوا يبيعون اسلحتهم وذخائرهم لبعضهم بعضاء ، اما للجوع والحاجة او للربح والطمع .



تاجر اسلحه يعرضها علناً في اسواق القدس

انواع الاسلحة :

بقي الفلسطينيون يعتمدون على البنادق وبعض القنابل فى اسلحتهم وقليل من المتفجرات التى لم يكونوا ليجيدوا استعمالها وصنعها ، اذ لم يكن لديهم الخبراء اللهم عدا بعض رجالات الانكليز والالمان او من تدرب على ايدى هؤلاء الذين اقتصر جهدهم على الاعمال الكبيرة للنسف والالغام فقط ، الى ان جاءت الجيوش الفاتحة بطياراتها واساطيلها ومدافعها ، وبدت فى الجبهات على الشكل التالى :—

الجبهة المصرية : اسلحة عظيمة ثقيلة وخفيفة ، اما الثقيلة فالمدفعية المتقنة والبارعة فى اصابة الهدف ، واما الطائرات فلم يكن لديها القنابل الصالحة للقتال ، واما البحرية فكنت تراهم فقط فى الاستعراضات وفى شوارع القاهرة . واما الاسلحة الخفيفة فلم تكن الايدى التى تصلح لحملها .

الجبهة الاردنية : اسلحة ممتازة بالنسبة لاسلحة العدو ، وتدريب من الطراز البريطانى الممتاز . ولكن لم تكن لديها الذخائر الا عندما يريد الآمر ، فكانت تقدم وتحجم وتسير ذارعة البلاد طولا وعرضا ، وعند احتدام القتال تشكو قلة الذخيرة ، وسرعان ما تنسحب من الميدان .

الجبهة السورية : فوضى ، مدفع بيد من لا يحسن اطلاقه ، واسلحة خفيفة ، وجودها كعدمها ، فى ايدى عواطفها اكثر بكثير من عقولها ، وطائرات لا تصلح لنقل البريد المدنى فى المناطق الامنة الهادئة . وفوضى فاقت جيش الانقاذ .

الجبهة العراقية : مدفعية وعدة وعدد وذخائر تدب الرعب فى القلوب . وما كاد يراها اهل فلسطين الا وتسابقوا فى الانسحاب يبتعدون عن اماكن صب الجحيم ، وانزال النار من السماء ، ولكنها بقيت خرساء ولم تتكلم نزولا على ارادة عبد الاله .

وهكذا انقضت المعركة والعرب قد اصيبت معدهم بتخمة من الاسلحة ، فى كميتها وكيفيتها ونوعها وجودتها واختلاف اشكالها والوانها ، وخفتها وثقلها ، وبريقها ولمعانها ، وقرقعتها وطقطقتها .

ومن المؤكد ان الاسلحة كانت ميسورة وطرقها مفتوحة ، والاموال لشرائها موجودة ، وكذلك الذخائر والمتفجرات وكافة المعدات الحربية .

وانه ليحزّ فى النفس ان نرى العرب اليوم يعزون سبب فشلهم وانكسارهم وذبحهم اهل فلسطين لقلة السلاح . ولست من القائلين بان قضية السلاح تؤلف اشد نواحي المأساة سوادا . لا ... لا ... هذا كذب وافتراء على التاريخ والشهداء والمنكوبين ... القضية ليست قضية سلاح ، بل نقصا فى الخلق ... فى خلق الافراد والجماعات والقادة والزعماء .

كما تكونون يولى عليكم ، كتلة فاسدة وزعماء فاسدون ، «والاوض يرثها عبادي الصالحون» .



المدفعيـــه المصريـــة

مدافع ضخمة ، وايدي ماهرة في اصابة الهدف ، لكن عباس حليم استورد ذخائر قتلت الجيش المصري .

الجولة الاولى

من ١ كانون اول سنة ١٩٤٧—١٥ ايار سنة ١٩٤٨



سماحة الحاج
امين افندي الحسيني

تدبيرها : دبرها ونظمها وقادها وادار دفتها صاحب السماحة. وتعود لرأيه وخبرته واجتهاده وعلمه واخلاصه وتنظيمه وذكائه والى مجموع تلك الصفات التى يتحلى بها الطغاة والمستبدون ، والعتاة الظالمون ، من الأثرة والانانية والانفراد والاملاء والتحكم . وتكون نتائج هذه الاعمال دوماً موقوفة على كفاءة مدبريها واخلاص منظميها. وهكذا انفرد المفتى وحده بالحكم واستبد بالموقف دون اعضاء الهيئة العليا ، واستناداً لوقائع وحقائق جمعها من هنا وهناك بواسطة اعوانه واتباعه.

ولا بد لكل قائد حملة ومشير حرب ، أن يعرف نفسه وخصمه ، ويحكم الحرص لتحقيق اهدافه ، فهل قام المفتى بشىء من هذا ؟ وكيف سار فى المعركة واشعل نارها ؟

فى اليوم الاول من كانون الأول سنة ١٩٤٧ ، اعلنت القيادة العليا اضراب الايام الثلاثة ايذانا بابتداء الجولة ، واعلانا لبدء الحملة والشروع فى القتال لازالة الصهيونية من عالم الوجود . فهل كان المفتى قبل اتخاذه هذه الخطوة والبدء فى اطلاق الرصاصة الاولى ، عارفا لنفسه وخصمه ؟ واعنى بنفسه الجيش

الذى يعتمد عليه فى تحكيم ضرباته وتسديد سهامه ، وبخصمه اليهود وما لديهم من عدد وعتاد وقوة ! فان كان عارفا عالما مطلعا على حقيقة ما لديه وما عند خصمه واقدم ، فتلك مصيبة وذاك اجرام ! وان كان لا يعرف فالمصيبة اعظم وادهى وامرّ ، والجناية كبرى تبلغ مبلغ الخيانة العظمى فى عرف القانون ولغة الحاكم ! واما الحقيقة الواقعة التى لا جدال فيها ، انه كان لا يعلم ولا يعرف ، وليس له الاستعداد لان يعلم ويعرف ، لان من صفاته الشخصية البارزة العناد والاصرار والامعان . فكل من حاول اقناعه فى صحة امر قام فى نفسه خطأ ، او فى خطأ تمثل اليه صوابا نبذه واقصاه ، وان اضطر للاصغاء بمجاملة وصبرا ابدى للناصح كل العناية والاهتمام ، وسرعان ما يتناسى الحديث ويستمر على رأيه . فمن عرف هذه النقيصة فيه ، واراد ان يبقى محببا اليه مقربا منه ، زين له اعماله على علاتها وتظاهر بالدهشة والاعجاب واخذ بالثناء والاطراء ، غير مكتف بالحديث بل يشرع فى الحال فى تسفيه الرأى الذى لا يستسيغه صاحب السماحة ، ويأخذ بالاستهزاء والسخرية ، ويبعث سلسلة من الضحكات ، وان استأنس فى نفس المفتى قبولا واستحسانا ، انقلب حديثه تعظيما واجلالا وتقديراً واعجابا ، والى تلك التصرفات والحركات كثيراً ما كان يطرب صاحب السماحة وهذا هو السر فى تقديم الوزير الدائم الشيخ حسن ابو السعود المهرج الاول فى مسرح الزعامة الخالد .

ويذكرنى جهل صاحب السماحة وامعانه فى الجهالة واسترساله فى الضلال ، قصة اولئك الطلبة الذين تقدموا الى امتحان صعب فى الرياضيات ، وكان اذكاهم واقدرهم بعد ان اطلع على المسألة المطلوب حلها حاول جهده ، وفى النتيجة قدم اوراقه بيضاء اقرارا بعجزه . اما من دونه من الطلبة فاعملوا الفكر وانوا بحلول

عديدة ما انزل الله بها من سلطان . وفى يوم النتائج وقد اجتمع الناس وقف الاستاذ واعلن ان الاول هو صاحب الورقة البيضاء ، فخجل الطالب وتوارى عن الانظار . فناداه الاستاذ باعلى صوته :— « تعال لا تخجل ، انت « جاهل » وعرفت نفسك انك « جاهل » لذلك كنت الاول. وزملاؤك « جهلة » ولكنهم لا يعرفون ذلك ». فالجهالة بحد ذاتها نقيصة بسيطة ، ولكن الجهالة العمياء والبلية الدهماء هى ان يجهل المرء ولا يعرف إنه جاهل . وها هو صاحب السماحة لا يعرف ، ولا يعرف انه لا يعرف . فجهله مطبق وعناده وجرمه مضاعف .



السادة الجنرال عبد القادر الحسيني الى يمينه قاسم الريماوي والى يساره كامل العريقات يستعرضون فرقة من الفتوة في جبال القدس عند بدء المعركة . وهذه النواة الاولى والاخيرة للتعبئة العسكرية على يد الهيئة العليا .

تعبئتها : القتال بحاجة الى تعبئة روحية واخرى عسكرية ، والحرب لها عدتها ولوازمها من ذخيرة وعتاد وتقليات ومؤن واسعافات ... الخ . وان وجدت هذه الامور فيلزمها التنظيم والخطط الحربية. وفوق كل هذه الاستعدادات الاولية ، يجب ان يكون هنالك هدف وعقيدة لتحقيق ذلك الهدف ، وايمان

فى الهدف والعقيدة، والا كانت القوى الموجهة الآن صماء فاقدة الروح والحياة.

فاين التعبئة الروحية فى نفوس المقاتلين والثائرين والمجاهدين؟ اين المدارس والمجتمعات والاحزاب والنوادى والامهات والبيوت والزعماء الذين شحنوا نفوس الشعب بصدق مبادئهم وصحة توجيههم ونقاوة ثقافتهم ومتانة اخلاقهم؟ كل هذه الامور من واجبات القيادة قبل الشروع فى اعلان الحرب. ولم تكتف الزعامة انها لم تعمل على تحسين وتقويم وتوجيه اخلاق المجتمع الذى تربعت على كرسى زعامته ثلاثين سنة، بل فضلا عن هذا نشروا الاحقاد بين الناس، والفساد فى القرى والارهاب فى البلاد والخوف والجبن والكذب والرياء والتقرب والتزلف والجهالة والتضليل، وذلك بطرق احزابهم اذ قسموا البلاد الى مجلسيين ومعارضين ومن ثمة الى صندوق امة ومشروع انشائى، واخيراً وقبل المعركة الى نجادة وفتوة، حتى كنت ترى الاخ يقاتل اخاه والقرية تقاتل الاخرى، ونشروا بواسطة احزابهم الجهل والفوضى والعاطفة والعصبية بين صفوف الشعب، وبواسطة صحفهم: «الجامعة العربية» و «اللواء» والصحف الاخرى التى كانت تنقاد خوفا وكرها سمموا افكار المجتمع بالاضاليل والا كاذيب، حتى اخذ الناس يثورون لمقال، ويقومون ويقعدون لخطبة من الزعماء المخلصين. وكانت رسالتهم: «السيف اصدق انباء من الكتب، وان تكلم السيف سكت القلم». وعلموا الناس التجسس والتذلل للمستعمرين والانقياد الاعمى للحكام والظلام.

اين تعبئتهم العسكرية؟ البعيد الجاهل لم يعرف حقيقة امرهم عند اصدارهم الامر الاول فى تعيين المرحوم عبد القادر الحسينى جنرالا عاما للميادين فى فلسطين. فتصور لاول مرة ان هناك قيادة منظمة، وجيشا عرمرما باركان حربه وضباطه وجنوده وفيالقه المدربين المحاربين. رحم الله عبد القادر الحسيني

جاد بالنفس ، والجود بالنفس اقصى غاية الجود ، كان مثقفا جريئا ، وابن عائلة معروفة فى فلسطين . والقيادة تتطلب الكفاءة وهى حسن الادارة وسعة الصدر والتفوق فى الفنون الحربية، فهل تجلى شىء من هذا فى قيادة المرحوم...؟ روح التضحية وملاك الموت فى سبيل الوطن يحولان دون التعرض لشخصه الكريم. ولكن اين هم القادة فى ركن زعامته الحربية ؟ اكامل عريقات ؟ او قاسم الريماوى؟ او ابو ابراهيم الصغير؟ او حسن شبلاق؟ او عمر التميمي؟ او من؟ هذا فلاح، وذلك بوليس، وآخر حجار، وثالث معلم ، وكلها مهن شريفة ... ولكن اسمحوا لى ، اين الشخصية العسكرية ؟ اين من يعرف التعبئة وخطط القتال والاقدام والاحجام ، والتطويق واللف والدوران ، والفن الحربى ؟ والجندى البسيط اليوم هو مهندس صغير ، وقوادنا لا هندسة ولا كسر ولا جبر ولا جغرافيا ولا تاريخ ، ولا حساب ...!! افيجوز ان تسلم لهم قيادة يتحكمون فيها برقاب العباد ؟ اين التعبئة العسكرية؟ ومن الذين دعوا الى حمل السلاح؟ اين مكتب سوقياتهم واعدادهم؟ من الذين اشرفوا على تدريبهم وضبط اعمالهم؟ اين مخيماتهم ومعسكراتهم؟ اى معركة دخلوها تحت اشراف ضباطهم وقوادهم؟ واى محل احتلوه وعسكروا فيه مدة اربعة وعشرين ساعة فقط ؟ واين النجدات والامدادات والدوريات ؟ كل ما كان فى الميدان بعض الوكلاء الذين اعتمد المفتى على اخلاصهم لشخصه اولا قبل اخلاصهم لجهادهم وبلادهم ، فدعاهم وزودهم بما تيسر من مال وعتاد وطلب اليهم ان يدعوا الناس بالنخوة والمروءة ، وبالصياح يأتى الفزيع وينال النصر ... فلم تكن فى البلاد فرقة عسكرية واحدة فقط حتى يجوز لنا ان ننصف الزعماء ونقول انهم عملوا ونظموا، وان كان مثل هذه الفرقة ، فاين هى وما اسمها ومن ضابطها ؟



التعبئة العسكرية لابناء القرى الفلسطينية من طرف الهيئة العربية العليا .

واذ لم يكن لنا تعبئة عسكرية ولا روحية ، فهل لنا العدة ولوازم الحروب ؟ اين وسائل النقل الآلية ؟ لنقل العتاد والجنود والمؤن ؟ اين الاطباء والممرضات والمستشفيات ؟. عند بدء المعركة لم تكن فى البلاد سيارة واحدة ملكا للامة والجهاد ، لهذا قام القتال على سيارات الناس . اما ان تسخر او تغتصب او يدعى صاحبها خجلا للتبرع بنقله او حمله عند الحاجة الماسة . وان وجدت السيارات فليس من زيوت ووقود ...! والغريب انه لم تكن اى سيارة فى الميدان اللهم الا بعض السيارات الخصوصية لبعض اعضاء اللجان القومية . وفى آخر المرحلة وبعد جلاء معظم اللاجئين احضروا سيارات الجهاد المقدس وقصرت همها على نقل المحاسيب والاتباع ، وكثير منها ما كان موقوفاً فى قاعات الهيئة العليا فى الشام ولبنان وبصورة خاصه مصر ، حيث كان يركبها افراد العائلة الحسينية المالكة ، للهو والليالى الملاح والناس فى الم الموت . وكان جل اعتمادهم على الغنائم يتسلحون ويستفيدون من سيارات الاعداء بعد الاستيلاء

عليها او من سيارات الحكومة عند الاستيلاء عليها او سرقتها ، اما الاطباء فما اكثرهم بين العرب ، ولكن لم يخصص اى منهم لمرافقة المجاهدين فى معاركهم والعناية بالجرحى عند اصابتهم ، ولم يكن هناك اى مستشفى حربى على نفقة الزعامة وتحت اشرافها . فالاطباء ان اشتركوا بدافع انسانى شخصى ، ولم يكن الطبيب ليشعر انه يقوم بواجبه كجندى مكلف أن يحضر فى اوقات معينة ، ويذهب وسط المعارك حرصاً على سلامة الجنود ، او يقبع فى المعسكرات يرجع اليه عند الحاجة . شيء من هذا لم يكن لانه اصلا لم يكن هنالك معسكر ولا ثكنة ولا جيش . قوم يجمعهم الحماس ويتكاثرون بالنجدة ، وبعد فراغ مهمتهم يتفرقون ايدى سبأ ، وهكذا كنت ترى زيداً فى جبهة القائد الاول وفى اليوم الثانى فى جبهة قائد آخر ، أن حضر شُكر وان غاب غفر له ... مروءة تتحرك ، وفرض كفاية ان قام فيه البعض سقط عن الاخرين . ولهذا اعتمد المجاهدون على بعضهم ، واعتمدت القرى عليهم ، وضاعت المسؤولية ودبت الفوضى فى مختلف الاركان.

منازل العرب مكشوفة ومعرضة للهجوم والاعتداء ، فهل اقيمت الحصون والخنادق للوقاية والدفاع؟ وهل حرست الطرقات والممرات من تسرب الاعداء؟ تلك امور ثانوية وشؤون محلية تعود لاهل البلد او القرية او للافراد مباشرة، فان رأوا الخطر يهددهم عندها يتقدمون لوضع الحواجز للحيلولة دونه . وكانت حجة الزعامة ان الحصون والقلاع والخنادق والاسلاك تقام وتنصب حول الرعاديد الجبناء والذين يقاتلون من وراء الجدران . اما ابطال العرب فيلقون بانفسهم فى لجج الاخطار دون عقل او وقاية واعتمادهم على الله. وما حاجة العرب لهذه القيود والحدود ، وهم بأسرع من لمح البصر سيكونون فى بيوت الاعداء

ومستعمراتهم ومدنهم ، وبذلك يتركون الحصون والقلاع خلف ظهورهم بمراحل فتذهب اتعابها ونفقاتها ادراج الرياح . اما الاماكن الضعيفة القريبة من المحيط اليهودى فالافضل للمصلحة العامة ان تذبح ويشرد اهلها ، فبذلك يوغرون الصدور ويثيرون الحمية فى الرؤوس ويكون منظرهم لكل من سمعهم او رآهم كافياً لاستفزازه واستثارته للهجوم والقتال ، وهذه اكبر دعاية للمعركة . وكل ما قام به المفتى لهذه المعركة كان ما يلى :

١) عيّن لجاناً قومية لكل قرية وبلد ، عهد لها بتمثيل البلد فى السلم والحرب ، وكان التعيين قبل بدء المعركة بأسابيع ومنها ما عُين بعد المعركة بأسابيع. فضمت كافة العناصر وجمعت مختلف المتناقضات، فيها الخاصة والعامة ، الوجهاء والزعران ، العلماء والجهال ، المتدينون والكفرة، الوطنيون والاجانب، النازيون والشيوعيون . مجموعة فى كل بلد كأوراق اللعب، مختلفة الاشكال والالوان . وزيادة على ما فى اوراق اللعب ان عددهم لا يقع تحت حصر وفى كل يوم قابلا للزيادة قبوله للنقصان . ورتبة كل عضو عسكرياً ومدنياً موقوفة على مقدار استعداده لطول لسانه وتهديد اعوانه . وخوّلت لها الصلاحيات التامة على اسس مركزية ، كل واحدة مستقلة مفوضة فى منطقتها تفويضاً مطلقاً تفعل ما تراه وتستنسبه . وزودت هذه اللجان بادىء ذى بدء ببعض الاسلحة والاموال . فأخذت تعمل على تنظيم الصفوف قدر الاستطاعة. طبعوا أيصالات كل بلد لحدتها ، واختلفت ايصالاتها وارقام الايصالات وقيمها وفق ما يريد امين الصندوق فى تلك البلد . وشرعوا بجمع الاموال ، وان تأخر احدهم فيا ويله ، تأتيه القيادة العامة وتلقي عليه درساً فى الوطنية والتضحية قاسياً ، ويقول اللص الاكبر فى هذه اللجان القومية: «رب قوم يساقون الى الجنة بسلاسل»

خذوه واكرموه .. لا حول ولا .. ولا اله الا الله ، ويقوم الى زاوية فى القاعة يسجد ويتعبد امام الناس فى وسط العمل حتى برى الخاصة والعامة صلاة امين الصندوق وورعه . وهكذا جمعت اموال طائلة وسرقت ونهبت وهرب اعضاء اللجان انفسهم بها ، ففي القدس سرق احد الاعضاء ثمانية عشر الف جنيه، وفى يافا عدة اعضاء سرقوا وهربوا احدهم حوالى خمسين الفا وفرّ فيها الى نابلس. واحدهم خمسة عشر الفا وفرّ فيها الى مصر . وفى حيفا لم ينج اللصوص بغنائمهم. وما ان سار هؤلاء الاعضاء الا واقتسموا البلاد بينهم ، نفر منهم احتكر ناحية من موارد البلاد لاستغلالها ، قسم تاجر بالسلاح ، وقسم بالمؤن ، وقسم بالذخائر ، وقسم بالاغنام ، وقسم بجباية الاموال ، وقسم بوضع الرسوم والغرامات ، وقسم بالنهب والسلب . وهكذا الكل يسعى لجمع المال ، وان هي الا فرصة قد لا تعود فى الزمن للغنى والاثراء .

٢) عُين قواد للمناطق ، ودون هؤلاء بعض الحماة ، وكانت كما يلى :

أ) لمنطقة الجليل : عين توفيق الابراهيم المعروف بأبي ابراهيم الصغير للجليل بكامله . وهو رجل فى الخمسين من عمره ، ولد ورُبي فى قرية اندور من اعمال الناصرة ، عمله فلاح كان يشتغل قبل انخراطه فى الاعمال الوطنية لدى المرحوم رافع الفاهوم فى فلاحة اراضيه فى القرية . وهو رجل هادىء كثير الصلاة قليل الكلام ، وان تكلم تلعثم ، اشتغل فى ثورة سنة ٣٧ - ٣٩ فى منطقة الجليل ، وتعرف عليه المفتى فقدمه اليه، وسر تقديمه اياه قلة حديثه والمبالغة فى كتمان سره وانقياده الانقياد الاعمى فى يد من يسيطر عليه ، يوجه ويدار كما تفعل اليد بقطعة آليه حديدية فقدت مجموع حواسها . وهو امي لا يعرف من فنون الحرب الا كيف تطلق البندقية والمسدس وكان الله بالسر عليما . جاء

ابو ابراهيم الى الناصرة وضرب اطناب قيادته على سفوح جبل سيخ فى دير الرهبان المعروف بالنمساوى . وجمع حوله اركان حربه وكبار ضباطه ، ووزع عليهم الرتب لا بل انتزعوها بأنفسهم ووضعوها وفق اختيارهم . واصبحت لا ترى الا ضباطاً واحزمة على الصدور والاكتاف من ابناء العائلات ، ولم يكن بين المجتمعين وعددهم ينوف على عشرين شخصاً الا جندى واحد مدرب كان شاويشاً فى جيش الحدود . والباقون إما من جهلة الفلاحين الابرياء او من ابناء العائلات الادعياء . وانصرف لعقد محاكم شعبية لفض المشاكل وحسم الخلافات والدعاية بين الناس ان المفتى سيد البلاد ، ولن يسمح لعبدالله ان يغبّر اقدامه بتربة هذه البلاد . واتى معه بحوالى مئة بندقية وعشرين مدفعاً خفيفاً (برن) وبعض القنابل والذخائر البسيطة التافهة ، واعطى له سيارة (بيكاب) . وخصص له رواتب الى مئتى مجاهد . وفى هذه المنطقة جرت معركة صفد وطبريا وسمخ وشفاعمرو وعكا والشجرة ، الى ان سقطت البلاد وهو لا يعرف عن هذه المعارك شيئاً .

وامر المفتى بتعيين قواد محليين فى منطقة الجليل بالاضافة الى ابى ابراهيم ودون علمه ، فعين قدورة لصفد والطبرى لطبريا ، واشتيوى لسمخ ، وعبدالحق الغزاوى العراقي لكفر كنا ، وخضر ابو العلا لشفاعمرو ، وابو اسعاف لترشيحا وشعب ، والنجمى لعكا ، ونمر ابو النعاج لصفورية وغيرهم كثيرون اما معينون من قبل المفتى او من قبل قواد المفتى او من قبل انفسهم . وهكذا كانت الجليل اقساماً وشيعاً واحزاباً . وازداد الطين بلة بوجود هؤلاء ، فأصبحت بعد الشهر الاول من اعلان الحرب لا تعرف اولا من آخراً ولا آمراً من مأمور ولا جندياً من مدنى . اختلط الحابل بالنابل ، والكل تدجج بالسلاح لا لمقاومة اليهود بل خشية أن يعيد التاريخ نفسه وتقوم موجة الاغتيالات .

ب) لواء اللد : عين للقيادة فى هذا اللواء الشيخ حسن سلامه ، وصلاحيته تشمل يافا واللد والرمله واقضيتها . وكان معه بعض القواد الفرعيين فى القرى مثل زكي عبد الرحيم فى اليهودية ، وموسى ابو حاشية فى سلمة ، والشيخ حسن حسونه فى اللد ، وفى يافا عدة قيادات وجبهات لكل حارة قائد ولكل زقاق قائد وكل قائد لا يقل عن زميله اهمية ورتبة وصلاحية ونفوذاً ، امثال صبحي الشركس ، واسماعيل العيسوى ، وصلاح الناظر ، وتوفيق كنج احمد . اما الجنود فكانوا معظمهم من المرتزقة والمأجورين لبضع ساعات . والجنود الثابتون المعينون هم حراس القواد واللجان القومية ومأمورو التنفيذ وهم بعض الاشخاص حول كل قائد . وفى هذه المنطقة جرت معارك يافا ورأس العين واللد والرمله .

اما معركة يافا فكانت مخزية ، ترى فى يافا شباباً على اتم استعداد للتضحية والجهاد ، ولكن ليس من ينظمهم او يعتني بهم . فكان فيها قيادة الشباب ومعظمهم من النجادة . بعد ذهاب الهوارى قاد جموعهم المحامي عبد الرحمن السكسك ، وكان عددهم حوالى ثمانماية شاباً ومعظمهم على اتم تدريب ولكن لا سلاح ولا عتاد وليس لديهم ما يلزم الجنود فى الميدان ، عملوا جهد استطاعتهم فى حقل الدفاع . وفى يافا الاخوان المسلمون وهؤلاء خليط من العصبية والدين . وفى جموع من البحرية والقبضيات والسرسرية والزعران ، كلهم نزل الميدان ولكن بالطبع يقاتل متى شاء وينسحب متى اراد . وفى شهر شباط سنة ١٩٤٨ ، قدمت يافا حامية عراقية من جيش الانقاذ وهنا كانت الطامة الكبرى ، كان فى الكأس عكر فازداد عكره بقدومهم ، وكانت فوضى فضربت اطنابها ، وكان تمرد فازداد عما كان .

ورغم نقص الدفاع والفوضى فى يافا كانت هناك مواقف لبعض الشخصيات

استبسلوا فيها واظهروا كل جرأة وقوة وصبر على القتال.

ومعارك سلمه رغم ما فيها من نقص وضعف، ومهما كانت دوافعها ومشروعيتها، وقفت وقفات مجيدة في سبيل الدفاع. وقاتلت قتالا مراً يجوز للعرب ان يفتخروا فيه ان جاز لهم ان يفتخروا في هذه المعركة، وكان قائدها السيد موسى أبو حاشيه مثال التضحية والتقوى والايمان، وكانت مكافأته ان اهمله المفتي بعد النكبة وتركه يقضي جوعاً في ضواحي رام الله.



بعض رجال الخليل يشكلون فصيلا للدفاع عن القدس وهم يجتازون الشارع العام وسط النهار مدججين بسلاحهم.

ج) منطقة القدس: كان قائدها المباشر هو القائد العام لفلسطين. يشرف على القدس وبيت لحم وبيت جالا ورام الله. وتحت إمرته قواد منهم كامل

العريقات ، وعمر التميمي ، وقاسم الريماوى ، وصلاح الحاج مير ، وعبد الحليم الجولانى ، وابراهيم ابو ديه ، وياسين البكرى وحافظ ابو الفيلات . وفى هذه المنطقة كثيراً ما كان يعتدى على حقوق القيادة وصلاحياتها ، قواد جدد كثيراً ما برزوا الى الميدان بدافع السلب والنهب من الخليل ونابلس وشرق الاردن . وفى قلب الادارة كان بعض المستشارين من الانكليز .

وبعد وفاة المرحوم عبد القادر ، خلفه فى القيادة خالد الحسينى ، ومعه زمرة من مستشارى الانجليز وعلى رأسهم منير ابو فاضل ونايف الآغا ويحيى ياسين ، وشحاده العنانى.

د) المناطق الباقية من فلسطين تركت دون تعيين قيادات رئيسية من الزعامة الساهرة ، فتناوب قيادة نابلس وجنين عدة قواد عينوا من قبل المرحوم عبد القادر الحسينى امثال : النابلسى ، وجرار ، وفارس ، وزواته ، وفى الخليل عين



فضيلة الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل يستعرض حرسها القومي

قواد من قبل اللجنة القومية امثال : انور نيروخ ، وناجي النبي ، وحسين عمرو ، وحامد جنيد ، وعبد الحليم الجولاني ، وعبد الحي عرفه وغيرهم . والسبع تُرك للادارة البدوية وفيها عمر هنيه وعبدالله ابو سته . وغزة منير الريس والصوراني واللجنة القومية وهي مؤلفة من ٦٥ عضواً .



هذه صورة عن حماس اللجان القومية وتسليحها الاهلين

المواقع التى تستحق الذكر فى هذه المنطقة :

أ) معركة كفار عتصيون : على طريق الخليل بالقرب من العروب فى منطقة جبلية قامت مستعمرة حصينة فيها الخنادق والقلاع ، وحولها الاسلاك وبينها بث الالغام . وفيها حامية من رجال ونساء مدربين اقوياء لديهم السلاح والذخائر الكافية . وهذه المستعمرة فى منطقة عربية نائية معزولة . هاجمها العرب فى شهر كانون الاول سنة ١٩٤٨ ، وارتدوا عنها فى عدة مرات خاسرين . وكان المهاجمون من الخليل وقراها ، وقتل فى هذه الهجمات بعض القواد المحليين



اللجان القومية تدرب الصغار على حمل الاسلحة

وهما: ناجي النبي من الخليل وهاشم عمرو، وحوالى ثلاثين من المهاجمين وكثيرون جرحوا . وعلى مقربة من هذه القرية يقوم دير للسكوب يعرف بدير الشعار كان فى يد اليهود، اقاموا فيه الحصون وحامية للدفاع اوقعت عدة أصابات فى المهاجمين، وعبثاً حاول المهاجمون فى الكرات الاولى الوصول الى المستعمرة ، الى ان جاء الجيش العربي فأطلق مدفعيته وأخرس الحصون وهدمها وفتح الثغرات ، فانقض المهاجمون على المستعمرة وتغلبوا على من فيها فقتلوا ونهبوا كل ما فيها من حيوانات وارزاق وكانت كثيرة عظيمة . وجاء الجيش العربي ونقل الاحياء من اليهود الى معتقل الاسر فى شرق الاردن.

ب) معركة الدهيشة : بينما كانت قافلة من اليهود كبيرة مدججة بالسلاح والذخائر والسيارات المصفحة الكبيرة والصغيرة تجتاز طريقها الى كفارعصيون



اهالي الخليل يفوزون بحصة الاسد من غنائم معركة الدهيشة من اليهود

من القدس ، وعند برك سليمان فى موقع يدعى الدهيشة ، تكاثر العرب من كل فجّ على القافلة ،وأغلقوا عليها الطريق وصبّوا حمم نيرانهم عليها حتى اضطر من فيها للجوء الى بيت هناك وحاصروا فيه ، وكثر الفزيع وانعزل اليهود وفقدوا املهم فى النجاة ، فتوسط الانكليز للتسليم . فجاء القواد ومنهم عبد الحليم الجولانى وانور نيروخ وابراهيم ابو ديّه وكامل عريقات وغيرهم الكثيرون ، ووافقوا على التسليم شرط ان يأخذ العرب القافلة واسلحتها غنيمة باردة، وينجو افراد الحامية بأنفسهم . وهكذا كان . وكانت الاسلحة على غاية من النظافة والحداثة والجدة ولكن معظمها كان اليهود قد اتلفوا ابره عند التسليم لكى لا تعود صالحة للاستعمال . وانطلت الحيلة على العرب فى ذلك الموقف . وهنا اختلف العرب فى اقتسام السيارات وفازت كثرة أهل الخليل بحصة الاسد.

ج) معركة القسطل . وهي قرية مرتفعة مشرفة على موقع حربى ممتاز ، من استولى عليها تحكم بطريق القدس وهى فى ايدى العرب . وتغلب اليهود على اهلها واحتلوا الموقع ، فكرّ عليهم العرب واخرجوهم ، ولكن سرعان ما تفرق

الفزيع ولم يبق فى القرية الا اهلها فعاد اليهود واستولوا عليها ، ثم عاد العرب فضحوا وخسروا وتعبوا واستولوا عليها ، ثم كرّ اليهود واخرجوهم . وفى المرة الثالثة هاجم المرحوم عبد القادر القرية المذكورة مع حوالى عشرة اشخاص ودخل بعض بيوتها ، فعلم اليهود بذلك ، وطوقوا البيت وقتلوا عبد القادر وبعض من معه ، وشرد كامل العريقات بعد أن أصيب بجراح طفيفة ، وبعض من معه ، وبعد ان استشهد المرحوم عبد القادر وعرفه اليهود وضعوه داخل كيس استعداداً لاخذه ، ولما علمت القرى المجاورة بأن عبدالقادر محاصر ، كثر الفزيع وهجم القوم وجاءوا من الخليل ودخلوا البلد ، وبعد ان استردوها وطهروها من اليهود ، وجدوا عبد القادر جثة هامدة داخل كيس ، فحملوه بين الحزن والاسى ، والذى



جنازة المرحوم عبد القادر الحسيني
حمل المرحوم على اكتاف الشباب وبحضور الالوف الى مقره الاخير في مقبرة باب الزاهرة في القدس

انقذه عبد الحليم الجولانى وحامد جنيد واتباعهم . وما علم الناس بوفاة المرحوم حتى هرعت الالوف وسارت فى جنازته واشترك فيها كافة المجاهدين . وانتهز اليهود الفرصة فعادوا اثناء الجنازة واحتلوا القسطل وبقى فى ايديهم رغم كر الايام وتقلب الجيوش.

د) معركة الشيخ جراح : كانت قافلة تحمل جنوداً ومدنيين واساتذة فى طريقها للجامعة العبرية على جبل الطور ، وعند الشيخ جراح تكاثر عليها المجاهدون واوقعوا بها اصابات عديدة.

ورغم ما جرى فى هذه المعارك من نقص وفوضى واهمال . الا ان البطولة الفردية تجلت فى ابهى معانيها فى بسالة ابراهيم ابو ديه وعبد الحليم الجولانى وحافظ ابو الفيلات وجميعهم من الخليل .

كما تجلت بطولة اليهود فى دفاعهم فى القدس القديمة وفى تكرار هجماتهم على باب الواد ، ورغم ان المواقع الحصينة كانت فى ايدى العرب من على رؤوس الجبال ، كان عمل اليهود جباراً فى شق طريق آخر للقدس لنجدة سكانها وامدادهم بالطعام والذخائر.

وهكذا كانت القيادة فى ايدى جهلة غير مسؤولين . ولم يكن بين القادة اى اتصال او تفاهم او تعاون بل لا يعرف الواحد منهم الاخر ، لا بل لم يكن القائد ليعرف منطقته ، ورئيسه ، وجنوده ، واعداءه ، ومتى يتقدم او يتأخر . فوضى تتخبط !

واذا وقع حادث ما فى البلاد كان ينقل مضخماً لدار الزعامة حيث ينشر اكثر تضخيماً ، ويعمم للصحف فى بلاغات صادرة من القيادة العليا . هكذا صدرت البلاغات عن الشيخ جراح والبرك والقسطل وسلمه والنبي يعقوب

والطيرة وطبريا وعرب الصبيح والشجرة وترشيحا والبروه وصفد وميخ وابو كبير والجبالية وتل الريش ، وكلها معارك هزلية مخزية استدرجنا فيها اليهود والهونا بتظاهرهم بالضعف حتى استكملوا قواهم ، فحملوا حملتهم ، وطهروا البلاد بضربة قاصمة اقضت مضاجع الزعامة. وكانت هذه المظاهر سجالا بين الزعامة والقيادة . القيادة تريد ان تسجل اعمالها وانتصاراتها الباهرة كي تؤمن دفع المخصصات والحصول على الاموال من الزعامة بطرق الغش والخداع ، والزعامة بدورها تطبل وتزمر استغلالا للموقف واستجداء للاكف مطالبة بدفع الثمن ممن تعهدوا شراء الدماء ودفع بدل الفتنة.

هدفها : اما الهدف الذى كان يرمي اليه صاحب السماحة من وراء هذه الحملة ، هو المسابقة على السيادة والسيطرة لاثبات الوجود فى البلاد قبل دخول الجيوش العربية واستقرارها. وهو بين هدفين اما ان يتفوق على اليهود. فيضطر هؤلاء للطلب من الانكليز البقاء فى البلاد ، وبذلك تبقى فلسطين وتسلم من التقسيم ويبقى كرسي الزعامة محفوظاً .وان تعذر الاول ونفذ التقسيم كان هو سيد المنطقة العربية بلا منازع.

وكان فى نفوس العرب مرض ينازعون المفتى على سيادته، وغنيمته. كان الاستقلاليون امثال طه الهاشمي وشكرى القوتلي ونبيه العظم وعونى عبدالهادى وصبحى الخضرا ينظرون الى مزاحمة المفتى وضم الجزء العربى من فلسطين الى سوريا ،وان تعذر ضمها الى سوريا فيحولوا دون اطماع شرق الاردن فيها ، لهذا ايدوا القاوقجي واللجنة العسكرية ، وارسلوا الحملة الثانية قبل فراغ الحملة الاولى للتشويش والتهويش ومنازعة المفتى على السيطرة.

وكان «العلميون» اتباع موسى العلمي ، اصحاب المشروع الانشائى

والمعروفون بالبعثيين اليوم، لهم اهدافهم فى فلسطين ، ومن وراء هذه الاهداف عبد الاله ونورى السعيد ووراء جموعهم الانكليز ، يتطلعون لقهر المفتى واتقاذ البلاد وفرض السيطرة عليها تحت نفوذ العراق أو الهاشميين ، ولكنهم كانوا ضعفاء لم يجرأوا ان يقفوا فى المعركة علناً وبشكل سافر ، وحاولوا ايجاد قوة من المتطوعين فى لواء نابلس بقيادة يحيى الحامي ومالك المصرى، ونظموا بعض الحملات فى جهات جنين وقرى حيفا الساحلية ، وسرعان ما تلاشت وانقرضت بعد ان الحقت فى تلك القرى ما الحقت من ويلات ومصائب . ومن هؤلاء كان المفتى جد متخوف ، ومن اهدافه القضاء عليهم والفتك بجموعهم.

وكان جلالة الملك عبد الله ، بعين البصير الناقد ، العالم بمجريات الامور ونوايا المفتى ، والاستقلاليين ، والعلميين ، لذلك كان همه التخلص من الخصم الاكبر باضعافه فى ميادين القتال ضد هذه الجموع . ولقد كان فى البلاد راسخ الاقدام وجيشه ينسحب من كل بقعة حل فيها المفتى فتنهار البلدة تلو الاخرى . وهكذا انسحبت الحامية الاردنية من صفد ومن سمخ ومن حيفا والطيرة وصرفند وبيت نبالا واللد والرمله وهربيا وبيت جبرين . ولم يقو المفتي لادارة الدفة فألحق فى البلاد الخراب والدمار.

وكان المفتى يود توريط الجيش العربي وشبكه مع اليهود وضربه فى المعارك الاولى ، وفى نفس الوقت كان يدخر الاسلحة والذخائر للقيام بجولة ثانية اذا ما انتصر فى الاولى . وهذه الجولة ليست ضد اليهود بل ضد العرب لطرد الاردن والفتك بالعلميين ولتبديد جموع القاوقجي ولتطهير البلاد من المعارضين ، وكل مخالف لاوامره غير خاضع لرغائبه . وسياسته من ليس معنا فهو علينا .

لهذا عندما دخل المفتي المعركة ، طاشت سهامه وضل مرماه ، ولم يستطع

ان يضبط الامور ، فخارت قواه ،وأخذ يستر عيه وانهزامه بالبيانات الملفقة والاخبار الكاذبة والأتهامات والتهجمات . وأعمل الدس والفتن بين صفوف الامة العربية فى الخارج ، حيث وجد مرتعاً خصباً لفساده ونفاقه . فاحتضنه المصريون ومده السعوديون ، وما زال يعيش فى المستنقعات.



جميل بك الحسيني نائب سماحة الحاج امين افندي الحسيني في زفة النبي موسى وكانت قيادة الحرب كقيادة هذه الزفة

سيرها) : سار العرب فى الجولة الأولى بقيادة المفتى كأنهم فى موسم من مواسم النبى موسى . والقواد واللجان حوله وخلفه ، وهو بين الصفوف على متن جواده ، تحف به الاعلام والعمائم . وعلى سفوح التلال وأعلى العمارات وقفت النساء يزغردن للبطل المغوار او للعريس فى الزفة ، عادة الفلاحين فى

ديارنا . وسار الثوار فى فورات شعبية ، وعجيج جمهورى فاجتمعوا واندفعوا وانقضّوا على اليهود . ولم يثر المفتى حرباً فى فلسطين فى جولته الاولى ، حتى يستحق شرف المحاكمة كمجرم حرب ، بل أثار شغباً وفساداً هيأ الجو لجولات فأنزل ببلاده ما انزل . فكان الاجدر ان يحاكم بتهمة الفساد والشغب لانه كثير عليه ان يقال عنه انه نظم حرباً . وسارت المعركة من اول كانون الاول سنة ١٩٤٧ حتى دخول الجيوش العربية فى ٤٨/٥/١٥ وكانت مدة كافية لخسارة مرافق البلاد الحية وتشريد معظم اهل فلسطين.

نتائج الجولة الاولى



لجنة المفتي للدفاع عن يافا تسلمها لقوات اليهود المحتلة ، السيدان امين اندراوس وصلاح الناظر بين قوات الجيش اليهودي.

١ ـ أضاع المفتى المدن الرئيسية فى فلسطين : يافا ، حيفا ، صفد ، طبريا ، وسمخ والقدس الجديدة

٢ ـ دبّ الرعب والفوضى فى صفوف اهل البلاد لا سيما فى نشر الحيئة

العليا لحوادث دير ياسين ، بشكل موعب تقشعر لهوله الابدان.

٣ ـ اعطى ولجانه درساً للجيوش العربية وجيش الانقاذ فى السلب والنهب والانسحاب وتشريد الناس.

٤ ـ اعطى اليهود حقاً قانونياً شرعياً فى الدفاع وتشريد العرب وطردهم من البلاد لبدئهم العدوان.

٥ ـ رفع ثمن الاسلحة والذخائر بفسحه المجال لكثير من التجار للاستغلال.

٦ ـ غرر فى الدول العربيـة باظهـاره ضعف اليهود ، ونشره البيانات الكاذبة عن قوتهم وتنظيمهم حتى استهترت الجيوش العربية بجموعهم.

٧ ـ اضاع ثقة العالم العربى والاسلامى فى اهل فلسطين ، وألحق بهم العار والفضيحة والتهم المعيبة، الامر الذى جعلهم موضع احتقار العالم العربى والاسلامي والاجنبى.

٨ ـ هدم نفسه وفضح نواياه ، وعاد لا نفوذ له ولا جاه.

٩ ـ اضاع عدداً وافراً من الارواح ، لا يقل عن ثلاثة آلاف نسمة وفقد ثروة البلاد الرئيسية والمدخرة وشرد ما لا يقل عن ثلاثمائة الف نسمة.

١٠ ـ فقد ثقة الانكليز بعد ان كانوا يظنون ان المفتى فى فلسطين ذو قيمة.

وضع اليهود في الجولة الاولى

كان اليهود منذ الشروع فى حملتهم سنة ١٩٤٥ ، لاخراج الانكليز ، حريصين جداً ان لا يصطدموا مع العرب، كانوا يدفعون دية القتلى ويصلحون

مع اهلهم . وفى هذا السبيل دفعوا دية بعض الاشخاص فى قضاء صفد وبينا وقضاء الله.

وعندما شرع العرب فى جولتهم الاولى ، كان اليهود ينصحونهم فى الاخلاد الى السكينة وعدم القيام بالفتنة ، والاعراض عن سماع كلمات المهيجين والموجين ممن اتخذوا الوطنية حرفتهم والانكليز اصدقاء لهم . وهكذا خاطبوا اهل فلسطين بنشرات وزعوها باللغة العربية وبواسطة محطة اذاعتهم اليومية المتكررة وبواسطة اتصالاتهم مع الهيئات والافراد فى يافا وحيفا والقدس وعكا وغيرها من القرى والبلاد . ولكن عبثاً حاولوا الوصول الى تهدئة الحال.

وعندما رأوا العرب يهاجرون من ديارهم ويرحلون عن بلادهم ، تقدموا منهم راجين متوسلين ان يعدلوا عن فكرتهم ويبقوا فى البلاد آمنين مسالمين . فرفض العرب الاصغاء الى ذلك . فناشدوا اللجان القومية والبلدية ومجلس الاثمار الحمضية فى يافا فأعرضت . وخاطبوا اهل القدس وحيفا ولجانهم فامتنعوا وأبو واستكبروا.

وكان دافع اليهود الى هذا السلوك حبهم للسلام وتخوفهم من اهوال الحرب واعتقادهم انهم فى محيط عربى لا بد وان يسالموه ويجاوروه ، فلا مجال للخصومة والاعتداء وتلك الويلات ، ولكن العرب عميت ابصارهم واغلقت عقولهم واخذهم الصوت وخدعهم العرب وصمموا على الرحيل لاسباب سيأتى شرحها.

سير اليهود في الجولة الاولى



جماعة من اليهود يتمرنون على استعمال الاسلحة سراً

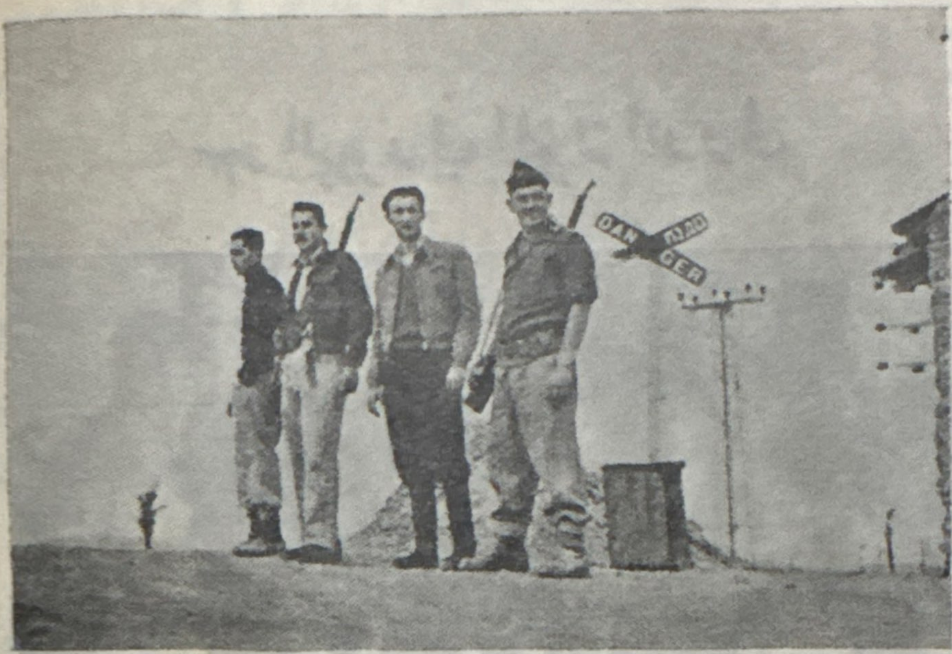
١ ـ كانوا على ادق تنظيم كأنهم حكومة فى البلاد منذ سنوات ، ودوائر مدنية وحربية وسياسية ، وكلها تعمل للمجهود الحربي بنظام عام شامل لكافة مرافق حياتهم.

٢ ـ جندوا كافة القادرين على حمل السلاح ذكوراً واناثاً.

٣ ـ ادخروا للمعركة ما تيسر لهم من الاسلحة والذخائر والمعدات.

٤ ـ وحدوا صفوفهم واتفقت هيئاتهم ومنظماتهم على الدفاع بشكل منظم.

٥ ـ أعدوا الحصون والقلاع وخطوط الدفاع والمؤن الضرورية ، والوقود للالات استعداداً للحصار.



قوات اليهود غير النظامية تحرس الطرقات



اليهود ينظمون صفوفهم ويدعون الى الاكتتاب العام في سلك الجندية



مواصلات القوات اليهودية المنظمة

٦ ـ نظموا شبكة للجاسوسية بشكل فنى فى الداخل والخارج ، تعجز عنها الحكومات العريقة والدول الكبرى.

٧ ـ درّبوا الشابات والشبان على الحرب واعمال الميدان ، فكان لهم جيش بمختلف فرقه واختصاص اولئك الفرق.

٨ ـ نظموا صفوفهم وقياداتهم ، تحت رجال عسكريين فنيين مختصين.

٩ ـ درسوا وضع البلاد ونظموا الخرائط وعرفوا كل شبر فيها ، وأرفقوا فرقهم بالخبراء فى الميدان.

١٠ ـ اعدوا كافة مرافق بلادهم للمجهود الحربى ، واصبح كل فرد من مجموعهم عضواً عاملا للحرب والدفاع.

١١ ـ ساروا فى المعركة على اساس مركزى وقيادة موحدة تعرف من



شابات يهوديات في خدمة الجرحى في الميادين



جيش من الممرضات المتطوعات في اسرائيل

تو كل الكتف ، وقطعوا دابر الفوضى ، وقاوموا كل خروج بأقصى عقوبة.

١٢ ـ عبأوا فوق كل ذلك نفوس الشعب بروح التضحية والاستبسال.

١٣ ـ حشدوا رجال السياسة ووجهوهم الى كافة الميادين الدولية للعمل ، وا دفة العالم السياسية فى هذه الغمرة ، وسيطروا على الرأى العام الدولى ، جهوا الصحافة العالمية كما يريدون.

١٤ ـ استغلوا فوضى العرب وانحلال جبهاتهم واختلاف قياداتهم وجمعوا وصهم ووجهوها لضربات فنية محكمة ، كان لها أثرها ، مما دب الرعب فى نفوس العرب وبدد عزمهم.

١٥ ـ اشغلوا كل قرية بنفسها وكل قيادة بأعمالها ، حتى غدت كل قرية وقع فى كل يوم الهجوم والمفاجأة ، الامر الذى اقعدهم عن نجدة بعضهم بعضاً دما اشتدت الأوضاع.

وهكذا قسم اليهود العرب الى جبهات وغافلوهم وهاجموهم وشردوهم



وحدة من الجيش الدرزي الاسرائيلي

ودحروهم . وبعض اقسام من البلاد لم تستغل جهودها ، ولم تشترك جموعها وبقوا
فى عزلة كأن الامر لا يعنيهم . وبقي جبل نابلس والخليل وقضاء طولكرم
وجنين فى عزلة ينتظرون احتدام المعركة ودعوتهم للقتال ، او اشتراكهم مع
الجيوش العربية الغازية .

نهايتها : وهكذا قاد المفتي المعركة وخلّف اكواماً من اللحم وأنهراً
من الدماء . وشتت العرب فى كل صقع تحت الخيام وفى المغاور والكهوف وبين
احضان الجبال . وهناك تسمع اصداء عويل النساء ونحيب الاطفال وأنات
الجرحى ، وآهات الفقراء ، وحسرات المشردين ترددها الاودية والغدران ،
وكلها تتضرع الى الله ان يجازى الظالمين ، وينزل النقمة من اعلى السماء على
رؤوس القادة والزعماء عامة وعلى المفتي بصورة خاصة . وهناك ترى اشباح



القرى العربية تحتلها القوى اليهودية



العرب يخرجون بأيديهم من بيوتهم

الاندلس تصعق فى السماء فوق رأس المفتى قائلة :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال

وها هو المفتي يفرّ من المعركة ، ليستجير بالفاروق ، استجارة عبدالله الاندلسى وهو الذى باء بالعار والذل بعد خسارة الحمراء وقرطبة والاندلس ،



القرى العربية يساق شبابها الى الاسر وتطرد نساؤها واطفالها عبر الحدود.

والتجأ الى المغرب ، وارسل الى سلطان فارس من بني وطاس رسالته الذليلة المسهبة يدفع عن نفسه ما قذف به فى عرضه ودينه وبلده واهله ويشكو السلطان ويقول :ـ

مولى الملوك ملوك العرب والعجم رعياً لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار انت لمن جار الزمان عليه جور منتقم

الجولة الثانية

من شباط — تموز سنة ١٩٤٨

فزع الناس من قيادة المفتى وفوضاه ، وجهالة قواده وقلة السلاح وشحة الذخائر ، وتفوق العدو فى مختلف النواحي على كافة جبهات المفتى ... فيافا تستجير ، وحيفا تنازع ، وطبريا اطبق عليها ، وصفد تكاد تلفظ انفاسها، والقرى العربية واجمة جافلة حائرة منقطعة ، والاشاعات والدعايات والاكاذيب احتلت المكان الاول فى مجالس القوم . وهرع الناس من كل فج عميق للاستنجاد والغوث . ولمن يلجأون ويفزعون ...؟ الى العالم العربي .. الى القادة .. الى الذادة .. رمز العروبة .. فجر المستقبل .. ومعقد آمال العرب ، الى سوريا ولبنان والاردن ومصر ، وهي البلاد المجاورة ... الى جلالة الفاروق وجلالة عبد الله وفخامة القوتلي وفخامة الخوري وعزة عزام . وهكذا كنت ترى

الوفود من الوجهاء والاعيان فى ارتال من السيارات يتدفقون الى العالم العربى ، حيث هزّوا العواطف وحرّكوا النخوة وأثاروا الشعور.

ووقف افراد الشعب فى مختلف الدول العربية يرددون شكوى اهل فلسطين ، ويطلبون الى حكوماتهم ورؤسائهم المبادرة للنجدة قبل فوات الفرصة. فارتفعت الاصوات الرسمية من البلدان العربية تبشر بالفرج والنجدة ، تنادى العرب الهون ... الهون لا روعة بعد اليوم... ابشروا فلقد جاء نصر الله والفتح وكل آت قريب .

وكثرت اجتماعات العرب فى جامعتهم ، وتمخضت الجبال والوهاد ، والزعماء والساسة والقادة،وولدوا «جيش الانقاذ» . اسما جميلا ، وكثيراً ما لا يكون للمسمى من اسمه نصيب .

ارادت الجامعة العربية ان تستدرك النقص الذى حلّ فى الجولة الاولى . ورغم ان الجامعة تبنت قضية فلسطين منذ ان خلقت ، ورغم ان احاديث فلسطين كانت موضوع الجامعة فى معظم اجتماعاتها ، ورغم ان الجامعة طالما هددت وتوعدت وصرحت وأدلت وصالت وجالت وقالت ووعدت ، ورغم ان ضجيج ساسة الجامعة قد ملأ الاجواء ، وخطبهم الرنانة فاضت عن أنهر الصحف ، ورغم ان الناطقين باسم الجامعة طالما هددوا وتوعدوا امام الهيئات الدولية والرسمية وشبه الرسمية ، ورغم المؤتمرات المتوالية فى بلودان وعاليه وصوفر وبيروت وعمان والاسكندرية والقاهرة وانشاص ، ورغم كل ما سمعنا وقرأنا من طنطنة واجراس ... لم تكن الجامعة على اى استعداد للقيام بعمل لنجدة اهل فلسطين . واليوم انت لترتجل وتتخبط ، واخذت قراراً بأن ترقّع جيشاً وتلفّق قوة وتلم اشتاتاً لتتدارك الموقف وتستعيض ما قد فات ، بعد ان

تأكدت انها كانت مخدوعة فى قوة المفتى وجيشه وادارته وقيادته ، وارادت ان تتنصل من المسؤولية واللوم ، فنفضت ذيلها واعتذرت وانتحلت وادعت ان المفتى كان قد غشها واوقع فى جموعها واوهمها انه القادر بعد الله على كل شيء ، ثم مثلت الحقيقة لاعينها ورأت ان ما كانت تتوهمه حقيقة هو ضلال وظلال ، سراب وخراب ، ولا بدّ لها اليوم من ان تعمل،فما قد فات مات ، وكل ما هو آت آت.



رئيس اللجنة العسكرية وبعض اعضائها

وهم من اليسار الى اليمين السادة : احمد الشرباتي وزير الدفاع السوري ، فوزي القاوقجي ، صالح حرب ، طه الهاشمي ، جميل مردم.

وهكـذا اجمعت الجامعة على تشكيل جيش ارصدت له الاموال وقدمت له الاسلحة والاعتدة وقذفت به حالا الى الميدان.

ألفت لجنة عسكرية قوامها رجال حزب الاستقلال، طه باشا الهاشمي من العراق رئيساً، واسماعيل بك صفوت من العراق مفتشاً عاماً، ومحمود بك الهندي من سوريا للتموين، وصبحي بك الخضرا من فلسطين للاعتدة والاسلحة، وفوزي بك القاوقجي من طرابلس - لبنان للميدان.

واتخذت لها مركزاً دمشق الشام لقربها من فلسطين وتوسطها بين الاقطار العربية ولامكانياتها المتوفرة لتسهيل مهمة الجيش. وكان مقرها في دار القيادة العامة للجيش السوري في وزارة الحربية.

اعلان التعبئة :

تولى التعبئة فوزي بك القاوقجي، فأعلن ذلك على صفحات الجرائد، واخذ يتنقل بين الاندية والمدن والقرى والبلدان العربية مشجعاً مروجاً. واخذ الناس يفدون الى دار القيادة زرافات ووحدانا.

وفوزي القاوقجي معروف في العالم العربي عامة وفي فلسطين خاصة، واسمه طبق الآفاق، والكل ينظر اليه كقائد عصامي مغامر مجازف لا يعرف الموت، وهو خبير في مواقعها، عمل في حقولها من قبل.

وإن هي الا ايام، حتى كنت ترى شوارع الشام مملوءة بالمتطوعين والمجندين والذين على اهبة التجنيد. واكثر البلد اصبحت تعج بالالبسة الكاكية والبزات العسكرية، والسيارات ذاهبة آيبة، مملوءة بالجنود وبنادقهم مرفوعة فوق رؤوسهم والاعلام العربية عالية ترفرف في السماء، والاهازيج والاغاني



فوزي القاوقجي ينزل ورجاله الى الميدان في فلسطين

والاحديات الشعبية تملأ الاجواء، والحماس بالغاً اشده والكل في غاية الشوق للسفر الى فلسطين.

وبحوالى الفي رجل سار القاوقجي في الاسبوع الاخير من شهر شباط سنة ١٩٤٨ ميمماً شطر فلسطين، ودخلها من شرق الاردن وتمركز في قضاء نابلس، وسمى البقعة التي حل فيها مثلث الرعب اشعاراً بقوته وعظمته. واتخذ له مركزاً قرية جبع على الغالب ولو كان يتقلب بين القرى حسب مقتضى الحال. وقسم من جيشه سار الى شمال فلسطين، فرقة الى الجليل الغربي بقيادة الشيشكلي واكرم الحوراني وابو ابراهيم الكبير المدعو خليل عيسى زعيم القساميين



عصابات القاوقجي تسير بحماسة الى الجبهة

ى اضطرابات سنة ٣٧ - ٣٩ .وفرقة اخرى بقيادة محمد الصفا نزلت الجليل الغربي
ى جهات صفد.

اسلحة الجيش ومعداته : كانت اسلحة الجيش جيدة موفورة ، ولديه الاسلحة الخفيفة والثقيلة ، ومعه المدفعية وفى حيازته كافة وسائل النقل والمعدات الضرورية للعمليات الحربية ، واقوات الجيش موفورة ومتواصلة وألبسته حسنة.

تريث القاوقجى فى مثلث الرعب : كثيرون الذين ألحوا على القاوقجي ان يباشر العمل ، لا سيما واهل البلاد التفوا حوله بعشرات الالوف واسلحتهم واقواتهم واعتدتهم ، من اموالهم وعلى نفقاتهم . ولكن القاوقجي كان دوماً يطلب التريث والانتظار لسببين :

اولا : لانتهاء الانتداب بحجة ان المهاجمة ستعرضه لتدخل الانكليز واستعمال القوة ضده .

ثانيا : لاستكمال بقية جيشه وتتمة التعبئة اذ كان مقرراً ان يكون عدد الجيش خمسة آلاف جندى . وهكذا كلما دعاه اهل البلاد لرد اى عدوان او

للقيام بأي هجوم اعتذر وطلب الانتظار.

تنظيم اللجنة العسكرية للاعمال الحربية : رأت اللجنة العسكرية ضرورة تقسيم حملتها الى معسكرين ، واحد يعمل داخل المدن وسموه «حاميات المدن» والثاني قوى الميدان وسموها «القوه الضاربة». وفى دمشق مركز التعبئة ومرجع القوتين وكافة رجال الميدان .

الفلسطينيون منبوذون :

جن المفتى لما بُلغ خبر موافقة الجامعة على ارسال جيش الانقاذ. وكان يرد على كافة الشكاوى التى وردت الدول العربية والجامعة عن قيادته ورجاله واعماله فى البلاد ، والخطر المحدق فى كل مدينة وقرية ، أن السبب هو عدم وجود السلاح الكافى والمال الوافي ، وكان دوماً يطالب باصلاح الحال واكثار المال . ولكن معظم رجالات فلسطين خالفوا المفتى برأيه واجمعوا على انه سبب الخراب والدمار ، وباعث الفوضى والقائد الى الاندحار بلا ريب . وغدت هذه النظرية فى نفوس رجالات الجامعة وفى كافة البلدان العربية من البديهيات المسلم بها ، ليست بحاجة الى البرهان والاثبات . وإن رأينا فى بعض الحالات شذوذاً عن هذه القاعدة بدليل بقاء ابواب الجامعة مفتوحة لسماحته ، واحضان بعض الدول العربية ما زالت تُفرش بالحرير والمخمل لقداسته ، فما ذلك الا لان الجامعة العربية ما زالت تقدس الانكليز وتحترمهم ، ومن طبع الانكليز العطف على عمالهم لا سيما ان بقي فيهم بعد كثرة استعمالهم قليل من عصارة الليمون . هذا ولان الدول العربية يكيد بعضها لبعض ، وحرصاً على الكيد حرصوا على ادواته فبقي للمفتى قيمته . ولكن المقرر من قبل الجامعة اذ ذاك اقصاء المفتى عن

ميدان فلسطين وتسليم دفة القيادة الى «اللجنة العسكرية» ، فهرع المفتى الى الجامعة وقاتل وعارك حتى اصطدم مع اسماعيل بك صفوت وعزام باشا ورحمة النقراشي ، مصادمات عنيفة ، سمع المارون فى شوارع القاهره الصراخ والقذائف وبلغت بسرعة البرق الى كافة الاقطار العربية . واخذ المفتي يتهم الجميع بأنهم يتآمرون على فلسطين ورأسهم عزام ، وهم بدورهم يقولون مسكينة فلسطين على هذه المصيبة . واخذ المفتي يعمل داخل البلاد وخارجها لابعاد اهل فلسطين عن «جيش الانقاذ» . فأصدر بلاغاً بتوقيع المرحوم عبد القادر الحسيني يحذر الفلسطينيين من التعاون مع جيش الانقاذ واعتبار كل من تعاون خائناً يحق عليه العقاب .

واما اللجنة العسكرية فكان بطلها الاول فوزى القاوقجي الذى عمل كل ما فى وسعه لتشكيل جيش الانقاذ . عمل قبل الحرب فى فلسطين فلم يتمكن من اقناع الجامعة لان اوراق المفتي لم تكشف بعد ولم يكن فى الميدان من يؤيد آراء القاوقجي ونظرياته . فلما انفضح المفتي فى الجولة الاولى ، يسرت الايام للقاوقجي المؤيدين من كل فج ، وكان التأييد لنظرياته من كافة الهيئات ومعظم الشخصيات فى فلسطين ، فضلا عن الدول العربية المجاورة . وقبل هذا التأييد وقرار الجامعة كنت ترى القاوقجي على غاية من الرقة واللطف والحماس يركض من زاوية لاخرى وراء اقل شخص من فلسطين ، وكان فاتحاً ابواب بيته على مصراعيها يستقبل الفلسطينيين محدثاً متحمساً مؤكداً واثقاً ويودعهم والمحبة والعطف والاخلاص تسيل من ذيول عباءته الحمراء على كتف سلمه الحجرى المتواضع . ولكن حالما تسلم امر التعيين من الجامعة تغير موقفه واخذ يتملص ويتخلص من وعوده لشباب فلسطين تارة بقوله ان لا سلاح لديه وطوراً بأن

لا حاجة له بهم ولديه القوى الكافية ، وهكذا كلما كان يتبعه فلسطيني الى الميدان كان نصيبه الصد والحرمان.

كثيرون هم الفلسطينيون الذين زاروا الشام احتجاجاً على تصرفات فوزى بك فى الميدان ، وتقدموا الى اللجنة العسكرية يطلبون تجنيدهم والاعتماد عليهم . وكثيرون الذين تحدثوا مع مختلف اعضاء اللجنة العسكرية ووسطوا اكابر شخصيات العرب لان يقبلوهم جنوداً فى جيش الجامعة العربية ، فكان جوابهم الرفض ، اللهم الا بعض النفر القليل ممن وافقوا عليه لاسباب خاصة . وذات يوم زار الشام فريق من خيرة ابناء فلسطين ، وهم من الضباط المتمرنين والجنود المسرحين ، وكنت فى معيتهم وكانوا قدموا خصيصاً لضم فرق من الشباب الفلسطيني الى جيش الانقاذ . كما ان فريقاً آخر زار الجامعة لنفس السبب . وقدم الشباب الفلسطينى المذكرات لكافة الهيئات الرسمية يطلبون ان يكون جيش الانقاذ منهم ومن اخوانهم ابناء فلسطين ، ذاكرين الاسباب التالية :—

١ ـ ان فى البلاد عشرات الالوف من الشباب فى سن الجندية وراغبين فى التضحية .

٢ ـ ان ابناء فلسطين أولى من كافة ابناء الاقطار العربية فى الدفاع عن ديارهم وانه من العار ان يأتى الغرباء عن فلسطين للدفاع عنها وهم نيام.

٣ ـ انهم ادرى الناس فى معرفة الديار والمواقع والطرقات والاعداء .

٤ ـ انهم اقوى على القتال لأنهم يدافعون عن ارواحهم واملاكهم ونسائهم وقبور آبائهم.

٥ ـ ان نفقات تنقلهم تكون جد قليلة بالنسبة للنفقات الباهظة للقادمين من الخارج.

٦ ـ ان لهم حافزاً وهدفاً للقتال معنوياً وروحياً ، وهو الوطن والامة ، ولا حافز للقادمين الاجانب الا المادة.

٧ ـ ان ما كانوا يشكونه هي القيادة والمفتى واعوانه ، وما كانوا يرجونه من الجامعة هو تشكيل قيادة جديدة وهذا ما فعلته وعليكم ان تختاروا الجنود من ابناء فلسطين فقط ، ففيهم الكفاية بأقل نفقات.

٨ ـ ان لديهم حوالى خمسة عشر الفاً من جنود الميدان المدربين يجب الاستفادة منهم.

ورغم هذه الاحاديث والحجج والوسائط ، قيل لنا صراحة ان اهل فلسطين لا يوثق بهم وانهم من رجال المفتى ، وان سلم لهم السلاح سينقضّون على قادة جيش الانقاذ ، لهذا يجب ان يهملوا ويكون الجميع على حذر من تصرفاتهم.

وقيل لبعض الاسياد فى مصر ان اهل فلسطين خون ، جواسيس لليهود ، وجميعهم من صنّاعهم ، ومعظمهم تجد له سمة اما فى لسانه او راحة كفه او اخمص قدمه او بين شعرات ذقنه ، حتى اخذ المصريون يحلقون فى افق الخيال الواسع واقتنعوا ان الفلسطينيين لا يصلحون للقتال فى هذه الحرب المقدسة.

وعلى ما اعتقد ان اسباب هذه الاشاعات والاذاعات عن ابناء فلسطين ، هو خوف منظمي الفتنة منهم . اذ لو تيسر لفلسطين قيادة وجيش ، لما ترك للمفتى الرسن على غاربه يلعب فى مقدراتهم كيفما يشاء ، ولما سرح القاوقجي ومرح ولما استهتر العرب بفلسطين ، ولما جرت المدنة على ضيم وعار ، ولما ضمت فلسطين ، ولما شكلت حكومة عامة لها ، ولما كان حاجة الى صليب احمر ولجان « كلاب » ولما استجدى الفلسطينيون عرباً ويهوداً السلام.

وهكذا انتقل العرب الفلسطينيون من «تحت الدلف الى تحت المزراب»، وباتوا لا مع سيدهم ولا مع سيدتهم بخير.

وهدم أبناء البلاد انانية المفتى، وجهالة المصريين، وذكاء عبدالله، وخوف الاستقلاليين، وتجارة قادة جيش الانقاذ.

طينة جيش الانقاذ

جلس القادة الخمسة الكبار على عروش مجدهم، وكان لى شرف التعرف عليهم عدا احدهم وهو محمود بك الهندى. وقبل ان نحلل الجيش تعالوا بنا نستعرض القادة:

١ ـ اسماعيل بك صفوت:



اسماعيل صفوت مفتش جيش الانقاذ

عراقي صلب العود اصلا وازدادت صلابته وخشونته بتربيته العسكرية البادية فى كلامه وحركاته وافكاره، جلست اليه الساعات الطوال فوجدته فاهماً عالماً قادراً، وبعد ان استعرضت موقف فلسطين واهلها قال فى صراحة:

«بلادكم ستضيع بين المفتى وعبدالله»، سار فى تفتيشه ودراسته، وما كاد يكتشف الحقيقة الا والمعركة قد اوشكت ان تنتهي فغسل يديه من دم التضحية وانعزل عائداً العراق بعد خراب بصرة.

٢ ـ طه باشا الهاشمي :ـ رجل عجوز ، فى ملامحه آثار من القوة العسكرية، يميل الى المرف والخرف فى كلماته وتصرفاته اكثر من ميله للرزانة والعقل، وقت فى ساعده ان احيط بزمرة من اقرانه فى السن والعقلية امثال نبيه بك العظمة ، وعزت بك دروزه ، ومعين بك ماضى، وشكرى بك القوتلى، ورشيد بك الحاج ابراهيم اركان حزب الاستقلال الخائر القوى والعقل، أضلوا سبيله وزادوا على ما به ترددآ وضعفاوفوضى.

زرته وبعض زملائي وكان فى مجلس معين الماضى ، وما كدت اجلس فى حضرته وما كاد يتعرف علي لاول مرة حتى هش وبش وقال بملء فيه :ـ «الرجاء اخي ان تسرد علي قصة الحية من اولها» ،وأصر كل الاصرار ليسمع مني تشريح المفتى وقيادته ورجاله واعوانه واعماله ، وكان قد سمعها على لسانى من اروقة الجامعة وبلاط الملوك والرؤساء ، فقلت : «ما فات مات ، لنسدل ستاراً كثيفاً على ما جرى ؛ فى الميدان حيات ، ونحن اليوم هنا جنود نلبي دعوتكم للدفاع عن ديارنا وبلادنا ، فنحن جيش لا ينقصه الا القادة والمعدات والاموال وهى لديكم موفورة » . فضحك وقال : «والمفتي الا يعود فيسيطر عليكم» نحن ادرى الناس بالموقف، ولدينا الرجال ولا مجال لابناء فلسطين فى هذا الميدان» وهكذا خرجنا نجر اذيال الفشل والخذلان.

٣ ـ صبحي بك الخضرا :ـ فلسطينى صفدي من اعضاء حزب الاستقلال كان ضابطاً فى الثورة العربية الكبرى وعين اذ ذاك مديراً للامن فى دمشق، ثم عاد الى فلسطين وكان ضابطاً عند سلطات الانتداب ، وفى النهاية استقل واشتغل محامياً فى حيفا. كان صبحي يتردد دوماً بين الاحزاب والهيئات،مع المفتى وضده ، مع حلمي باشا وضده ، مع اللجان القومية وضدها ، الى ان استقر فى

اللجنة العسكرية وخصص لشراء العتاد . اجتمعت وإياه مراراً عدة ، واهمها في مصر بعد تعيينه الجديد ، فعرضت عليه قضية البلاد والشباب وموقف الجامعة العربية والمفتي واللجنة العسكرية منا ، فقال : «نحن حريصون جداً على ان لا نغضب سماحة المفتي ، وبحاجة ماسة الى مسايرته . فالمفتي لا يرغب في تجنيدكم ، ونحن حرصاً على وحدة الصفوف لا يسعنا الا النزول عند هذه الرغبة .واعتقد ان في ترتيباتنا الكفاية لتحقيق الاهداف والتغلب على الاعداء» . وهكذا انصرف صبحي بك للتجارة واهمل شأن الشباب.



فنجان قهوة وسيجارة مع فوزي القاوقجي

٤ ـ فوزي بك القاوقجي : ـ محدث لبق وشخصية جذابة ، وتصويره للمعارك والمغامرات والبطولة اكثر بكثير من حقيقتها ، حتى يكاد يأخذ بلب سامعيه ، كان يتظاهر بالغيرة والحماس ويتحرق شفقة وحنانا على اهل فلسطين ، ويتحين الفرص للانقضاض على الاعداء فيعيد سيرة خالد وطارق وصلاح الدين ، وللناس الظاهر والله اعلم بالسرائر . كثيراً ما حدثنا وشجعنا قبل المعركة حتى نال منا التأييد التام وطفقنا في بلاد العرب مبشرين مهللين ، داعين لاعتماده وتسلمه زمام الامور ، الى ان تحققت الاحلام ونزل القاوقجي الى الميدان.

زاره الشباب وتقدموا للخدمة في معيته فاعتذر واقصاهم لما سبق من الاسباب.

سار القاوقجي في المعركه واخذت العيون تتطلع اليه وهو يتطلع الى الكأس

ويستمع الى صوت المغنية سهام. ولما جنت بلاد العرب ونضب معينها طار الى باريس حيث حالفه يونس البحرى بجمع النقود باسم الضحايا والشهداء.

٥ ـ محمود بك الهندى : ـ لم يكن لى شرف التعرف عليه ولست ادري أذاك لخيرى ام لخيره، ولكنى علمت أنه الصديق الحميم لابى ابراهيم الصغير والى عزت الشريجي متعهد مؤن جيش الانقاذ. والذى شاهدته فى الميدان ان جيش الانقاذ كان حافياً عارياً يعتمد على ما فى بيوت الفلاحين من حذاء وعلى ما فى حوانيت البلاد من بضائع

قواد الدرجة الثانية فى جيش الانقاذ :ـ

كانوا فريقين ، قواد القوة الضاربة فى الميدان ، ورجال الحاميات فى المدن . واليكم شخصيات اشهرهم :

أ) قواد الميدان : الشيشكلى ، ومهدى صالح ، ومحمد صفا ، وشكيب الوهاب ، ومدلول بك . وسيأتى ذكرهم عند البحث فى اعمالهم.

ب) قواد الحاميات : سارى الفنيش حامى صفد ، من شرق الاردن تابع للجيش العربى وحوله عدد من ابناء الخضرا اقرباء صبحي بك . سلوه بربكم لماذا ترك صفد عند اشتداد القتال وسلمها لليهود وانسحب ؟ هل كان ذلك لانه علم بأن المفتى تلك الليلة عزم على دخول فلسطين ، وخرجت جموع المجاهدين لملاقاته وزينت البلاد وعيدت الناصرة ، ولما عرف ان المفتي رجع قيل لهم ان العيد بمناسبة احتلال صفد من قبل العرب . وكذبت الايام الرواية وحققت سقوط صفد فى تلك الليلة.

محمد الحمد لحيفا ، وهو من شرق الاردن . كان المرحوم نشيطاً،عسكرياً،



الشيشكلي في قيادة المنطقة الشمالية

الا ان يد المنون اختطفته وهو ينقل المفرقعات بالقرب من قريات حايم على طريق عكا ـ حيفا وبصحبته يد المفتي اليمنى فى الارهاب والاغتيال ، مسرور العبد الذى لم يعثر على جثته لا فى الارض ولا فى السماء. وخلفه امين عز الدين ومساعده امين النبهانى ، وكان امين عز الدين ورعاً تقياً وجنديا قديراً، ولكن تنقصه الادارة والحزم والعزم ، لا يصلح للقيادة ولم يدر كيف سقطت حيفا من بين يديه فانسحب بحراً الى عكا ومنها الى دمشق حيث اعتزل.

حسن شبلاق ، حامى عكا ، شاب متحمس عاطفي سهل الانقياد ، اصله من طيرة حيفا، وكان يشتغل فى حيفا فى العمار والطرقات كمتعهد ، امىّ لا يعرف من الشؤون العسكرية شيئاً ، يحوز ثقة المفتى مئة بالمئة . عُين قائداً لعكا لان

عكا برأى معين بك الماضى وطه باشا الهاشمي ليست بذات قيمة عسكرية ويسهل الدفاع عنها بأقل الاسباب . الا ان عكا لم تحمل بضع ساعات من الحملة الفاصلة. واجتمع فى عكا بعد سقوط حيفا بعض حماة حيفا امثال يونس نفاع وابو محمود الصفورى، وكان الناس يظنون ان فى عكا قوة ودفاعاً. وكان اليهود موهومين بعكا وسرعان ما انكشف امرها واذا بالمجاهدين فيها بضعة رجال من اهل القرى وقليل من شباب البلد . وما كاد يدخلها اليهود الا وفرّ الباقون من الشاطىء الى اعلى الجليل وعاد حسن شبلاق وابو محمود الى صفورية .

قائد حامية الناصرة : الناصرة فى نظر جيش الانقاذ ليست بخطر من الاعداء ، ولذلك اتفقت قيادة جيش الانقاذ على ان يُعين لها شخص من رجال المفتي. وعين المفتي حامياً لها ابا ابراهيم الصغير ، هذا بالاضافة الى تعيينه السابق كقائد عام للجليل . ولما علم اهل الناصرة بهذا التعيين ، توالت وفودهم الى دمشق لمقابلة اللجنة العسكرية والمفتي وهم فريقان : احدهما يقول بعدم صلاحية ابي ابراهيم للقيادة لاسباب عدة اوردوها ، والآخر يقول هو رجل الساعه . وهكذا تغلبت ارادة المفتى ورجحت الكفة وبقي ابو ابراهيم الى ان سقطت الناصرة وهو لا يدرى ما يدور حوله . واضطر الى ترك متاعه وسلاحه ورجاله وركب كديشاً وسار متسللا من بين اكتاف الاودية الى الشام .

حامية طبريا : عينت قيادة جيش الانقاذ كامل الطبرى للقيادة ، ولما كان بيت الطبرى من الموالين لصاحب السماحة وصدقي وخليل ونايف يعملون فى معيته ورهن اشارته ، سكت المفتى عن هذا التعيين . اما قائد الحامية فقام ببعض الضربات للسيارات اليهودية داخل البلد ، فهاجمه اليهود وجاء لنجدته بعض اعوان المفتى من اعالى الجليل بقيادة صبحى شاهين ، واحتدمت المعركة ودامت

عدة ايام الى ان فرغت الذخيرة . وعبثاً حاول الرسل ان يحصلوا على بعض الامدادات من جيش الانقاذ . فسقطت طبريا وخرجت الحامية بواسطة الانكليز وتحت حمايتهم وكذلك السكان ، قسم توجه الى الحمة والآخر الى الناصرة واصبحوا فى عداد اللاجئين .

حامية طولكرم : جاءها مدلول بك وكان فيها حاكماً مطلقاً وعاتية مستبداً يحكم فى رقاب الناس هو ومن معه من العراقيين . واتوا من المنكرات والاعتداءات ما اضطر القيادة الى نقله الى الناصرة .

قائد حامية يافا : عين الضابط العراقي عبد الوهاب. وهو رجل عسكرى حسن الخلق ، قوى الايمان ، واسع الاضطلاع ، طاهر الضمير والوجدان . زار يافا واجتمع الى ضباط حاميتها وقادتها، وكان فى حضرته نخبة القوم وار كان الحركة : صلاح الناظر ، محمد عمر عوده ، رفيق الاصفر ، الحاج خالد الفرخ ، عبد الرحمن السكسك ، مصطفى الطاهر ، امين عقل ، احمد ابو اللبن ، رشاد الدباغ ، صبحي الشركس ، جميل القدومى ، محمد الغلايينى ، جمال الحوت ، محمود البلبيسى ، اسماعيل العيساوى . فسأل القائد الجديد كلا من رجال القيادة هؤلاء عن اعمالهم وحرفهم ، فقالوا على الترتيب التالى :— كاتب فى شركة الرياض ، تاجر فى نقابة البيض ومعلم سابقاً ، سكرتير جمعية العمال وعضو الحزب الشيوعي ، مراسل جرائد ومن قدماء المجاهدين . محام ، صاحب مكتبة ومعلم سابقاً ، محام ، تاجر ، معلم ، سائق سيارة ، معلم ، تاجر ملاك ، سائق سيارة ، مختار ... فنظر اليهم نظرة استهتار وتعجب وقال فى لهجته العراقية : «ماكو عسكر ... ماكو جنود ... ما يصير ، ما يصير ... شنو أدافعون وتحاربون وانتم لا تفهمون؟».

وبعد دراسته احوال يافا ومحيطها كتب تقريراً هائلا رفعه الى اللجنة العسكرية والجامعة العربية وطلب ان يكون في الميدان قوى محاربة او اعتبار يافا مدينة مكشوفة ، وانسحب ورفض ان يلطخ يديه بدماء الابرياء . وهكذا عاش عبد الوهاب شريفاً نظيفاً فقيراً ، وما زال يروى هذه القصة حتى الان في عمان.



عادل نجم الدين
قائد حامية يافا من قبل القاوقجي ومصطفى الطاهر قائدها من قبل المفتي في زيارة لهم مع اسرة مستشفى الحكومة في يافا .

وعقبه عادل نجم الدين : ضابط عراقي برتبة عالية ومعه بعض الجنود كان يرجع اليهم الفضل الاكبر من انهيار يافا وفوضاها وفسادها وتشريد اهلها ونهبها. ورغم عسكريته كان ضعيفاً متردداً سيطرت عليه اللجنة القومية ، واصبح

لا يدرى فى اى الاوضاع هو ، وغرق فى المسكرات والموبقات ، وسابقه جنوده فى هذا المضمار حتى الرحيل ، وكل منهم نهب وحمل من خيرات يافا وارزاقها واموال اهاليها الكثير الى بلاده. اما عادل نجم الدين فبالاضافة الى ما جمع من قليل الحجم وغالى الثمن ، حمل معه غانية يهودية معروفة منذ سنوات فى مهنتها بيافا ، وقبض عليه وهو متلبس فى جريمته ، وضبطت الفتاة وهى مقنعة بلباس المسلمات. ودوّن محضر قضائى وجاء ضابط يافا السابق «سعادة الجلاد» وتعرف عليها وقال انها يهودية اسمها استر ، وان كثيراً ما ضبط فيها قضايا واعطى علامة فارقة فى جسدها ، . فتحققت سلطات الامن اقواله واعترفت الفتاة بحقيقة امرها . ووقف عادل بك نجم الدين عند اسمه .

قائد حامية المجدل : طاهر الافريقي ، عبد اسود ، جندى ولكنه لم يظهر نشاطاً والغى المصريون بقدومهم وظيفته .

قائد حامية غزة : عاهد السخن، من ضباط الجيش العربى الاردنى سابقاً، وهو مختص فى الشؤون المالية ، فجيء به للشؤون العسكرية لان المفتى وافق على تعيينه نزولا على توصية رفيق بك التميمي صديقه الذى سبق ان رشحه قائداً لمنظمة الشباب فى فلسطين . وكان فى غزه رجال وشباب ، ولما تعين عاهد السخن تفرق القوم وتمردوا وعجز عن ضبطهم الى ان دخل الجيش المصرى فانقذ الموقف وسرح السخن .

قائد منطقة بيسان : اسماعيل طهبوب، من الخليل وهو من ضباط الجيش البريطانى .

اما المدن الاخرى فلم يكن لها قواد وحاميات خاصة بها لاعتقاد العامة انها بعيدة عن الاخطار . وفى القدس قيادة المرحوم عبد القادر بجب ان لا يمسوها خشية الاصطدام مع المفتى .

اعمال جيش الانقاذ الحربية فى فلسطين :

دخل جيش الانقاذ واخذ يعسّ ويجسّ ، ويتمركز ويتحفز ، فاحتل الاماكن الحصينة المتينة من قلب البلاد ، واوعز الى شرذمتين منه فى اختبار قوى اليهود وحصونهم ووسائل دفاعهم ، فأجرتا تجربتين فى ناحيتين من البلاد اولهما يوم جدين وثانيهما يوم الزراعة . واختصار ذلك ما يلى :—

أ) يوم جدين : وجه الشيشكلي وهو القائد المسؤول ، كتله من رجال جيش الانقاذ يبلغ عددها حوالى مئة جندى تحت قيادة خليل عيسى (وهو ابو ابراهيم الكبير) قائد ثورة ٣٧—٣٩ فى هذه المناطق من فلسطين ، لمهاجمة المستعمرات اليهودية فى الجليل الغربى . فترك المستعمرات التى على الحدود الشمالية مثل حانوتا وأيلون اعتقاداً منه بانها اكثر تحصيناً لقربها من الحدود ، ولعدم تعاون العرب المجاورين معه مثل عرب العرامشة والسمينة وبعض عربان الهيب ، وهم من سكان بيوت الشعر وبعض البيوت الحجرية فى تلك النواحي وسار فى كتله يتلمس بقعة بعيدة عن الاعين صعبة المواصلات فى ديار آمنة وفى محيط عربى غير موالى لليهود ، وقليلة الحصون والحامية، فسار الى قلعة «جدين» وهي قلعة رومانيه حصينة ذات اسوار وابراج عالية طالما هزأت بالفاتحين والغازيين ، تقع على رابية مرتفعة فوق سلسلة من تلال تشرف على البحر وتطل على كافة الساحل الشمالى وتعلو عن مستوى القرى العربية القابعة بالقرب منها .

واقرب القرى اليها قريتا ترشيحا ومعليا من فضاء مكاه عليها طريق معبد يسير الى القرى الشمالية والساحل الغربي ، وفيها حامية قليلة العدد قوية الدفاع. فعسكر بجنوده على مقربة منها وضرب عليها نطاق حصاره حتى يضطرها الى التسليم رهبة او جوعاً او عطشاً ، ولكن الحصن واهله بقوا ثابتين يهزأون بالقادمين كما هزأ من قبل من احتمى مثلهم في الحصن من عاديات الزمن وايدي الحدثان وقوى العدوان . واخذت الطائرات اليهودية تنزل على الحصن الغذاء والشراب من اعلى السماء ، ومن كان محاصراً في الخارج يتحسر جوعاً وعطشاً . وبعد يومين على هذا الحال ، قرر مهاجمة الحصن مستعملا القنابل اليدوية والمدفعية البسيطة والبنادق السريعة الطلقات . ولكن ماذا تفعل اللحوم والاجساد في الصخور والقلاع ؟ وفي كل مرة يحاولون الهجوم فيعودون بالفشل يجرون قتلاهم وجرحاهم حتى بلغ عدد القتلى حوالي ثلاثين رجلا ضربهم اليهود وهم في اعلى الحصن . وبعد كل محاولة فاشلة كتبت القيادة العامة له بالانسحاب ولامت ابا ابراهيم على هذا التصرف الفاشل ونحته عن القيادة وعزلته واقصته عن الميدان وتفرق جمعه في مختلف انحاء بلاد العرب . وهكذا ارتد العرب عن هذا الحصن الوحيد الثاني في تلك الديار ، بالخزي والعار، وبقي في يد حاميته ورجاله حتى اليوم . وتغلب هذا الحصن المنفرد على قوى القاوقجي وجميع السكان العرب الذين كانوا في جواره .

وكانت هذه المعركة درساً لليهود عن قوى العرب ونوع قيادتهم وسلاحهم وطرق هجومهم ودفاعهم ، واخذ رجال اليهود الحربيين يضحكون ويهزأون كما يهزأ العاقل من مجنون يحاول نقل البحر في طاقيته . ولكن اليهود بقوا ساكتين لم يضجوا او يفضحوا سر ما اكتشفوا ، بل بقي رجالهم يحسبون

القوى المقاتلة كل حساب وضاعفوا من سهرهم وحراستهم ووسائل دفاعهم . اما العرب فقد اكتفوا بتنحية القائد ونقل الجنود، ولم تعتبر القيادة العليا ولم تدرس اسباب الفشل لتتقيها فى المستقبل . اما الصحافة العربية والاشاعات الكاذبة فعملت منها نصراً وفتحاً . ووقعت هذه المعركة فى اواسط كانون الثانى سنة ١٩٤٨ .

ب) معركة الزراعة : وهى مستعمرة يهودية زراعية فى اطراف مرج ابن عامر قرب بيسان، وكان قائد الحملة فيها محمد بك صفا السورى ، قدم اليها بحوالى اربعمائة مقاتل زاحفين مشياً على الاقدام ، اسلحتهم خفيفة ، بنادق سريعة الطلقات ومعهم الالغام والقنابل . واختار يوماً من ايام كانون ثانى الماطرة ، وكان الماء ينزل من اعلى السماء كانه من افواه القرب ، حتى غرقت الارض وانقلبت الى بحر من الماء والاوحال ، وكان الرجل يغرق فى التربة الى ما فوق ساقيه . والمستعمرة محصنة وفيها الابراج والخنادق وتحيطها الاسلاك الشائكة ، وبيوتها وزعت على شكل حربى مستدير على رفعة من الارض كأنها قلعة حصينة لا ينقصها الا الابراج والاسوار ، وفى جنبات المستعمرة برك اعدت من قبل لتربية الاسماك. فامر القائد الجنود بالزحف والتقدم ، وامرت المستعمرة بفتح ابواب البرك فغرقت الارض بالماء المتجمع حتى غدا المحيط كأنه بحر من ماء . فاخذ الجنود يزحفون ولكثرة الماء تعذر على الكثيرين الزحف على الارض اتقاء لنيران الاعداء ، ودارت المعركة ، وتخطى المهاجمون الاسلاك ، وارادوا استعمال الغامهم الا ان رطوبة الارض وماء السماء حال دون الاشعال. وامطرهم اليهود فوق مطر السماء من افواه بنادقهم ، فاصيب خلق كثير وقتل منا لا يقل عن سبعين مجاهداً فى هذه المعركة ، وكان بعض رجال اليمن بين

الجنود ، فلم يبالوا بنيران الاعداء واخذوا يصيحون باعلى اصواتهم مهللين مكبرين ، ومر احدهم على المجاهدين وهم يزحفون على بطونهم اتقاء نار العدو ، فصاح اليمنى بالزاحفين ووقف وقال : «شمـوا ، الا تشمون رائحة الجنـة ، انى اراها تقترب ... فقوا شموا الرائحة» وسار هاجماً الى الامام حتى خرّ صريعاً برصاص الاعداء .

وهكذا فشل الجيش الزاحف فى المعركة الثانيـة ، وذهبت التقارير الى دمشق تشكو سوء ادارة القائد وتصرفه . وقال القـائد انى اعلم ان ذلك اليوم لا يصلح للهجوم ولكنها اوامر القيادة العليا التي لا يسعنى الا ان انفذها مهما كلفنى الامر ، والتي لا تجيز لي ان اعدلها او اغيرها وفقاً لمقتضى الحال . فما كان من القيادة العامة الا ان كافأته على هذه الطاعة العمياء بان رفعت درجتـه وزادت راتبه .

ثم قام جيش الانقاذ بمعارك سافرة يريد بها استدراج العدو كي يخرج من وراء جدرانه وحصونه الى العراء حيث تجرى المعركة الفاصلة التى تقرر المصير . واختير يوم اقرب ما يكون لدخول الجيوش العربية فى اواخر نيسان ، وزحف فوزى القاوقجي بنفسه الى قلب مرج ابن عامر ، من مثلث الرعب الى اللجون حيث جرت معركة «مشهار هاعيمك» .

معركة مشهار هاعيمك :

مشهار هاعيمك قريـة يهودية قامت على اقدام الجبـال باطراف مرج ابن عامر وعلى فوهة المضيق الذى يوصل السهـل الساحلى فى المرج . وسميت مشهار هاعيمك وتعنى حارسة المرج . واليهود اختاروا بعض المواقع فى فلسطين وسموها

بأسماء تدل على مكانتها الحربية ، فلديهم مشمار هايردن فى الشمال وتعني حارسة الاردن ، ومشمار هاشرون وتعني حارسة السهل الساحلى .

ولهذا الموقع مكانة فى التاريخ الحربى، وفيه جرت مواقع عدة فى التاريخ. ومنه دخل الفراعنة فلسطين فى معركة مجدو ، ومنه دخل الرومان واليونان ، ومنه دخلت جيوش الحلفاء . ولو تمكن العرب من احتلالها ويدهم الطريق الى السهل الساحلى تمكنوا من فصل البلاد وشقها الى قسمين شمالى وجنوبى وعزلوا اليهود بعضهم عن بعض.

جمع القاوقجي جموعه، وجهز مدافعه الثقيلة والخفيفة ، وسياراته الميكانيكية، ودباباته ورجاله ، وأجهز على القرية فأطبق عليها من جميع جهاتها واخذ يمطرها بوابل من افواه مدافعه وبنادقه ، الى ان رفع اليهود شارات الامان . وبدأت المفاوضة للاستسلام وابتدأ القاوقجي باملاء الشروط واعلن الامن والسلام لكافة سكانها . فطلب اليهود المفاوضة والمهادنة ريثما يجرى الاتفاق ، وهنا بدأ النشاط السياسى ، وعقد اجتماع فى نور شمس بين القاوقجي ومدلول بك وسليم الاصيل وغيره من الرجال مع اليهود . واراد القاوقجي ان ينهي معركة فلسطين فى هذه المفاوضات يدعو فيها اليهود فى كافة البلاد الى الاستسلام والخضوع الى سلطة العرب . وبينما كانت الصحف والبلاد ورجال الساسة يتغنون بالنصر المحقق ، طلب اليهود تمديد الهدنة الى مدة اخرى كي يتشاوروا فى الامر . وقبل انتهاء الموعد جاءت الدبابات اليهودية من كل فج ، وبرزت المصفحات لاول مرة ، ورمى اليهود بقوة هائلة الى الميدان اطبقت على جموع القاوقجي من كل ناحية ، ودارت رحى معركة طويلة وعنيفة واصبح القاوقجي مطوقاً بعد ان كان مطوقاً ، ودب الفزيع وتحرك القوم لا نقاذ جموع القاوقجي

وهنا كان يوم مشهود من ايام اهل فلسطين ، لبّوا النداء وقام الفزيع من كافة القرى وأحاطوا بجموع اليهود ، ولكن المعركة جدّ والحرب لا هوادة فيها . فأشار اسماعيل بك صفوت فى فتح جبهة ثانية فى الشمال بواسطة شكيب الوهاب فى جهات شفاعمرو حول مستعمرة كفار عطا فكان ذلك وسنعود اليها فى حينه. ورغم فتح الجبهة الثانية ، ورغم كثرة الفزيع تفوق اليهود فى هذه المعركة وضايقوا القاوقجي اى مضايقة . ولولا ان اسعف الله القاوقجي فى الجيش الاردنى الذى ارتدى الملابس المدنية ونزل الميدان للنجدة لما كتب الله للقاوقجي وجيشه السلامة . وهكذا بفضل الجيش العربى الاردنى انقذ القاوقجي وانتهت المعركة بانسحاب جموع جيش الانقاذ من المرج وعودتها الى مثلث الرعب . اما القاوقجي فبعد انسحابه من المعركة عاد الى عمان ليقبّل يدى الملك شاكراً له اسعافه .

وهنا كثرت الاقاويل على سبب تأخر القاوقجي ومفاوضاته ، فبعد ان كانت المستعمرة اليهودية فى قبضته ، عاد واذ هو فى قبضة اليهود . ولولا الجيش العربى لما افلت من شباكهم .

معركة شفاعمرو وكفار عطا

كان قائد هذه المعركة شكيب وهاب قائد الفيلق الدرزى فى جيش الانقاذ ، وعدد حاميته حوالى خمسمائة مقاتل ، جاء مخترقاً الجليل حيث عسكر حوالي شفاعمرو . وشكيب من رجال الثورة السورية، مارس القتال فى الثورات ولا يعرف فنون الحروب واصول القتال الفنية العسكريه . فتح المعركة ليخفف الضغط عن فوزى فى مشمار هاعيمك . وعوضاً ان تكون كراً وفراً ، اذ بها معركة واسعة النطاق على جبهة طولها ثلاثين كيلومتراً تمتد من هوشه والكساير

فى قضاء شفاعمرو الى بيت لحم وام العمد وما بين الناصرة وحيفا على اطراف غابة العبيرية .

وتغلب اليهود على جموع شكيب من الدروز فى معركة هوشه والكساير ، فاضطر للانسحاب وتبعه اليهود فاحتلوا القرية . ودب الفزع فقدم دروز الشمال من شفاعمرو وجولس وبركا ويانوح ومختلف الجهات ، وقدم العرب من اقصى قرى الشمال وعلى رأسهم ابو محمود الصفورى ونمر محمد ابو النعاج ، وكان للاخير الفضل فى ايقاف اليهود واسترجاع قرية هوشة . ثم كرَّ اليهود مرة ثانية فردوا . وفى النهاية قتل الدروز احد رجال المغاربة فى هوشه ، واخذوا ينسحبون اثر اجتماعهم مع اليهود . ويقال ان اليهود تعهدوا ان يدفعوا دية الدروز الذين قتلوا فى هوشه والكساير وعددهم حوالى ستين شخصاً على ان ينسحب شكيب وهاب وجمعه وبعدها انسحب شكيب واحتلت هوشه وبات اليهود على ابواب شفاعمرو . وساروا من جهة ام العمد وبيت لحم الالمانيتين ، فاحتلوهما . وبقي بعد مغادرة الدروز ابناء البلاد بقيادة ، احمد التوبه ، وخضر ابو العلا ، ونمر محمد ابو النعاج وابو محمود الصفوري ، وسار القتال مناوشة كراً وفراً .

ثم وجه القاوقجي قسماً من جنوده الى قضاء القدس لنجدة عبد القادر فى القسطل . فسار محمد الصفا وجاء رام الله . وقام ببعض المناوشات واطلق نيران مدفعيته من اعلى الجبال على قرية كفار عنفيم وموتسه . ولكن عبد القادر عارضه وجرى النزاع بينهما الى ان استشهد عبدالقادر .

هذه خلاصة ما قام به جيش الانقاذ فى الميدان حتى دخول الجيوش العربية .

سقوط المدن الفلسطينية



فرقة البحرية الاسرائيلية تسير في الشوارع إثر النداء بالدولة الاسرائيلية وتحتل ميناء حيفا

رفض العرب جعل المدن الكبرى مدناً مفتوحة بعيدة عن ساحة القتال. ولطالما طلب اليهود ذلك وتوسلوا بكل طريق، وان كان بعض رجالات العرب اقتنع بصواب ذلك ووجوبه لمنفعة السكان الآمنين، الا ان الزعامة الفلسطينية، صاحب السماحة اتهمهم بالخيانة والجبن والتواطؤ مع اليهود ورفض عرضهم بكل شدة واصرار.

ففي عكا طلب اليهود من لجانها وقيادتها وبلديتها السماح لقوافلهم بالمرور الى مستعمراتهم في نهاريا والشمال لتزويدها وتغذيتها، فأبوا السماح أصلا، وبعد مفاوضة من رجال القافلة اليهودية، اذن لهم العرب بالمرور شرط ان يفتش العرب السيارات. ثم رفض اليهود ورفض العرب وانفض الاجتماع على غير

وفاق ، وتوعد اليهود بالعودة الى البلد فاتحين.

وفى حيفا كثيراً ما طلب اليهود ايقاف التعديات والمصادمات واطلاق النار ، فلم يصغ العرب . وعندما اشتد القتال تجرأ العرب للجلوس مع اليهود فى دار البلدية ، وارادوا ان ينزلوا على عرض اليهود باعتبار البلد مفتوحة ، وطار بعض رجالات حيفا وعلى رأسهم سيادة المطران حكيم ورشيد الحاج ابراهيم ومعه شبلاق والعباسى الى القاهرة، ولكن الزعامة رفضت الاصغاء لهذا الحديث ورفضت بكل كبرياء .



اخلاء القوات البريطانية الى الجاعونة واحتلال الهاجنا الاسرائيلية لها

وفى يافا كثيراً ما حدّث اليهود العرب بلجنتهم القومية وبلديتهم ومجلس الأثمار الحمضية ومجلس الامن فكان الجواب بالرفض . وعندما اتفق الهوارى وهو رئيس مجلس الامن ومنظم شؤون الشباب فى البلد على ايقاف القتال ، اتهم بالخيانة والخروج والتواطؤ مع اليهود ، واقصي عن الميدان مكرهاً لقوة التيار .

وهكذا اعتبرت المدن الفلسطينية مدن حربية وساحات رسمية للحرب والسجال . وكان الجزء الاهم من الحرب يدور فى هذه المدن الكبرى . وكان الواجب العناية فى الدفاع عنها وعن مواصلاتها ، وكان الواجب الاستماتة فى الدفاع عنها من بيت لبيت لما يترتب على معركتها من أثر فى سير الحرب وعلى اهل فلسطين انفسهم . ولكن شيئاً من هذا لم يجر ، وبقيت الانانية والفوضى واللصوصية والسلب والاستغلال والاستهتار ضاربة اطنابها فى كافة المدن على السواء دون تفرقة ، الى ان اخذت فى الوقت المضروب ، وعند كر اليهود ، تسقط واحدة تلو الاخرى دون ان يُدافع عنها اى دفاع يستحق الذكر. والاسباب التى ادت الى سقوط هذه المدن تكاد تكون واحدة يجدر بنا اجمالها :

١ ـ تنازع السلطات بين رجال الجولة الاولى موظفي المفتي ورجال الجولة الثانية حماة القاوقجي . فما كان لفريق ان يخضع للآخر رغم الخطر الداهم .

٢ ـ عدم وجود وسائل الدفاع، لا خنادق ولا ابراج ولا نقطولا حصون.

٣ ـ عدم وجود القادة المدربين المخلصين للقتال فى المدن .

٤ ـ عدم وجود حاميات منظمة مختصة للدفاع فى البلد وكل ما فيها فوضى وثورة .

٥ ـ خبث الانفار القلائل الذين رافقوا قواد الحاميات وسوء تصرفهم ، اذ نزلوا للسكر والعربدة والسرقة والسلب والاعتداء على اعراض الناس.

٦ ـ تجريد ابناء المدن من اسلحتهم وحصرها او تسجيلها والتصرف بها وفق رغائب رجال الحاميات .

٧ ـ تصرفات اللجان القومية وسرقتها لاموال افراد الشعب وفرضها الضرائب الشاذة على المقيمين والمغادرين بشكل لا يحتمل ولا يطاق مع العلم

انها تتسرب لجيوب الافراد لا الجماعات .

فتصور يافا مثلا ، كيف ان عبد الرحمن الهباب وامين عقل ومصطفى الطاهر وعلي الدباغ ، جمعوا الاموال بالتهديد وباسم الجهاد ، وحصلوا من كل راحل ان كان ولداً خمسة جنيهات ومن المرأة عشرة ومن الرجل من ٢٠ ـ ٥٠ جنيهاً . ورشاد الناظر كيف حمّل عشرات السيارات من اموال الاهالى الى بلده الخليل والى حيث باعها فى اللد والرملة . والاخوان المسلمين كيف سرقوا اموال البوندد والتجار . ورفيق الاصفر كيف سرق اسلحة المجاهدين وذخائرهم . وصبحي الشركس كيف كان يسرق السكان فى رابعة النهار . وغيرها من اعمال اعضاء اللجان الشاذة .

٨ ـ حصر المدن وقطع المواصلات عنها حتى باتت مهددة بالجوع والخطر.

٩ ـ قطع امل السكان من نجدة العرب وصياحهم وكذبهم .

١٠ ـ مساعدات الانكليز واغرائهم الناس على الاخلاء كما وقع فى حيفا وطبريا ويافا.

١١ ـ مهاجمة اليهود وتضييقهم الخناق على المدن وضربها براجمات الالغام ومدافع المورتر التى سببت فزعاً بين السكان .

١٢ ـ ابتعاد الوجهاء والقادة وانسحابهم مع اللجان القومية من البلد .

١٣ ـ الخوف من فظائع دير ياسين .

هذه كلها ادت الى سقوط المدن ولو ان بعضها سلمت تسليماً دون مقاومة فى حملة الهجوم الاخير ، الا انها كانت مكرهة مرغمة على التسليم ، وامليت عليها الشروط املاء لم يكن لها فيها حق خيار او اعتراض.

وهكذا انسحبت قوى جيش الانقاذ وغادر الكثيرون من اهل فلسطين حتى هذه المرحلة من القتال .

استئناف جيش الانقاذ القتال

بعد دخول الجيوش العربية

قبل دخول الجيوش العربية بنحو اسبوع ، كان جيش الانقاذ وحلفاؤه من فلول رجال المفتى قد تخلوا عن يافا وحيفا وطبريا وصفد من المدن الرئيسية ، واندحر جيش الانقاذ فى كل معركة دخلها فى الميادين المكشوفة فى جدّين ، والزرّاعة ، ومشمار هايردن ، وخرج من مثلث الرعب ويمم جهات جبال اليهودية حيث تمركز فى قضاء رام الله ، مركز تقل الجيش العربي الاردنى . وبانسحابه الى هذه الربوع كان قد كوّم سكان المدن ومعظم سكان القرى خلف الخطوط اليهودية من فلسطين، وشتت معظم الناس فى مختلف ارجاء العالم العربى المجاور . ونال القاوقجي على توفيقه وحسن نشاطه لقب الباشوية من جلالة الملك عبدالله ، ووهبه بعض السيارات والاعتدة الحربية .

وكانت رحى المعركة فى القدس على اشدّها بين اهل البلاد بقيادة ابراهيم ابو ديّه فى البقعة والقطمون والطالبية . وعبد الحليم الجولانى والاخوان المسلمين فى رامات رحيل وتل بيوت. وياسين البكرى ورشاد الحاج مير وحافظ ابو الفيلات فى البلدة القديمة والطور ومن على اسوار القلعة ، وفى خليط من المجاهدين من جيش الانقاذ وغيرهم فى جهات الشيخ جراح وسعد وسعيد وميوشرم وحوالى لفتا وعين كارم وبيت صفافا . وعلى طريق القدس باب الواد كان يتكاثر المجاهدون لقطع طريق القدس - تل ابيب .

وما ان اعلن دخول الجيوش العربية يوم ١٥ـ٥ـ٤٨ ، حتى اخذت القدس اليهودية تضغط ضغطاً عظيماً على العرب والمقاتلين . وتفوقت قوى اليهود فى خارج السور حيث وسعوا مناطق احتلالهم وطهروا البقعة والقطمون والطالبية . وكانت الحرب بينهم سجالا فى رامات راحيل وتلبيوت وجبل المكبر وصهيون. وفى القدس القديمة تقدم اليهود وردّوا جموع العرب حتى شردوا السكان من خارج المدينة وداخلها والقرى القريبة منها ، ووصلوا حتى دير الارمن فى داخل البلد القديمة والعرب يتراجعون امامهم خاسرين خائفين . ورأيت فى القدس اذ ذاك بعض رجالات العرب المعروفين مثل الشيخ مصطفى السباعي ، بألبسته العسكرية وهو رئيس جمعية الاخوان المسلمين فى سوريا ، والسيد سعيد رمضان المحامى وهو من قادة الاخوان المسلمين فى مصر ، والسيد انور نسيبه المحامى وهو من اطيب واخلص العاملين فى فلسطين ، والسيد أنور الخطيب سكرتير المشروع الانشائى ورئيس بلدية القدس اليوم . رأيتهم يفاوضهم اليهود على ايقاف القتال وقد اشتدت وطأته على العرب . ويطلبون مقابل ابقاء العرب آمنين وعدم الاعتداء عليهم وتشريدهم ، فتح طريق القدس ـ باب الواد تأميناً لحياتهم واتصالهم مع يهود الساحل ، ومشترطين ان تنال كل اتفاقية بين العرب واليهود لايقاف القتال موافقة الملك عبدالله.

وكنت فى مجلس جلالة الملك عبدالله ، وكان ذلك فى ١٨ ـ ٥ ـ ٤٨ ، اذ حضر هؤلاء السادة لمقابلة الملك والدموع تتناثر من مآقيهم ، وسردوا لجلالته ما اتفق لهم وما اشترطه اليهود ، واوقفوه على سوء حال العرب فى القدس. فقال جلالة الملك: «انتم فى حلّ ان عاهدتم واتفقتم ونحن فى حلّ مما تتفقون عليه وتتعاهدون ، ولكن تطلبون منا الموافقة على فتح طريق القدس وهذا ان يكون

ولو تأكد لدينا القضاء على القدس ومن فيها ، اذ القدس فى قبضة ايدينا ولا يمكننا اليوم نجدتكم بالجيوش العربيه ، اذ السهم انطلق من ايدينا (يشير الى خطة القيادة العليا للجيوش العربية وتوجيهها الجيوش) الى حيث يصيب مقتله ان شاء الله . وهمنا يا اولادى عزل الاعداء عن البحر قبل فوات الفرصة».

وبعد ان رأى الملك نفوسهم تطفح بالالم وقلوبهم تجهش فى البكاء والدمع يترقرق فى اعينهم ، ربت بيديه على اكتاف السيد انور نسيبه وقال : «اهدأ يا ولدى فسأرى لعل جيش الانقاذ يسعفكم . »

جيش الانقاذ فى القدس :

وهكذا اصدر جلالة الملك اوامره لجيش الانقاذ لاسعاف اهل القدس ، فأخذت المدفعية تقصف القدس قصفاً مفجعاً وصبت حممها من شمال القدس على حي شورم واخذت الحرائق تندلع فى كل ناحية، بينما تكاثر المقاتلون من كل فج وأحاطوا بالقدس احاطة السوار بالمعصم ، وكان حولها من جيش الانقاذ حوالي الالف ومن اهل فلسطين وشرق الاردن حوالى الخمسة آلاف . وفى خلال يومين انقلبت الآية واخذت تسمع عويل اليهود فى القدس يتصاعد من كل فج والناس ينتظرون سقوطها بين آونه واخرى . وفى اليوم الرابع من اعلان دخول الجيوش العربية وفى وسط معركة القاوقجي فى القدس امر جلالة الملك فجأة قوات جيش الانقاذ بالانسحاب.

وفى صبيحة اليوم التاسع عشر من ايار سنة ١٩٤٨ ، اخذت جيوش القاوقجي تنسحب من القدس عن طريق عمان . وفهمنا من المصادر الرسمية من حول مركز القيادة العامة للجيوش العربية ان القصد من هذا الانسحاب وتوقيف معركة القدس هو نجدة الجيش اللبنانى الذى اشتبك مع اليهود على

الحدود، فى المالكية بموانع صعبة حالت دون تقدمه. وبعضهم قال ان جلالة الملك امر بسحب القاوقجي من القدس لانه يريد ان يكون الشرف فى امتلاكها واخضاعها عائداً للجيش العربى. والله اعلم.

جيش الانقاذ والجليل :

عاد جيش الانقاذ الى لبنان، وفى اواخر ايار شرع فى دخول اعالى الجليل وكانت بقاياه ما زالت فى الجليل ومتمركزة فى الناصرة. وبينما كانت الجيوش العربية تسير فى مختلف الجبهات فى فلسطين، كان الجيش اللبنانى يجاهد حتى يجتاز الحدود، واشتبك مع قوى اليهود فى المالكية، فجاءت بعض قوى جيش الانقاذ لمساعدته، وكانت الحرب بينهم وبين اليهود سجالا. وفى اثناء مدة عمل الجيوش العربية الاولى اى من ١٥-٥-٤٨ الى ١٠-٦-٤٨ كان القتال فى كافة انحاء الجليل مناوشة محلية تجرى بين السكان واليهود فى المالكية والبروة وشعب وشفاعمرو والجيدل والشجرة، واجمالا كانت هذه الانحاء هادئة.

ولما لم يستطع القاوقجي بجيشه والجيش اللبنانى دحر قوى اليهود فى المالكية ودخول البلاد، تأخر الجيش اللبنانى لا بل ارتد عن حدوده ودخل اليهود بعض قرى لبنان واحتلوا فيها اربع عشرة قرية. اما القاوقجى فترك الجبهة اللبنانية وساق قسما من جيشه الى قلب الجليل مجتازاً القرى العربية من الشمال الى الجنوب ووصل الناصرة قبل الهدنة الاولى بساعات. فخرج الناس لاستقباله استقبال كبار الفاتحين والابطال المنقذين فوقف على شرفة عالية، وخطب الجمهور واشار الى قرى المرج. العفولة وبلفوريا وتل العدس وقال: «هذه العفولة وقرى المرج، والله لولا انها الهدنة ولها حرمتها لما بتُّ الليلة الا فى العفولة»، فصفق الناس فرحا وحيوا القائد المغوار.

وبقي جيش الانقاذ ورجاله يتفقدون المواقع والبلاد ويرقبون السياسة خلال مدة الاربعة اسابيع للهدنة الاولى ولم يأتوا بأى عمل للتحصين او التدريب او التنظيم . وزار طه باشا الهاشمي واسماعيل بك صفوت المنطقة . ووقف طه باشا على اعلى قلعة شفاعمرو ، ولما شاهد المستعمرات اليهودية المترامية الاطراف سأل قائد الحامية فى البلد : « كم عدد الحامية » . فقيل له ثلاثون شخصاً ، فقال : « استغرب جداً كيف تقف البلد امام هذه الجموع » . ووقف طه باشا عند استغرابه وقفل راجعاً من حيث جاء .

وما كادت مدة الهدنه تنقضى ، الا وباشرت المناوشات فى الجليل ، واحتدمت المعارك ، وكان اول هذه المعارك معركة الشجرة ، ثم معركة شفاعمرو ، ثم معركة ترشيحا ، ثم انهيار الجليل وانسحاب جيش الانقاذ الى ما وراء الحدود وتشتيت اهل البلاد وترحيل معظمهم من ديارهم .

معركة الشجرة :

الشجرة قرية قديمة قائمة الى الجهة الجنوبية من الطريق الرئيسى بين الناصرة وطبريا وعلى الطريق الفرعي الى العفولة . وهي عبارة عن قريتين شجرة العرب وشجرة اليهود وبنتيجة تصادم بين القريتين تغلب اليهود على القرية العربية فطردوها واحتلوها وشردوا اهلها وقتلوا بعضهم . فارتفعت اصوات الاستغاثة وهرع المجاهدون من كل فج ، من الناصرة وقضاها وكان قائد الحملة الاولى نمر محمد ابو النعاج ، وهو ضابط حربى كان فى قوة الحدود الاردنية برتبة عالية فدخل الشجرة العربية وطهرها من اليهود واطلق سراح بعض رجالها الذين كان اليهود قد سجنوهم فى بعض البيوت . وبعد المعركة اضطر للانسحاب والعودة الى دياره ، فعاد اليهود الكرة واحتلوا القرية وهاجموا القرية المجاورة وهي قرية

قرية على طريق طبريا وتقع على مرتفع يشرف على الطرق يهدد القوافل اليهودية.
واستمر القتال فى هذه القرية، بين سكانها الذين استبسلوا بدفاعهم وبين المهاجمين من اليهود حتى صار القتال وجهاً لوجه فى الازقة ومن بيت لبيت ، واحتل اليهود نصف القرية ، فجاء القزيم مرة أخرى من الناصرة وقضاها وكان قائد هذه الكرة ابو محمود الصفورى فأبلى بلاء حسناً واستبسل فى القتال وضرب المثل الاعلى للمجاهدين والمقاتلين وتمكن من استرجاع كافة القرية وتطهيرها من اليهود وسلمها الى اهلها وعاد ادراجه . وجاءت الهدنة الثانية فتوقف القتال واخذ اليهود يقيمون الحصون فى الشجرة للطوارىء . وما هى الا بضعة ايام حتى عادت المناوشات وكر العرب على الشجرة كرات عنيفة . وجاء القاوقجي الى المعركة ورآها محتدمة فشد ازر الجنود، وطلبوا منه ذخيرة وامداداً فوعدهم وقفل راجعاً ولم يعد الى البلاد ابداً . واستمر القتال وازداد واتسع وكثر هجوم جيش الانقاذ وابناء القرى على هذه المستعمرة واستبسل المناضلون، ولكن الحصون اليهودية الجديدة التى اقيمت زمن الهدنة اوقعت فيهم خسائر فادحة ، فقتل من جيش الانقاذ والمناضلين فى هذه المعركة ما لا يقل عن خمسماية شخص ، وعلى رأس المجاهدين المرحوم ابو عاطف من رجال المقنى ومن اخلص الناس واكثرهم ايماناً واسلمهم نية واجهلهم فى خفايا الامور واكثرهم انخداعاً فضاع واضاع . وبقيت عائلته مع عائلات غيره تقاسي الجوع على مرأى من المقنى . وهكذا كانت معركة الشجرة المقبرة الاخيرة لجيش الانقاذ تفرق بعدها من الجليل الشرقي وانسحب بغير عودة.

معركة شفاعمرو :

كان اليهود فى هوشه والكساير وبيت لحم وام العمد . وفى الوقت الذى



احد الجنود الدروز الاسرائيليين في لباسهم العربي.

انسحب فيه جيش الانقاذ من الشجرة ، انسحب شكيب وهاب قائد جيش الانقاذ ومن معه من الدروز من شفاعمرو وضواحيها . وبقيت شفاعمرو تدافع عن نفسها برجالها . وانسحب احمد التوبه من ضواحي شفاعمرو ليدافع عن صفورية كما امره مدلول بك وكيل القاوقجي في الناصرة. فتقدم اليهود لاحتلال شفاعمرو ، وكان لهم عمال من بقايا جيش الانقاذ ، وهنا رأى اهل البلد ما حل بغيرهم وبمساعي بعض القرى من جبل الكرمل ، دخل اليهود البلد واحتلوها بسلام دون عراك.

سقوط صفورية والناصرة :

وبينما كانت صفورية تنتظر دورها بعد احتلال شفاعمرو بليلة واحدة ، واذ يأتي الى صفورية ليلا القائد احمد الشيخلي ويطلب من اهل صفورية الاستعداد لاستعادة شفاعمرو ، ولهذا يجب ان يزيلوا الالغام عن طريق شفاعمرو -

صفورية وكانوا قد زرعوها خشية تقدم الجيش اليهودى . وازيلت الالغام فى اليوم الثانى وتقدمت احدى دبابات جيش الانقاذ ، ولما اشرفت على محل مرتفع فتحت انوارها الامامية ثم عادت . وبعد عودتها تقدمت الدبابات اليهودية آمنة مطمئنة وسارت حتى صفورية ، وكانت مقاومة بسيطة هرب من بقي فى البلد الا القليل ممن استسلموا . وبات اليهود فى صفورية واهل الناصرة لا يعلمون . وهكذا اصبحت الناصرة مطوقة من جميع الجهات.

وفى اليوم الثاني عمت البلبلة فى الناصرة وشرعت قيادة جيش الانقاذ تنقل الجرحى من مستشفياتها ، وبعد قليل اعلن الجيش منع التجول بحجة ان جيش النجدة سيتقدم للدفاع عن البلدة ، فكان ذلك . وفى اثناء منع التجول خرج الباقون من جيش الانقاذ من الناصرة وخرجت بعض العائلات بسياراتهم ، واخذ الناس يتسلقون الجبال طالبين النجدة. وفى عصر اليوم الثانى اصبح اليهود على ابواب البلدة وارسلوا رسلهم الى البلدية ، فخرج رئيسها مع بعض الاعضاء والوجهاء وسلموا المدينة بمقتضى وثيقة حملوا على توقيعها ، ودخل اليهود البلد . وعلى ابوابها من جهة طبريا قتل كثيرون لانهم ظنوا ان من دخل من اليهود الى البلد كانوا من جيش الانقاذ ، فخرجوا لاستقباله فاستقبلهم الموت. وكانت الخديعة ان من دخل من اليهود كانوا بلباس جيش الانقاذ وبكوفياته وعُقله ، ولما دخل اليهود الناصره لم يجدوا واحداً من جيش الانقاذ فيها . وهكذا لم يكن هنالك اى دفاع ولم يقتل احد من جيش الانقاذ ، وكل من قتل كان من الابرياء الذين لا يدرون ما يجرى فى الخفاء .

اما قائد منطقة الناصرة ابو ابراهيم ، فكان يغط فى احلامه ولم ينج الا باعجوبة . فرّ من سفوح الجبال الى سوريا .



مختار الطائفة الاسلامية وأحد وجهاء الطائفة القبطية عند تسليم الناصره يعرفون على السكان

وكانت آخر المعارك فى الجليل معركتى ترشيحا والجش قاوم فيها اهل القرى واظهروا كل استبسال ، ولكنهم اندحروا امام قوى العدو واندحروا الى ما وراء الحدود. وبينما كان اللاجئون يتسابقون فى الخروج الى البلاد العربية، كانت فلول جيش الانقاذ تسابقهم الى الحدود.

وهكذا تقلص ظل جيش الانقاذ من فلسطين ، وانسحب يجر وراءه اذيال الخزى والعار والخيانة والغدر . وكان فى طليعة هذا الجيش القائد العام فوزى القاوقجي .... والمهم ان الصحف والاذاعات والقيادات العامة للجيوش العربية وللهيئة العربية العليا ولجيش الانقاذ، لم تذكر شيئاً عن تسليم هذه المنطقة واندحار جيش الانقاذ الاندحار الابدى.

فوزى القاوقجى يتغنى ببطولته :

طاف فوزى باشا القاوقجي انحاء العالم العربى يتحدث عن الموت بحديثه السحرى الجذاب ، وهو يحمل كأس الشراب كما رسمته مجلة آخر ساعة فيحلل الخوف والشجاعة والموت والحياة ... ويتحدث عن المعارك التى خاضها والبطولة التى تجلت فى تاريخه المجيد ، والناس ما زالوا يصغون اليه،والغريب أنهم يصغون مصدقين : انه لولا الانكليز بالفترة الاولى من حرب فلسطين ، لهدّ الجبال وقوض اركان فلسطين الصهيونية وأتى الاهوال والعجائب . ولولا اوامر الملك عبد الله القائد العام للجيوش العربية جمعاء بانسحابه من القدس لقلب وجه التاريخ وحل مشكلة فلسطين ومحا اليهود من عالم الوجود . ولولا خيانة اهل الناصرة الذين خبأوا اليهود بالاديرة والكنائس وطعنوا العروبة وجيش الانقاذ من الخلف لبقي الجليل الى اهله ولاتخذه حصناً منيعاً ليقض مضاجع اليهود الاعداء ويهدد اسرائيل دوماً وكل لحظة بالزوال والانحلال.

وهكذا انعم عليه جلالة الملك عبد الله بلقب الباشوية ، وجلالة ابن السعود اكرمه بخمسمائة ليرة ذهبية ، وفخامة شكرى القوتلى وهبه بيتاً وراتباً شهريا ، وجلالة الملك فاروق خصص له اربعمائة جنيه مصرى وطقم غرفة نوم وغرفة اكل ، وتقدته فلسطين الذبيحة ثمن الدماء والدموع والآلام والمصائب التى خلفها فى الارض المقدسة.

اسباب فشل جيش الانقاذ

يحار المتتبع لحوادث فلسطين فى تحليل سبب اندحار جيش الانقاذ وانهزامه هذا الانهزام المخزى الشنيع . ولا شك ان اللجنة العسكرية قدمت تقريرها للجامعه العربية مستفية وقائعه وحقائقه من قائد الميدان المسؤول القاوقجي ، لانه

هو الوحيد الذى اشرف على المعركة ، واحتك باليهود ، وخالط السكان وامر بالانسحاب من كل قرية وقرية وشبر وشبر من اراضى فلسطين . ولقد سمعت من الكثيرين من رجال السياسة والشخصيات العربية المعنية بقضية فلسطين اسباب الكارثة . ويلاحظ المتتبع لهذه الاحاديث انها اعذار واهية اختلقها المسؤولون لتغطية اخطائهم ، لا بل لستر عوراتهم وعيوبهم ، وتتلخص بما يلى :

١ ــ المفتى ونشاطه فى فلسطين الذى حال دون حرية العمل لجيش الانقاذ ؟ فلقد شاركهم السلطة فى كثير من البلاد مثل حيفا، والناصرة، وطبريا، وصفد ، ويافا ، وطولكرم ، وغزة . وانفرد فى كثير من الجهات مثل القدس والخليل ونابلس وجنين وعكا ، وكافة الاقضية والارياف كانت تتأثر وتتبع العقبات . ولم يكتف بالمشاركة او الانفراد بل فضلا عن هذا اعلن وجوب مقاومة جيش الانقاذ كما تقدم.

٢ ــ خيانة العرب الفلسطينيين جيش الانقاذ . اذ لم يكتف العرب الفلسطينيون بعدم تعاونهم مع جيش الانقاذ ، بل طعنوه من الخلف فى كثير من المناسبات . فكثيرون منهم والوا اليهود وحاربوا فى صفوفهم ضد جيش الانقاذ كما فعل الدروز ، وقرى المسلمين فى شمال البلاد ، واهل الناصرة الذين تحالفوا مع اليهود وخبأوهم فى الكنائس والاديرة ومكنوهم من الايقاع بحامية البلد وبجيش الانقاذ الذى كان يدافع عنهم.

٣ ــ السرعة التى تشكل فيها هذا الجيش ، وعدم توفر السلاح والمعدات والاقوات. بينما كان اليهود على اتم استعداد فى قرى محصنة ، وآلات ميكانيكية موفورة ، واسلحة عصرية ثقيلة وخفيفة فتاكة ، وذخائر ومتفجرات هائلة ، ومؤن واطعمة وألبسة كثيرة، الى ما هنالك من وسائل الحرص على صحة الجنود

وعائلاتهم ورفاهيتهم وتأمين حاضرهم ومستقبلهم ، وغيرها من مقومات الجيوش وار كان النصر . اذ اعد اليهود ما استطاعوا من قوة بينما تخلى العرب عن جيش الانقاذ منذ ولادته .

٤ - السياسة العربية التى حالت دون عمل جيش الانقاذ قبل انتهاء مدة الانتداب وقبل استعداد اليهود وتمركزهم ، وانسحاب العرب وخذلانهم من المدن الرئيسية والمواقع الحربيـة فى قلب المحيط اليهودى . وفضلا عن ذلك تكرر هـذا الخطأ فى اعـلان التوقف عن القتـال اثر الهدنة الاولى ، وكان باستطاعة جيش الانقاذ وقد تمركز فى الجليل واشرف على قرى المرج ان يدكها دكا ويتابع سيره الى قلب تل ابيب ، كما صرح بذلك فوزى باشا فى حينـه فى الناصرة فى دار بلديتها وفى الجامعه العربية والصحف العربية عامة . وقـد اضعنا هاتين الفرصتين وكانتا لمصلحة اليهود وعاملا اساسيا فى انسحاب جيش الانقاذ. ورغم كل ما سبق من اخطاء سياسية لو تابعت الجامعة تأييد جيش الانقاذ بعد توقف الدول العربية وجيـوشها وتهادنها مع اليهود لـكان فى امكاننا رد اليهود وقهرهم . وما زال فى استطاعته حتى هذه الساعة ان يعيد الكرة ويهدم امرائيل هدما ، ولكن السياسة العربية والعالمية تحولان دون ذلك.

وبمثل هذه الاحاديث يتحدث القاوقجي واتباعه، وفى عينها يتحدث المفتى واتباعه، والفارق بينهما ان المفتى يعزوسبب اندحاره لجيش الانقاذ والقاوقجي يعزو الى ذاك ... وشعب يموت، واللاجئون يداسون، والجامعة العربية تتخبط.

الاسباب الحقيقية الواقعيـة لفشـل حملة القاوقجي :

١ - شخصية القاوقجي نفسه : كان تاجراً ولم يكن غازيا ، كان هازئاً ولم يكن جاداً ، كان ثملا ولم يكن مـالـكا لشعوره، كان منهتـكا ولم يكن ورعاً،

كان مأجوراً ولم يكن صادقاً ، كان مهرجا ولم يكن جنديا ، كان مخدراً ولم يكن سيفاً ، كان كل شيء ولم يكن شيئاً .

فهو عنوان النكبة وسر ما بعدها . وفى عنقه دماء الابرياء من جيش الانقاذ وفى ذمته ارواح الفلسطينيين واموالهم واعراضهم ، آلامهم واوجاعهم ، وفى سجل التاريخ صفحته السوداء ابد الاجيال وكر الايام .

٢ ــ تشكيلات جيش الانقاذ : كان جسماً بلا روح ، اسما بلا مسمى ؛ قوم اخلاط من اللصوص والمجرمين والسفاحين والجواسيس والسلابين والخونة والتجار والفجار ، دخلوا باسم العروبة والدين والشرف والنجدة ، فدكوا اركان العروبة ، وداسوا مقدسات الاديان ، ولوثوا مبادىء الشرف ، وسفكوا دماء الابرياء ، وتجسسوا لليهود ، وسلبوا اموال البلاد ، وخانوا الدار والديار ، وتاجروا بالاموال والارواح ، وباعوا البلاد بأبخس الاثمان ، وملأوا جنبات الارض المقدسة بكفرهم وعهرهم وسفالتهم وخمرهم . وها هى آثارهم تحدث عن اعمالهم :

مدلول بك فى طولكرم والناصرة ، خمران سكران ، بين احضان القيان ، احداها زوجته كما يقال ، والاخرى معشوقة من ساقطات اليهود تقتتلان على مرأى من اهل الناصرة . ومدلول بك تحت ظلال اشجار السكينا فى مستعمرة نهلال يجتمع مع اليهود ، وفى عين شمس يجلس جنباً الى جنب بالقرب من القاوقجي يفاوضون اليهود . ولم اتأكد صدق الاشاعة القائلة بأن مدلول من يهود العراق.

وها هما الجنديان المختلفان من جيش الانقاذ يعملان فى جيش الهاجناه فى شفاعمرو .

وتلك هى السيارات تحمل اموال يافا، وعلى ظهرها جنود الانقاذ منسحبة الى بلاد العرب ، الى العراق والاردن وسوريا ولبنان ، والى فلسطين الباقية حيث تباع . وتلك هى الاسلحة تباع للاعداء فتصل شواطىء تل ابيب ويقبض قواد مردم الثمن . وتسجل فى القوائم وتسلم الى جيش اليهود فى الناصرة. وذاك هو صوت الرصاص ما زال صداه يلعلع فى جنبات مقهى الظريفية ، يوم اطلق جيش الانقاذ النار على شباب يافا لانهم ارادوا اغتصاب الاولاد . فقتلوا شابا وجرحوا غيره . وتلك هى الفنادق والدور السرية التى كانت تسكنها السرارى والمومسات خاصة ضباط جيش الانقاذ . وذاك هو عادل نجم الدين قائد حامية يافا تصحبه استر على ضفاف نهر بردى . وثمة فوزى باشا وصحبه يكرعون ويلعبون فى عاليه ، وسهام رفقى تغنيهم يا عين ... يا ليل ... وارض الشجرة تبلع اهل البلاد ، ونار اليهود تصلى العباد ، وفلول جيش الانقاذ تلفظ انفاسها الاخيرة فوق البطاح والهضاب فى اعالى الجليل.

٣ ـ الجامعة العربية : تفريطها واهمالها واعتدامها مثل هذا الجيش دون محاسب او رقيب، وتخبطها فى فلسطين بين الحرب والسلم والسياسة وعدم تمركزها فى اهدافها ومراميها . فلم تكن لها سياسة مرسومة وليدة التفكير والتصميم ، ولا مرتجلة بدافع العاطفة والحماسة والدم الحار ، فلم تكن لتعتمد على تفكيرها وثورتها بل اعتمدت على غيرها واركنت الى ايحاء الانكليز وتوجيههم.فكان جيش الانقاذ مزعزع العقيدة ، مختل الاوضاع ، ضال الهدف ، فاقد الحيوية ، ميتا منذ خلق.

٤ ـ قوة اليهود بكل ما فى القوة من معنى ، قوة فى المبدأ ، قوة فى

التضحية ، قوة فى التعبئة ، قوة فى السلاح ، قوة فى الاتحاد ، قوة فى السياسة ، قوة فى القيادة ، قوة فى الصبر ، تلك القوة التى هزمت بعزمها دياجير الظلام وجيوش الباطل والخذلان.

٥ ـ الظلم اللاحق بأهل فلسطين : نبذهم واضطهادهم والاساءة اليهم فى ديارهم وديار العرب فى الاجماع . الفلسطينى محروم من الانخراط فى جيش الانقاذ . الفلسطينى ذليل مهان . واقل جندى فى جيش الانقاذ يأمر وينهى ويعتدى ويصول ويجول كأنه الحاكم بأمره ، وكأن الحملة على العرب والبهود . الفلسطينى ممنوع من التنقل بين الاقطار العربية الا بعد عقبات للحصول على تصاريح السفر . الفلسطينى جبان خائن ، جاسوس مارق ، سمسار ، يهودى ، شيوعى ، ماله مباح ، وعرضه مستباح . لهذا كان الفلسطينيون يتطلعون بحق لوضع حد لهذا الظلم . ففضلوا ظلم اليهود على ظلم جيش الانقاذ واعوانه .

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

٦ ـ الخطة المتفق عليها فى السياسة العربية الانكليزية لاجراء العملية الجراحية لفلسطين بهذا الشكل الدامى المؤلم ، والاطباء العرب مقنعون خلف الستار يرسلون مباضعهم وسكاكينهم لتحز فى رقاب الفلسطينيين ... وقد حزت فى عنق السفاح بعد الفتك بالفريسة ، فقتلت جيش الانقاذ . وهكذا يبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين.

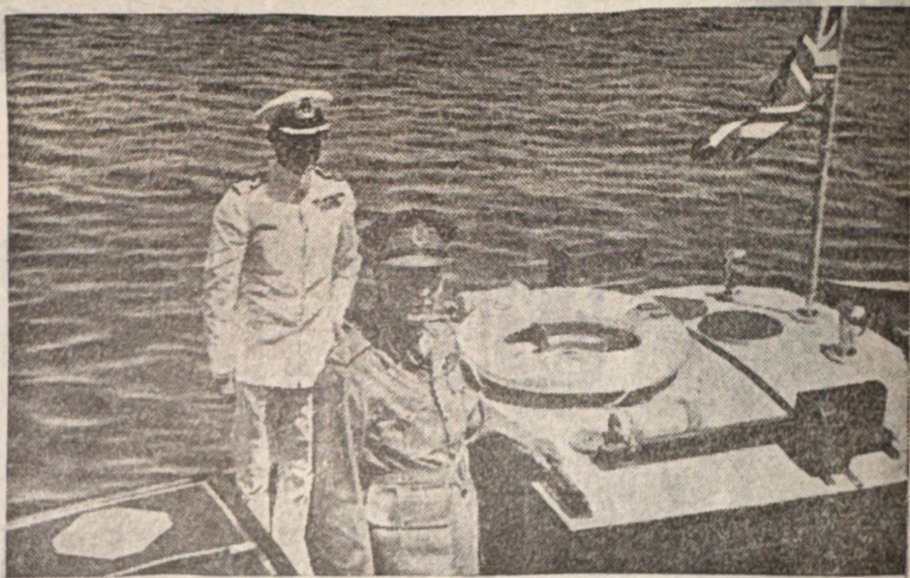
بهذا أسدل الستار على مسرح الجولة الثانية

الجولة الثالثة

جيوش الدول السبع تجتاح فلسطين

١٥ — ٥ — ٤٨

بدء الجولة :



آخر مندوب سامي لفلسطين يقلع من ميناء حيفا يوم ١٥/٥/٤٨

دخلت الجيوش العربية يوم ١٥ـ٥ـ٤٨ ، وانسحب الانكليز ، لا ردهم الله ، فى صباح ذلك اليوم حيث لفظ الانتداب انفاسه الاخيرة ، بعد حشرجة نزاع مؤلم . وكان بودهم ان لا يفارقوا الحياة حتى آخر لحظة ، ولكن عزرائيل جبار عاتية ، لا تأخذه شفقة ولا رحمة . وفى ذات الليلة ولدت دولة اسرائيل



الجلاء الانكليزي عن فلسطين



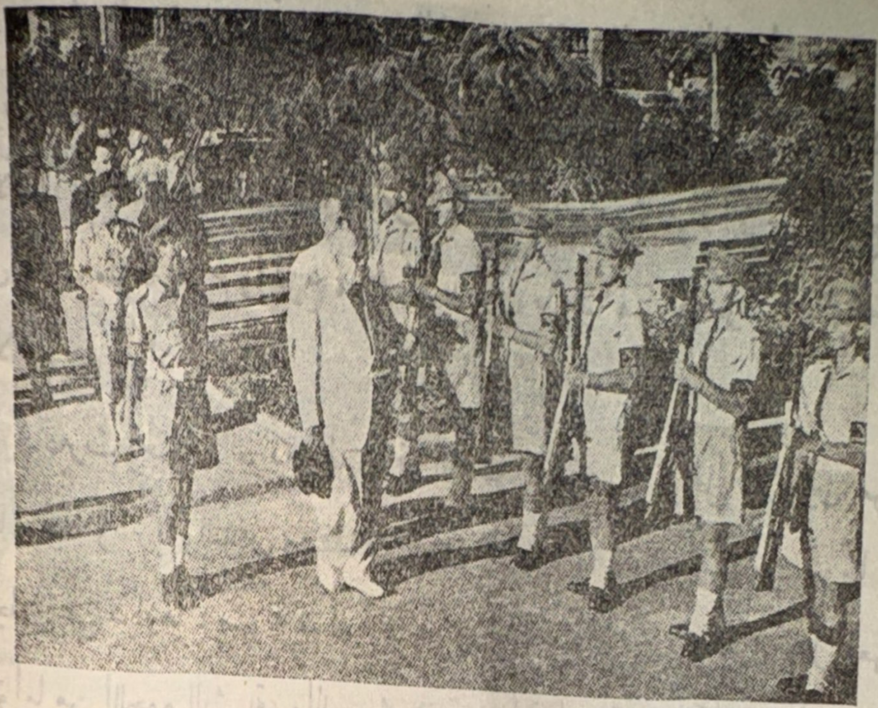
هذا يوم اعلان اقامة دولة اسرائيل الموافق ٤٨/٥/١٤ مساء الجمعة

بعد حمل اجيال وقرون ، تمخضت بها الايام بين المصائب والاحزان ، وعلى صوت المدافع والبارود، وفى جو ملبد بالغيوم والهموم، وفى محيط مشبع بالآلام والآمال ، مفعم بالدسائس والوساوس ، فاستقبلها اليهود بدموع الفرح والمرح ، وفى قلوب ملؤها الفزع والجزع ، وهم لا يدرون ما خبأ لهم القدر بين طياته ، والايام بين سواد لياليها .

عبرت الجيوش العربية الحدود فى اللحظة التى كانت قوافل اللاجئين من يافا وحيفا وطبريا والقدس وصفد ، والقرى المجاورة لها قد خرجت من بيوتها ، وجلت عن ديارها ، منهوبة مسلوبة ، تجر وراءها سيولا من الدماء ، تحمل معها اكواما من اللحوم البشرية، والدمع يجرى من مآقيها سحاً دراكا على ولد شهيد ومال عديد ، وعيش رغيد ، وعز تليد ، وتشكو الالم من خصم عنيد شديد.



هذه الحكومة الاولى المؤقتة برئاسة السيد بن غريون حال اعلان الدولة يوم ٤٨/٥/١٥



حرس الشرف للرئيس الاول ويزمن يأخذ التحية

تتضرع الى الله ان يهلك الهيئات العليا ، وينتقم من اللجان الدنيا ، اسس العذاب وركن الخراب.

فقد العرب النازحون كل شيء ... ولم يبق لهم الا الآمال المعقودة فى نواصي الجيوش العربية . آمال راسخة وطيدة ، واحلام ذهبية اكيدة ، ستنقذ البلاد وتعيد العباد، فتجرى الامور فى مجراها، ويعود الامن الى نصابه، والحق الى ذويه . وستنزل باليهود الضربات. وتثأر للكرامات والحرمات ، وتقطع دابر العصاة البغاة الطغاة ، وتؤدب العابثين الآثمين ، وتدك معالم الصهيونية وتقوض اركان اليهودية ،وتطهر الديار المقدسة من شراذم العصاة وشرور الطغاة.

وفى اليوم الرابع عشر من ايار سنة ١٩٤٨، وقفت جموع العرب على قارعة الطرقات مهللة مستبشرة ، مؤهلة مرحبة ، بقدوم فتح الله والنصر ، تهتف عالياً بحياة الملوك،وتحيي اكباد العرب وافلاذها السائرين للحياة بقلوب تطلب الموت.



جلالة الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان

تقدم الجيش المصرى :

الجيش المصرى يتحرك من معسكراته فى العريش وعدده لا يزيد عن اربعة آلاف ، يتقدمه البكباشى احمد عبد العزيز قائد الطلائع وفرق المغاورين ، فيهاجم مستعمرة دير البلح ، ثم يتركها محاصرة ويقطع عليها الطريق الى خان يونس فغزة حيث يدخلها دخول الفاتحين . ويخرج الناس لاستقباله استقبالا منقطع النظير . واطلق البارود وتفجرت القنابل للتحية والتكريم ، وما تفجر بكفي لرجحان كفة العرب فى معركة الشجرة . واخذت الصحف المصرية تصدر خريطة فلسطين وفيها الاسهم الحمراء العريضة تبين سير الجيش قدما الى قلب تل ابيب . وبما اهل غزة ، وكلها عرب تستقبل الجيش المصرى استقبال الفاتحين ، كانت الصحف تشيد باعمال الجيش المجيدة الذى طهر غزة من اليهود ومزق جمعهم وبدد شملهم ومحا أرمم من عالم الوجود . ويا ويلك ان قلت لا يهود فى غزة . وان قال ذلك فلسطينى انهالت عليه الشتائم والتهم ، واضطهد وعذب او طرد ... غزة مملوءة باليهود ، وتغلب الجيش المصرى عليهم بعد عمليات حربية هائلة ومصادمات جمه . وتسمع وانت ابن فلسطين العليم الخبير ، قصصاً من نسج الخيال وحبك الاوهام ، وان حاولت توضيح الحقائق عد عملك تهجما على الجيش المصرى وتصغيراً وتقليلا لاعماله المجيدة وبطولته الخالدة .

وكان الجيش المصرى بقيادة الاميرلاى محمد بك المواوى وهو من قبائل العرب المعروفة بالهوّاره فى صعيد مصر وكثيرون فهموا خطأ عندما نشرت دور الاذاعة ، ان الجيش المصرى تخطى الحدود بقيادة محمد الهوارى ، ان المقصود هو كاتب هذه السطور . وبقيت القيادة موحدة تحت قائدها حتى غزة ، وبعدها انشطر الجيش الى شطرين : شرذمة مغامرة اشتقت طريق غزة

الى السبع ، ومنها سارت حتى الخليل عن طريق الظاهرية فبيت لحم الى القدس.

وفى كل بلد اجتازته هذه الشرذمة كانت تترك بضعة اشخاص لادارة شؤون البلد لاثبات وجود السلطات المصرية فيها . وبينما كان هذا الجيش يعمل بسرعة السيارة فى فلسطين كانت الاسهم الحمراء على صفحات الجرائد المصرية تطير كالبرق معلنة اخبار الفتح والنصر والتقدم الباهر وتلاشي اليهود وانسحابهم الى الداخل ابتعاداً من وجه ابطال مصر. وباويلك ان قلت ان السبع والخليل وبيت لحم وكافة الطرقات المؤدية لها هى فى المناطق العربية ولا أثر لليهود فيها... كذبك الصحافى والجندى والباشا والنائب والبك . وهكذا لا يسعك الا ان تهول عنزة ولو طارت . واخذ الجيش المصرى يتقدم من غزة شمالا فى طريق غزة ـ يافا.

معركة دير سنيد .

صادف الجيش المصرى فى تقدمه بعض المستعمرات الصغيرة القليلة المنتشرة فى اماكنها النائية ، فقذفها قذفا ذريعاً من مدفعيته . ولدى الجيش المصرى فرق مدفعية مشهورة فى التاريخ منذ القدم بحسن اصابتها للهدف . هذا فضلا عن جودة مدافعها وسرعة تنقلها . ورغم قذفها الشديد لم يستطع فتحها ، وتركها محاصرة وسار متقدما ووقف لاول مرة يقذف مستعمرة دير سنيد . وهذه المستعمرة تقع على الطريق العام بين غزة ويافا وعلى بعد حوالى كيلومتر عن دوار الجدل لجهة غزة . وهى مستعمرة حديثة العهد ، قامت على ارض اشتريت من فايز العلمي ، وكان لشرائها قصة لعبت دورها فى غزة بين ابناء العائلات واهل البلد . وهى مجرد بعض البيوت الخشبية ، وغرف صغيرة من الاسمنت كلها بمجموعها الخشبي والحجرى لا تتجاوز عشرين سقيفة . لكنها منتشرة بشكل منسق فوق رابية



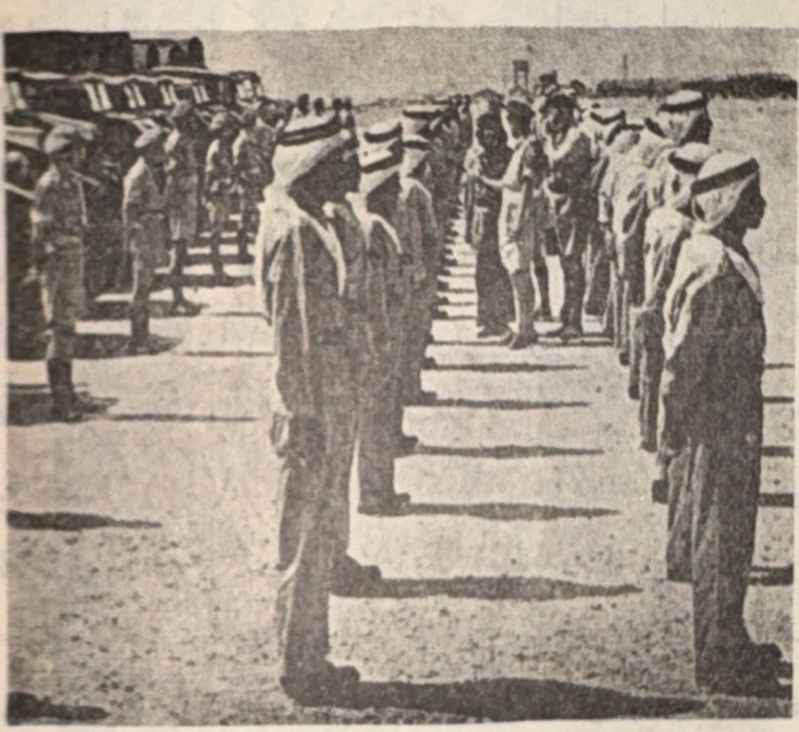
جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

وقد كان جيش جلالته تحت القيادة المصرية

مرتفعة تطل على البقاع المحيطة. وفى اعلى قمة فيها نصب خزان للماء من الاسمنت وقد حصنت تحصيناً طيباً بشكل خفى غير باد للعيان من الخارج : خنادق تحيط بالمستعمرة تسير بخطوط فنية متعرجة وبين هذه الخنادق فسحات كالغرف الصغيرة ، وجميعها مرتبط بوسط المستعمرة بخنادق اخرى تربطها مع مراكزها الرئيسية ، وعلى مختلف جهات القرية تقوم حصون من الاسمنت ذات طاقات لمختلف الجهات . وفى خارج هذه الحصون والخنادق نصبت الاسلاك الشائكة تحيط البلد من الخارج بشكل عرضي مشتبك يصعب ازالته او اجتيازه، ونصبت بينها الالغام ، حتى اصبحت القرية وعرة شائكة مملوءة بالفخاخ والمصائد ، لا يمكن ان يجتازها سالماً الا الخبير البصير بطرقاتها القليلة القصيرة المتعرجة . وفى داخل القرية حشدت الاقوات والاغذية بشكل يضمن الحياة ضمن الحصار عدة اشهر دون مشقة . اخذ الجيش المصرى يصب حممه على هذه المستعمرة كأنها من افواه البراكين ، والمستعمرة خرساء عمياء لا تحير جواباً ولا تدري خطابا. المدفعية تقصف والطائرات تحلق والجنود تطوق ، والمستعمرة وحيدة بعيدة معزولة لا تجرأ للخروج للمعركة السافرة ولا تأمل قدوم نجدة من بشر . واخذ الموت يدنو من المستعمرة ومن فيها بين آونة واخرى يدفعون الموت بطلقات قليلة متقطعة يرسلونها حيناً بعد حين من الابراج والخنادق التى لم يؤذها القصف ولم يخرسها المدفع . وبقيت ساعات طوال تقاسي شدة الحصار وتصارع الموت هادئة ثابتة صابرة . وفى كل ساعة واخرى تشرع القياده المصرية بأمر المدفعية باطلاق شوط من القنابل بشكل كثيف متواصل وتحت ستار المدفعية يتقدم المشاة ولكن لا يتقدمون الا وسرعان ما يرتدون. وعبثاً يحاول ان يجتاز احدمنهم منطقة الالغام الى قلب المستعمرة الى ان اجتاز ذلك مغامراً احد ابناء فلسطين

من قرية اسدود وفتح الطريق للجيش المصرى فاحتل المستعمرة واستولى على ما فيها من سلاح وعتاد .

وسمح للمقاتلين من ابناء فلسطين ان يحملوا الارزاق التي وجدت فيها فنقلوا الشيء الكثير وغير قليل من الطيور الداجنة والابقار . وذهل الجميع لكميات الطعام الموجودة لدى سكان القرية مما لا يوجد عند احسن الجيوش واقوى الدول .



فرقة من الجيش السعودي تشترك مع الجيش المصري في حملة فلسطين

ومن طريف ما يحكى ان فتاة يهودية كانت فى خط الدفاع تضرب على بندقية سريعة الطلقات اوقعت عطباً فادحاً بالمهاجمين ، الى ان اصيبت بطلقة فى جبينها فخرّت صريعة الواجب والشرف ، وشعرها الناعم اللامع يبلله الدم يحيط بوجهها الجميل ، وقد ارتمى رأسها الذابل بعانق بندقيتها الحبيبة ، وقد ضمتها الى

صدرها ضم الأم الرؤوم إبنها الحبيب تودعه الوداع الاخير . رأى المصريون هذا الموقف العظيم ووقفوا اجلالا واحتراما ، وما احلى المصريين فى آدابهم الدبلوماسية وأشدّ مراعاتهم للقوانين الدولية والشرائع العسكرية . امر القائد كتلة من جنوده فوقفوا امام هذا المشهد الخالد وأدّوا تحية الشرف لمن مات مدافعاً يفخر بجنديته وبطولته . وبعدها واروها التراب فى الخنادق حيث ضم الثرى الكثيرين من رجال الحامية فى المستعمرة . واسعف المصريون بعض الجرحى ونقلوهم بكل عناية واكرام الى مستشفياتهم ، كما نقلوا الاسرى بكل احترام . وعاملوا الجميع فى معتقلات الاسر وفى طريقهم للمعتقلات معاملة عجيبة اذ قارنت بين لطفها ورقتها وجودتها وسخائها ، وبين معاملة اللاجئين العرب وخشونتها وفظاعتها وشحها وسفلها ولؤمها .



فرقة الجيش السعودي التي برزت في قتالها في بيت حنون قضاء غزة

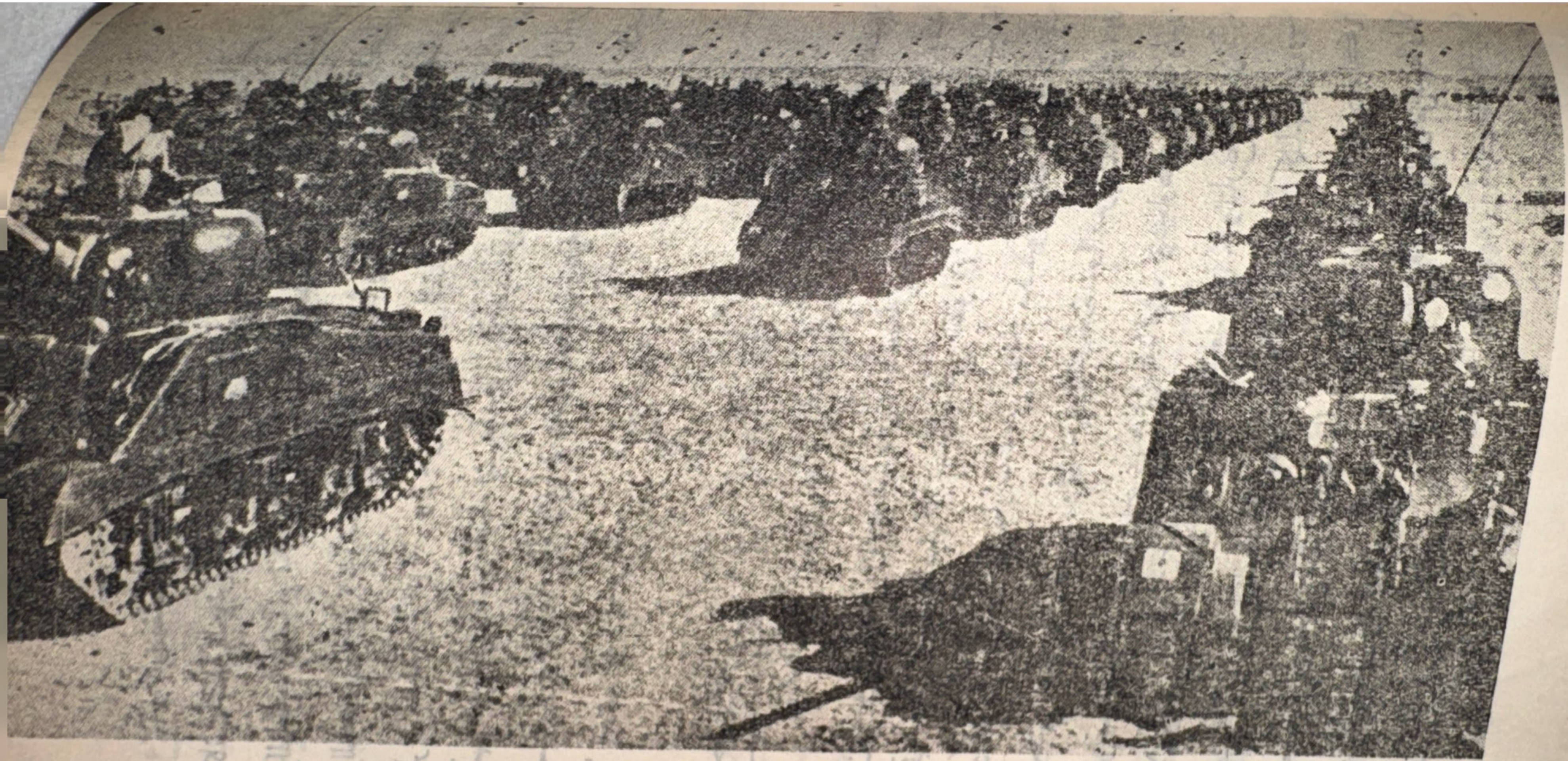
ثم سار الجيش المصرى واتجه متشعباً فى ثلاث وجهات ، احدها الى عراق

سويدان وا كوت والفالوجة وبيت جبرين شرقا ، وثانيها في طريق غزة الشرقي الى السوافير ، وثالثها في طريق غزة الغربي الى اسدود .

وهنا شرع الجيش المصرى فى مهاجمة المستعمرات اليهودية المنتشرة بشكل دائرى يحيط بالمستعمرات الكثيرة المترامية الاطراف. وكانت هذه المستعمرات تشكل خط الدفاع الاول عن المحيط اليهودى. فكافة المستعمرات حصنت بشكل خفي منسق وبصورة تجعل من مجموعة هذه القرى خطاً فاصلا بين اليهود والخارج ، وتقيم دفاعا متسلسلا مترابطا يأخذ بعضه برقاب بعض ، ومن خلفه شبكة المواصلات وحلقات الاتصال القريبة والبعيدة مع القرى المختلفة ، ومستودعات الامداد ، واماكن الذخيرة ، ومخيمات الجنود ، ومعسكراتهم .



قائد الجيش المصري محمد بك المياوي يتحدث مع قائد فرق المغاوره السيد احمد عبد العزيز



القوات المصرية المصفحة

وكان نشاط الجيش المصرى فى هجومه يعتمد على الطائرات المصرية التى كانت تتقدم الجيش ، وتضرب اماكن تجمع الجيوش واماكن خزن المعدات ، والمعامل ، والمصانع ، وقوافل السيارات ومحطات سكك الحديد والقطارات والجسور والموانىء ، وتستطلع حركات اليهود وتنقلاتهم . وعلى المدفعية البعيدة المرمى المحكمة الاصابة . ولم يكن ليعتمد على المشاة من جنود للهجوم لانه رأى منهم عجباً ، تبين أنهم اقوياء اشداء طالما هم بعيدون عن المعركة ، وان ازفت الساعة او رأوا الاخصام وجهاً لوجه فقد معظمهم وعيه واختلط عليه الامر واصبح لا يدرى كيف يتصرف.

احتلال نتسالبم:

تقدم الجيش المصرى شرقا الى عراق سويدان ، وكان معظم المتقدمين من المتطوعين المصريين من السودان والاخوان المسلمين والسعوديين . وتقدم باقي الجيش فى الاتجاهين الآخرين ، ففي السوافير التقى واصطدم بالسيارات الميكانيكية اليهودية حيث دارت رحى معارك مكشوفة تمكن اليهود من توقيف الجيش المصرى الزاحف . وفى الجهة الثالثة تقدم المصريون الى اسدود ، وفى طريقهم احتلوا مستعمرة اخرى تدعى نتسالبم . ودخلوها ونهبوها واسروا الاحياء من ابنائها وتركوا المستعمرة اثراً بعد عين . وللتاريخ يجب ان يذكر ، خشية الاستهتار بأبناء فلسطين ورميهم بالجبن والخوف كما اتهموا فى وسط المعركة ، ان الجيش حاول دخول المستعمرة بعد ان عالجها بمدفعيته ولكن لم يجرؤ احد ان يفدى ويضحي فتقدم ابناء فلسطين فكانوا اول من سقط واول من دخل.

وبعد ايام قليلة القى الجيش المصرى عصا الفتح فى اسدود حيث اقام القلاع والحصون المسلحة من الاسمنت . وكان امامه وعلى مسافة كيلومترات العرب الفلسطينيون فى يبنا يدعون الجيش المصرى ليتقدم ويحتلها وهى خالية خاوية ولكن هذا مستحيل ولم ترد فيه اوامر . ولا يجوز التقدم اصلا او الانسحاب شكلا الا بأمر من القيادة العليا فى القاهرة .

واقام فى دير سنيد وفى الفالوجة وبيت جبرين حيث حفر الخنادق وضرب الخيام ووضع الحراسة والدوريات واخذ القتال فى هذه الجبهة شكل مناوشات وكروفر .

التقدم فى جبهة القدس :

بقي الجيش المصرى سريع الخطى كاكسبرس الشرق ، حتى هبط دير مار الياس قرب بيت لحم . وهنالك عسكرت طلائع المصريين ، وهي خليط من المتطوعة والجيش . وكان القائد المغامر لهذه المعركة احمد عبد العزيز الذى شرع فى تنظيم المغامرين وتوجيههم الى القدس . وانضم اليه اضعاف اضعاف جموعه من ابناء فلسطين . وكان خيرة من برز من رجاله من السودانيين والاخوان المسلمين والفلسطينيين . وهنا اخذت موجاتهم تتلاطم على شواطىء القدس فى رامات راحيل وتلبيوت وبيت صفافا وجبل المكبر ، واتى من اعمال الشجاعة والبسالة ما يستحق الذكر والاعجاب والثناء. وكانت الحرب سجالا بينه وبين مناضلى اليهود ، فكثيراً ما كانوا يتعاقبون الموضع الواحد مراراً عدة ، يخرج العرب اليهود من اماكنهم ثم يعود اليهود مستبسلين فى الدفاع ويخرجون العرب منها، والعرب يجتمعون من كل حدب لتغذية المعركة ، واليهود لا ينامون الليل يدفعون الهجمات ويحولون دون تقدم العرب .



أشد الرجال صبراً على القتال وايماناً في الجهاد ، احد الجنود السودانيين في الجيش المصري

وبقي الحال على هذا المنوال ، وكفة العرب الراجحة وطرقهم المفتوحة وامدادهم المتواصل ، واليهود محاصرون معزولون عن الخارج حتى شحت مؤونتهم وقلت ذخيرتهم ودب الرعب بين صفوفهم وعبثاً حاولوا نجدتهم من الخارج لولا بعض الطائرات التي كانت تمدهم من السماء ببعض الحوائج ، وحاول اليهود التسليم مراراً عديدة ، وكانوا يصدون بقوة بعض المتطرفين من رجالهم. ودام الحال حتى الهدنة الاولى في اليوم العاشر من حزيران سنة ١٩٤٨ .



جلالة الملك عبد الله
ملك المملكة الاردنية الهاشمية

الجيش الاردني:

كان الجيش الاردنى فى فلسطين زمن الانتداب ، معسكراً فى كثير من جهاتها فى شمال عكا قرب نهاريا وفى طبريا وحيفا والجلمة ، وفى صرفند وفى هربيا وفى حلحول وفى القدس وفى بيت نبالا ، وجسر الجامع والحمة . وما ان ابتدأت المعركة بين العرب واليهود ، حتى اخذ ينسحب من مواقعه محدثاً بعض الاصطدامات بينه وبين اليهود فى مختلف انحاء فلسطين . فى حيفا على طريق الكرمل وفى يافا بالقرب من ابى كبير ، وعلى طريق يازور وعلى طريق بيت نبالا ، وفى القدس وعلى طريق الخليل قرب كفار عتصيون ، وعلى طريق القدس رام الله قرب كلنديا والنبي يعقوب . وتحت ضغط اليهود الدولى اضطر للانسحاب حيث تمركز فى رام الله واخذ يستعد للمعركة حتى اليوم الموعود .

وفى يوم ٤٨/٥/١٤ سارت جموع الجيش من شرق الاردن ، وغدت الطريق الى القدس تسير بأنهر السيارات والمعدات والدبابات والمدافع والجيوش ، والناس تحييها ، والجند على غاية من الحماس والاستعداد لخوض المعركة .

وصل الجيش الاردنى الى رام الله حيث انشطر الى قسمين : احدهما سار الى اللد والرملة فصرفند ومطار اللد ، واللطرون وباب الواد حيث حط رحاله وامامه المناضلون والمجاهدون فى ضواحي اليهودية (العباسية) ووهلما ورأس العين شمالا لغرب ، وفى بيت دجن وعلى جنبات الطريق المؤدية الى رخبوت غربا . والقسم الثانى سار الى نابلس وطولكرم وجنين

وهنا تواردت التهانى على جلالة الملك عبدالله من فخامة الخورى وجلالة ابن السعود وفخامة القوتلى وسماحة المفتى واخذ جلالة الملك نفسه يرد على كل منها فى حالة مرح وفرح . واذكر عصرية يوم ، وقد قام جلالة العاهل الهاشمي

الى حديقة بجوار قصره حيث كان يجلس على فراش بدوى أعد له يتحدث الى الناس ويستقبلهم ، وكان فى حضرة جلالته نخبة من القوم ، وقفوا اجلالا اذ شعروا بقدوم جلالته من بعد . وتقدم منه رئيس ديوانه هزاع بك المجالى وبيده بعض البرقيات . فقال جلالته لهزاع بك على مسمع من الحضور: «اقرأ» فتلا البرقية الاولى ، وفى وسط التلاوة وصل الى جملة يقول فيها : « حفظ الله الملك لشعبه ...» فقال له الملك : « كفى قف .. هذا شكرى القوتلى» . ثم تليت برقيات اخرى ، واخذ جلالته يجيب عليها ... فطير برقية لسماحة مفتي فلسطين ، قال : «الى الشيخ امين الحسينى ... ثم قال ونبشركم انه سيكون الى جانب هذا الجيش ، جيش آخر من الموظفين المدنيين ...» وطير برقية الى ابن السعود يقول : «ان قطع البترول عن الاميركان يوازي نصف المعركة...»

وكان جلالة الملك عبدالله القائد العام للجيوش الغازية ، وبالقرب منه مندوبون من اركان حرب كل جيش من جيوش العرب للمشورة والتوجيه . ودونهم ضباط الارتباط على اختلاف جيوشهم ، احتلوا مراكز لهم فى معسكر الزرقاء الرحب الجميل . واذكر ان جلالته والناس يتحدثون عن وجوب العناية بالقدس قال : «القدس فى قبضة يدنا فى كل لحظة ، ولكن علينا بالسواحل لنقطع عنها امداد البحر» . والمهم فى هذه القيادة العامة انها كانت اسما لا فعلا . فلم تكن القيادة العليا لتعرف الشيء الذى يجب ان تعرفه عن الجيوش العربية وقوتها واسلحتها وعددها وذخائرها وقوادها ، ونفسية جنودها واهليتها للعمليات الحربية والمعارك المقبلة . وكل ما فى الامر كانوا يضعون الخطط للاطباق على اليهود فى عقر دارهم فى تل ابيب اولا .



عزام باشا يتحدث مع قيادة الجيش العربي الميجور كاوب وعبد القادر الجندي

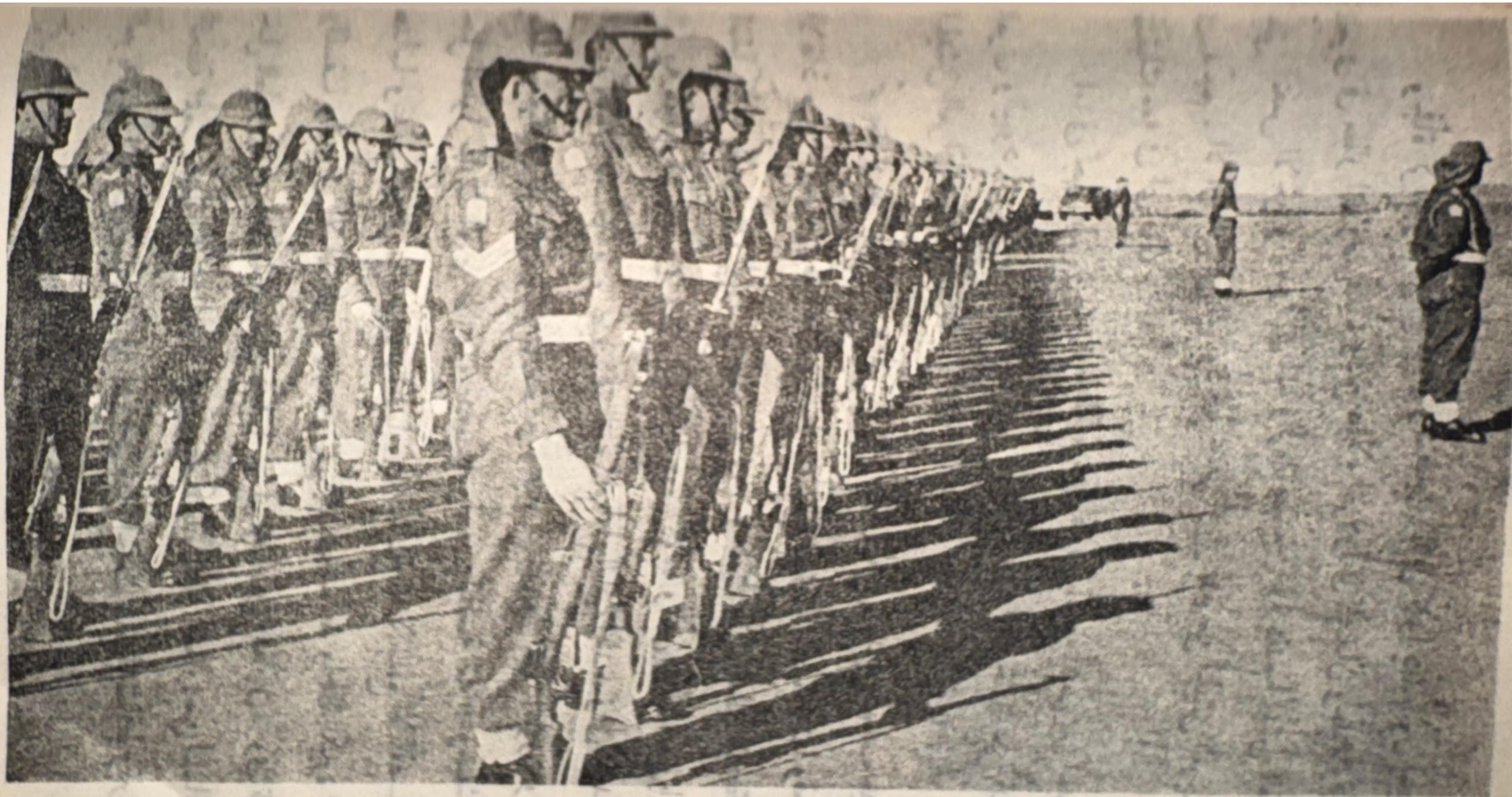
الجيش الاردنى فى الميدان:

باشر الجيش العربى اعماله ورمى فى الميدان بحوالى ثلاثة آلاف جندى فالتحم مع اليهود فى باب الواد . وكان اليهود جد متخوفين على القدس يحاولون الدخول اليها مهما كان الثمن . وحاولوا كما حاولوا من قبل شق طريق باب الواد للقدس . ولكن الجيش العربى كان لهم بالمرصاد واوقع فيهم عدة اصابات . وكلما كروا بجموعهم من جهة خلدة ومن ناحية رحوبوت وتسزيونا (وادى حنين) وريشون (عيون قارة) كان الجيش العربى يردهم موقعاً بهم خسائر فادحة . وعبثاً حاولوا تثبيت اقدامهم والوصول الى اهدافهم ، اما الجيش العربى فلم يحاول التقدم من هذه النقطة التى تمركز فيها . وهنا هاجم اليهود الجيش العربى فى مركز بوليس اللطرون عدة مرات ، ولكن الجيش العربى فى كل مرة كان يردهم على اعقابهم فاشلين.

وفجأة كر اليهود على المجاهدين والمناضلين الذين كانوا يتقدمون الجيش العربى فى مطار اللد وصرفند ، ولكن هؤلاء انفردوا فى الميدان وحدهم وقاتلوا حتى النفس الاخير وارتدوا الى اللد والرملة منهزمين ولم يتقدم الجيش العربى لنجدتهم . الا ان الجيوش اليهودية لم تجسر ان تدنو من الجيش العربى او تشتبك معه فى اى قتال .

اما فى جهة نابلس وجنين وطولكرم ، فلم تقع فى بادىء الامر بين الجيش العربى واليهود اى حوادث تستحق الذكر . وبقيت هذه الجهة خاملة حتى قدوم الجيش العراقي فتسلم قيادتها.

ثم بعد اربعة أيام من بدء المعركة عاد الجيش العربى بعد انسحاب جيش الانقاذ من القدس وضواحيها وتسلم زمام الامر فى القدس . وهنا وقعت اشتباكات كثيرة بين اليهود والجيش العربى . وكانت الآلات الميكانيكية العربية موفورة فى القدس. ويدير الجبهة الميجور كلوب ولاش بك الانكليزيان. احتدم القتال بشكل مريع عنيف فى النوتردام امام الباب الجديد وعلى حدود سعد وسعيد فى المصرارة وجبل المكبر وجبل صهيون وفى جبل الطور . والى جبل الطور سارت القوى الاردنية بمدفعيتها وقصفت الجامعة العبرية ومستشفى هداسا وغدت القدس من جميع نواحيها ناراً تتأجج ، لا تسمع الا القصف والنسف ولا ترى الا الدخان والنار . ورغم القصف الشديد والحملة الكبيرة على جبل الطور بقيت الجامعة العبرية وهداسا تهزآن بالمهاجمين والغازين . وفى تلك اللحظة سمعت محطة الشرق الادنى تصف وصفاً بليغاً تناثر الحجارة من الجامعة العبرية وهداسا وكيف ان النيران اشتعلت فيها واخذت مبانيها تتساقط وتتراكم حتى اصبحت اثراً بعد عين وزالت من الوجود.



فرقة من الجيش العربي الاردني اثناء التدريب

وفى القدس القديمة انقض الجيش العربي على حاميتها واصلاها ناراً حامية. ولكنها كانت لا تزداد الا عناداً واستماتة، واخذت العمارات والدور تنهار على من فيها، ومن فيها ما زال يقاتل ويناضل حتى النفس الاخير.

عدت الى عمان مساء ذلك اليوم وتركت المعركة فى القدس والحرب سجالا واليهود على عنادهم وصلابتهم وفى امكنتهم لا يبرحونها، لم يهنوا ولم يتزعزعوا . وما كدت اصل عمان الا ورأيت موسيقى الجيش فى الشوارع تصدح والناس من اعلى الاسطحة والشوارع والشرفات يطلقون النار ويوقدون المشاعل احتفالا بسقوط القدس . والصاحب او الزعيم او راعي البويضة وهذه القاب الميجور كلوب فى شرق الاردن يجوب فى سيارته ارجاء العاصمة يدعو الناس الى الفرح والزينة والابتهاج بسقوط القدس بيد الجيش العربى ورأيت ساعةجن الناس جنونهم، واهل فلسطين فى شوارع العاصمة وأزقتها يتساءلون بين مصدق ومكذب . وفى اليوم الثاني بعد ان محصت الحقائق ووصلت الانباء الصحيحة تراجع الناس خجلين واجمين.

سقوط القدس القديمة :

وسارت المعركة فى القدس بعدها ولم يتقدم الجيش العربى عن مواقعه، وكلما تحمس الجنود وارادوا التقدم، كانت تأتيهم الاوامر السنية من القيادة البريطانية بالتراجع والتوقف والانسحاب والانحراف . بينما جد الجيش العربى بتطهير القدس القديمة فوقعت فى ايديه غنيمة باردة . وبعد سقوطها نقلوا من تبقى من حاميتها ومن شيوخها ونسائها الى الزرقاء فى شرق الاردن.

ولقد كان عمل الجيش رائعاً فى تقدمه وبسالته واقدامه وذكائه وتكيفه فى قتاله . وكان موقف اليهود فى دفاعهم واستبسالهم وصبرهم خالداً، لا يسع



احمد حلمي عبد الباقي باشا حاكم القدس العسكري
من قبل جلالة الملك عبد الله ووزير الدفاع فوزي الملقي باشا

كل منصف الا وان يثني على روح البطولة والتضحية في الاستبسال والمقاومة . هدمت بيوتهم على رؤوسهم ولم يبرحوها ، صُبت النيران والحمم عليهم صباً فلم يجفلوا من الموت . هاجمهم العرب في عقر بيوتهم ولم يلقوا اسلحتهم من ايديهم ، حوصروا مدة طويلة محرومين من الاكل والماء فلم يستسلموا للجوع والعطش ، هُددوا بالسبي والقتل والتشريد والعذاب فلم يبالوا بالموت في سبيل الحياة ، والعذاب في سبيل الراحة ، والشقاء في خدمة الوطن ، سجل هؤلاء سفراً خالداً لاعمال بطولتهم شهد لهم فيه العرب وشهدت الايام ودوّن التاريخ . وانه لمنظر خالد رائع يظهر نبل العرب وخلقهم وآدابهم وعرفهم الدولي الموروث . يوم ان استسلم اليهود فشرع جنود العرب باغاثة الباقين ... فهذه عجوز لا تستطيع المشي وقد خارت قواها يحملها جندي على ظهره ، وذاك صغير وقد اغمي عليه

يحمله آخر فوق عنقه ، حملوهم موفودى الكرامة معزوزين مكوومين . ودفعوا عنهم رعاع القوم وغوغاءهم ، ونقلوهم بعد اسعافهم الى مكان اعتقالهم فى الزرقاء.

وضيق الجيش العربى والمجاهدون الخناق على القدس من كافة نواحيها . وتقدم اليهود فى مناسبات عدة بمظاهراتهم الى سلطاتهم وهيئاتهم يطلبون التسليم ولولا فئة متطرفة منهم حالت دون رغبتهم للجأوا الى الحدود مستسلمين . ولقد تقدمت بعض هيئاتهم الرسمية بطلب السلم والتوسط بذلك وطلبت من رئيس جمعية الشبان المسيحية الاميركية ولكنه لم يحقق طلبهم . ولولا الهدنة لسقطت القدس.



جندي اردني فوق طلول القدس اليهودية المحتلة وهي جزء من البلدة القديمة

وطهر الجيش العربى بعض المستعمرات اليهودية فى طريقه فاحتل كاليه

على البحر الميت واخذ من فيها للاسر بعد ان انسحب معظمهم فى البحر الميت الى المستعمرة اليهودية الواقعة فى جنوبه «سادوم» . وبقيت هذه المستعمرة قائمة رغم كثرة المجاهدين حولها ، ولم يتجاسر احد على مهاجمتها حتى ازالها الجيش العربى . وبعدها وفى الحال فزع العرب ، وما اقدرهم وابرعهم واجدرهم فى النهب والسلب والخلع والهدم والقلع والردم ، والتكنيس والتعسيف والحمل والنقل . ورأيت المواسير الحديدية والماكنات تنقل ولكن ليست كاملة ليستفاد منها بل قطعاً مفككة ، وكل بدوى من كل عرب اخذ قطعة ينتفع بها ولا يتركها للغير لينتفع بها . وهاجم الجيش العربى مستعمرة النبى يعقوب التى كانت تقطع الطريق الى رام الله وقصفها واحتلها المجاهدون بعد انسحاب حاميتها منها . ونهب العرب كل ما كان فيها حتى غدت قاعا صفصفا ، حتى الحجارة نقلت مسافات شاسعة من اماكنها . ولقد اشترك عظيمان فى رام الله والبيرة بالنهب بشكل مخزى . وهما ابرز من فى البلد مركزاً اجتماعياً .

وهكذا بقيت الحال على ما هى عليه ، والحرب سجال ، وكل على حدوده وفى مرابط جنوده ، عرباً ويهوداً حتى الهدنة الاولى يوم ١٠ ـ ٦ ـ ١٩٤٨ .

الجيش العراقى:

ثارت العراق على حكومتها والوصي على عرشها والكل يطلب اغاثة فلسطين ونجدتها وتقدم الجيش ليسحق الصهيونية ويقضى عليها . ورمت العراق باكبر جيش امكنها جمعه فى تاريخها الحديث الى فلسطين . فسارت الجيوش مخترقة بادية الشام ، اختراق خالد بن الوليد لملاقاة ابى عبيدة الجراح فى اليرموك لقتال الروم ، ولا تشبيه ، وكان الجيش بكامل عدته ومدفعيته الضخمة التي لا



جلالة الملك فيصل الثاني ملك العراق

يضارعها فى القياس والضخامة والجدة فى هذه المعركة الآ الدفعية المصرية . وسياراته ومدرعاته ومصفحاته ودباباته من كافة ما يلزم الجيوش المقاتلة. وكان كلما صاح اهل فلسطين ألماً وفزعا ، صاح الشعب العراقي حماساً واصراراً على الحكومة فى النجدة وسرعة العمل . والحكومة بدورها تهدئة للنفوس الثائرة والشعب الصاخب كانت تعزز قواتها الزاحفة بقوات اخرى ، حتى بلغ عدد الجيش العراقي فوق تربة فلسطين وشرق الاردن حوالى ثلاثين الفاً.

سار الجيش الى فلسطين ومعظم ضباطه على غاية الحماس والتوثب للعمل. الا ان القادة واركان الحرب كانوا يتلقون اوامرهم المباشرة من الوصى على عرش العراق ، وفى بعض الاحيان من جلالة الملك عبدالله ، لا بصفته القائد العام للجيوش العربية عامة ، بل بصفته الشخصية الكبرى فى البيت الهاشمي.



هذه فرقة من الجيش العراقي الذي ارسل الى فلسطين ولم يشترك في معاركها

تمركز الجيش العراقي فى اراضى شرق الاردن . وفى اليوم الرابع عشر من ايار سنة ١٩٤٨ ، اجتاز الجيش نهر الاردن . وفى اللحظة التي عزم فيها ان يعبر النهر وكان الجسر يحرسه الجيش الاردنى، نسف الجسر فجأة وتهدم

ولم يعرف الجاني . فاضطر الجيش لقطع النهر على بعض العوامات الخاصة لشركة بترول العراق مجتازاً الضفة الثانية ، وهنالك مستعمرة كيشر وكان الجيش العربي قد نظفها وأسر سكانها حيث نقلهم سالمين الى الزرقاء . وتوغل الجيش في اراضي فلسطين ، وكانت امامه مدينة بيسان وهي عربية حولها كثير من القرى والبدو مثل الغزوية والصقر وغيرهم ، وبالقرب من قرية كوكب ابو الهوى ، التقى بجموع اليهود التي تقدمت واحتلت القرية وتمركزت فيها . فباشرت المدفعية قصفها ولم تتقدم لاحتلالها. ووقف الجيش يسمع عن تقدم اليهود وتوسعهم في المنطقة حيث احتلوا بيسان وما جاورها من القرى العربية ، والجيش العراقي مستمراً في معركة كوكب ابو الهوى. وهنا خفّ جلالة العاهل الهاشمي يرافقه الوصي على عرش العراق وزارا الجيش في المعركة ، ثم امرا بتغيير اتجاه الجيش بعد حوالي عشرة ايام من دخوله تلك الاراضي ، فاكتفى الجيش بابقاء حامية في تلك المنطقة على الحدود وعاد ادراجه الى شرق الاردن ثم توجه منها الى القدس عن طريق عمان فرام الله الى نابلس وهناك حلّ محل الجيش العربي في طولكرم وجنين ، في قلب المنطقة العربية الصرفة.

الجيش العراقي في طولكرم:

تمركز الجيش العراقي في طولكرم وسارت قواه الى قلقيلية والى ارض المثلث والى الطيرة ، ثم فجأة اشتق طريقه الى رأس العين مهدداً مستعمرة بتاح تكفا (ملبس) حيث رماها بمدفعيته .

وسارت شرذمة من الجيش غرب طولكرم الى جهة بيت ليد وهددت الطريق الساحلي الموصل بين تل ابيب وحيفا ومدينة ناتانيا اليهودية على شاطيء البحر . ولم تقع اشتباكات حاسمة بين اليهود والعراقيين، وكانت الحرب كراً



سمو الوصي على عرش العراق عبد الاله بن علي مع القائد العام نور الدين
في ضواحي طولكرم

وفراً بضرب المدفعية عن بعد . وهنا فى هذه الجبهة عمل ابناء فلسطين العجب تحت اشراف الجيش العراقي . وكانت جموع المجاهدين تغير على المستعمرات اليهودية المجاورة مثل كفار يونا وكفر سابا ورمات ها كوفقش، ولاقت المستعمرات اليهودية فى هذه الجهات الاخطار والاهوال والقتال المرير والهجمات المنكرة آناء الليل واطواف النهار من ابناء البلاد الفلسطينيين . وكثيراً ما طلبت القيادة اليهودية من بعض سكان المستعمرات اخلاءها فكان جوابهم الاصرار على موقفهم والبقاء فى مستعمراتهم يدافعون عنها حتى الموت . واخبار مستعمرة رمات ها كوفقش جديرة بالاعجاب والتقدير والتعظيم لصمود سكانها امام الخطر المحقق.

ولقد وقفت قرية الطيرة العربية مواقف بطولة خالدة . اذ كانت اكثر القرى تنظيما واستعداداً على نفقة سكانها ، وكانت فيها فرقة منظمة من بقايا



محمد ابو ديه يشرف على فوج الامين من النجادة يدافع واخوانه عن قرية الطيرة

فرق النجادة تعرف باسم فوج الامين بقيادة قائدها محمد ابو ديه . أبلت هذه القرية البلاء الحسن وصدت هجمات متكررة عنيفة قام بها اليهود على تلك القرية، وساعدها فى الثبات والدفاع طبيعة ارضها واتحاد سكانها وبسالة نسائها اللواتى اشتركن فى القتال اشتراكا فعليا فى طليعة المجاهدين . وبقيت هذه القرية بفضل بطولة ابنائها سالمة آمنة حتى نهاية الحرب حيث سلمت غنيمة باردة لليهود نتيجة المفاوضات السياسية فى محادثات رودس مع غيرها من اراضى المثلث.

معركة جنين

وسار الجيش العراقي الى جنين . واندفعت جموع اليهود من قرى المرج فهاجمت جنين ودخلتها عنوة واحتلت بعض دورها ، ولكن تكاثر الفزيع من اهل البلاد وبمناصرة الجيش العراقي ردوا اليهود واوقعوا بهم خسائر فادحة . وكروا عليهم وتابعوهم واليهود منهزمون امامهم حتى اشرف الجيش على ابواب المرج بالمقرب من العفولة . وهنا جاءت الاوامر الى قيادة الجيش العراقي بالتوقف

والانسحاب والعودة الى جنين ، فرفض قائد الحملة العراقية الاذعان لهذا الامر فما كان من القيادة العليا الا ان تأمر باعتقال ذلك القائد وتنحيته، وحاول القائد الانتحار ولكن اخذ سلاحه منه وحيل بينه وبين ما يريد ، ونقل الى حيث نقل امثاله من المتمردين الى معسكر الزرقاء ، وحجز رهن المحاكمة العسكرية ، وهكذا اقصي من الميدان وحرم الجيش من نشاطه . وعاد العرب الى جنين وعاشوا فيها آمنين حتى اليوم.

وكان العرب فى قراهم بعيدين عن مواطن الجيش العراقي يدافعون ويهزعون كلما حانت الفرص ، والجيش العراقي معسكراً فى مركز اللجون ويشرف على قرى المثلث ويمد قرى الكرمل وقضاء حيفا الساحلية بالذخيرة من حين لآخر.

وهكذا بقي الجيش العراقي محدود النشاط مرابطاً فى مواطنه حتى جاءت الهدنة الاولى فانصرف الى الادارة المدنية داخل البلاد بصورة عسكرية، واتخذ مركز قيادته العسكرية مدينة نابلس . وهنا بدأت المشاحنة بينه وبين الجيش الاردنى، وكل يريد الانفراد فى المنطقة التي يحكمها. وكان حاكم نابلس العسكرى طاهر بك الزبيدى يتصرف فى المنطقة تصرف امير الاقطاع برقاب العباد.

هذه هى اعمال الجيش العراقي العسكرية حتى الهدنة الاولى فى ١٥-٦-٤٨.

الجيش السورى

ما اضعف القوة العسكرية التى كان عليها الجيش السورى وما اقوى الروح القومية فى بعض رجاله.

سار الجيش السورى من مراكز تدريبه من قطنة طريق القنيطرة الى



فخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية

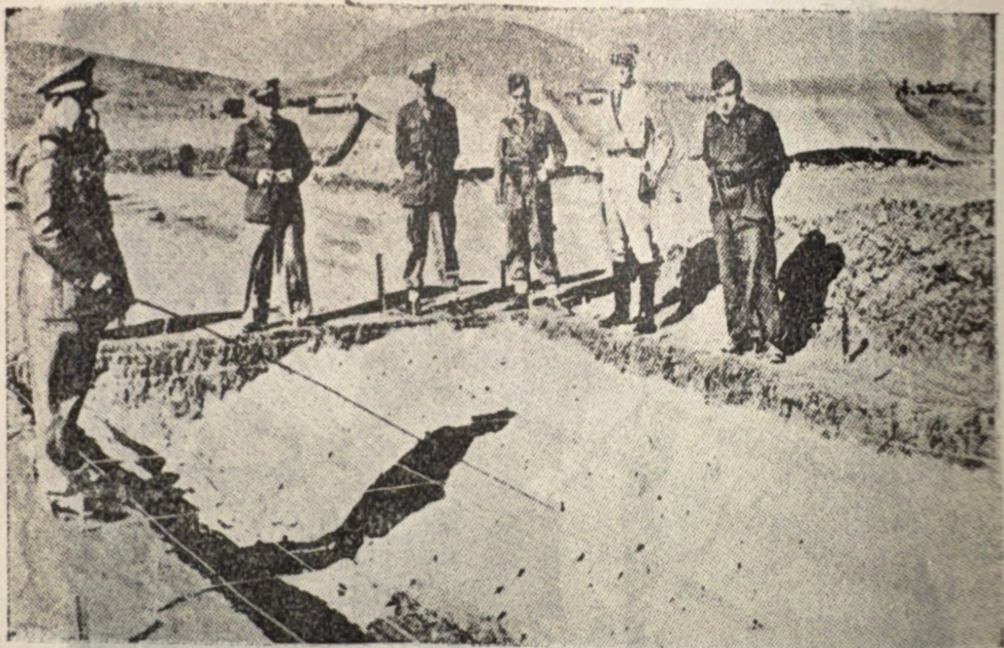
فلسطين ، ثم توجه قسم آخر الى جسر بنات يعقوب حيث اخذ يهاجم نجمة الصبح ومشمار هايردن ودردارة . وهنا دارت معارك عنيفة حالت دون تقدم الجيش السوري ولم يحتل الا تلة تعرف بمشمار هايردن وبقي فيها يوجه الحملات والغارات من حين لآخر على اليهود ، ورغم القتال المرير الذي جرى كانت كفة اليهود دوما هي المتفوقة والراجحة.



.... جنود من الجيش السوري يتدربون على القتال ....

وسار قسم آخر من الجيش بقيادة عبد الوهاب حكيم من سوريا الى الجهة الشرقية لبحيرة طبريا متمركزاً في قرية الزاوية (فيق) وقرية كفر حارب المشرفتين على حوض بحيرة طبريا والمستعمرات اليهودية في تلك المنطقة. وكانت تأتيه الامدادات عن طريق الحمة بواسطة سكة الحديد عن طريق البر ، واجتاز الحدود وهاجم مخيم قوة الحدود الاردنية قرب قرية سمخ الذي كان اليهود قد احتلوه . وكان الهاجون من رجال فلسطين قد تقدموا الجيش السوري للقتال

وعددهم حوالى خمسمائة شخص معظمهم من اهالى السمرة وسمخ ، وفى طليعتهم بنت بدوية من عرب الخوالد تحرض المقاتلين ، فاحتل المقاتلون الفلسطينيون المعسكر وفرّ اليهود براً وبحراً طالبين النجاة . ثم تقدم المجاهدون لسمخ وكل ذهب لتفقد بيته ، وتخلف معظمهم عن التقدم مع الجيش السورى خلف العدو الى دجانيا وقرية سمخ العربية التى كان اليهود قد احتلوها من قبل . ودارت معارك عنيفة بين اليهود والعرب حول مستعمرة دجانيا المحصينة . وهنا اخذ الجيش السورى يهاجم ويرتد خاسراً وقتل منه عدد يبلغ الستمائة فى هذه المعركة . وكانت المدفعية السورية جد نشيطة فى المقاومة . ويرجع الفضل فى احكامها اصابة الهدف وفى تفوق المعركة فيها الى جندى مدفعي ارمنى كان فى الجيش السورى ، ولكن لسبب لا يعلمه الا الله والراسخون فى العلم نحي هذا



(جنود من الجيش السوري في الميدان)

الجندى عن المدفعية وتسلم محله من اضاع الدقة وضلّ الهدف واخذت قذائفه

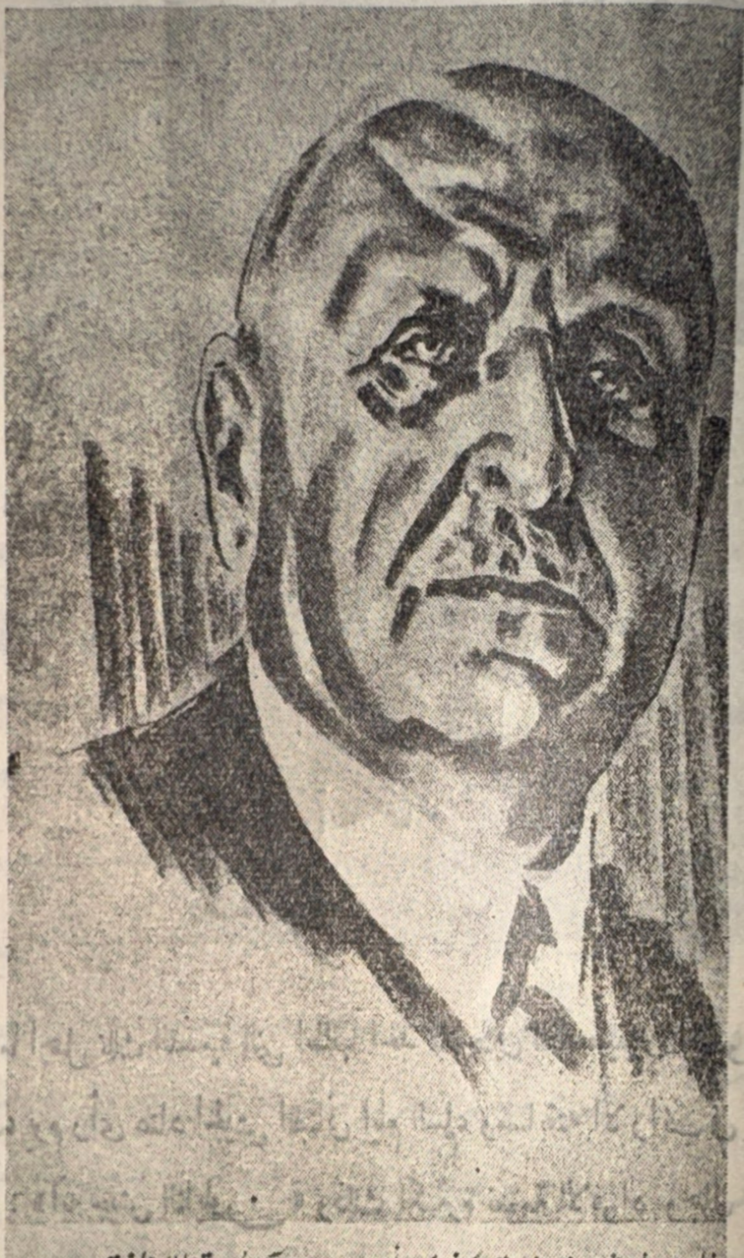
تتساقط على الجيش السورى نفسه بدل اليهود . ويرجع الفضل فى تنحيته الى وزير الحربية احمد الشرباتى ، الذى ثارت حوله الشبهات وكثرت الاتهامات وعزل عن القيادة والوزارة ، واخذ يذيع النشرات دفاعا عن نفسه ، واشتغلت الصحف الدمشقية حتى نهاية المعركة فى الاتهام والدفاع عن الشرباتى .

ولم يكن الجيش السورى ليزيد عن خمسة آلاف مقاتل . ولما انكسر وارتد عن جبهة قتاله واضطر للفرار امام الجيش الاسرائيلى ، عاد افراد الجيش يتهمون ويشتمون ويتقولون عن اهل فلسطين وانهم هم السبب فى اندحارهم وفشلهم .

وهكذا بقي الجيش السورى حتى الهدنة الاولى على الحدود ، لم يوفق فى معركة ولم ينتزع شبراً واحداً من مواقع اليهود ولم ينقذ قرية عربية ولم يحتل الا قرية السمرة والحمة التى كانت فى ايدى العرب من قبل .



القائد عبدالله عطفة ووزير الحربية السورية احمد بك الشرباتي يتحادثان



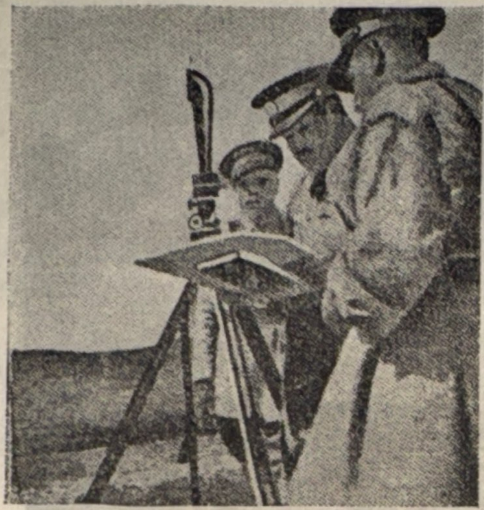
فخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية

الجيش اللبنـاني



الجيش اللبنـاني
يتغلب على ثلوج
الجبال.

ما اجمل تلك التسمية التى اطلقها احد اللاجئين الفلسطينيين المحروق القلب والبيت، يوم رأى عناد الجيش اللبنانى ايام السلم، ومسابقته الارانب فى المعركة، اذ قال: «انه جيش النايلون» وذلك لكثرة نعومة الافراد وجمال هندامهم وحلاوة قدودهم وعذوبة السنتهم. ورغم ان الجيش كان قليل العدد، رموا باكبر قوة منه فى المعركة، ولم تتجاوز خمسماية جندى واردفوه بجيش الانقاذ سنداً وحليفاً. وفى يوم الميعاد تحرك الجيش اللبنانى من عاليـه ودار فى بيروت استعداداً للمعركة، فحياه رياض احسن تحية وقال ان الجيش يسير نحو المعركة،



الزعيم فؤاد شهاب قائد الجيش اللبناني وراء منظار المدفعيه يدقق المواقع على الخرائط وهدفها الاول المطله.

ولكنه بعد عرض فى جولة قصيرة عاد ادراجه لثكناته . وتقدم منه بعض الاشخاص على خيولهم لخوض المعركة وما كادوا يجتازون الحدود حتى «سبع سلقان عجزت عن لحاقهم» ففروا ولم يعودوا ليجسروا على الظهور على مرسح الوجود ، وتوارى الجميع خجلا ولم يبق فى الميدان الا رياض وبعض اعوانه يتغنون ويتبجحون بقوة الجيش واعماله وتهديداته . وهكذا اعلنت الحرب وتبعتها الهدنة والجيش اللبناني يقوم بمناوراته على الحدود ويسابق اللاجئين بطلب النجاة والابتعاد عن المعركة . ودام موقفه حتى وقعت الهدنة الاولى فحمدوا الله شاكرين ، وسمعت بعضهم يتذمر ويشكو الفراق والبعد عن بيروت ويقول انه كان فى الجهاد غريباً بعيداً مدة شهر، وهذه اكبر تضحية اداها جندى فى لبنان فى سبيل فلسطين. اما وزير الحربية مجيد بك ارسلان فلقد لعب دوراً هاما فى القضية الفلسطينية وراء الشاشة البيضاء رفيقاً للقاوقجي فى زيارة الشجرة ولوبية ورفيقاً للمرحوم كامل الحسين وسهام رفقي . وكان له الفضل فى نصيحة بعض اهل فلسطين فى البقاء فى بلادهم وعدم الخروج منها . وليته نصح



مهاجمة الهاجنا الاسرائيلية للحدود اللبنانية

الجميع او اعرب عن رأيه علناً امام الناس.

ورأيت بلاغا حكومياً لبنانياً يقول ان الذين ماتوا من اهل لبنان فى سبيل فلسطين من جنود ومدنيين على اثر توغل الجيش الاسرائيلى فى حدود لبنان واحتلاله اربع عشرة قرية منه ، بلغ اربعة وثلاثين شخصاً رحمهم الله جميعاورحم الامة الفلسطينية.

ووقف الجيش اللبنـانى بعد الهدنة الاولى ، ورجالات لبنان يعدون الفصل الثانى من الرواية مع بعض المؤلفين خلف الكواليس وفى امهات الفنادق فى بيروت ومصايف الجبل . وبين ابواب الناقورتين ؟

وهذا ما كان من امر الجيش اللبنانى حتى ٤٨/٦/١٠ .

الموقف في فلسطين في الهدنة الاولى

وقعت الهدنة الاولى بعد مرور خمسة وعشرين يوما على بدء الزحف العربي العام ، ولم تكن الجيوش العربية قد اتصلت ببعضها للاطباق على تل ابيب كما كانوا يتغنون ويدعون. واعلنت الهدنة والحالة فى فلسطين تنذر بالخطر وتنبىء بقرب انهيار احد الفريقين حتما . وكان الموقف الاجمالى فى كل جبهة كما يلى :

الموقف فى الجبهة العربية :

١ ـ كان العرب يحتلون القسم من فلسطين المتاخم لاراضيهم ، ويبتدىء من الجوره فى قضاء المجدل الى اسدود شرقا الى السوافير فعراق سويدان ، فبيت جبرين فوادى القف الى بيت صفافا فالقدس القديمة . وشرقا القدس القديمة فاللطرون فالرملة فاللد الى رأس العين فكفار سابا فالطيرة وحدود المثلث العربى الى اللجون، ومن اللجون الى جنين، ومن جنين حتى جسر المجامع، ثم الحمة فاراضي السمراء شرق بحيرة طبريا . ومن الشمال مشمار هايردن والدردارة فى قضاء صفد ثم قلب الجليل بشكل مثلث رأسه الشرقي المطله والغربى البصة ووسطه الناصرة . وهنالك فى الاراضى الجنوبية من فلسطين بعض المستعمرات اليهودية ما زالت قائمة ومحاصرة فى اراضى النقب . وفى السهل الساحلى بقي كثير من القرى على سفوح الكرمل تمتد من الطيرة شمالا حتى الطريق بين السهل الساحلى ومعظمها محاصرة من قبل اليهود.

٢ ـ كان معظم اهالى فلسطين قد خرجوا من بيوتهم واحتلها اليهود ونهبت وباتوا فى عداد اللاجئين المشردين . ولا يقل عدد اللاجئين اذ ذاك عن حوالى

اربعمائة الف نسمة .

٣ ـ كانت معنويات العرب ما زالت عالية ، والامل فى النصر والتغلب محتوما مضمونا مئة بالمئة.

٤ ـ كانت اقوى الجيوش العربية موفورة واسلحتها وذخائرها كافية لانهاء المعركة لمصلحتها .

٥ ـ كان الضعف ظاهراً فى صفوف السوريين واللبنانيين ، والقوى كامنة فى الجيش العراقي والاردنى والمصرى.

٦ ـ كان التصدع فى الجبهة العربية مستوراً والفتنة بينها نائمة .

٧ ـ كانت القوى الشعبية العربية فى مختلف الاقطار ، تعاضد الجيوش وترقب النصر.

٨ ـ كان المجال واسعاً مفتوحا لايقاع ضربتهم.

٩ ـ كانت للعرب قيمتهم فى الرأى العام الدولى والشعبى.

١٠ ـ كانت الجبهة الحربية العربية مفتوحة على الجبهة السياسية ، وللعرب مكانتهم الدولية السياسية.

الموقف فى الجبهة اليهودية :

١ ـ كان اليهود فى ذعر وارتباك وتخبط وحصار وضيق . اسلحتهم قليلة ، وذخائرهم ناقصة، ومعداتهم غير كافية، وفريق كبير منهم استسلم لليأس وخارت قواه . والقدس بصورة خاصة كانت تنذر بالخطر والاستسلام لقلة مؤنها وعطشها وانعزالها وضعف حاميتها وقلة سلاحها واطباق العرب عليها.

٢ ـ كان اليهود ونشاطهم السياسى لدى هيئة الامم وفى الاوساط الدولية الكبرى والاوساط السياسية العربية جد عظيم يفوق نشاطهم فى فلسطين

بمراحل واسعة .

٣ ـ كان خط الدفاع الاسرائيلي ضعيفاً غير معزز ، لا يقوى على الصمـود في وجه الجموع والاسلحة العربية .

٤ ـ كان الرأى العام الدولى يتأرجح بين العرب واليهود ، بين قوة المال والسياسة وقوة العدد والسلاح .

٥ ـ كان اليهود جد متخوفين من موقف شرق الاردن وجيشها ، ويخشون خروجها من التمثيل والهزل فى المعركة الى الجد والعمل.

٦ ـ كانت الامدادات والمعدات المهيأة لليهود فى امريكا واوروبا بعيدةعن متناول ايديهم ولم تصل بعد.

٧ ـ لم يكن لدى اليهود الاسلحة الثقيلة والطيارات المقاتلة والقلاع الطائرة والجيوش الـكافية لصد العرب وتوقيف زحفهم .

٨ ـ لم تكن معظم الدول الكبرى قد اعترفت بقيام الدولة اليهودية .

٩ ـ كان اليهود غير موفقين بعد بتفرقة صفوف الدول العربية وعزلها ومقاتلة كل منها على انفراد.

١٠ ـ كان اليهود فى ازمة سياسية مع بريطانيا العظمى ، وما زالت بريطانيا تحاول تعزيز سياستها فى الشرق بمناصرة العرب ، وعلى خلاف مع امريكا التى تحاول دخول الشرق والاعتماد على دولة اسرائيل لتعزيز موقف الحلفاء . وكانت امريكا لم تتوفق بعد بالتأثير على السياسة البريطانية لتغيير اتجاهها هذا .

١١ ـ كان اليهود جادين فى بناء كيانهم وجمع قواهم واستغلال كافة مرافقهم الحيوية للمجهود الحربي . وسيطرت روح زعامتهم المتقدة على عناصر الخمول واليأس والانهزام فى اوساط عامة الشعب .

الهدنة الاولى



هذه صورة ناطقة للهدنة كما صورها المصريون وتظهر مساعي اميركا

كانت السياسة العربية منذ فجر جامعتها تتعثر وتتخبط فى سلسلة من الاخطاء الهامة. وبقيت تسير من سيء الى اسوأ حتى اودت بالعرب الى الهاوية.

وكانت مظاهر الاستعباد والانقياد والخضوع لارادة الانكليز هي الصفة الغالبة على الجامعة ورجالها ، لهذا لم يكن لهم هدف يسددون سهامهم اليه ، ولم يكن لهم عقل يعملون باجتهاده ، ولم يكن لهم سمع يصغون لافراد الشعب ، ولم يكن لهم عيون يرون انفسهم واهلهم واصدقاءهم واعداءهم والعالم الذي يحيط بهم. ولم يكن لهم حس ليشعروا بالالم ، ولم يكن لهم ضمير ليخافوا وخزاته ، تراهم رؤوسا مستديرة ، وعيونا جاحظة ، وآذانا كبيرة ، واشكالا على صورة آدم ، ولكنهم صم بكم عمي ، آلات ولكنها من لحم ودم .

وقبل الهدنة واثناء اجتماعات الجامعة ، نشرت جريدة الاخوان المسلمين فى مصر صورة فوتوغرافية لكتاب متبادل بين المستر كلايتون الوزير البريطانى المفوض لشؤون الشرق الاوسط فى القاهرة ، وهو المسيّر للجامعة اذ ذاك ومحركها الخفي ، وبين سمير باشا الرفاعي رئيس الوزارة الاردنية فحواها : «ان القتال الاردني فى فلسطين سيكون شكلا لا عملا ، ولن تتجاوز الجيوش الاردنية المنطقة المخصصة للعرب فى فلسطين . وستكون مهاجمات الجيش الاردنى فقط لبعض المستعمرات اليهودية فى القسم العربي وعلى الحدود وبالصورة الوهمية يجرى فيها الانسحاب والهجوم ، ويدور القتال على هذه الصورة. » ويقول سمير فى كتابه للمستر كلايتون «انه استشار جلالة العاهل الاردنى فوافق على ما ورد فى الكتاب». نشر هذا الكتاب باللغة الانكليزية والعربية ويحمل تواقيع المسؤولين. كيف وصل وما القصد من نشره ، ولماذا لم يدقق العرب فيه ويتحروا عن صحته ، امور ما زالت رهن البحث وفى طيات الكتمان!!

جلالة الملك عبد الله
ملك الدولة الهاشمية الاردنية



عند ما تحين الساعة ، سيعلم العالم كله موقفي من فلسطين ..

وفى اثناء سير القتال جرت اجتماعات سرية كثيرة بين بعض الشخصيات العربية واليهودية وانتشر خبرها فى حينه ، وكانت تجري فى فلسطين والعالم الاوروبى. وما مقابلات اليهود لجلالة الملك عبدالله فى الشونه وعمان وكيشر بالسرية ، وما اجتماعات القاوقجي واعوانه فى نور شمس ونهلال والكساير بالخافية ، وما اتصالات رياض بك وبعض الشخصيات المصرية والعراقية في

الفنادق الكبرى والحلقات الدولية السياسية فى اوروبا وامريكا بالمنكرة.

وترى السياسة العربية ترغب فى الاجتماع مع اليهود والتفاهم معهم ، ولكنهم يخشون غضب اسيادهم وشعوبهم الذين ربوهم على سياسة المقاطعة والسلبية. وبقوا اعمالهم رياء وموقفهم طلاء ، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون عكس ما يقولون.

السيد بشارة الخوري

رئيس الجمهورية اللبنانية



لا ابقى الله لبنان اذا سمحنا بقيام دولة يهودية فى فلسطين ونحن أحياء..

وهكذا خاضوا غمار الحرب دون هدف واضح، ودون خطة معينة ، ولم يحسنوا من المواقف السياسية الا الولائم والحفلات والتصاريح والادلاءات ، والتضليل والتمويه، والكذب والرياء، والسلبية العمياء. كانت فى ايديهم اوراق رابحة مضمونة ، ولكنهم كشفوا سرائرهم فاضاعوا الموقف ولم يتمكنوا من استغلالها والاستفادة منها ، حتى خسروا المعركة السياسية الكبرى ، واجمع الاخصام الالداء فى حقل السياسة العالمى الذين تعذّر اتفاقهم على شيء من قبل الا على هتلر والعرب ، اجمعوا على تأييد اليهود عسكريا وسياسياً . والجامعة العربية تعذر عليها ان تحول دون اتفاقهم فضلا عن استمالة احدهم ولديها الاسباب القوية للاغراء والاستمالة والاقناع.

السيد رياض الصلح رئيس الحكومة اللبنانية



ستثبت الايام القادمة اذا كنا نجد ام نهزل..

وتفوق اليهود فى الحقل السياسى وتلألأ نجمهم وحازوا نصراً عظيما هو النصر الواقعي

السيد شكري القوتلي
رئيس الجمهورية السورية



قررنا ان نعيش مع فلسطين
أو نموت معها بل نحن مستعدون
أن نموت قبلها وفى سبيلها.

الذى اكسبهم المعركة وضمن بقاء دولتهم وارتداد العرب خاسرين.

وباء العرب باكبر فشل سياسي اعترض تاريخهم فى عصرهم الحديث، واثبتوا انهم اطفال فى عالم السياسة، ما زالوا فى الاقمطة بحاجة لمن يهز فيهم السرير.

وكان النصر الاكبر لليهود هو اعلان الهدنة وموافقة العرب عليها بنتيجة تدخل مجلس الامن والانكليز والامريكان بوجه خاص واقترح الانكليز وسيطا دوليا يحمل غصن الزيتون لارض السلام. واقرّت الهدنة الى اربعة اسابيع.

وفى اثناء المفاوضات للهدنة، جرى استفتاء فى الاوساط العربية السياسية فى مصر، وكان الوسط المصرى اجمالا يقول بوجوب الخضوع لهيئة الامم ومجلس امنها دون قيد او شرط. اما الفلسطينيون فكانت اصواتهم تشق عنان السماء... المفتى يصرّ على مواصلة القتال مهما كانت النتيجة امام مجلس الامن

السيد جميل مردم رئيس الحكومة السورية



دولة جميل مردم بك «ان دور الكلام قد انقضى وحان دور العمل ولا بد من النصر إذا عرف كل منا واجبه»



الهدنة التى يريدها مجلس الامن !

ما وصل اليه العرب نتيجة الهدنة

وفوق ميدان فلسطين . وفريق من الفلسطينيين وكنت بينهم عملنا جهدنا فى الاوساط الدولية لرفض الهدنة رفضاً باتاً وقلنا اما ان تتحول الى صلح نهائى يعين الموقف بين اليهود والعرب فى فلسطين ، او الاستمرار فى الحرب ان تعذّر الوصول الى الهدف الاول . اما الهدنة فستقود حتماً الى دمار فلسطين وتحويل قضية البلاد من جهاد ومجاهدين الى لاجئين ومشردين .

ولكن السياسة العربية المسخرة سارت كما اوحت اميركا وانكلترا فجرّت على ابناء فلسطين الخراب والدمار وعلى الجامعة العربية الذلّ والعار والخذلان والانحدار.

وقعت الهدنة واحتفل العرب بها وكان يوم عيد فى مصر، وفى اللحظة المعينة

اجتمع الجيش المصرى فى ميدان وزارة الحربية وباحتفال رسمي بعد تلاوة النشيد الملكى هتفت الابواق بلحن خاص سبع مرات تعلن توقف القتال . وتلا وزير الحربية حيدر باشا خطبة مجد فيها الجيش وحيّا الملك فتعالت الهتافات للفاروق والجيش ومصر.

ووقفت الجيوش العربية فى مواقعها من فلسطين، واخذت الادارة العسكرية تنظم الشؤون المحلية لعرب فلسطين.

انقضت اربعة اسابيع واليهود يعملون ليلا ونهاراً، براً وبحراً وجواً، كبيراً وصغيراً ، ذكراً وانثى . عززوا قواهم ، نظّموا صفوفهم ، جرّدوا جموعهم ، جلبوا معداتهم واسلحتهم ، استكملوا نواقصهم ، ألبّوا العالم على مناصرتهم ، قطعوا شوطاً بعيدا فى الاستعداد والقوة ، حتى اخذوا يتحفزون لخوض المعركة والنزول الى الميدان .

والعرب خلال هذه المدة يغطون فى احلامهم ، يتغنون بقوة جيوشهم ، ولباقة ساساتهم ويسعون للاتفاق على تقسيم الاسلاب من فلسطين بلاداً وعباداً. والتشاحن والبغضاء بين السلطات العربية المحتلة تفتك فى وحدتهم، وانقسم اهل فلسطين على امرهم وتخاطفهم العرب ، قسم يؤيد المصريين وآخر الهاشميين ، وثالث السوريين ، وهكذا هيأوا الجو للضعف والتفرقة والاندحار وقتل العرب الفلسطينيين بدم بارد وضمير ميت .

نتيجة الهدنة

جاء الوسيط الدولى برنادوت ومعه جيش من رجال هيئة الامم فعسكروا فى البلاد . وفى خلال الاسابيع الاربعة اعلن برنادوت عن نواياه وبدأ تقريره يتسرب الى الاوساط العربية واليهودية،فجاء فى مصلحة بريطانيا المدبرة الساهرة



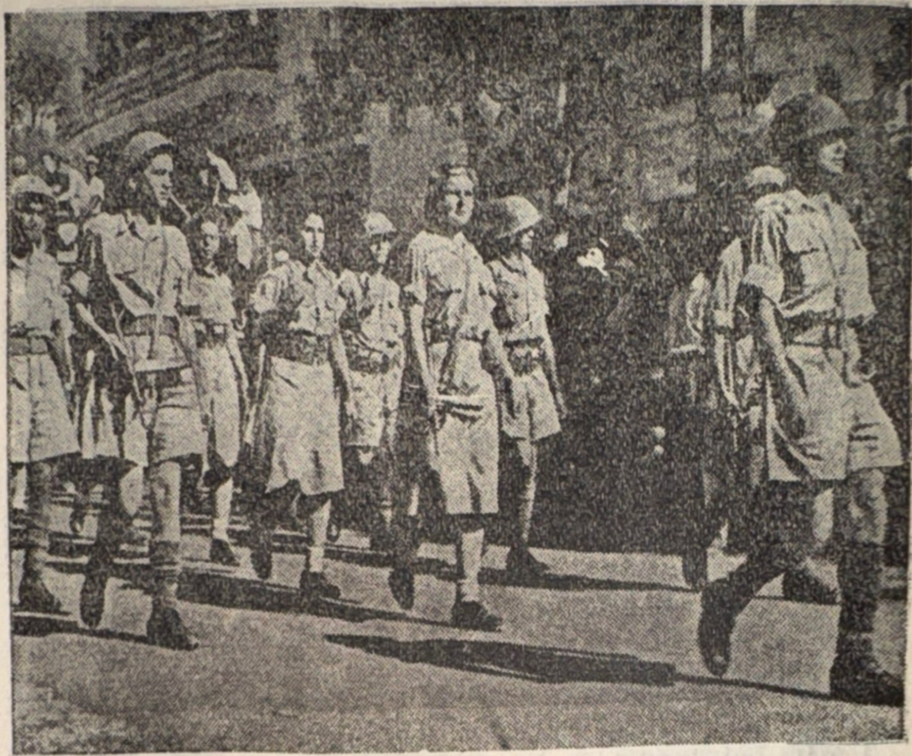
الوسيط الكونت برنادوت والدكتور رلف بنش الذي خلفه بعد قتله

واذا به يبيع فلسطين واهلها لقاء تمكين الانكليز من النقب . وعوضاً من ان يغضب العرب ويثأروا لكرامتهم ونب اليهود ابطالا يذودون عن استقلالهم وكيانهم ومستقبل دولتهم وقضوا على الفتنة فى مهدها وضربوا رأس الحية قبل ان تنشب انيابها ، وقتلوا برنادوت ومعه قتلوا المشروع الانكليزى.

استئناف القتال بعد الهدنة الاولى :

لم تسفر الهدنة الاولى عن اية نتيجة لمساعي الوسطاء ومجلس الامن ، وعبثاً حاول الوسطاء اقناع الفريقين فى الوصول الى اى اتفاق على الصلح ، فكان اليهود يماطلون حتى استكملوا عدتهم وكان العرب يصرون على استئناف القتال ثانية.

وما كادت المعركة تبتدىء واذ اليهود غير اليهود. اسلحة عظيمة ودبابات ضخمة ومصفحات كبيرة وقنابل فتاكة وطائرات من طراز جديد ، واعتدة

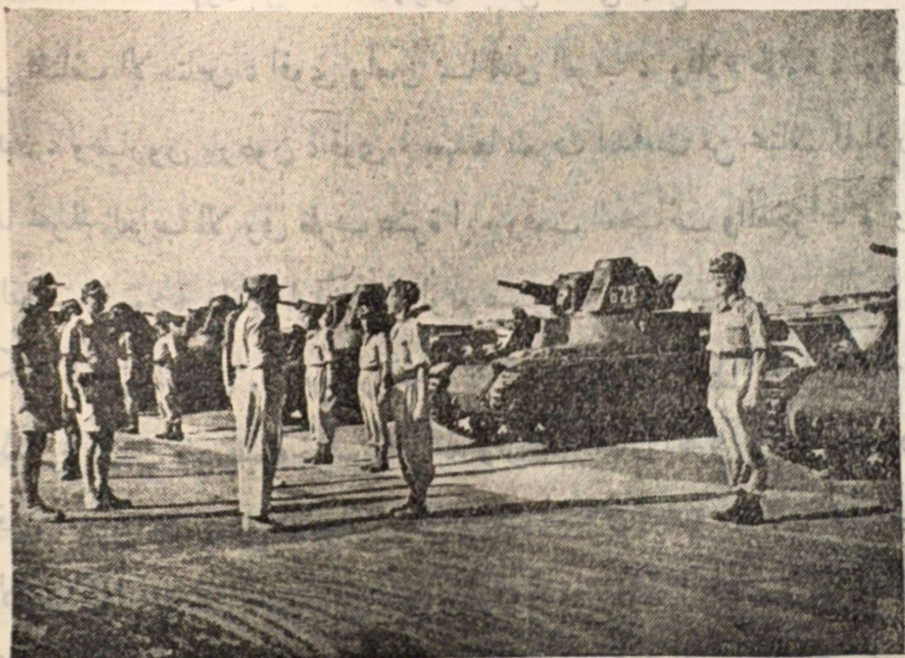


اليهود بعد الهدنة الاولى جيش نظامي كامل العدة

من مختلف الاجناس ، اقوى وامتن مما لدى العرب ، وقلاع طائرة ، وقواد جدد ، وطيارون بارعون ، قوى لم يعهدها العرب اندفعت من مختلف الميادين. وما تحرك العرب الا وفى ظرف عشرة ايام وقعت العجائب والمعجزات ، واذ بالقوات اليهودية داخل لبنان تحتل اربع عشرة قرية ويدب الرعب والفزع فى سكان لبنان المدنيين . ومن طريف ما يروى عن « بنت جبيل » ، ان مجلسها البلدى لم يتمالك من نتيجة خوف اهل البلد وفزعهم الا ان اتصل برئيس الجمهورية وقال : « ان اليهود على الابواب وعلى وشك احتلال البلد » . فكان الجواب : « لا تفزعوا فلن يحتل اليهود قريتكم سيعودون من حيث اتوا » . وبالفعل وصلت طلائع الجيش اليهودى بدباباتها البلد ودارت فى وسط شوارعها وقفلت راجعة دون ان تتعرض لاحد بسوء ...



الدكتور ويزمن يخطب في الكنيست (البرلمان) الاول الاسرائيلي



جنود التنكات اليهودية



احتلال القوات اليهودية لمطار اللد

وفى الجبهة السورية وقعت مناوشات متفرقة واشتباكات محلية فى مرابض الجيوش حول مشمار هايردن والدردارة . ولكن اليهود لم يكتفوا بالقتال فى هذه المواقع ، بل فاجأوا القوات السورية وتسللوا الى الاراضي السورية حتى اشرفوا على القنيطرة مركز القيادة السورية ، هنا دارت رحى معركة عظيمة نكاثر فيها الفزيع العربي وأبلى المدنيون من الشراكسة البلاء الحسن واوقعوا فى الجموع اليهودية عدة اصابات وانسحبت ادراجها تجر اذيال الفشل واستولى السوريون على بعض الاعتدة والاسلحة.

وفى الجبهة العراقية لم يقم العراقيون بشيء يذكر، اللهم الا فى بعض

الاحيان كانوا يساعدون بمدفعيتهم قوى المجاهدين فى الطيرة وجهات قلقيلية .

وفى القرى العربية الباقية ضمن المنطقة اليهوديه فى قضاء حيفا وسفوح جبل الكرمل تغلب اليهود وفتكوا بأهل القرى فتكا ذريعاً وقتلوا ونهبوا وشردوا الكثيرين ونسفوا بعض القرى حتى اصبحت اثراً بعد عين . وهكذا قضى سكان الطيرة وعين غزال واجزم والطنطورة وما حولها من القرى العربية.

وفى الجبهة الاردنية استمر القتال بين المجاهدين واليهود حول مطار اللد وتفوق اليهود على المجاهدين ودحروهم الى اللد . وهنا وقعت مهازل اللد والرملة التى سودت صحيفة الجيش العربى وكثر حولها القال والقيل.

معركة اللد

تعرف اللد بسذاجة اهلها وعنادهم وتصلبهم وانقيادهم الانقياد الاعمى للهيئة العربية العليا ومفتيها.

ومن طريف ما يذكر انه حوالى سنة ١٩٤٥ ، عندما عزم جلالة الملك الهاشمي لزيارة لندن للبحث فى تعديل المعاهدة الاردنية وتحويل نظام الحكم فى قلب الاردن من امارة الى مملكة، زار جلالة الملك بدعوة من اهل اللد وبلديتها المدينة واقيمت له حفلة ضمت اهل البلد والقضاء . ولما قدم موكب صاحب الجلالة ترجل للدخول الى قاعة الحفلة وهنا ابتدأت النسوة يغنين باعلى اصواتهن يشدن بذكر المفتى وبعظمته على مسمع من جلالة الملك وفى حفلة لجلالته ، ولما قدم مجلس المحتفلين نادى بعضهم بالهتاف الى المفتى وردّ عليه فريق المجتمعين الامر الذى اغضب الملك وانسحب من الحفلة ورفض الجلوس وقفل راجعاً على ان يعود لزيارته فى غير هذا الجو.

وعندما فزع اهل فلسطين لمبايعة جلالة الملك والطلب منه نجدتهم ، حضر

وفد من اهل اللد والرملة لمقابلته فلم يحسنوا التصرف فى حضرته واساؤا الآداب الملكية فما كان من صاحب الجلالة الا ان أنبهم وهاجم احدهم من المشايخ وقال: «ان الذين اهلكوا العباد وضللوهم هم اصحاب الجبب والعمائم امثال الشيخ المتكلم. وقال هذه الحرب فاصبروا ولا يضيرنا ان سقطت بلد فالمعركة دائرة وتتعلق فى مصير البلاد والحرب اخذ وردّ والايام سجال» . فخرج الوفد حاقداً ناقماً ينشر الدعايات والاشاعات ضد جلالة الملك.

وفى معركة اللد عندما تقدم الجيش العربى لنجدة المجاهدين سمع من اهل اللد ما لم يرضيه ضد الملك والاسرة الهاشمية والقوة الاردنية ، الامر الظاهر الذى جعل الجيش الاردنى يتخلص من دفاعه وينسحب من البلد . وهكذا كرّت القوى الاردنية عائدة فى طريق اللد والرملة الى اللطرون، ولكنها نسيت احد القادة الانكليز الذى تخلف لاعماله فى قلعة البوليس بالقرب من اللد ، فعادت بعض الدبابات الاردنية لانقاذه، وكان اليهود قد دخلوا البلد وانسحب بعض المقاتلين من اللد ، فلما رأوا الجيش الاردنى عاد ظنوه انه قد عزم على القتال فحملوا امامه على اليهود حملة شعواء فقتلوا الكثيرين وكانت المعركة فى البلد واطرافها . ولكن الجيش الاردنى ما لبث ان قفل راجعاً بعد ان انقذ القائد الانكليزى وبقي ابناء اللد فى صدامهم مع اليهود وسرعان ما نفذت ذخيرتهم فقتل نفر منهم وفرّ الباقون . وهاجم اليهود البلد بكل شدة وشراسة فدخلوا البيوت وفتكوا بالآمنين من سكانها . وكان فريق منهم قد لجأ الى بيوتهم ذاهلين فى حاله لا ينطبق عليها وصف الا يوم القيامة ، يوم الحشر والنشر ، ونسى المرء ابنه وزوجه واخته واخاه وامه وأباه . ووقفت القوى اليهودية على قارعة الطرقات تعترض سبيل الهاربين ، فكثيرون قتلوا وجرحوا وسلبوا

واعتدي عليهم وما ان مروا على الرمله وانتشر فيها ما جرى للد حتى خرجوا مذعورين يرافقون المواكب السائرة على ابشع صورة الى جهة اللطرون فرام الله. وهنا المشاهد الدامية المحزنة : على الطريق نساء عاريات حافيات واطفال جياع مرتمون على قارعة الطرقات وكثيرون يموتون من العطش والخوف وشدة الجراح وكنت ترى الناس كالجراد المبثوث فى حالة تبكى الصخر وتدمى القلوب . وما ان بلغ الخبر الى رام الله حتى خرجت النجدات بسيارات لاسعافهم وتضميد جراحهم . ولكنهم ما ان وصلوا رام الله حتى دخلوها بالعويل والصواخ ، وسارت النساء حافيات باكيات داميات فى الشوارع تشكو الله وتنزل الشتائم واللعنات على جلالة الملك الهاشمي .

ووصف مدير محطة الاذاعة العربية فى رام الله الاستاذ عزمى النشاشيبى مشهد ذلك اليوم المخزي بصورة املاها العطف والاشفاق والالم . وما كاد



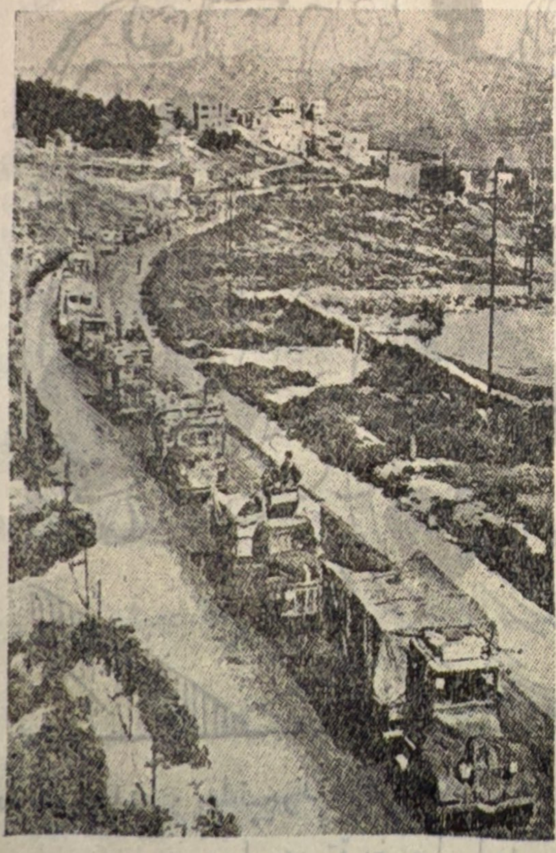
السيدان قائد القدس عبد الله التل وموسى ديان قائد القوات اليهودية يتحدثان

جلالة الملك عبدالله بسمع ذلك الوصف حتى امر بتجريد الاستاذ عزمى النشاشيبي من رتبته العسكرية وكانت برتبة زعيم اى «بركادير» وعزله من منصبه، فترك شرق الاردن الى اونيل شبرد فى القاهرة حيث انعكف زمناً غير قصير.

وانسحب الجيش الاردنى الى مواقعه الحالية فى باب الواد واللطرون والطريق المؤدية الى رام الله حيث بقي معسكراً هناك الى ان وقعت الهدنة الثانية.

اما فى القدس فقد تبدل الموقف واشتد بأس اليهود وباتوا يهاجمون البلد القديمة من كل ناحية فى الليل والنهار. واحتلوا مواقع جديدة جبل المكبر وصهيون وباب العامود. وبات الجيش الاردنى يستعمل السياسة والمفاوضات السرية لتهدئة الحال، وكان بطل هذه المفاوضات البمباشى عبدالله التل حاكم القدس العسكرى اذ ذاك.

وفى الجبهة المصرية هاجم اليهود قوى المصريين فى بيت لحم فصمد لهم



اثر انسحاب الجيش العربي من اللد والرملة وباب الواد وصلت القوافل اليهودية لاول مرة مغامرة الى القدس تحمل المؤن الى اهلها المحاصرين.

المصريون ولم يتقدموا فى جبهتهم الى ان توقف القتال ، وفى اثناء ذلك كان اليهود يحرزون بعض التقدم خلافاً لشروط الهدنة.

اثر القتال بعد الهدنة :

وعلى اثر القتال بين الهدنتين ، بدأ الانقسام يظهر فى صفوف الجبهة العربية بشكل سافر وكثرت الاتهامات للجيش الاردنى ولجلالة الملك عبدالله. ونشطت الجامعة العربية فى سياستها للتآمر ضد المملكة الاردنية لانقاذ فلسطين. وبرز المفتي للميدان واحتضنه عزام وبعد اجتماعات متتالية قادت مصر الجبهة وصمموا على اتباع تكتيك سياسى جديد لوضع مجلس الامن امام امر واقع ولصد السياسة الهاشمية والحيلولة دون توسعها وتحقيق اهدافها، فاتفقوا على تمثيل دور آخر ، هو مشهد «حكومة عموم فلسطين» المخزى.



المصري افندي : ما تيجوا تضربوا معايا

العرب : حرام ، ستة بضربوا واحد ... اضرب انت

حكومة عموم فلسطين

لقد بينا فى فصول سابقة الدوافع الحقيقية التي حملت الجيوش العربية لدخول فلسطين، فاذ لم يكن القصد مقاتلة اسرائيل والقضاء عليها كما اشيع واذيع، وفهم الكثيرون من اهل فلسطين، وبصورة خاصة كان الحامل على ذلك الانانية وحب الذات وتنازع البقاء وحرصاً على النفوذ والى ما هنالك من علل واسباب فنّدناها فى مواضعها، ويجدر الاشارة اليها بهذه المناسبة.

مظاهر الدوافع: ولقد ظهرت هذه الدوافع فى مشاهد جمة من الفصول الهزلية التى مثلت على مسرح الشهداء، ولم تقتصر على دولة واحدة بل عمت كافة الدول المقاتلة. فالمصريون بدت نواياهم فى:

أ) استقبالهم وفد رؤساء البلديات فى المناطق المحتلة من قبلهم، وتقديمه المذكرات التى كانت تنظم بواسطة بعض رجال السراى وبعض رجال دائرة الاستخبارات المصرية. وهنا فى خلال الهدنة الاولى حضر وفد مؤلف من رئيس بلدية غزة رشدى الشوا، ورئيس بلدية المجدل السيد ابو شرخ، ورئيس بلدية السبع السيد توفيق مشتهى، ورئيس بلدية خان يونس السيد عبد الرحمن الفرا وسجلوا اسماءهم فى الديوان الملكي وقابلوا بعض الشخصيات السياسية المصرية وقدموا مذكرة مسهبة تحوي الاسباب التي من اجلها يرغب اهل فلسطين الانضمام الى مصر والتى من اجلها ترغب مصر بضم فلسطين اليها

ب) قدم وفد من الخليل مؤلف من بعض الوجهاء ورؤساء الحمايل لمثل

لهذه الغاية ، وذلك خلال مدة الهدنة . وكان يتألف من نفر كثير منهم الشيخ محمد على الجعبري ، ومخلص عمرو ، وعبد المجيد الاشهب، وفخرى حمور ، وعبد الرحيم الشريف ، وكثيرون غيرهم . وقدموا مثل الوثائق التى قدمها غيرهم من قبلهم.

ج) وحضر السيد عيسى البندك رئيس بلدية بيت لحم بالنيابة عن البلدية وعن المسيحيين فى تلك المنطقة . ونظراً لصلاته السابقة فى القصر المصرى يوم كان موظفاً فيه ، قام بنشاط عظيم باسم المسيحيين فى فلسطين لتحقيق هذه الغاية .

د) فى محاولة المصريين تشكيل قوة نظامية من ابناء فلسطين للدفاع عنها باموال واسلحة مصرية شرط ان توافق الزعامة الفلسطينية على ان تكون فلسطين بعد انقاذها تابعة للتاج المصرى . ونظمت الوثائق لهذا الخصوص فاعترض عليها المفتى وتخلص من توقيعها معتذراً، إذ أشار على السيد عيسى البندك ان يوقعها بالنيابة عنه وان يقول بانه استشار المفتى ووافق على ما جاء فيها . ولكن مصر لما علمت بموافقة المفتى شفهياً وامتناعه عند تقديم المذكرة ، اهملت الموضوع وسجلت ذلك للمفتى . وهكذا المفتى حرصاً على كرسى زعامته واطماعه رفض ان تنقذ فلسطين على ان يتربع على كرسيها الفاروق ويضمها الى عرشه.

ه) اعلان مصر عند دخولها الحرب وجوب انقاذ فلسطين من الصهيونية على ان تعود الجيوش العربية المنقذه وتترك فلسطين ومصيرها لاستفتاء شعبها.

و) المشاحنات التى وقعت بين السلطات العسكرية المحتلة فى الخليل وبيت جالا وبيت لحم ، حيث كان فى كل بلد حاكمان عسكريان وهيئتان للضرائب وقونا بوليس وحاكما صلح ، وحزب اردنى وحزب مصرى ومشاحنات

وخصومات بين السكان والحكام حول مصير البلاد . لم يقتصر هذا التنازع على الطبقة الدنيا من الموظفين والمدنيين بل تغلغل فى الاوساط العليا. وما المظاهرات التى قامت فى الخليل وبيت لحم الا نتيجة لهذا التزاحم ، وما حادث اصطدام الحاكم العام الاردنى عمر باشا مطر مع رئيس الادارة المصرية حيدر بك والشتائم المتبادلة واشهار السلاح ، وما كان من تنحية عمر باشا مطر عن منصبه بالامر الخفي.

ز) الفرق شبه العسكرية التي انشئت . لقد انشئت فى البلاد فرق شبه عسكرية انفق عليها من خزينة الدول العربية . والقصد منها تعزيز نفوذ تلك الدول فى المناطق القروية . وكان رئيس الكتلة الاردنية السيد كاظم خربند مهندس بلدية اللد، والكتلة العراقية السيد محمد اليحيى من محامي حيفا، والمصرية من المصريين مع وجود عدة ضباط من العرب الفلسطينيين مثل زلوم،عصفور، سرحان ، والشاعر وغيرهم. ولقد كلفتُ لتنظيم مثل هذه الفرق من قبل اكثر من دولة ورفضت لانى لا اومن بها .

وبدت نوايا الهاشميين فى :

أ) فى الموافقة على تقسيم فلسطين منذ سنة ١٩٣٦ وضم القسم الباقي الى شرق الاردن.

ب) فى انشاء الجبهة العربية فى يافا والسعي لتمثيلها كافة الاحزاب فى فلسطين لدعم شرق الاردن.

ج) فى العداوة التقليدية بين جلالة الملك الهاشمي والمفتى. اذ منذ البدء خلق جلالة الملك عبدالله المفتي ليعمل لحسابه وبارشاده ، فبعد ان كان المفتي لاجئاً مشرداً فى مدينة السلط سنة ١٩٢١ ، توسط له الملك عبدالله بواسطة السيد

هربرت صموئيل المندوب السامي لفلسطين ان يعينه رئيساً للمجلس الاسلامي بالقدس شرط ان يخدم مآربهم . فكان التعيين وسار المفتي في ركابهم مجتمعين حتى سنة ١٩٢٩ ، عندما اخذ يستقل عن جلالة الملك عبد الله ويسعى لنفسه وعائلته واتصل رأساً بالانكليز دون الملك .

د) في تخلي الاردنيين عن كثير من المواقع في فلسطين وترك جماعة المفتي للدفاع عنها حتى يهنون بحربهم مع الاعداء . كما ان المفتي نفسه كان يدخر قوته وسلاحه ويحفظها الى ما بعد المعركة لمنازلة الاردنيين .

ه) في اعلان المبايعة في مؤتمر اريحا وفي المؤتمرات التي عقدت في فلسطين وخارجها لهذا الغرض ، مثل مؤتمر شمعون في القدس ، ومؤتمر نويهض في عمان ، وطوقان في نابلس ، والاحرار في اريحا ، والحاكم العسكري في رام الله ، والتي اجمعت على مبايعة الملك على فلسطين .



صاحبا الجلالة
فاروق وعبد الله يتعانقان
عناقاً كاذباً بين الهدنتين

و) فى رحلات العاهل الهاشمي اثناء الهدنة الى بلاد العرب ومقابلته اصحاب الجلالة والفخامة ملوك العرب ورؤساء جمهورياتهم لاقناعهم بضرورة ضم الباقي من فلسطين الى دياره.

ز) فى الخطبة البليغة التي اذاعها مذياع رام الله حول غزة ، والتي لا يمكن لسامعها الا ان يجزم حتما انها صادرة عن اديب اريب ، بليغ قوى الحجة يؤمن بما يريد ، والتي يقول فيها غزة هاشم للهاشميين كما ان مصر للعلويين ، والتي لم يسمعها احد الا وقال : «جلالة الملك الهاشمي يتكلم».

ح) فى التوتر السياسى البادى بين المصريين والاردنيين وفى الجامعة العربية نفسها.

ط) فى الاحزاب التي تشكلت بايعاز الاردن لمناصرة سياستها مثل حزب النهضة الاردنية برآسة المرحوم هاشم باشا خير وعضويته ولفيف من وجهاء الاردن وفلسطين ، وفى حزب الاحرار وامين سره العام السيد وليد صلاح وعضوية فريق من كبار موظفي شرق الاردن ومن ابناء فلسطين . وهؤلاء قاموا بجولات فى الاقطار العربية خلال الهدنة لقصدين :

١ ـ الدعوة للاردن والتكلم باسم اهل فلسطين للاعراب عن هذه الرغبة.

٢ ـ دعوة اهل فلسطين للعودة الى شرق الاردن وترك البلاد العربية الاخرى.

ونفس هذه النوايا والدوافع كانت تتجاذب الجامعة العربية ولا تدرى كيف تسلك للتخلص من هذا المأزق. والجامعة العربية تحت تأثير القطر المصرى اكثر من اى مؤثر آخر عربى . وتعليمات القصر بما يتعلق بفلسطين ناعمة ،

خفية ، سرية ، تسير سير السلحفاة تاركة النتائج للزمن . ويجابه هذه التعليمات موقف السياسة الهاشمية ، ومصدرها جلالة الملك عبدالله ، لهذا كانت في طابع البداوة والفطرة ، صريحة ، بليغة ، بعيدة النظر ، قوية الحجة ، شديدة الوقع على السامعين .



صاحبا الجلالة

عبد العزيز وعبد الله يتصافحان بين الهدنتين وبين الحربين

الدوافع لتشكيل حكومة عموم فلسطين



سماحة الحاج امين الحسيني
يرفع علم دولة عموم فلسطين امام دار الاوقاف في غزة وامامه كامل افندي العريقات قائد الفتوة وخلفه السيد عمر التميمي من مؤسسي الفتوة .

ان الدافع الحقيقي لتشكيل حكومة غزة هو ذاك الطمع وحب الذات الذى كان يتنازع عليه المصريون والهاشميون كما اسلفنا ، ونفس الاهداف والنوايا ، والمقاصد والمرامي ، تدثرت بثياب غير ثيابها، وبرزت بطريق مستحدث غير طريقها . وجاءت متسللة تحت مبررات قانونية وخطط سياسية تخفي حقيقتها. وبتوجيه الديوان الملكي المصرى اخذ عزام باشا يسعى لتحقيق هذه الاحلام مسخراً جهاز الجامعة العربية لذلك.

فكر عزام فى كيفية ايجاد هيئة رسمية تمثل عرب فلسطين وتنطق باسم البلاد . هذا بعد ان تأكد ان المفتي عاد لا يصلح لهذه الغاية التي يرمي اليها عزام وسياسة عزام. ولان المفتي عن علم ومعرفة لا يوافق على سياسة دمج فلسطين مع مصر لان ذلك يحرمه من زعامة وقطف ثمار جهاده ونيل

مراده من تأسيس بيت مالك فى فلسطين .

لهذا اتصل عزام بنفر غير قليل من ابناء فلسطين ونظموا قوائم بأسماء اهل البلاد الذين يمكن ان يعتمد عليهم لتشكيل مجلس يمثل فلسطين ويقوم مقام الهيئة العربية العليا ودعم سياسة مصر فى هذا السبيل . واخذ السوريون والمصريون يشتغلون لهذه الغاية ، وبالواقع قدمت عدة قوائم للجامعة العربية منها قائمة الشباب الفلسطينى الذى يتطلع بالدرجة الاولى للتخلص من المفتي وفى الدرجة الثانية دون قتل فلسطين ضحية لمطامع الهاشميين . ولكن هذه الفكرة لم تختمر فى رؤوس الساسة المصريين لأنهم من الفئة الاقطاعية التي تميل لامثالها فوجدت فى هذه القوائم الجديدة طبقة من وسط الشباب الفلسطينى البعيد عن الزعماء والمتزعمين وطبقة الاقطاعيين المتنفذين والمشايخ ورؤساء القبائل والبلديات . وتحت تأثير الساسة الآخرين ممثلى الدول العربية فى الجامعة الذين يرون هذا الرأى ، لم تأخذ مصر بمناصرة هذه الطبقة من الشباب واهملت امرهم ولجأت فى اللحظة الاخيرة الى خلق فئة وجيهة من انصار الاقطاع والعصر الحميدى الذى يتفق مع طبقة الهيئات الحاكمة فى العالم العربي . واجمعوا على ايجاد هذه الهيئة الجديدة لمناهضة المفتي والحد من اطماع جلالة الملك عبدالله .

« كيف يمكن اظهار هذه الهيئة الجديدة ؟ وتحت اى ستار يمكن ايجادها ؟ وما هي المبررات المعقولة المقبولة التي تقنع العامة والخاصة والرأى العام لتأييدها ؟ وما اسمها واهدافها الظاهرة ؟ لهذا عمدوا الى تأسيس حكومة عموم فلسطين .

المبررات لوجود حكومة عموم فلسطين

١ – ان جهاز الهيئة العربية العليا لا يصلح لتمثيل فلسطين لما اصابها من نكبات وانحلال ، ولان بعض اعضائها قد استقالوا وابتعدوا عن ميدان العمل

لاستبداد المفتى فى الموقف . فاحمد حلمي باشا وحسين بك الخالدى جمعتهما مادة بنك الامة فتخلفا عن مشاركة الهيئة العربية العليـا ، وعزت بك دروزه ومعين الماضي جمعتهما مبادىء حزب الاستقلال فاستقالا من الهيئة العليـا ، وبقي المفتى وحاشيته يستبدون فى الامر .

لهذا يجب وضع جهاز جديد لقيادة البلاد ولا سيما ان هذه الهيئة عينها فى السابق جميـل مردم بك ولم تنتخب انتخابا وان استعيض عنها بهيئة نعينها الجامعة العربية باكملها تكون اقوى أثراً واكثر صلاحا .

٢ ـ يجب ان تكون الهيئة الجديدة ذات طابع سياسي تعترف به الجامعة العربية وتلحقها فى عضويتها وفقاً لمنطوق بروتوكول تأليف الجامعة .

٣ ـ ان تشكيل حكومة عربية لفلسطين يضع العالم امام امر واقع ويتفق مع قرار هيئة الامم القاضي بايجاد دولة عربية فى فلسطين ، وحتى يتلائم مع قرار الجامعة العربية بعدم الاعـتراف بدولة يهودية فى فلسطين سميت هـذه الحكومة حكومة عموم فلسطين لا جزءاً منها .

٤ ـ ان القضية الفلسطينية ما زالت فى معرض البحث امام هيئة الامم ، فاذا ما تقدمت حكومة عربية فى فلسطين لتمثلها ستحول دون حق اية دولة فى الادعاء بتمثيل فلسطين والتحدث باسم اهلها .

٥ ـ بعد انحلال الانتداب فى فلسطين اصبح اهلها فاقدين صفة المواطن الرسمية السياسية ، لا جنسية لهم ولا هيئـة سياسية ترعى كيانهم وتسهل اعمالهم وتضمن وجودهم . وهذه الهيئة تتسلم السلطة فى فلسطين وتجمع كيان اهلها المنحل .



«انقسام العرب»

العرب للمصري: احنا قررنا تقسيم العمل انت عليك تحارب ونحن نحضرلك الخطب . (حقوق الطبع للصحافة المصرية)

تأليف حكومة عموم فلسطين :

عملت الرجعية العربية التى تقود دفة الجامعة الى اختيار من مائلها فى رجعيتها . وهنا حبكت الخيوط لهذه المؤامرة بواسطة سوريا ومصر . وسوريا تعتمد من ؟ تعتمد حزب الاستقلال موضع ثقة شكرى القوتلى الرئيس السورى، وشكرى يعتمد فى مصر من رجالات فلسطين رشيد بك الحاج ابراهيم رئيس بنك الامة العربية فى حيفا سابقاً ، ورشيد مقرب الى البلاط الملكى المصرى بواسطة صديقه حسين بك سري القائمقام العسكرى الموكول فى السياسة العربية الفلسطينية من قبل الديوان المصرى . وحسين بك سرى يعرف العلاقة الوثيقة بين رشيد بك وشكرى القوتلى يوم كان الاخير منفياً من سلطة الافرنسيين فى سوريا الى حيفا. وقدم رشيد بك حسين بك سرى الى القصر السورى كصديق

مؤيد لسياسته وحصل من سوريا على وسام الاستقلال السورى لصديقه حسين سرى . وهكذا دعي رشيد بك كمستشار لهذا الموضوع .

واقترح رشيد بك ان يكون رجل الميدان وفرس الرهان الذى يترأس هذه الكتلة احمد حلمي باشا ، الحاكم العسكرى لدى السلطة الاردنية فى القدس اذ ذاك . فوافق المصريون على هذه الخطة ودبروا قدوم حلمي باشا الى مصر لاعمال تتعلق بشأن بنك الامة العربية وهو مديره العام فى فلسطين . قدم حلمي باشا الى مصر ، وهنا دار الاقناع الاول بين حلمي ورشيد وسرى ومحمد يونس الحسينى ، فوافق عطوفة الباشا . وكيف لا يوافق وعما قليل سيصبح صاحب الدولة وفى خزائن العرش المصرى ما لا يتوفر لدى خزائن الاردن ؟!!

عمل الرجال الاربعة على تدبير الامر مع السلطات المصرية وعزام باشا ، ومن ورائهم سوريا والسعوديون واللبنانيون والاستقلاليون ورجال صندوق الامة وبنك الامة . وخرج عن هذه الكتلة المفتى وحاشيته والعلميون واتباعهم والهاشميون لا يدرون كيف تجرى الامور .

الجامعة العربية وحكومة عموم فلسطين :

فى اجتماع الجامعة فى الاسكندرية ، تناول القوم بحث حكومة عموم فلسطين ورجعت الجامعة الى قراراتها السابقة فى تشكيل هيئة رسمية تعترف بها لتمثيل فلسطين ، والى بروتوكول الجامعة فى حفظ كرسي شاغر لفلسطين فيها . وذكروا الاسباب الداعية لوجود هذه الهيئة اليوم لأنها تكسب العرب قوة سياسيه امام هيئة الامم وتعود على العرب بنصر سياسى جديد ، ومرضاه للسياسة الهاشمية الاردنية العراقية اعلنوا ان هذه الهيئة بعيدة عن الهيئة العربيه العليا ، وهى واسطه قوية عملية للتخلص من المفتى ومداخلاته . فانطلت الحيلة على



فخامة رئيس دولة عموم فلسطين السيد امين الحسيني
ورئيس الحكومة السيد احمد حلمي باشا عبد الباقي .

الهاشميين ووافق مجلس الجامعة على تشكيل حكومـة فلسطين. وشرعوا بالبحث عن الاشخاص الذين يصلحون لملء كراسى هذه الحكومة .

هنا نشط المفتى، ووقع عليه النبأ وقوع الصاعقه فجاء يسعى وسخر كل قواه للحيلولة دون نفاذ هذا الامر وتجريده من السلطه. وعلى اثر ذلك ابتدأت سياسة الترقيع التقليدية فى السياسة العربيه التى اخذت تعمل على عدم الانقسام والوحدة والترضيه ، فقيل للمفتي الافضل ان تبقى بعيداً كزعيم روحي للبلاد ولا بأس ان تختار بعض الرجال الذين ترشحهم لمناصب الوزارة فى هـذه الدولة . وبعد جهاد وأخذ وَرَد طويل ، اتفق الجميع على تشكيل وزارة ائتلافية من رجال المفتي والباشا ، فشكلت على النمط التالى :—

١ــ احمد حلمي باشا ــ مندوب الجامعة ــ رئيس وزارة

٢ـ جمال الحسينى ـ من جماعة المفتي ـ وزير خارجية

٣ـ امين عقل ـ « « ـ وزير زراعة

٤ـ يوسف صهيون ـ « « ـ وزير دعاية

٥ـ الدكتور فريج ـ « « ـ وزير مالية

٦ـ على حسنه ـ مندوب الجامعة ـ وزير العدلية

٧ـ اكرم زعيتر ـ « « ـ وزير معارف

٨ـ عونى عبد الهادى ـ « « ـ وزير داخلية

٩ـ الدكتور الخالدى ـ « « ـ وزير الصحة

١٠ رجائى الحسينى ـ « « ـ وزير المواصلات والبرق

وقرّ قرار الجامعة ان تعمل هذه الهيئة بالاستقلال عن المفتي لتشكيل مجلس تأسيسى فى فلسطين لدعمها، وان تسير فى الادارة الفلسطينية بالاستقلال عن المفتي والحكومات العربية بشكل فردى وتحت اشراف الجامعة وبرعايتها .

تعهدات مصر لحكومة عموم فلسطين :

وتعهدت الحكومة المصرية بلسان رئيس وزارتها المرحوم النقراشى باشا ، فى تعزيز حكومة غزه وتأييدها، وبصورة خاصة فيما يلى :—

١ـ تزويدها بالمال الكافى لتأسيس الادارة والدواوين وايجاد جيش للبلاد ، ووعدهم بتقديم خمسة ملايين جنيه مصرى لهذا الخصوص .

٢ـ تشكيل جيش لفلسطين يدرب ويعزز ويزود من قبل مصر لاستئناف الجهاد لانقاذ فلسطين .

٣ـ تسليم هذه الادارة الأجزاء العربيه من فلسطين للسيطرة عليها

وحكمها وانسحاب الدول العربيه منها وبقاء الجيوش الحربيه كحليفة لنصرتها ضد الصهيونية .

٤ـ الاعتراف بحكومة فلسطين فى الجامعه العربيه ، وتمثيلها سياسياً فى كافه الاقطار العربيه، والسعي للاعتراف بها فى العالم الخارجي ولدى هيئة الامم.

٥ـ تسهيل كافة مهامها ونقل رجالها ونفقاتها الابتدائيه حتى تظهر لعالم الوجود .



اجتماع اعضاء المجلس التأسيسي لدولة فلسطين في غزة

الاستعدادات لتشكيل المجلس التأسيسى :

عينت الجامعه العربيه اعضاء الوزارة الآنف ذكرهم ، وبعد اجتماع الامين العام معهم ترك لهم تنظيم شؤونهم الخاصه واجراء ما يلزم لدعوة اعضاء المجلس التأسيسى من وجوه فلسطين واعيانها واصحاب الصفات التمثيليه فيها وذوى النفوذ الاجتماعي، بشكل يضمن ازدياد الوحدة وتنظيم الصفوف والجمع بين مختلف

الشخصيات المتنافرة والهيئات المتنائرة، على ان يكون التعاون بين اعضاء الوزارة بهذا الخصوص تاماً.

خرج الوزراء المعينون من دار سيدهم عزام باشا للعمل وفق التعليمات والارشادات التي تلقوها ممن وظفهم، إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم أيجتمعون فى اوتيل الكونتيننتال حيث يقيم حلمى باشا؟ او ان يكون الاجتماع فى دار الافندى (بيت المفتى)؟ وان كان الاجتماع فى بيت المفتى، فكيف يكون التكليف لذلك والباشا اكبر سناً، ورئيساً لحكومه ولم يعد موظفاً فى دائرة المالية للمجلس الاسلامى! وهنا دخلت شخصية جديدة بالاضافه إلى رشيد بك الحاج ابراهيم ولا تقل عنه حماساً لنجاح هذه الرواية وابراز هذه الفكرة الى حيز الوجود، وهو السيد محمد على الطاهر صاحب جريدة الشورى فى القاهرة، فجاء موفقاً بين المفتى والباشا مذللاً العقبات ملطفاً الامور يسيرها كما يجب دون ان يشعر الباشا باى همس او دس ومن حيث لا يغضب المفتى او يثور. واخذت السيارات تنهب الشوارع ليل نهار بين المفتى فى حلميه الزيتون والباشا فى فندقه، تارة تقل الباشا الى المفتى وطوراً تحمل المفتى اليه. والوزراء المعينون يترا كضون بين هذا وذاك، لاقرار الخطة التى يجب السير عليها لدعوة المجلس التأسيسى.

وعملت دار الهيئه العليا على وضع مشروع لهذه الغاية، وعرض بواسطه محمد على الطاهر على احمد حلمى باشا، وبعد انتقادات شكليه نحويه على الصيغه لا على الجوهر اقرّ هذا المشروع ويتضمن دعوة الشخصيات التاليه :-

١- اعضاء الهيئه العليا.

٢- اعضاء وزارة حكومه عموم فلسطين.

٣ـ اعضاء الوفود الذين ارسلوا فى السابق لمهمات سياسيـة او اجتماعية لخارج فلسطين وفى سبيلها .

٤ـ رؤساء البلديات .

٥ـ رؤساء المجالس المحلية .

٦ـ رؤساء واعضاء مجالس الادارة فى الاحزاب الفلسطينيه والمؤسسات القوميه الاخرى .

٧ـ اعضاء اللجان القوميه فى البلاد حالياً .

٨ـ رؤساء الاديان والطوائف فى فلسطين .

٩ـ رؤساء العشائر البدويه وبعض الحمائل والعائلات الكبيرة فى فلسطين .

١٠ بعض الشخصيات ذات المركز الاجتماعي العلمى فى فلسطين .

طبعت بطاقات الدعوة وختمت بختم حكومة عموم فلسطين ووقعها عطوفة احمد حلمى باشا على ان تكون الجلسه فى غزة .

توجيـه الدعوات :

استناداً للمشروع المصدق عليه الوارد ذكره اعلاه ، شرعت الهيئة العليا لتدوين جـداول اتباعها فى فلسطين ، وعطوفه الباشا سجل اسماء اعوانه . وفى كثير من الاحيان كان يقع تصادم بين الهيئة العربيه والباشا بشأن دعوة شخص وكان الخلاف يسوى بقبول شخص للهيئة العربيه مقابل آخر للباشا .

وهكـذا سجلت الهيئه معظم الاشخاص من اتباعهـا ، وشذت الدعوات عن نصوص مشروعها الآنف الذكر لدعوة اشخاص لا يحملون ايه صفه من الصفات المتفق عليها والواجب توفرها فى المدعوين .

وقبل ان طيرت الدعوات نشر مسيّر حكومة عموم فلسطين الاستاذ الطاهر ، كلمة فى جريدة مصر الفتاة يعلن للملأ شروع حكومة فلسطين باعمالها ويعتبر كل معارض او مقاوم لهذه الفكرة مارقاً على دينه وقومه ، جاسوساً للصهيونية خارجا على الامة .

وتشجيعاً لحضور المدعوين خصصت الهيئة العربية العليا نفقات السفر والانتقال لمدعويها من اماكن اقامتهم الى القاهرة فغزة ، واستحصلت على تأشيرات للسفر من دور المفوضيات والقنصليات المصرية فى الخارج ، ونقلوا الى القاهرة بالطائرات ومنها الى غزة . كما وان الباشا خصص بعض المصاريف لاتباعه من الاموال التى تسلمها من الجامعة لانجاز هذه المهمة ومقدارها خمسة وعشرون الف جنيه مصرى .

صدى تعيين حكومة فلسطين :

تردد الصدى بشكل اهاج شرق الاردن واغضب الملك الهاشمي ، ماذا؟ احمد حلمي باشا حاكمنا العسكرى فى القدس ويدنا اليمنى فى فلسطين ، يسرق من بين ايدينا ويشتغل ضد مصالحنا فى مصر ! «هذا هو التفكير الذى انتشر فى جنبات رغدان وفى انحاء العاصمة الاردنية» ولم يقتصر الملك على بحث هذا الموضوع فى مجلسه وبين خاصته ، بل انى بممثلى شرق الاردن فى جلسة الجامعة التى تم فيها الاتفاق على تشكيل حكومة فلسطين ، ولامهم على خطأهم وارسل للجامعة يعارض قرارها ويحذرها من الاستمرار فى سياستها الخاطئة وينصحها بوجوب الاقلاع عن فكرة حكومة عموم فلسطين لانها ستؤدى حتما الى تصدع الجبهة العربية وتضر قضيتها . ولم يتمالك صاحب الجلالة إلا وارسل برقية لوم وعتاب الى عطوفة الباشا يتمنى فيها لو كان كبش النطاح في هذه المعمعة غير

الباشا ، وكنت فى جلسة عشاء فى فندق الكنتننتال بمصر مع الباشا يوم ان تناول البرقية المذكورة ففضها وهو ينتفض ، وتلاها فتصور جلالة الملك عبدالله امامه يتكلم فازدادت شفتاه ارتجافاً وعيناه رمشاً وشارباه رقصاً ، وقال لي : «خذ واقرأ واسمع كيف غضب جلالة الملك عبدالله علينا ونحن لا نقصد اغضابه.» ودفع بالرسالة الي ، وبعد ان قرأت البرقية ، استأنف الباشا حديثه وقال: «اشهد الله انني ما قصدت الا خدمة امتي ودبني ولا اريد ان اتعرض لجلالة الملك الهاشمي بسوء ، فوالحق يقال لقد كان جلالة الملك دوما لى صديقاً وكنت موضع عطفه واحترامه ولن انسى يوم كان يحدثني بالهاتف وانا تحت القنابل بالقدس فى دار الايتام ، لم ابرح المقام رغم شيخوختي وضعفي ، ويكلمني بالتركية سائلا عن صحتي ، الظاهر انه اساء فهمي وغضب علي دون مبرر . وكيف السبيل ، لا بد ان افهمه ان عملي فى حكومة غزه لا يتعارض مع اخلاصي واحترامي لجلالته ، وماذا يريد جلالة الملك، ان شاء فغداً انا وحكومة غزه رهن اشارته وطوع بنانه ، نبايعه بطريقة رسمية كما بايعناه من قبل . وهل هناك مجال للشك بانني سوف لا أسير مع المفتي مهما كانت النتائج ، لا بد من شرح هذا لجلالة الملك ، فارجو ان تنوب عني فى حمل رسالتي وتحياتي لجلالته وتفهمه حقيقة الامر».

وكنت عازما على السفر لعمان، فوصلتها قبل انعقاد حكومة غزه، فوجدت الرأي العام الاردني والفلسطيني ساخطاًعلى فكرة حكومة عموم فلسطين. واجتمع نفر غير قليل من رجالات فلسطين والاردن ومن ذوي المراكز الكبيرة فى المملكة الهاشمية اليوم وممن كانوا فى مراكز سامية حينذاك . وكانوا ينظمون حملة لاستنكار وجود حكومة غزه والخروج عليها والاعلان بانها لا تمثل احداً إلا المفتي والهيئة العربية العليا وانه لا يجوز لها ان تتكلم باسم اهل فلسطين -

وصلت عمان بالطائره ، وفى اليوم الثانى من وصولى ، استأذنت بزيارة صاحب الجلالة الملك ، فسمح لى ، تشرفت بزيارة قصر الشونه مع بعض اصحابى ، وحضرت مجلس جلالته وقد ضم عدداً وافراً من شخصيات فلسطينيين واردنيين ، وبعد حديث عن موقف الجيش المصرى فى حربه فى النقب ، سأل جلالته : « ما وراءك ؟ » قلت « كلمة سر لسيدى » قال جلالته « لا سر لدينا فقل علناً » قلت « ما على الرسول الا البلاغ وامرت ان احفظ سر حديثي » . رفض جلالته ان يكون الحديث سراً ، وبعد قليل من الزمن استأذنت وسافرت . وبعد ان ابتعدت حوالى كيلومتر عن القصر تبعنى رسول جلالته وأمرنى بالعودة ، فعدت وفى خلوة مع جلالته سردت ما قال لى عطوفة الباشا ـ فقال جلالته : « قل للباشا ما زال فى صدرنا مكان للود القديم ، فان اراد الرجوع فعلى الرحب والسعة وليس على الملوك من شرط » ، وكان شرط الباشا بالاضافة الى البيعة ان يعلن جلالته ملكيته لكل فلسطين . تركت القصر وتابعت سيرى للقدس وفى مساء ذلك اليوم كم كان استغرابى اذ سمعت محطة اسرائيل تذيع سر سري .

وهكذا عقد الاجتماع فى اليوم الاول من شهر تشرين اول سنة ١٩٤٨ . وفى نفس الاسبوع الذى عقدت فيه الجلسة التأسيسية لحكومة عموم فلسطين ، اعلن فى عمان استنكار وجود حكومة غزه ومبايعة الملك الهاشمي .

وفود الناس لغزة :

فى اليوم الاول من شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٨ ، هرع الناس من جهات مختلفة الى غزه حتى غدت شوارعها تعج بالعابرين كأنه يوم موسم ، او مظاهرة صاخبة فيها عشرات الالوف من الخلق ، والنسوه والاولاد على اعلى الاسطحة والاسوار ، يشاهدون المارة ويستعرضون الزوار ، وكانوا قادمين من

سوريا ولبنان بالطائرات الى مصر ومن مصر بالقطار والسيارات الى غزه . وكانت وفود الشبان واللاجئين والفلاحين قادمة من المجدل وبئر السبع وخان يونس والبدو ، واهالى الخليل وبيت لحم وفدوا بسياراتهم المصفحة التى سبق ان غنموها من اليهود فى معركة البرك قرب القدس وهى مملوءة بالمسلحين .

اما القادمون من شرق الاردن ومن الجزء الاردنى من فلسطين فكان لا يسمح لهم بالمرور ، وكانت الطريق الوحيدة التى تصل الشمال بالجنوب وفلسطين الاردنية بالمصرية هى الطريق الصيفى الممتد من طريق القدس اريحا الى بيت لحم عن طريق رام الله . وعلى مدخل هذه الطريق دبابتان اردنيتان تحولان دون اجتياز الناس الى المنطقة المصرية. وهكذا منع جمال الحسينى واعيد الى عمان حيث حفظ عند نسيبه موسى العلمي فى اوتيل فلادلفيا، وكذلك مُنعت من اجتياز المنطقة وعدت الى القدس، وفى الليل تحت القنابل والرصاص المتطاير سرت مع بعض اصحابى الى بيت لحم ومنها الى غزه بعد ان قاسينا اهوالا فى طريقنا ، وكانت من بيت لحم الى الخليل فبيت جبرين فالفالوجة الى المجدل فغزه . وهكذا نظراً لصعوبة الطريق ولعدم السماح بالسفر الى المنطقة المصرية من فلسطين ، توقف الكثيرون من الذهاب الى غزه .

المفتي فى غزه:

بمناسبة الحرب فى فلسطين فرضت قيود شديدة معقدة مزعجة على المسافرين من مصر الى الخارج بصورة عامة ، والى فلسطين عبر الصحراء ، صحراء سيناء بصورة خاصة ، فكان على المسافر عدا الحصول على تأشيرة السفر من دار الاعتماد للبلاد التى يريد دخولها ، لا بد له من الحصول على اذن من وزارة الداخليه بخوله السفر ، فكان عليه ان يذهب اولا الى وزارة الداخلية ـ مدير

ادارة الجوازات والجنسية وهنالك بعد ان يعبىء طلباً خاصاً ويدفع رسماً ويلصق طابعاً يكلف حوالى خمسة وخمسين قرشاً مصريا يقال له ان يعود بعد ايام لاخذ تحويل الطلب. ثانياً: وبعد الايام المعينة يعود فيأخذ الطلب مشروحا عليه مراجعة القلم المختص، ثم قلم المخابرات الحربية. ثالثاً: ينتقل الى دائرة اخرى ويقدم الطلب وينتظر ذليلا مهملا على الابواب الساعات الطوال حتى يتكرم المأمور ويسمح له بالمقابلة ويأخذ منه الطلب ويكلفه بان يعود بعد بضعة ايام، وان عاد فهو وحظه اما ان يكون قد انجز امره او ارجىء الى ميعاد آخر، فما عليه الا السمع والطاعة. وان انجز احيل الى رئيس القلم المختص وهنالك يجرى الاستجواب وكثيراً ما يطلب منه الانتظار اياما لمراجعة قوات الامن في البلاد وبعد عذاب ينال شرح المأمور بقوله لا مانع. رابعاً: ثم يسافر الى وزارة الحربية وبينها وبين الداخلية مسافة ما بين بلد وآخر وهنالك يقدم الطلب وينتظر على خارج الباب حتى ينال الموافقة بعد ساعات بالدخول فان لم يكن لديه اى اعتراض يعطى شرحا بالموافقة على السفر. خامساً: ثم يعود بنتيجة البحث والاستقصاء الى القلم الاول فى دائرة جوازات السفر فيشرح له فيعطى الاذن بالخروج. وان اراد المسافر عبر صحراء سينا ففضلاً عن هذه المعاملة عليه ان يذهب ويحصل على اذن خاص من حاكم سيناء العسكرى او من نائبه يصرح له بعبور منطقة سيناء ... هذه الاجراءات لا بد منها لكل من يود الخروج من مصر، ولا ننكر المساعدات الخارقة للعادة التى كانت تجرى بغاية السرعة مع اللطف وعذوبة اللسان وتقديم القهوة والشاى والمرطبات، ان كان المراجع شخصية لها مكانتها ومعروفة فى المحيط المصرى او سيدة عليها مسحة من جمال فالكل فى خدمتها، وكم تكون الخدمة والاحترام والسرعه فى

الانجاز ان كان المراجع كريماً سخياً جواداً لا يترك كبيراً او صغيراً الا ويشاطره مما انعم الله عليه .

وفى الطريق ما بين القاهرة وغزه عدة محطات للتفتيش سواء ذهب المرء فى القطار او فى السيارة . ورغم هذا النطاق كانت طرق التهريب كثيرة واسعة يمكن للخبير اجتيازها بسهولة . وابسط الطرق واسهلها ان يختفى الانسان بين طيات النساء المسلمات المحجبات فيلبس ثياب امرأة ويرخي القناع وبهذه الصورة اجتاز المفتي من مصر عن طريق سيناء الى غزه لحضور موسم حكومة عموم فلسطين ، لان الحكومة المصرية والجامعة العربية لم تسمحا له بالسفر الى غزه والاشتراك فى حكومة عموم فلسطين .

وقبل وصوله غزه كان الخبر قد سبقه اليها بواسطة اعوانه،فاعدوا جموعهم لاستقباله وخرج رجال الحاشية والاتباع والمدعوون من خارج البلاد واخذوا يجمعون الناس من القرى والمخيمات الكثيرة المملوءة بالآلاف من اللاجئين وسخروا بعض الدعاة واشتروا بعض المخاتير الذين هبّوا فى سيارات اعدت لهم واخذوا يجرون فى الشوارع العامة والسيوف فى ايديهم يهزونها علامة النصر واصواتهم تشق عنان السماء مبشرين بقدوم المفتى واقتراب الساعة والنصر . والناس فى غزه بطبيعتهم بدون هذه الفصول لا تكاد البلد تسعهم حتى اكتظت بهم الشوارع والدكاكين والاسواق والمقاهى بشكل غريب . فغزه التى كان سكانها حوالى عشرين الفاً زمن السلم اصبحت اليوم تزيد عن سبعين الفاً بعد قدوم اللاجئين فما قولكم اليوم وقد جاءت الوفود من كافة الجهات وقدم اللاجئون من القرى والمخيمات والمدن المجاورة واكتظت الجيوش المصرية ، والناس بين متفرج باك ومستبشر فرح ، وبين من ساقته الظروف كما يساق اهل القبور يوم النشر مكره

اخاك لا بطل ! والكل ينظر الى الطريق العام وفى سيارة رئيس الوزارة الجديدة فيرى لاول مرة العلم الفلسطينى الرباعي الالوان يرفرف فوقها وفيها المفتى يسير بين الناس على ارض فلسطين بعد غياب حوالى عشر سنوات . خرج والدماء تسيل وعاد والدماء تتدفق من صلب الامة وقلب الوطن ، وهو يبتسم محيياً الجماهير الشعبية ذات اليمين وذات اليسار .

وصل غزه ونزل فى بيوت البحر عند عميده السيد موسى الصورانى من وجوه البلد واثريائها ، ونزل حلمي باشا ليس ببعيد عنه عند عميده ايضاً مدير بنك الامه وامين صندوقها السيد فايق بسيسو ، واخذت الناس تتنقل للسلام والزيارة بين الدارين . واقيمت ولائم الطبيخ ووزعت الاعانات والاعاشات وفرقت الاموال وبث الدعاه بين صفوف الشعب ودار المنادى يدعو الناس لتحية المفتى والسلام عليه . ولم يتقن قومنا من شؤون العمل إلا هذا الفن فقد اختصوا فيه حتى اجادوه .

والمصريون كانوا يرون هذه المظاهر والتصرفات ويرقبون ويسجلون . وحضر من كبار الضباط الصواف بك الحاكم العسكرى العام ، وسرّى بك القائمقام مندوب الديوان الملكى ، وغيرهما كثيرون ، واخذت الهيئة العليا تجتمع سراً فى دار الصورانى ودولة الباشا يجتمع بصحبه سراً فى دار بسيسو ، وهذا يكيد لذلك وذاك يلوم هذا .

طبخ الموضوع قبل موعد الاجتماع :

حضر من المدعوين زهاء خمسة وثمانين شخصاً وتخلف اكثر الذين ارسلت لهم الدعوات . والذين حضروا او احضروا هم من الحاشية والاتباع ومعهم المرافقون والاعوان لخدمتهم وتسهيل سفرهم . وتغيب بعض اعضاء الهيئة

العليا مثل دروزة والماضى ، وتخلف كافة رجال الاحزاب الا العربى ، وغاب معظم رؤساء البلديات الا المناطق التى تحت حكم المصريين، وغابت الاكثرية الساحقة من رؤساء المجالس المحلية ، وتخلف الكثيرون من اعضاء اللجان القومية ولم يحضر احد من رجال الدين الا بعض الخطباء من منطقة غزة ، وتخلف معظم رجالات العشائر البدويه الا ثلاثة منهم . والخلاصة لم يلبّ الدعوة الا العريق الاصيل فى حب الاسرة الحسينية والمكلف المجبر على الحضور مراعاة للسلطات المصرية .

واختلى المفتى بالسيد أنور نسيبة وعلي حسنة ويوسف صهيون ورجائى واميل الغوري . وهنالك اخذوا يضعون وينقحون الدستور الاساسى الذي يجب ان يقره المجلس المجتمع ليكون برنامجاً تسير عليه الدولة فى المستقبل واهم فقرة فيه هي انتخاب رئيس اعلى للمجلس يبقى لمدة خمس سنوات وله نائبان مسلم ومسيحى ويعود الى هذا الرئيس :

١ – امر الموافقة على تعيين رئيس الحكومة واليه يقدم الاخير استقالته .

٢ – من صلاحياته حلّ الحكومة والوزارة ودعوة المجلس الى جلسات فوق العادة ، والعفو عن المحكومين وتصديق الحكم بالاعدام .

وقرر فى الخارج :

١ – ان تعطى اصوات الرئيس للمفتى على ان يكون النائب الأول الشيخ حسن ابو السعود والنائب الثانى مشيل عازر .

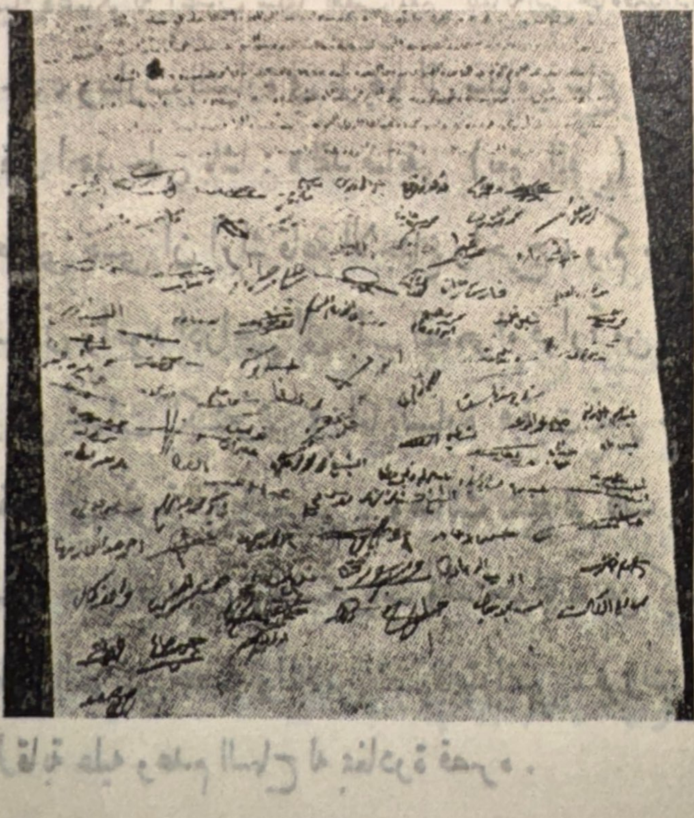
٢ – اسكات كل معارضة والتهكم على كل من يحاول الانتقاد اوالخروج على الاجتماع ، وهكذا اعترض على رشيد الحاج ابراهيم ورشدى الشوّا وعبد الرحيم الشريف واسكتوا جميعاً ، لا بل فريق منهم انسحب وترك الاجتماع .

٣ – تقرر فتح المجال للمناقشة فى وضع البلاد واستئناف الجهاد حتى الاستقلال التام مع وجوب الحرص لاسكات المتكلمين ان خرج احدهم فى اقواله وتهجم على الزعامة .

٤ – اجراء الانتخابات بالاقتراع السرى للرئيس ونائبه واعدت الاوراق الخطية الواجبة لضمان اخراجهم بالاكثرية او التزكية .

الاجتماع العام للمجلس التأسيسي :

عقد الأجتماع فى المدرسة الاسلامية فى غزة ، وتواصل ثلاثة ايام صباح مساء . وكان اليوم الاول لالقاء الخطب والتحيات والاستقبالات من المفتي لاعوانه ومن اعوانه اليه بحضور المصريين وعلى مرأى منهم . وفى الايام الباقية جرت الانتخابات واقرت المبادىء والبنود كما اعدت من قبل ، وكانت معارضه بسيطة شكلية من عونى عبد الهادى ورشدى الشوا ورشيد الحاج ابراهيم ، لم تلبث ان اسكتت وسار المجلس كما اراد المقرر اميل الغورى وزميله محمود نجم .



صورة سجل وقائع جلسة المجلس التأسيسي لحكومة عموم فلسطين .

وارفض الاجتماع بالتطبيل والتزمير كما جاء وطيرت الاسلاك والانباء خبر تأليف حكومة لفلسطين بعيدة عن كافة الدول والحكومات العربية الاخرى واصبحت فلسطين وحدة سياسية لها كيانها .

النقراشي على اللاسلكي :

فى اليوم الثالث فى تمام الساعة التاسعة تماما ، جاء حسين سرى بك الى دار الصورانى حيث المفتى وقال : « فخامة النقراشى ينتظرك على اللاسلكي » . قام المفتى ودخل الى السراى ثم الى غرفة المخابرات الحربية ، وهنالك اخذ التليفون ودار الحديث ، وعلى أثره امتقع لون المفتى ولم يسمع منه الا قول المفتي حاضر افندم ... الى الغد حتى اهيء نفسى ... » ثم ترك سماعة التليفون فتناولها سرى مصغيا ، ولم يسمع الا كلمات قليلة من سرى وهو يقول : «حاضر ... حاضر ...حاضر افندم،مع سلامة الله»،ترك السماعة وخرج الاثنان من القاعة الى سيارة عسكرية اعدت سلفا نقلت المفتى بثيابه التي جاء فيها دون ان يسمح له الاتصال باحد ، وسارت السيارة فى طريقها الى سيناء ، شاع الخبر فى البلد وفزع القوم ، وقال احمد حلمي باشا : « لقد ضايقنى (يعنى المفتي) كم يا قوم من مره ومره تحدثنى نفسى ان أترك قاعة الاجتماع واخرج ، وكم من مره فكرت ان اركب سيارتى واعود ادراجي الى قلب الصحراء فراراً من هذه الحاشية وذاك التآمر، ولكن تحملت الكثير .. » اما السيارة فبقيت تمخر عباب الصحراء حتى ابو حقيله على مقربة من السويس . وهنالك سمح للركاب بالراحة قليلا واستأنفت السير حتى القاهرة . وبعد تحريات واستجوابات عن كيفية خروجه ، وبعد ان اظهر النقراشى غضبه وألمه من تصرفات المفتي ، قررت السلطات المصرية تشديد الرقابة عليه وعدم السماح له بمغادرة قصره .

حكومة عموم فلسطين تباشر اعمالها :

اتخذت لها مقراً فى دار اللجنة القومية فى غزة . ووزعت الوزارات اختصاصها على وزرائها . وهنا كنت ترى وزيراً للحربية بلا جنود ، ووزيراً للعدل دون قضاة او محاكم ، وللمالية ولا من صندوق، وللزراعة والصحة.. الخ وجميعهم فى فندق بلدى ضيق ، والناس حتى ما دون العامة منهم ينظرون الى حماقة هذه الوزارة ورعونة هذه الحكومة . الناس فى ضيق يتطلعون لفرج قريب ، الناس منهوبون مسلوبون مشردون محتقرون، فقراء معوزون ومرضى وجرحى ومصابون ينتظرون الغوث والانقاذ . ورأوا فى الحكومة الجديدة ورجالها اعمالا صبيانية ستقضى حتما على البقية الباقية من بلادهم وارواحهم.ورغم الشدائد والمصائب وفى هذا الجو العكر وبين الجد والهزل باشرت الحكومة اعمالها وقامت من تاريخ وجودها حتى اليوم بما يلى :

١ ـ طبعت قرطاسية،وعملت اختاما تحمل اسم الحكومة واسماء الدواوين.

٢ ـ عينت قائداً عاما وقواد للجيش فنسقت وزارة الحربية ، وهي الوزارة الوحيدة التى يجب ان تنشط فى هذه الايام على رأيهم ، جهود جيش الجهاد المقدس . فاصدرت امراً بتعيين منير ابو فاضل مفتشاً عاما لجيش الانقاذ . وداود الحسينى مديراً عاما لادارة الجيش وامداداته ، والحاج خالد الفرخ مديراً لدائرة الاستخبارات الحربية، ويحيى ياسين مديراً للتجنيد فى دمشق ، ونايف الآغا مديراً للتجنيد فى لبنان ، وفايز الادريسى لادارة الامن العام ، وصلاح الناظر ، ورفيق الحسينى وعمر التميمي ، ومحمد الريس ، وموسى النجمي ، ومحمود علاء الدين ، وعبد الله سماره ، وقاسم الريماوى ، وكامل عريقات ، والشيخ عبد الحي عرفه ، وفخرى مرقه (شيوعي) ، ومخلص عمرو (شيوعي) ، ورفيق

الاصفر (شيوعى) ، ومحمد نمر عوده (شيوعي) ، ونجيب افونجيه (شيوعي) وغيرهم دعاة للجيش فى بلاد العرب .

٣ ـ عينت بعض الموظفين المدنيين : صلاح الدين العباسى ، ومحمد علي الطاهر ، ورفيق اللبابيدى امناء للسر ومستشارين للوزارة برتب عسكرية ومدنية، يرافقون رئيس الوزارة ليل نهار .

٤ ـ اصدرت جوازات سفر لافراد الرعية بلغ مجموعها حوالى مئه شخص ورفض قناصل الدول التأشير عليها حتى الدول العربية نفسها .

٥ ـ اتخذت داراً فى مصر الجديدة وفرشتها بافخر الأثاث حيث كان يتردد الوزراء بعض الاوقات فى النهار لشرب القهوة وتجاذب اطراف الحديث.

٦ ـ خصصت الرواتب للموظفين من ثلاثة موارد :

أ) من الهيئة العربية العليا .

ب) من اموال صندوق الامة التى حجزت عن اصحابها وتصرف بها عطوفة الباشا دون مراقب او محاسب .

ج) من مبلغ الخمسة وعشرين الف جنيه التي قدمتها الجامعة . وخصص لكل وزير ولكبار الموظفين راتب قدره ستون جنيهاً شهريا عدا المصاريف.

٧ ـ قامت بمقابلات جمة فى مصر لدور الصحافة ودواوين الدولة للذم والقدح بشرق الاردن .

٨ ـ قدمت الطلبات العديدة الى الجامعة لكي تشركها فى عضويتها . وكانت المعارضة تحول دون ذلك ، حتى اشتد الخلاف فى شهر نيسان سنة ١٩٥٠ ، عند القرار فى ضم فلسطين الى شرق الاردن ، وسمح لها فى الدخول للمعارضة والشغب .

٩ ـ انسحبت بكليتها من غزه بعد شهر من تأسيسها على أثر هجوم اليهود على النقب .

١٠ ـ بقيت تجتمع فى ردهات الفنادق الى ان استقال وزراؤها وعاد عونى عبد الهادى وأكرم زعيتر الى الشام والخالدى الى بيروت وصهيون الى الاسكندرية ، وانعزل البافون فى دار المفتي . وبقي الباشا ورشيد الحاج ابراهيم وامناء السر يجتمعون لتنظيم الاحتجاجات وتطيير البرقيات .

ومن طرائف ما يذكر عن سلوك هذه الحكومة والمفتي ، ان اجتمع الباشا والمفتي للمذاكرة بشأن لجنة التوفيق فى لوزان ، واراد الباشا ان يمثل حكومة عموم فلسطين فى الابحاث والمفتي يصر على تمثيل الهيئة العربية العليا . وقدم الباشا مذكرة بهذا الخصوص لبحثها ، وقال المفتي : «يجب ان استشير الهيئة العربية العليا فى الامر أولا» ، فاجاب الباشا : «أى هيئة يا سماحة المفتي ؟ أتريد أن نغش بعضنا بعضا ... انت الهيئة العليا ، وانا حكومة عموم فلسطين» . وهكذا ضاعت البلاد بين انا وانت .

السر فى استمرار الباشا بحكومة عموم فلسطين :

رغم استقالة معظم الوزراء ، ورغم ان الباشا هدد مراراً عديدة فى الاستقالة لان مصر لم تف بوعودها ، ورغم المذكرات العديده التي قدمت بهذا الخصوص ، فلم يجرأ الباشا على ترك الحكومة والاستقالة . والسر فى كل هذا هو :

١ ـ ان الباشا حاول عبثاً كسب عطف الملك عبدالله والرجوع الى شرق الاردن . وقد حاول ذلك فى مناسبتين :

أ) اتصل مع وزير الاردن فى القاهرة بهاء الدين طوقان بواسطة رشيد الحاج ابراهيم يطلب الرجوع الى شرق الأردن ومبايعة الملك عبدالله ، شرط

ان يعلن نفسه ملكا على عموم فلسطين وان يواصل الجهاد ضد اليهود فلم يأخذ جوابا .

ب) حملتُ فى طريقي الى شرق الاردن رسالة الى جلالة الملك عبد الله تتضمن نص رسالة رشيد الحاج ابراهيم الى وزير الاردن المفوض فى القاهرة ، وبلغت الرسالة وكان جواب الملك : «قل للباشا ان يأتى بلا شرط ولا قيد وما زال فى صدرى متسع للود القديم .

ولكن الباشا اوجس خيفة ولم يجرأ على ترك مصر الى شرق الاردن .

٢ ـ ان الباشا يخشى ان تتخذ ضده الاجراءات لسرقة رجال بيت الامة اموال فلسطين وودائعها فى البنك المذكور ، حيث نقلت الاموال الى مصر وسحبت من بنك الامة وسجلت فى البنوك الاخرى باسم ولده عبده وصديقه محمد يونس الحسيني واستأثر فيها الباشا واعوانه ، وحرم الناس من سحب نقودهم بحجة ان اليهود اخذوها ، ولم يجد اليهود من اموال هذا البنك الا مبلغا لا يزيد عن مئة وخمسة وستين (١٦٥) الفا من الجنيهات، اما ملايين الجنيهات فقد سرقت وسجلت باسماء من اراد .

وبقي الناس فى كل يوم يهاجمون الباشا ورجاله ، يهددون ويتوعدون ، ولكن مصر تغض النظر كأن الامر لا يعنيها ، والباشا يتمتع بحمايتها ويواصل الجهاد ضد جلالة الملك عبد الله مرضاة لمصر ومع المفتي خشية الفضيحة .

وهذا سر عدم استقالة الباشا وبقائه فى حكومة غزة .

استئناف القتال بعد الهدنة الثانية

كثيراً ما كانت تقع المصادمات بين الفرقاء المتحاربين اثناء مدة الهدنة ، فيباشر الاخلال فريق ويرد عليه الفريق الثانى بدعوى انه انما يفعل ذلك رداً على الفريق الآخر وانتقاما منه ، وينال احد الفريقين مزايا عسكرية وسياسية من جراء مخالفة وقف القتال .

وكثيراً ما كان اليهود المبادرين الى المخالفة فى كثير من المواقف، فتحال المشاكل التى تنشأ عن ذلك الى لجنة الهدنة .

وعلى اثر احتكاك وقع بين المصريين واليهود لمخالفة الآخرين شروط الهدنة فى بعض المواقع على حدود منطقة الخليل والفالوجه رد عليهم المصريون فاشتبكوا معهم فى قتال مرير، اخذت القوات المصرية على اثره تتقهقر. وكاجراءات لملافاة الموقف وتدبر امر الجيش المصرى ، امرت وزارة الحربية المصريه بتغيير القيادة المصرية من المواوى بك الى احمد فؤاد صادق باشا .

جاء القائد الجديد ووجد جيشه الوحيد فى الميدان وان قوى اليهود تتكاثر عليه . فاتخذت وزارة الحربية المصرية علاجين ، أحدهما سياسى والاخر حربى.

اما فى السياسة فشكلت ضغطاً دبلوماسياً على الدول العربيـة الاخرى لتشاركها فى القتال،وهنا وقع الخلاف لان قائد الجبهة الاردنية جلالةالملكعبدالله عثل الاردن والعراق ، فطار عزام باشا اليه لاقناعه بضرورة فتح الجبهتين العراقية والاردنية لمناصرة الجيش المصرى ، فرفض جلالته ذلك بحجة ظاهرها

ان ليس لديهم السلاح والعتاد الكافى لخوض المعركة ، فدفعت له الجامعة نصف مليون جنيه لاستكمال ما ينقصه ، فقبض المبلغ ولم يحرك ساكنا . ثم جاء لجلالته النقراشي باشا يطلب منه المعونة فأصر على موقفه السابق بحجة ان ليس لديه المعدات والذخيره الكافية لفتح الجبهة ولامه على موقف مصر فى حكومة عموم فلسطين . فعاد النقراشى يجر اذيال الخيبة والفشل .

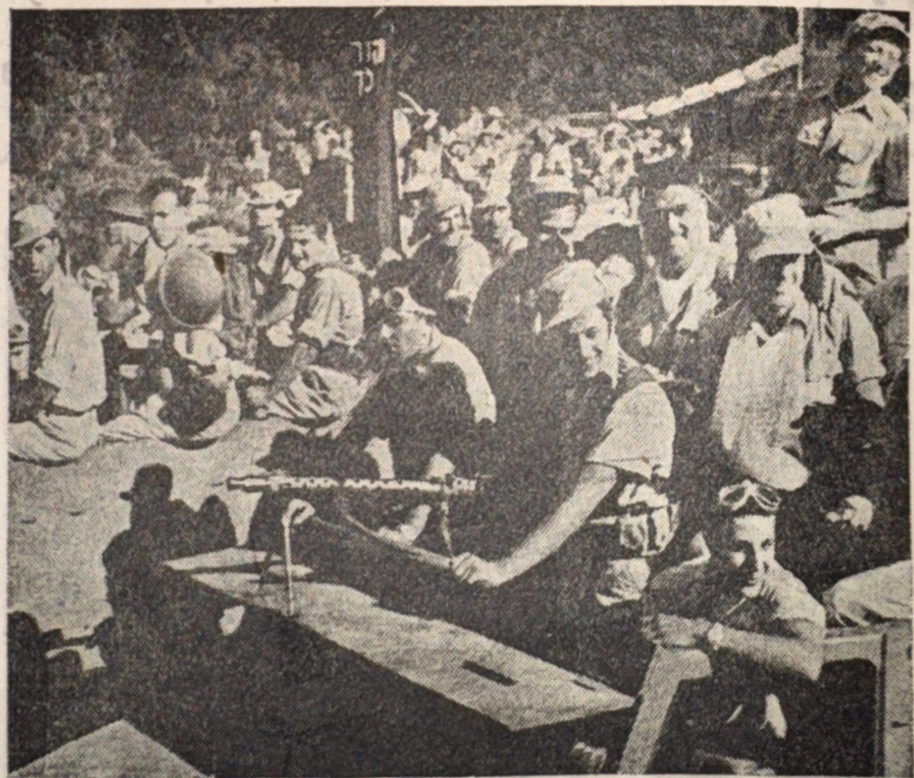
وهنا اخذت الصحف المصرية بتوجيه حكومى تقذع فى جلالة الملك عبدالله قذعاً مخزيا . وكانت المقالات الطنانة لكل من الكاتبين المصريين : التابعي على صفحات اخبار اليوم ، وعبد القدوس على صفحات روز اليوسف . حملا على العروبة والبيت الهاشمي وانكروا وجود المصلحة المشتركة بين العرب والرابطة القومية والدموية ، وقالا ان مصر لا تمت بصلة للعروبة وانها فرعونية ، وكذلك الاقطار العربية فلسطين كنعانية ولبنان فينيقية وسوريا حبشية والعراق اشورية وشرق الاردن هاشمية ، وهي اولى الناس فى العروبة وديار الاسلام ، وهي الهادمة للعروبة والمضيعة لقبلة الاسلام الاولى . وهكذا دعوا مصر للتخلص من عهودها وعلاقاتها مع الجامعة العربية ، وعليها ان تنفرد فى القتال وتحل مشكلتها بنفسها بغض النظر عن العرب ودولهم وملوكهم .



الصهيوني : انت باين عليك موش من اصل عربي ابداً ... لو كنت عربي صحيح كنت نمت زيهم

(المجلات المصرية)

واما فى الناحية الحربية فعمد الى تقصير خطوط الجيش المصرى، فانسحبت القوات من اسدود والمجدل على شاطىء البحر الى غزه ولم تتمكن من العودة عن طريق غزه بيت حنون لان اليهود كانوا قد قطعوا على الجيش خط الرجعه وحازوا نصراً بعد معركة عنيفة مع القوات السعودية والسودانيين فى بيت حنون، قتل فيها حوالى ثلاثمائة جندى سعودى عدا السودانيين والمتطوعين. والتحم القتال حتى وصل الايدى والاسنان وجهاً لوجه. وتفوق اليهود وقطعوا الطريق وشقوا الجيش المصرى وعزلوا حامية الفالوجة وراء خطوطهم الاولى.



بعض القوات اليهودية المسلحة

وكانت قوى اليهود عظيمة واسلحتهم فتاكة ومعداتهم حديثة ورجالهم مدربين وقوادهم لم يسبق ان برز مثلهم فى الميدان، وطائراتهم من النوع الضخم

يقودها طيارون من ابرع ما عرف فى الحروب . ولقد سحب اليهود معظم قوادهم من كافة الجبهات لانها كانت هادئة وبصورة خاصة العراقية والاردنية اللتان كانتا كأنهما فى سلام دائم مع اسرائيل . اما الجبهة السورية فلضعفها لم تتمكن من ان تأتى بعمل منفرد . واللبنانيون اختفوا للابد من عالم الوجود ولم يبق فى الميدان الا فلول جيش الانقاذ المنهزم ، عمل جهده وقاتل بشكل مخز على ما تقدم وصفه تحت موضوع « الجولة الثانية ، جيش الانقاذ فى الجليل » .

وهكذا انفرد المصريون فى القتال وحدهم وتحالف ضدهم اليهود وبدو الصحراء . اما الاخرين فبرزوا للميدان عفواً ودون سابق اتفاق مع اسرائيل ودون اية نية للاتفاق . وكان السبب الاساسى ان الجيش المصرى فى الصحراء وفى نواحي النقب اعتدى على نسائهم ، فاخذوا ينتقمون من الجيش فى مسير



اليهود في طريقهم الى صحراء النقب

قوافله في الصحراء وفى نواحي النقب كلما سنحت لهم الفرصة . اوقعوا فى الجيش المصرى اصابات فادحة وسببوا بلبلة وارتباكا داخل الخطوط المصرية .

كرّ اليهود مواصلين القتال فى جبهة بئر السبع ، فسقطت غنيمة باردة بعد قتال شكلي بسيط . وسلم من فيها من حامية وعرب ، واخذت جموع اليهود تزحف فى اتجاهين : جنوب غزه حيث اشتبكت المعركة فى الشيخ نوران وجنوبه واندحر المصريون وقتل كثيرون منهم واسر عدد لا يستهان به . وتقدمت فرقة ثانية الى عوجا الحفير واسرت حاميتها دون ان تعلم بوجود اليهود ، وقد اخذوهم على حين غرة وسلموا والخوف آخذ منهم كل مأخذ حتى ان احد قوادهم بمجرد القبض عليه اخذ يعترف ويعطي افادة عن عدد قواته ورجاله وما يمكن ان يسأل عنه دون سؤال او جواب حرصاً على نفسه وتخوفاً من خصمه .



صورة استسلام بعض الجيش المصري في النقب





يعقوب دوري
يادين
قادة الهاجنا

وسار اليهود فى قلب الصحراء بدلالة البدو وفى طريق غير معبدة ، وفجأة طوقوا واحتلوا مركز القوات المصرية ودائرة الامن فى ابو عقيلة . وبينما احد المراكز يخاطب ابو عقيلة واذ الذى يجيبه احد رجال «الهاجناه» . فوصل الخبر مصر فانصرع القوم لهذه المفاجأة وتخوفوا جداً على الجيش اذ قطع فى مواقع عدة . فى الفالوجه وبيت حنون والسبع والشيخ نوران وعوجا الحفير ، وها هي القوات اليهودية فى داخل الاراضى المصرية فى ابي عقيله .

انتشرت الاخبار بين الجيش المصرى ور أو اقتال الجيش اليهودى وشدة ضغطه وشاهدوا الخسائر والانهزامات ، فطلبوا توقيف القتال وهددوا بالاضراب والاستسلام ، وقدموا المضابط لرؤسائهم اشعاراً بذلك .

عندها سارع المصريون وساستهم الى الوسطاء يطلبون ويلتمسون ويرجون التوسط فى وقف القتال فتوقف بموافقة اليهود .



فتيات المدافع ، ملائكة الرحمة يحملن ادوات الدمار



القائد الاسرائيلي اسحق صديه والكولونيل الون



الاجتماع المصري اليهودي في فندق روزس في رودس يتوسطهم الدكتور بنش الوسيط الدولي

وعلى اثر ذلك جرى تزاحم الدول العربية لمفاوضة اليهود مباشرة لوضع نصوص الهدنة الدائمة . وكانت المفاوضات تدور سراً مع لبنان والاردن ، اما مصر فبعد ان اتمت ابحاثها الاولية سراً واذ بها تقرر قبول الدعوة الى رودس لاجراء تهادن تمهيداً لتوقيع صلح دائم .

وهكذا جرت الهدنات بين العرب واليهود على الترتيب التالى :

١ ـ بين المصريين واليهود يوم ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ فى رودس . وقعها محمد سيف الدين ومحمد عبد الرحمن عن مصر .



اجتماع رودس بين المصريين واسرائيل في الوسط القائمقام سيف الدين وعلى يمينه ويساره القائمقامان رحماني وشرين



العقيد حرب بالنيابة عن لبنان يوقع الهدنة اللبنانية الاسرائيلية في رأس الناقورة

وايتان ويادين وساسون عن اسرائيل .

٢ ـ وبين اللبنانيين واسرائيل فى ٢٣ آذار سنة ١٩٤٩ فى رأس الناقورة.

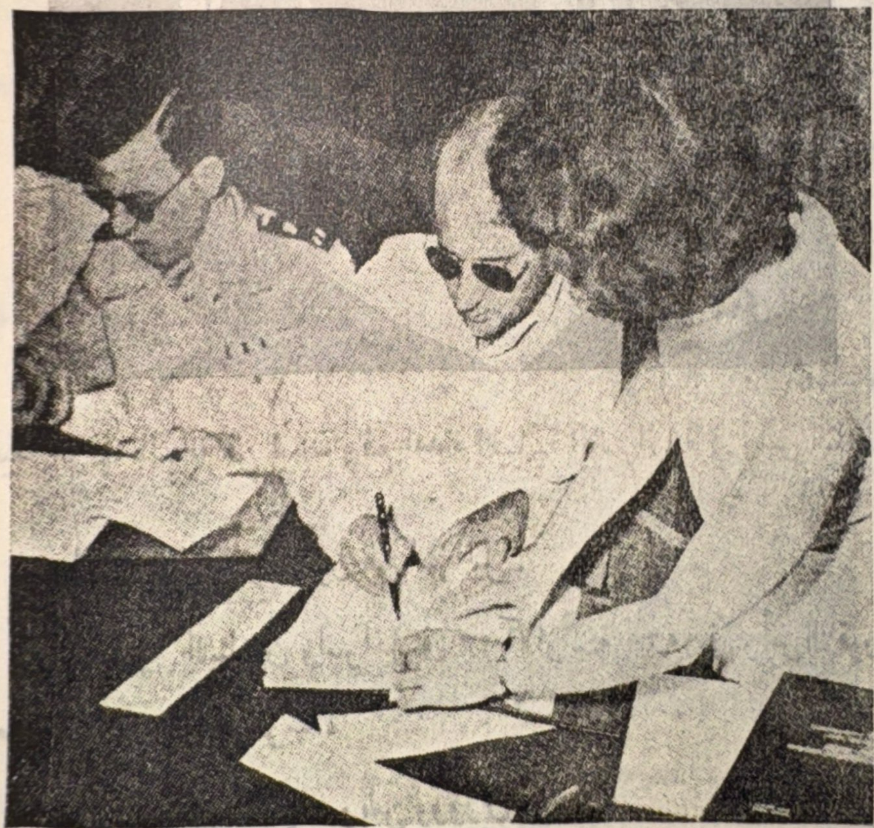
وقعها عن لبنان سالم وحرب ،

وعن اسرائيل مكليف وبلمن وروزين .

٣ ـ وبين الاردن والعراق واسرائيل فى ٢٤ نيسان سنه ١٩٤٩ فى



الهدنة الاردنية الاسرائيلية يوقعها الوفد الاردني المؤلف من السادة صدقي الجندي
ومحمد المعايطه وراضي الهنداوي وعلي ابو نوارة في رودس



الهدنة السورية الاسرائيلية يوقعها الكولونيل سلو عن سوريا قرب جسر بنات يعقوب

رودس . وقعها عن الاردن الجندي ومعايطه ،

وعن اسرائيل شلواح وديان .

٤ – وبين سوريا واسرائيل في ٢٢ تموز سنه ١٩٤٩ . وقعها عن سوريا

سلو وناصر وبزي .

وعن اسرائيل مكليف وبلمن وروزين .



البوليس الحربي السوري والاسرائيلي يتصافحان اثر المعاهدة على الحدود

بعض الشروط الهامة في اتفاقية الهدنة

أ) بين مصر واسرائيل من الشروط الهامة :

١ ـ انسحاب القوات المصرية العسكرية الموجوده فى الفالوجه ، الى ما وراء حدود مصر فلسطين وذلك يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٩ . ويكون الانسحاب عن طريق الفالوجه ـ عراق سويدان ـ بربر ـ غزه ـ رفح . وهكذا انسحبت القوات المصرية .

٢ ـ تجرد منطقة عوجا الحفير من السلاح .

ب) بين اسرائيل ولبنان :

١ ـ ان تنسحب اسرائيل من اراضى لبنان وتعود الى الحدود العادية بين لبنان وفلسطين عهد الانتداب .

ج) بين اسرائيل وشرق الاردن :

١ ـ ان تحل القوات الاردنية محل القوات العراقية فى القطعة التى تحتلها العراق من اراضي المثلث. هذا بعد ان ابدت العراق رغبتها برسالة من وزير خارجيتها بتاريخ ٢٠ آذار سنة ١٩٤٩ الى الوسيط بالنيابة، فوض فيها وفد شرق الاردن ان ينوب مناب العراق ، وابلغه ان هذه القوات ستنسحب من مواقعها.

٢ ـ على ان تسلم ارض المثلث خلال مدد متفاوتة من الاسابيع ، الى اسرائيل وفقاً لخارطة نظمت لهذا الخصوص كما يلى :ـ

أ) تسلم المساحة الكائنة غرب طريق باقه الى جلجولية ومنها شرقا الى كفر قاسم، خلال خمسة اسابيع من تاريخ الاتفاق .

ب) والمساحة من وادى عاره من باقه الى زبوبه ، خلال سبعة اسابيع من تاريخ الاتفاق .

ج) فى باقي المساحات التى تحتلها القوات العراقية خلال خمسة عشر اسبوعا من تاريخ الاتفاق.

٣ ـ ان يعوض على القوات الاردنية بتعديل بعض خطوط الحدود الاردنية الاسرائيلية فى خط الخليل البحر الميت للهدنة .

٤ ـ على ان تدفع حكومة اسرائيل للاردن تعويضاً عن طريق قلقيليه طولكرم التى سلمت الى اسرائيل حتى تصل جلجوليه والطيره والطيبه .

٥ ـ على ان يحمى السكان العرب الذين يشملهم هذا الضم الى اسرائيل وتصان اموالهم وحقوقهم ، وعلى ان تقوم فيها شرطة عربية للمحافظة على الامن وان لا تدخلها القوات الاسرائيلية .

د) بين سوريا واسرائيل:

حيث ان خط الهدنة بين اسرائيل وسوريا لا يحيط بالخطوط الدولية بين سوريا وفلسطين ، فان المنطقة الواقعة بين خط الهدنة الحالى وبين الحدود السورية الفلسطينية تعد منطقة مجردة تقصى عنها قوات الفريقين المسلحة . وعلى هذا تنسحب القوات السورية من الدرداره والحمه والدربشيه والنقيب .

مواقف بطولة فى حرب النقب :

لا اميل لذكر المواقف المخزية المعيبة،والسلوك الشائن المفضوح،والاخلاق الدنية المزرية ، الا فى معرض تعليل اسباب الفشل وسر الهزيمة . ولكن يجدر بى ان لا اغمط اولئك الابطال حقهم كشاهد يؤدي الامانة للتاريخ والاجيال، فلا يسعنى الا وان اسجل بكل فخر واحترام المواقف المجيدة التالية :



بطل الفالوجه السيد محمود طه
الذي لقب بالضبع الاسود

١) ابطال الفالوجه : لا تقتصر البطولة على رجال الحامية المصرية بل فى طليعة هذه الحامية ابناء البلد من نساء ورجال صبروا وتحملوا وضحوا وجاعوا وكانوا عرضة للابادة والدمار . لكنهم صمدوا فى وجه قوات اسرائيل المتتالية التى كانت تنقض عليهم ليل نهار وترتد كما يرتد الموج عن سفوح الشاطىء . وكم سمعت من اطراء على ثبات هؤلاء وصدق جهادهم، فالفالوجه بيضت وجه مصر واكسبتها نقاطاً جديده خسرتها فى كثير من الميادين فى مختلف انحاء فلسطين .

٢) ابطال بيت حنون من سعوديين وسودانيين : قاتلوا ولم يكونوا ليعرفوا الموت . طلبوا الاستشهاد مراراً عديدة ، وهاجموا النيران ، ورغم تكاثر العدو عليهم وقفوا وقفة الابطال . وخرّ منهم الكثيرون مهاجمين ، مقبلين لا مدبرين . فسقياً لروح البطولة والجنديه .

٣) بعض الضباط المصريين الذين قاموا بأعمال جنودهم وكانوا مثال الجرأة والاقدام والتضحية والاخلاص، خروا صرعى فى طليعة جنودهم وقلوبهم



السيد طه يتقدم بعد رفع الحصار عن الفالوجـه الى القوات اليهودية في عراق سويدان لوضع الترتيبات للانسحاب من الفالوجه

حشبعة بالايمان والشجاعة والاقدام .

٤) الشباب اليهودى المغامر الذي قطع المسافات الطوال ضاربا فى بطن الفيافى يبحث عن النصر فوق رمال الصحراء المحرقة ، يحارب الارض والسماء ، والتعب والشقاء ، ينازل العدو فى عقر داره فى قلب مصر .

٥) رجال القيادة والطيران والالات الميكانيكية اليهودية : كانت اعمال القيادة مبتكرة ساهرة عالمة ، خطتها المفاجأة ، والتكيف الطارىء فى المعركة ، والتحول السريع حسب مقتضى الحال بكل فطنة ولباقة . وابداع الطيارين ومغامراتهم ، ورجال الآلات وسرعة التفافهم ومباغتتهم الاعداء . جميعها وقعت باتقان واحكام وبطولة واخلاص فى التضحية ، عوامل هامة فى كسب المعركة.

نهاية القتال :

بانتهاء القتال فى النقب ، انتهى القتال فى فلسطين! . وبتوقيع الهدنة المصرية

الاسرائيلية فى ٢٤-٢-٤٩ ، توقف الحرب بصورة نظامية قانونية فى الجبهة المصرية ، وان يكن من قبل قد توقف بصورة فعلية فى جبهات الاردن والعراق وسوريا ولبنان .

وورد فى الهدنة المصرية الاسرائيلية نص اقتبسته الحكومات العربية الاخرى واسرائيل فى اتفاقيات هدنها وهو : «ان هذه الهدنة مؤقتة اجريت قصد الانتقال الى سلم دائم فى فلسطين !!! »

وها هو العالم يتطلع للسلام ، واللاجئون يبكون للحصول عليه، واسرائيل تتلهف لبلوغه ، والجامعة العربية ما زالت مسترسلة فى موقفها واخطائها . بالامس ذبحت العرب فى فلسطين واليوم تسلخ جلودهم !

اسباب فشل الجولة الثالثة:

١- اختلاف العرب على اقتسام الغنيمة ، الهاشميون يريدون الباقي من فلسطين لهم ، والمصريون يحولون دون توسع بنى هاشم ، وباقي اعضاء الجامعة بين هؤلاء واولئك .

٢- تدخل الانكليز والاميركان وضغط مجلس الامن لتوقيع الهدنة الاولى.

٣- الارتجال فى القتال وعدم الاستعداد رغم الوقت الكافى والامكانيات الواسعة .

٤- عدم وجود قيادة موحدة ، والقتال المنفرد فى الجبهات ، الاقدام فى مواطن الاحجام والاحجام فى مواطن الاقدام .

٥- سوء النوايا والتآمر الدنيء بين الدول العربية بعضها لبعض .

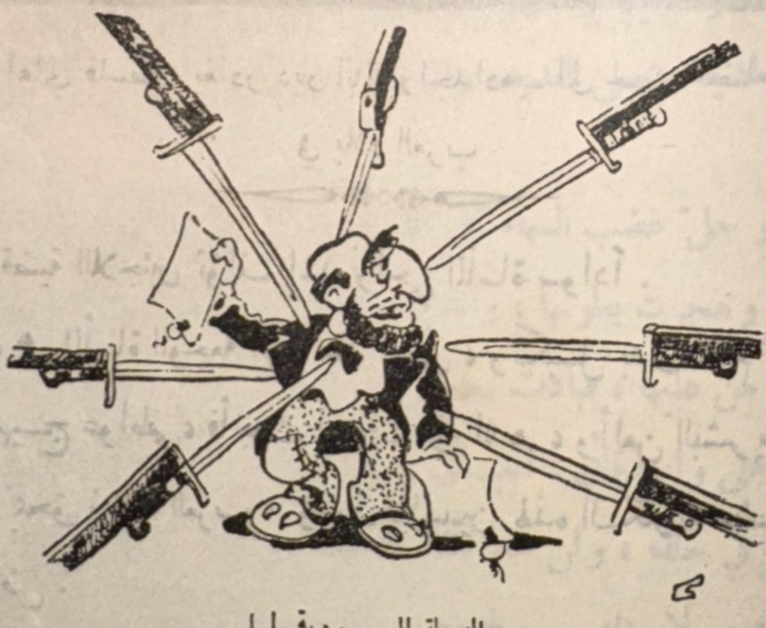
٦- عدم الجد فى القتال والاستهتار بالعدو .

٧ ـ ضعف روح الجندية فى القوى العربية المقاتلة .

٨ ـ تغلب الساسة وسيطرتهم على الميدان الحربى .

٩ ـ أنهزام السياسة العربية وانقيادها للانكليز ، وتباين اهدافها وسيطرة الطبقة الرجعية الاقطاعية على العالم العربى وتسخير جهود الامة لمنافعهم الشخصية وانانيتهم واستئثارهم بالسلطة وحبهم متاع الدنيا من اشباع بطون وارواء شهوات ، ونوم الطبقة الوسطى وعدم مبادرتها لانقاذ الموقف بتنحية القادة والذادة والساسة والملوك والامراء والباشوات والبكوات والافندية .

١٠ ـ قوة اليهود المادية والمعنوية والسياسية والحربية وروح التضحية فى الافراد والزعماء .



الدولة اليهـــودية !!

وهكذا قامت الدولة اليهودية بين حراب سبع دول عربية

اللاجئون



فريق من اهالي فلسطين يغادر ديار آبائه واجداده ـ الى حيث القضاء والقـدر في بلاد العرب

ان قضية اللاجئين تؤلف اشد نواحي المأساة سواداً .

هذه هي المأساة الموجعة التي تعقد لساني ، وتكبل يدي ، ثم تثير كوامن نفسي ، وتهيج عواطفي ، فأنبعث اجدف على الدهر ، وألعن البشرية واتضرع الى الله ان يمحق زعماء العرب ، وينزل بالمسببين لهذه الكارثة غضب السماء ونقمة الارض .

هذه هي نكبة بلادي ، وفي العالم نكبات . وما الدماء والدموع التي نضحت من جسد امتي ، ومن قلب وطني ، الا قطرة من ابحر الآلام ، والآثام ،

المتلاطمة في نقر الارض ، منذ بدء الخليقة وكر الاجيال .

ولكن نكبة بلادى خرساء ... نكبة بلادى جريمة شنعاء ، حبلت بها رؤوس الافاعي والثعابين ، وقذفت بها الثعالب والوحوش ... نكبة بلادى مأساة بغير الحان واهازيج ، ورواية ذات فصول ومشاهد .

لو انفرد قومى في التمرد والطغيان على الطغاة والمستبدين ، وماتوا على اعواد المشانق ، وفى ظلمات السجون ، وتحت مقاصل الجلادين ، لقلت فى سبيل الحرية والمجد ، ذلك الشقاء وتلك المصائب .

فللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

ولو خاضت امتى غمار الحرب فى سبيل الدفاع عن الحرية العالمية ، والمبادىء الانسانية ، فحل فيها عذاب هيروشيما ، ودمار برلين ، وسبي بابل ، لقلت هى الحرب لا هوادة فيها ولا رحمة ، تأخذ الاخضر واليابس ، وتهصر الغض والبض ، وتذيب الحديد وتصلى القديد ، والموت فى سبيل المبدأ حياة ، والفناء فى سبيل الروح خلود .

ولو حل غضب السماء على الارض ، وانقلب عاليها سافلها ، وارسلت كوامنها ، وتفجرت بطونها ، واندلعت نيران براكينها ، وصبت حمم مراجلها ، وابتلعت من عليها ، فبادت معالم وجودها ، واندرست آثار سكانها ، وغمر التراب اهلى واصدقائى ، احبائى وجيرانى ، ابناء امتى وبلادى ، لقلت تلك سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، لله فى خلقه شؤون ، لا مفر من قضائه ، ولا مناص من قدره .

ولكن لم يقض اللاجئون متمردين على قوى الظلم والطغيان ، على الذين بيدهم اليمنى اغمدوا خناجر الغدر والهمجية ، فى صدر العذراء ، وفى يدهم اليسرى

حملوا الصليب الاحمر ، رحمة فى البشرية وتدثراً فى الانسانية ، وجاءوا لكفكفة الدموع ، وتخثير الدماء ، وقطب الجراح ... ولا خرّوا صرعى فى ميادين الشرف دفاعاً عن الحرية والبقاء ، وطبيعة البهيم او الفهيم ... ولا أبيدوا بارادة النواميس الطبيعية الالهيه كقوم طسم وجديس ، او عاد وثمود !

مات اللاجئون فى مراحل آلامهم قبل وصولهم ارض الصليب، ماتوا على كثب من بلاط الملوك وقصور الامراء ... رمال الصحراء احرقت ارجلهم ، وسياط السودانيين الهبت اكتافهم، ورصاص اللبنانيين مزق احشاءهم، وكلاب المصريين نهشت اعراضهم ، وباشوات الاردن تاجرت بلحومهم ودمائهم ، وشتائم السوريين مزقت اغشية آذانهم، وحثالات العراق فتكت فى افلاذهم واكبادهم . مات اللاجئون كالايتام على موائد الجامعه العربيه ، ماتوا وايديهم مفتوحة على ابواب عابدين ورغدان وقصر القوتلى والخورى وبلاط العراق والحجاز .

مات اللاجئون وعيونهم محدقة باشعة الاوسمة والنياشين ، على صدور الباشوات والبكوات الغارقين فى بحور الموبقات والمنكرات ، السكارى بملاذهم وفجورهم .

مات اللاجئون فى السجون والمعتقلات، تفتك بهم الامراض لنقص الغذاء والكساء والايواء ، ولنقص النخوة والنجدة والمروءة والشرف فى بلاد العرب .

مات اللاجئون وارض النيل تفيض لبناً وعسلاً ، والحجاز ذهباً اسود واصفراً، والعراق سمناً وزيتاً، والشام فاكهة وخبزاً، والجزيرة العربيه تعج باشباه الرجال ولا رجال . ماتوا لان القاده والزعماء، والملوك والامراء، باعوهم رخاصاً فى اسواق الاسترلينى والدولار . ماتوا لان آذان العالم المتمدن قد اغلقت دون

صراخهم ، والبشرية عادت الى وحشية الغاب وهمجية ما قبل القرون الحجرية .

ماتوا لان الثعابين اخرجوهم من ديارهم ، والافاعي قد عضت عليهم النواجذ وانشبت فيهم الانياب .

ماتوا وهم محدقون بسواد الآمال وخيبة الاحلام .

ماتوا وهم ينتظرون اجتماعات الجامعه ويسمعون تصاريح عزام وزملاء عزام ، ونطق الملوك واقوال الساسة والزعماء .

ماتوا وما زالت سكاكين المفتي تحز في رقابهم ، يتاجر بالاحياء والاموات كما يتاجر الجزارون بقطعان الماشيه في المرعى ، والمسلخ ، وملاحم البلد .

ماتوا لان دورهم هدمت واحتلت ، ومزارعهم جفت وقلعت ، ومتاجرهم سلبت ونهبت ، ونقودهم صودرت وجُمدت ، وحقوقهم هضمت وبلعت . وتركهم الزمان في ظلمات البشر ، بين وحوش الفيافي والبوادى ، فاخرسهم الفقر ،



يخرج اهل فلسطين على هذه الصورة الى الاقطار العربيــة تاركين وراءهم بيوتهم واموالهم ومخلفات آبائهم واجدادهم .

وخنقهم الظلم ، وكبلهم الزعماء ، وقيدهم الملوك ، وضنت عليهم السماء بواحد فرد يحطم اصنام مكة ، ويدك معالم الظلم ، ويقوض ابراج الطغاه . ماتوا لان سموم الافاعي قد احرقت زهور بيارأتهم ، وافسدت اجواء كانت تملؤها انفاس البرتقال والورد والريحان .

مات اهلكم ايها العرب اذل ميتة ، وانتم هنا تعيشون فى امن وسلام ، تفرحون لاعيادكم واعراسكم واحزابكم ومبادئكم كأنكم فى معزل عن المصيبة ، لا تدرون من امركم رشداً . مات اهلي واهلكم والموت حق ، وكل حي يموت ، ولكن كيف ماتوا ولم يلفظوا الروح ؟ كيف عذبوا واغلقت افواههم من ان تصرخ ؟ كيف ذلوا وهانوا ، واهينوا واستكانوا ؟ اين كانت مراحل آلامهم ، وكيف كانت تكال لهم الضربات ؟

اقترب مني يا اخي ... افتح عينيك لاريك قوافل اللاجئين وهي تسير فى طريق الفناء . اصغ باذنيك الى عويلهم ونحيبهم المتواصل ، امسك بيديك القتاد والاشواك فوق مراقدهم ، وذق بلسانك المر والعلقم فى نفوسهم ... اجلس على الشاطيء ... لاستعرض وإياك قصة الاسراء من المسجد الحرام الى اعماق الجحيم فى بلاد الملوك والامراء .

الاسباب التى حملت اللاجئين الى ترك ديارهم :

تختلف الاسباب باختلاف النوايا والمقاصد ، وباختلاف الازمنة والامكنة ، ولكنها بأجمعها تسير وفقاً للخطة الموضوعة ، والالواح المرسومة ، فى صحف الاستعمار وسجلات الديمقراطيات . واليك بعض ما بدا لي منها :

(١) جهالة الشعب العربى الفلسطينى وسهولة انخداعه والتغرير به : اذ كان

قصير النظر، قليل التفكير، اعمى القلب، مستسلماً لرعاة من القراصنة واللصوص قادوه كالاغنام والقطعان، الى المسالخ من حيث لا يدري. وهكذا لم يكن القتيل بريئاً من جرم القاتل.

٢) ارهاب المفتي واجرامه: دبت الفوضى ففزع الكثيرون ومرّت في مخيلاتهم مجازر الماضي، وسمعوا صرخات الضحايا البريئة التي ازهقت ارواحها ظلماً وعدواناً بسلاح المفتي وابطاله. فخرج الكثيرون مؤقتاً حتى تهدأ العاصفة وتعود المياه الى مجاريها.

٣) رنين الخطب، وصرير الاقلام، وصليل السيوف، وتصاريح الزعماء: «سندك البلاد بمدافعنا دكاً، ونمحو كل بقعة يلتجأ اليها اليهود، فانصحوا العرب بنقل النساء والاولاد الى المواقع الامنة حتى ينقضي غضب السماء» هذا ما قاله صالح جبر رئيس وزراء العراق. «لا يهمنا السكان والاموال ولا نبالي ان احتل اليهود بلداً او قرية، فسنعود لتطهيرها واسترجاعها وكل آت قريب». وهذا ما قاله سيد سوريا. «سيستمر القتال بين المؤمنين واليهود حتى يقول الحجر والشجر يا مؤمن ورائي يهودي، ونسأل الله ان نكون اولئك المؤمنين»، وهذا ما قاله سليل البيت الهاشمي. «سنقضي على اليهود، فافسحوا المجال يا عرب، وان تعذّر علينا السلاح فيكفينا البرتقال»، وهذا ما قاله رياض. «سنرد الحق الى نصابه، ونؤدب العصابات اليهودية، وننتقم لعروبتنا وديننا. ولهذا سنسير جيوشنا»، وهذا ما نطق به فاروق وادي النيل. «جاء نصر الله والفتح، وحق علينا نصرة المؤمنين، فعزمنا على تحرير البلاد وانقاذ العباد»، وهذا ما ادلى به عزام. «غداً يكون غداؤنا في تل ابيب ان شاء الله، فلا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون» بهذا اكّد القاوقجي...

وهكذا ابتعد عرب فلسطين عن ديارهم خشية الموت مكرهين .

(٤) رعونة الزعماء ، وخفة الساسة ، واجرام الهيئة العليا : التى اخذت تطنطن وتدندن ، تنشر وتذيع ، تكبر وتعظم ، تبالغ وتهول فى حوادث دير ياسين ... «اعتدى اليهود على اعراض النساء . وشنقوا وبشعوا ، بقروا بطون الحبالى ، واستباحوا ربات البيوت ، ومزقوا ستائر المحصنات ، مثلوا بالشيوخ والاطفال ، وتفننوا بتعذيب الشباب ، واعادوا مظالم الاشوريين والنازيين ، وانتقموا من البشرية بفتكهم بالآمنين المسالمين من العرب». اذاعات مؤكدة مسندة ، ما كاد يسمعها العرب الا وداسوا المال والبيت وزينة الحياة الدنيا لينجوا بشرف نسائهم وبناتهم . لهذا ما كان القتال يقترب من مدينة او قرية الا ويرحل اهلها الى ديار اخوانهم المجاورة .

(٥) الانكليز : بايحائهم الى الوجهاء والاصدقاء ، والوكلاء والخبراء ، والقاده والذاده ، والزعانف والاذناب ، فى مناسبات عدة وجوب ترك ديارهم تمهيداً للضربة القاضية على الصهيونيين . فتحت اشرافهم وبسياراتهم نقلوا عرب طبريا ، وفى قواربهم وعواماتهم وعرباتهم اخلوا حيفا ، وتحت حراستهم وفى زمن حكمهم وانتدابهم ابعدوا اهل يافا . وبعلمهم اعطوا السكاكين لجهلة العرب لينحروا انفسهم ، وبأيديهم عقدوا الحبال على اعناق اهل البلاد وشدوها وأرخوها وألقوا بهم جثثاً هامدة على اطراف خطوط التقسيم قبل انتهاء الانتداب وبعده .

(٦) الجيش اليهودي : اذ بعد ان كانت السياسة اليهودية الى ما قبل الهدنة الاولى ترمي الى ابقاء العرب فى ديارهم الا بعض المناطق الخطرة ، انقلبت بعد الهدنه الى تطهير من تبقى قبلها واخلاء المناطق التى يحتلونها ، لا سيما الواقع منها ضمن خط التقسيم اليهودى . وهكذا اخلوا بالقوة والقتل والسلب والنهب ،

والبطش والتعسف ، كثيراً من القرى والمدن فى طول البلاد وعرضها ، كاللد والرمله ، وبيسان والمجدل ، والطيرة واجزم ، وعين غزال ولوبيه ، وصفوريه والمجدل ، وغيرها الكثير . وكانت اعمالهم المتتالية فى القرية الواحدة ، كافية لان ترهب القرى الاخرى التى صارت فى قبضة يدهم ان يتركوا قبل ان يلحق بهم ما لحق بغيرهم .

٧) الجوع ومساعدات الصليب الاحمر : قلّت المواد الغذائية ، وارتفعت اسعارها أثر احتلال اليهود لبعض المناطق ، ومنع العرب من زراعة اراضيهم او التصرف بها ، ونهبت موجوداتهم ، ونسفت بيوتهم ، وتعطلت اعمالهم ولم يبق لديهم ما ينفقون وما يأكلون . وصادف وجود المساعدات والمؤن فى جوارهم من بلاد العرب تفرق مجاناً على اللاجئين ، فهاجر الكثيرون او استقروا دون التفكير مؤقتاً فى الرجوع لوجود الخبز والمساعدات الخيرية المختلفة ، ولتعودهم على الاتكال والتخاذل والاعتماد على الغير .

٨) قرب البلاد العربية وفتح ابوابها لهم دون معارضة . وحجزهم داخل البلاد العربية ووضع القيود الصارمة لتنقلهم واختلاطهم بباقي اخوانهم فى مختلف انحاء البلاد العربية . ولولا ذلك الحجز لنصح الناس بعضهم بعضاً وبقي سكان فلسطين فيها . ولكن حالت الدول العربية دون عودتهم الامر الذى اضطر الكثيرين من الباقين فى اسرائيل الى الخروج منها .

٩) مركز القيادة العربية الفلسطينية : كان مركز القيادة الفلسطينية ، فى نواحي مختلفة من البلاد العربية المجاورة وحوله رجال القيادة وموظفوهم وحول هؤلاء الاتباع والحواشي والذيول . وقياساً على هؤلاء واقتداء بأولئك ، خرج الناس من ديارهم دون تفكير او تصميم . كما ان من بقي فى البلاد لم يفكر

بوجوب بقائه، بل معظمهم كان بقاؤه امراً واقعاً لا مناص منه، ولا اختيار لمن قضي امره .

١) كان اخراج اللاجئين وفقاً لخطة منظمة ، وعملية جراحية مؤلمة دامية، نظمها الاستعمار الانكليزي ـ الاميركي، ووضع الامة على بساط التشريح مفتيها، وقدم البنج والمخدرات ساسة العرب وعلى رأسهم عزام، واعمل المباضع والخناجر الدول العربية السبعة، وكانت الطعنة النجلاء القاتلة ضربة القلب لا الاطراف . فألقوا باللاجئين خارج بيوتهم قسر ارادتهم .

ولولا هذه الاسباب بمجموعها ، ولو كان العرب يعلمون حقيقة ما سيؤول اليه امرهم ، لفضل معظمهم الموت على حياة اللجوء والتشرد ، ولاتفقوا مع اليهود مباشرة ضد العالم العربي والاجنبي .

اللاجئون فى مصر :

ابتدأت سيول اللاجئين تتدفق الى مصر فى اوائل شهر نيسان سنة ١٩٤٧، استهلها اهل يافا وجاءوا بطريقين : براً عبر الصحراء ، وبحراً الى شواطىء العريش وبور سعيد .

١ ـ اللاجئون فى طريق الصحراء : تخطوا حدود فلسطين من جهة رفح بسيارات الشركة العربية للقرى الجنوبيه ومصر، وفى سيارات الشحن وسياراتهم الخاصة ، يحملون ما خف وقل من اغطيتهم ومؤنهم ونقودهم وصيغة نسائهم ، بعضهم نفذت مؤونته فى الطريق ، وبعضهم لديه من المؤن والاموال ما يكفيه العيش سنوات فى مصر . لم تعترضهم النقطة المصرية الاولى فى رفح ولم توقفهم النقطة الثانية فى الريسه ولا الثالثة فى ابى عقيله ، وساروا حتى ضفاف القنال عند

السويس حيث حالت السلطات دون اجتيازهم وتكاثروا حتى زاد عددهم عن خمسين الف نسمة . فريق منهم من الاغنياء والاثرياء وذوى المقام واصحاب المعارف فى مصر ، تخطوا الاسماعيلية واذن لهم فى دخول القاهرة . وحشد الباقون فى معسكرات السويس حيث حشد من قبلهم البولونيون زمن الحرب الكبرى الاخيرة .

٢ ـ اللاجئون فى طريق البحر : خرجوا فى سفن الشحن والقوارب الكبيرة والصغيرة فى حالة يرثى لها ، وتركوا على شواطىء يافا معظم امتعتهم . ونجوا بانفسهم تحت القنابل التى كانت تتساقط فى قلب يافا وعلى رصيفها . واستغل البحارة الموقف وشلحوا اللاجئين قبل خروجهم ، فوصلوا الى شواطىء مصر وبور سعيد ولم يتذوقوا النوم والاكل ساعات طوالا . وقذف بهم الى الشاطىء فى حالة الاغماء والاعياء . وهنالك جاءت السلطات المصرية فأخذتهم حيث حشرت قسما منهم فى معتقلات بور سعيد وساقت الباقين الى المخيم الاول عند اخوانهم فى السويس .

هنا الحالات المبكية المحزنة ، والفواجع الدامية المؤلمة ، هنا مشاهد المأساة الحالكة السواد . حوالى خمسين الف نسمة ، اختلط حابلها بنابلها ، كبيرها بصغيرها ، الرجال والنساء والاطفال ، فى بقعة شح غذاؤها وقل ماؤها ، يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ، وحولهم على ابواب معتقلاتهم وعلى اسلاك المعتقلات قام رجال الحدود السودانيون المصريون بكرابيجهم الجلدية الطويلة ، لا يوقرون كبيراً ولا يرحمون صغيراً ، لا يحترمون امرأة ولا تأخذهم شفقة ، واللاجئون حيارى ، هذه امرأة تنتحب وتبكي اضاعت بعلها ، وذاك طفل ضل سبيله واعياه التعب وعضه الجوع ، يصرخ متوجعا ويبكى خائفا ، ويبحث عبثا عن امه وابيه

واخته واخيه . هؤلاء جمع يندبون صغيرهم وقد فارق الحياه جوعا وعطشاً، وذاك شيخ يلفظ انفاسه الاخيرة يشكو الى الله ظلم الانسانية وجور العرب.

وفى اليوم الاول لوصول هؤلاء، اجتمع كبار المصريين وقادتهم وحكامهم، محافظ القنال ومحافظ بور سعيد وفريق من الضباط والموظفين، وخاطبوا اللاجئين بفظاظة وخشونة وفظاعة لم يقترفها اليهود فى ساحات الحرب ضد اعدائهم. وطلبوا من الناس ان يفصل الرجال عن النساء . اما الرجال فيرغبون فى تجنيدهم للمعركة فى فلسطين، واما النساء والاولاد فيرغبون فى حفظهم فى المعتقلات والسجون. وباشروا الافراز والتعريب بالضغط والقوة والاكراه بقوة السلاح والكرابيج، فتعالت اصوات النساء من كل فج عميق . وتقدم الرجال يلتمسون الصبر والتريث يقولون لهم : «ماذا نفعل بالنساء؟» فكان جواب احد كبار ضباط الجيش : «الله ... النساء ..؟ وماذا يجرى لهن، فى مصر رجال عديدون، نزوجهم» . وما كاد يلفظ كلماته، واذا ببعض بحارة يافا يقذفونه بالقنا بل التى حفظوها للدفاع فى طريقهم. فوقعت معركة ابلى فيها الجيش المصرى بلاء حسناً، وتغلب على اللاجئين واخمد انفاسهم ووقف منتصراً يتنفس الصعداء كأنه انهى معركة النقب لمصلحة الملك وشرف العروبة.

وعلى أثرها اتصلت السلطات المصرية بالهيئة العربية العليا، فأوفدت الاخيرة بعض اعوانها لملافاة الموقف، فحضر الشيخ صبرى عابدين ومنيف الحسينى واسحق الحسينى ... ولما شاهدهم اللاجئون، ثاروا وصاحوا واسقطوا الهيئة والمفتي وشتموا وقذفوا وهاجموهم هجوما عنيفاً، ولولا السلطات لمزقوهم اربا . فعاد الوفد يدس ويهمس فى اذن المصريين : «هؤلاء الذين سلموا يافا لليهود ... هؤلاء من اعوان الصهيونية ... هؤلاء من جواسيس الهاجاناه ...

هؤلاء الرعاديد الجبناء الذين هربوا من الميدان ... هؤلاء شيوعيون لا يعرفون الله ... ولا يحترمون الوطن ... وجودهم خطر على المجتمع المصرى». ولم تكتف الهيئة بهذا بل نشرت بلاغا بتوقيع اسحق الحسينى على صفحات جريدة اخبار اليوم حوالى اواسط شهر ايار سنة ١٩٤٨ ، ولم يتورع فيه عن ذكر كل ما همس علناً دون خجل من الله ولا وجل من الانسانية .

بقي اللاجئون على حالهم ، واعلنوا الصوم والاضراب وقاسوا الاهوال ، ورمال الصحراء لا ترق ولا ترحم ، وفراعنة مصر مصرون على موقفهم ، وزعامة فلسطين فى قصورها راضية مرضية كأن الامر لا يعنيها ، والحال فى هرج ومرج . وفى اليوم العشرين من ايار هبطتُ فى مطار الماظة وكانت التعليمات تقضي بمنع الفلسطينيين من دخول مصر ، فاوقفت لاستشارة الداخلية فى الامر ، فاتصل المأمور بسعادة عبد الرحمن عمار بك وكيل الداخلية ، فاذن لى بالدخول على ان آتى اليه توّاً الى دار الحكومة ، فكان ذلك . مثلت بين يديه فحدثنى بما كان من امر اللاجئين واضرابهم وعصيانهم وتمردهم على السلطات المصريه والهيئة العليا ، وطلب الي ان اذهب لمقابلتهم وتلطيف حدتهم وهياجهم . وحملنى كتابا الى المليجي بك مدير دائرة الشؤون الاجتماعية ، وآخر الى محافظ الاسكندرية اسماعيل بن شرين . وهكذا فى اليوم الثانى وبعد مقابلات فى مصر ، سافرت وبعض رفاقي الى بور سعيد ، وخرجت مع مساعد المحافظ رشاد بك ومحافظ القنال ريبـه بك وغيرهم من الضباط الى ان قابلت اللاجئين فاستقبلونى شاكين باكين ، فخففت من حدتهم ، واخبرتهم عن مساعدات الحكومة لهم . وفعلا انت الحكومة فى ذلك اليوم بحوالى ستين سيارة محملة بالمؤن والفراش والامتعة . وبعد حديث طال ساعات مع اللاجئين تقدموا بقبول المساعدات وباشروا بتوزيع

الامتعة والاكسية والاغذية على المحتاجين . واقاموا لجنة من بينهم تتصل مع سلطات المعتقل ، وتقدم حوالى خمسماية شاب من القادرين على حمل السلاح للانخراط فى سلك الجيش . واقبل اللاجئون على تسجيل انفسهم واخذ بطاقات هوية خاصة بهم . وودعتهم مبلّغاً اياهم وعود السلطات فى العناية بهم والافراج عنهم والرفق فى معاملتهم.

ولن انسى مواقف الثورة والتمرد التى ابداها بعض رجالات فلسطين المعروفين الذين عمهم هذا البلاء ، امثال المحامى عمر الصالح البرغوثى الذى اعلن الاضراب عن الطعام احتجاجا على مصر ، ومعه الاستاذ جار الله وحاكم الصلح رزق حلزون ، وحاكم الصلح جابى دباس ، والكثيرون غيرهم من رجال القضاء والاطباء والمحامين والتجار وكبار الموظفين . وهكذا عجزت حكمة هؤلاء وثقافتهم عن التفاهم مع اجلاف المصريين وطغاتهم .

عدت الى مصر وفى اليوم الثانى طلب الي زيارة معسكر آخر حشد فيه بعض اللاجئين الذين تسربوا اليها ، وكانوا حوالى عشرة آلاف فى معسكر العباسية وسط القاهرة . ذهبت فوجدتهم فى بيوت جميلة ، وساحات فسيحة ، وبين اسلاك لا ينفذ منها المجرمون والمؤبدون ، وفى هذا المعسكر زبانية وعساكر لا يقلون عن رجال السويس بخشونتهم وفظاعتهم ومدير المعتقل الشيخ عباس وكأن قلبه قد قدّ من الصخر او اشدّ.

رأيت الموقف المزري والقساوة المتناهية التي يعامل بها اللاجئون. فقدمت احتجاجي للمراجع الحكومية العليا . ولم اكتف حتى اخذت اقدم المذكرات للهيئات الشعبية ، والرجال المسؤولين . وعرضت قضيتهم على صفحات الجرائد وكتبت المقالات الطوال مدافعاً عن اللاجئين ، داعياً المصريين الى الرأفة

والرفق باخوانهم ، وبينت تحامل الهيئة العليا . وكانت مقالاتى بعنوان «انا ادافع واتحدى ، اللاجئون لا يستحقون مثل هذا يا مصر» .

وقسم من اللاجئين كان قد جاء قبل فيضانهم الكبير فى اوائل أيار ونزلوا فى بيوت على نفقاتهم الخاصة . وبعضهم هرب من المعتقلات او اخرج لقاء كفالات خاصة واقاموا داخل البلاد . وبلغ عدد المقيمين داخل مصر خمسة عشر الفاً .

معاملة اللاجئين فى مصر :

١) صدر قانون رسمي بأمر الحاكم العسكرى العام ، وهو رئيس الوزارة الموحوم النقراشى ، يحرم فيه اللاجئين من العمل فى مصر ، والمصريين من تشغيلهم . وكل مخالف يعاقب بغرامة خمسماية جنيه مصرى او بالسجن ستة اشهر او بكلا العقوبتين معاً .

٢) صدرت التعليمات الرسمية بحجز اللاجئين فى المعتقلات ومنع خروجهم منها الا فى بعض الحالات التي خرج فيها بعض اللاجئين بالكفالة وبعد عناء شديد.

٣) صدرت الأوامر بترحيل اللاجئين من المعتقلات قسر ارادتهم الى معسكرات الاعتقال فى غزة ،

٤) حذّر على اللاجئين عدم الخروج من مصر ، ومن عزم على الخروج يشترط عليه عدم العودة . ولم تسمح السلطات العربية باعطائهم تأشيرة الى سوريا ولبنان . اما شرق الاردن فرحبت بجموعهم واصدرت التعليمات لدور سفاراتها باعطاء التأشيرات للسفر ومنحهم جوازات السفر الاردنية عوض جوازاتهم .

٥) منع الفلسطينيين من اللاجئين الذين اتوا بأموالهم معهم ، من اخراج اموالهم معهم ، ولم يسمح لهم باخراج اكثر من عشرين جنيهاً .

٦) كل لاجىء داخل مصر ، عليه ان يحصل على اقامة فيها من دائرة الاجانب فى وزارة الخارجية قسم الجوازات . وكانوا يحصلون عليها بكل نفس ذائقة الموت ، وبعد دفع الرشوات لنفر غير قليل من الموظفين ، وتقديم كفالات من البنوك والمتمولين تضمن حياتهم فى مصر على نفقتهم خلال مدة اقامتهم. ولا انسى فضل معين بك المصرى على مساعداته الجمة لى بصورة خاصة.

٧) منعت عنهم الاعانات الخيرية حتى مؤن الصليب الاحمر . ومن فقد دراهمه ولم يجد سبيلا للرزق فهو فى احد الخيارين اما ان يعود الى غزة او الى المعتقلات .

٨) ابناء اللاجئين الذين اخذوا الى المعسكرات اهينوا، وجلدوا، وجاعوا، وعربوا، وتناولهم المصريون بمختلف انواع الشتائم والسباب . وبعد قضاء ثلاثة اشهر فى معسكر (الهايكستب) فى مصر الجديدة، قذف بهم الى ميدان المعركة، لم تخصص لهم الذخائر والاسلحة ، حرموا من مخصصات الجيش الا الفتات والكسر والفضلات وتافه الطعام ، فتشردوا الى غزة وشرق الاردن .

٩) فى المعتقلات هاجم افراد الجيش المصرى والحراس اعراض النساء ، وكثيرات اللواتى شكون الى والى غيرى وحشية المصريين وقلة شرفهم ودينهم. وشكوت بدورى الى السلطات وعبثاً كانت الشكاوى .

١٠) كثيرون قتلوا وضربوا وسجنوا وماتوا داخل المعتقلات معترضين على همجية الجيش ووحشية الجنود وسفالة القائمين على حراستهم ونذالتهم .

١١) خصصت لهم دائرة الشؤون الاجتماعية النفقات لا كلهم والزموها بعض المتعهدين الذين اساءوا التصرف وباعوا الارزاق وحرموا اللاجئين من الغذاء.

١٢) منعوا اللاجئين من التصرف بأموالهم بواسطة البنوك والصرافين ،

واسقطوا قيمة الجنيه الفلسطيني ، واخذ الموظفون يشترون من اللاجئين الجنيه الفلسطيني بسعر ستين غرشاً للجنيه الواحد .

١٣) كانت تجارة الذهب في المعتقلات . فتأتي السيدة فردوس زعيمة الحركة النسائية وتعلن انها على استعداد لشراء الصيغة والذهب ، فتعرض اللاجئات اساورهن وعقودهن فتشرع السيدة المذكورة في كسر الاساور الى قطعتين وتقول : «هذه تساوي خمس جنيهات فقط» بينما سعرها الحقيقي ثلاثون جنيهاً على اقل تقدير . وتأخذها كرهاً بالقيمة المسماة .

١٤) تفشت فيهم الامراض وساءت الاخلاق وعم البلاء ولا من مسعف او نصير . اولادهم بلا مدارس ونساؤهم بلا كساء ، اعراضهم مستباحة ومعدهم خاوية ورجالهم مغلوبون على امرهم . وزاد الطين بلة بعد اندحار المصريين في النقب .

١٥) تقاضي الرسوم الجمركية من اللاجئين على بعض الامتعة التي اتوا بها الى مصر . كذلك تقاضوا مثل تلك الرسوم عند اخراجها منه . الكثيرون تخلوا عن امتعتهم لعدم تمكنهم من دفع الرسوم المطلوبة .

١٦) في القاهرة كثيرون فقدوا دراهمهم ولم يتمكنوا من السفر ، فسكنوا المقابر والكهوف وتسولوا في الشوارع وعلى ابواب الفنادق ، وطاردهم البوليس وساءت اخلاق الكثيرات من المقطوعات والمشردات واغواهن الساقطون وتاجروا بلحومهن واعراضهن .

١٧) وفي مصر انتشرت الدعايات السيئة ضد اللاجئين . فاخذوا يسمعون من عامة الشعب حتى الخاصة ، الاتهامات البذيئة والشتائم النابية والقذف والتحقير والازدراء ، بقولهم: خون ... جواسيس ... شيوعيون ... صهاينة ... وكثيراً

ما طالبوهم بدماء المصريين التي اريقت فى النقب .

لاجئو مصر والجامعة العربية :

شكلت الجامعة العربية مجلساً اعلى لاغاثة اللاجئين برآسة عبد الحميد الباباء وخصصت الاموال لشراء الاسعافات والحاجيات لهم . وهنا الفصول الحزبية اشتروا صفقات وافرة من الامتعة والاغذية ، ولكنها كانت تجارة وفرصة لملء جيوبهم من هذه الاموال . يشترون «الحرام» باربعين غرشاً وثمنه الحقيقي عشرون ، ثم لا يعطونه حراما كاملا بل يصل اللاجئين بجزءاً الى اربعة حرامات ... فتصوروا !!

سمعت الجامعة وشكي اليها سوء المعاملة وتهجم الصحف والعامة فسجلت الشكاوى ، ولكنها لم تفعل شيئاً الا حسن الاصغاء .

طار فريق موفد من قبل الجامعة للتحري عن حالة اللاجئين فى العالم العربي ، وعاد بالتقارير والتواصى ولكن اهملت التقارير ولم ينفذ اى شيء من التواصى .

طلبنا من الجامعة وضع ضريبة على افراد دولها لاغاثة اللاجئين وذلك لا يكلف الفرد الا بضعة غروش شهريا . فأهملت هذا الاقتراح واللاجئون يموتون .

عرضنا على ان توضع ضريبة على الكماليات مثل الدخان والمسكرات ودور الملاهي وهي وحدها فى القاهرة كافية لاغاثة اللاجئين فى كافة اقطارهم ولكن كان طبلا عند اطرش .

تصوروا ضريبة الدخان الشهرية فى مصر مليونى جنيه ، لو خصصت لاغاثة اللاجئين لاصاب الفرد الواحد جنيهان شهريا ولما كان العالم العربي بحاجة الى الصليب الاحمر والى هذه الفضيحة والعار .. ولكن لا حياة لمن تنادي .

والجامعة تجتمع لتقرر ، وتقرر لتجتمع ، وعلى موائدها ما لذ وطاب ، والساسة يشربون ويكرعون ، واللاجئون يموتون ويقضون .

لاجئو مصر والهيئة العليا :

قام اللاجئون بتشكيل لجنة تعتنى بشؤونهم ، فاعترض المفتى وهب اعوانه لقطع الطريق عليهم ، فعينوا لجنة من قبل الهيئة العليا مؤلف معظمها من بعض اعوان المفتى من سكان يافا برئاسة الحاج حامد ابو اللبن . وخصص لها بعض المئات من الجنيهات ، وعينت موعداً يوما فى كل اسبوع لمساعدة اللاجئين . فكانت اسراب النساء تتقاطر على دار الزعامة فى حلمية الزيتون ، وكان اكبر مبلغ يناله الشخص نصف جنيه وكثيرون لم ينالوا اجرة الطريق ذهاباً وإياباً الى دار المفتى .

وفى دار الزعامة كان الاعوان يعبثون بأعراض النساء ، يسوقونهن الى فندق «مارى هاوس» فى شارع سليمان باشا حيث يعيش احد افراد الاسرة الحسينية المالكة .

فثار اللاجئون على الهيئة وشكلوا لجنة اخرى منهم برآسة عزيز بك الداوودى ، وساعدتها السلطات المصرية مؤخراً ، وهمها تسهيل سفر المقطوعين والمشردين .

وهكذا اهملت الهيئة العليا شؤون اللاجئين ولم ينالوا من الاعانات الكبيرة التى وردت الهيئة باسمهم من امريكا والهند ، والحجاز ، ومصر ، الا النزر اليسير . وكانت تذهب معظمها الى الاسرة المالكة والحاشية الطاهرة فى مصر الجديدة والدقي وسليمان باشا ، وتصرف فى كثير من الاحيان على موائد الميسر والشراب فى فنادق مينا هاوس وسميراميس وشبرد والكونتيننتال .

لاجئو غزة :

هنا البلاء القائم ، والشقاء الدائم ، هنا الظلم الصارخ والاستبداد المميت . تقلص ظل المنطقة المصرية من فلسطين ، ابتداء من حدود غزه شمالا الى حدود رفح جنوباً ، على طول حوالى ثلاثين كيلومتراً وعرض حوالى ثمانية كيلومترات الى عشرة. وفى هذه البقعة حشد حوالى (٢٥٠) الف لاجيء بالاضافة الى سكان البلاد الاصليين . اقام اللاجئون فى بقايا معسكرات الجيش البريطانى المنتشرة ما بين غزه وخان يونس حتى رفح. وكثيرون لم تكن الخيمات والمعسكرات لتسعهم فاقاموا فى العراء تحت الاشجار وبين جدران السلاسل . وكانت حالتهم اجمالا كما يلى :

١ ـ ممنوعون من مغادرة المنطقة الى مصر ، وممنوعون من استيراد الطعام والحاجات من مصر ، حتى بلغ ثمن رطل الارز حوالى الجنيه وفى مصر ببضعة قروش .

٢ ـ فى بادىء الامر لم تكن هناك مساعدات الى ان جاء رجال الخير والاحسان من الصليب الاحمر ، ورغم هذا تسرق المساعدات من قبل السلطات ، واللاجئون يموتون .

٣ ـ الحالة الصحية جد سيئة ، كثيرون اصيبوا بالامراض على اختلاف انواعها . واشد الامراض انتشاراً وفتكاً مرض الديزنتاريا ، لبرودة الصحراء ونقص الغطاء وقلة الغذاء . وكثيرون اصيبوا بالسل الرئوى ومعظمهم من الاطفال والشيوخ . ورأيت فى يوم واحد مئة وست (١٠٦) جنازات تخرج من ابواب هذه المعسكرات . وكانت النشرة الاخيرة فى كانون اول سنة ١٩٤٩، ان ستين الف طفل مصابون بالسل . وهذا يعنى ان كل بيت فيه اكثر من

اصابة فتصور باقي اعضاء البيت .

٤ ـ الجنود والضباط والموظفون يتحكمون ويستبدون ويعتدون ويستبيحون كيف شاؤوا . ورأيت في سجن النساء في غزه بعض السجينات اوقفن ظلماً وعدواناً . والضابط المسؤول حكمت بسمه وغيره حجزوهن لاشباع شهواتهم .

٥ ـ ممنوعهم من حمل السلاح ومن تخطي مناطق القتال وكل من يخالف يحكم بالسجن سنوات . ومن غرائب ما رأيت رجلين من شرق الاردن اتيا للقتال في باب الواد ، وعرّجا للراحة في بيت جبرين ، فجيء بهما بتهمة حمل السلاح وحكما بالسجن سنة ونصف السنة .

٦ ـ كانت الاحكام ضدهم عسكرية صارمة لا تستند على عدل او قانون . قيل عن شخص لضابط الامن انه جاسوس ، فأمر الحاكم بالحكم عليه اربع سنوات دون محاكمة ، والحاكم في سيارته على الشاطيء فوق رمال غزه .

٧ ـ رأيت امرأة تعفر جبينها بالتراب ، وحولها ثلاث من الصبايا واربعة من الصغار يبكون وينوحون ، وقد قدّوا الجيوب وجرحوا الخدود ، استغربت امرهم ، ففهمت ان والدهم حكم عليه بالاعدام . ما الداعي ؟ ذهبت بنفسي فاطلعت على ملف القضية وضبط المحاكمة ، فوجدت ان الرجل من قرية في ضواحي بيت جبرين تدعى سجد ، هاجمها اليهود فاحتلوها ، فخرج وزوجته وسبعة من اولاده معظمهم من البنات وفروا ولم يحملوا معهم شيئاً . وبعد ثلاثة ايام من تشردهم في ضواحي غزة جاعوا وضاقت الدنيا في وجوههم ، فصمم الرجل على العودة الى قريته لعله يسرق من بيته بعض المتاع والزاد . وكان من سوء حظه ان وقع بأيدي اليهود فقادوه الى رحوبوت اسيراً . ورغم الاهوال والمشقات هرب وعاد الى اهله ، فعلم اهل البلد بعودته ووصل الخبر الى سلطات

الجيش فطوقوه وكبلوه وقادوه حيث اتهموه بالتجسس لمصلحة العدو . وبعد حوالى شهر والرجل فى السجن قابلته لاخذ وكالته لاستئناف الحكم ، فرأيت آثار السياط فى جسده مصبوغة بالوان زرقاء داكنة بادية لكل ذى عينين .

قص" علي" قصته وقال : «عدت لجلب بعض الاقوات ، قبض علي" ثم هربت ، فاخذنى المصريون . وبعد ضرب ايام وليالى لاعترف قلت : «انا جاسوس وابوى جاسوس ، وكل اهلى جواسيس» فتوقف الضرب عنى ودونت افادتى وساقونى للمحكمة . وفى المحكمة عدت فبينت موقفي وكيف اخذت الافادة منى ، وبينت للمحكمة هذه الآثار البادية فى جسدي من شدة الضرب . ولكن المحكمة لم تقتنع واكتفت بافادتى الوحيدة المأخوذة بهذا الشكل وحكمت علي" بالاعدام» . اخذت الافادة واستأنفها لجلالة الملك فى مصر بصفته القائد العام للجيش المصرى ، ولم آخذ جوابا حتى اليوم ولا ادرى امات الرجل او ما زال له نصيب فى الحياة .

وهكذا كانت العدالة تجري بين صفوف اللاجئين فى مصر .

٨ ـ كان اللاجئون فى طريقهم الى مناطق لجوئهم يضربهم اليهود من الخلف ، ويتصدى لهم الجيش المصري بالتحقير والاهانات والضرب والسلب . وكثيراً ما كانوا يتهمونهم انهم جواسيس ويأخذون بتفتيش أجسامهم على اختام الهاجناه . فكانوا يضطرونهم لقلع ثيابهم عراة ويعملون ذلك فى طريقهم عدة مرات .

٩ ـ لا شغل ولا عمل ، واينما ساروا يكونون موضع النقمة والازدراء حتى من اهالى غزة انفسهم . واذكر حادثاً ان احد اللاجئين كان يبيع الحلوى فى شوارع غزه ، فاجتمع عليه نفر من الجيش واخذوا يطلبون منه ان يبيعهم . فشرع فى القطع والوزن والتقديم حتى اكلوا كل ما معه ولم يبق شيئاً ، فقدم البائع ورقة الحساب ، فما كان منهم الا ان اتهموه بالتجسس واخذوا يرفسون

اصواتهم وانهالوا عليه بالضرب حتى تركهم وهرب ناجياً بنفسه ، خشية ان ينفذ فيه حكم الاعدام .

١٠ ـ وفى الجامع الكبير بغزه منعوا ذات يوم اللاجئين من الصلاة فى الصف الاول بحجة انه اعدّ للقواد وكبار الضباط . فرفض احد اساتذة غزه تلبية امرهم وهو المرحوم محمد برزق ، فاخذوا يهجمون عليه ويودون ضربه او سحبه من بين المصلين . ولكنه كان اديباً شجاعا مؤمناً ، فصاح بهم وقال: «هذا بيت الله وكل عباده فيه سواء ، فليس هنا كبير او صغير . هنا الفاروق واقل الناس سواء» . ولما انفجر على هذه الشاكلة خشعوا وخضعوا واعتذروا وسكتوا .

١١ ـ اقاموا شركات احتكارية لجلب المواد الغذائية والزيوت للوقود . واتفق الحاكم وبعض وجهاء غزه لنقل البضائع والمواد من الاردن والعريش على ان تباع بأسعار فاحشة ويقتسم الربح بين الشركاء . وهكذا استغل اللاجئون بشكل فاحش .

١٢ ـ رأيت من اعمالهم الشيء الكثير وسمعت من احد الغزيين يذكر ايام الحلفاء بالخير مترحماً فيقول : «الصلاة والسلام على الانكليز ، كانوا يقولون لنا (فقن عرب) ونحن نفضل اليوم مليون مرة (فقن) ولا مرة واحدة (افندم) » ... يعنى لهجة المصريين الذين اعتادوا النطق بكلمة افندم فى كل مناسبة .

١٣ ـ فتح المصريون بعض المدارس ، ولكن ابناء اللاجئين حرموا منها واقتصرت على ابناء البلاد الاصليين . وذلك لان اللاجئين معظمهم مرمي فى المعسكرات بعيداً عن البلد . ومعظمهم لاجيء مشرد ، فمن اين لابن المدرسة الغذاء الكافى ليستوعب درسه ، ومن اين له الكساء ليقيه الحرّ والبرد ، وفى

اية زاوية من المعسكر يمكنه ان ينفرد لمراجعة دروسه ؟ هو فى هذه الجحيمات ينتظر الموت بين الحزن والالم ، والمعرفة والعلم اقتصرت على ابناء الاغنياء والاثرياء من سكان البلد .

وكانت اعمالهم فى منطقة الخليل وبيت لحم زمن احتلالهم لها لا تقل عما فى غزه وكأنها صورة طبق الاصل عنها .

١٤ ـ كان المصريون من الموظفين يقضون معظم اوقاتهم سكارى ومخدرين وتجارة الحشيش والافيون ضاربة اطنابها . وكثيراً ما اخذتهم صيحة العدو ، وهم فى حالة غيبوبة فوق العادة ، ينظر الواحد منهم الى الذبابة فى السماء فيظنها طائرة ، ويرى نور اليراعة فى الليل فيتخيل اليه انها دبابة ، يرى اخوانه قادمين الى محل جلوسه فيستسلم عن بعد قبل ان يعرف من القادم : وفى التهريج والتنكيت على جانب عظيم من الذكاء والفطنة ، وفى هذا الجو عاش اللاجئون يفتك بهم الموت .

اللاجئون في المنطقة الاردنية

بلغ عددهم اربعمائة الف نسمة . منهم فى فلسطين ثلاثمائة الف والباقون فى شرق الاردن . ومعظم الذين هاجروا الى هذه الديار كانوا من الفقراء والمعدمين الذين لم يتمكنوا من السفر الى سوريا ولبنان ، وسقطوا على قارعة الطريق لم يقووا على السير الى مرحلة ابعد مما وصلوا .

شرق الاردن فقيرة ، والجزء المحتل من فلسطين عدا نابلس فقير ايضاً

والبلاد ضيقة فلا معسكرات ولا مخلفات للجيوش فيها . اللهم الا معسكرات الجيش التى يشغلها . واللاجئون هبطوا على حين غرة ولا متسع لأيوائهم ولا استعداد لاستقبالهم . وعددهم مئات الالوف لا تكفيهم مدن ولا تسعهم قرى، والبلاد جبلية مرتفعة وغورية منخفضة . برد قارس وحر لا يطاق . وهكذا كنت ترى اللاجئين كالجراد المنتشر بين بطون الاودية ، وتحت ظلال الشجر، وفى الكهوف والمغاور ، وفى صلب السلاسل وتحت الجسور وفى الطرقات العامة. و كثيرون يناموں حيث انتهى بهم المطاف.

كانت معاملتهم اجمالا بالاردن خيراً الف مرة من اى قطر عربى . اقول هذا وارجو القارىء ان لا يسىء الظن بى ، انما هى حقيقة شعرت بها ولمستها بنفسى . ولعل اسباب ذلك تعود لما بين الاردن وفلسطين من قرابة وصلات. ولان اهل الاردن يعرفون ابناء فلسطين قبل وقوع المصيبة . ولربما النسبة المئوية للدم العربى الاصيل فى عروقهم اكثر من غيرهم من العرب .

وكانت معاملة اللاجئين فى الاردن نفسها اشرف وانبل بالوف المرات من معاملات اهل فلسطين انفسهم .

معاملتهم فى فلسطين :

١ ـ استغل الفلسطينيون اللاجئين استغلالا ذميما دنيئا فالمعلوم ان اجارات البيوت فى هذا الجزء من فلسطين كان جد رخيص ، حتى ان اجار الغرفة الحسنة لم يكن ليزيد على نصف جنيه شهريا ، والمحلات العادية خمسة وعشرون قرشا للمحل شهريا . وما حلّ اللاجئون الا وارتفعت الاسعار السوداء ارتفاع اجار لبنان زمن المصايف والمواسم حتى اصبح اجار الغرفة الواحدة ما بين ٧ـ١٠ جنيهات . وعبثا حاول اللاجئون مطالبة السلطات بتحديد الاجره او

تطبيق قانون حماية المستأجر . وكل ما عملته بعد ضغط ان شكلت محكمة للاجار من اصحاب الاملاك انفسهم واخذت تتصرف بطرق استغلالية كما تريد . والحكومة الاردنية لا تريد الضغط خشية ان تخسر عطف السكان الاصليين .

٢ ـ دب الموت فى صفوف اللاجئين ولبعض البلديات مدافن خاصة ، فلم تسمح بدفن اللاجىء فيها الا اذا دفع ثمن القبر وهذا فى البيره ورام الله .

٣ ـ اجبرت البلديات اللاجئين على دفع رسوم البلدية للحراسة والتنظيف .

٤ ـ اجتمع مخاتير القرى وقدموا احتجاجاً على تصرفات اللاجئين يطلبون انزال العقوبة بهم لأنهم اكلوا كروم العنب والتين ، وقطعوا الاغصان فى الشتاء ليوقدوا من شدة البرد .

٥ ـ كانت اعراض اللاجئين واولادهم سلعاً للاهين والعابثين ، وعلى مرأى من اهل نابلس فتح الضباط العراقيون الدور الخاصة امام مركز الجيش والبوليس .

٦ ـ نسي عرب هذه الديار اخوانهم واهلهم واقاربهم من اللاجئين فتهربوا من المساعدة والنجدة ، وتجاهلوا وجودهم ، واتخذوهم مطية للمساومة والتجارة والمفاوضة والوجاهة واعادة الحكم الاقطاعي والنفوذ العائلي الى غابر عصره .

٧ ـ قاموا لمساعدة اللاجئين وجمع الاحسان لهم وتوزيع الحسنات والصدقات وهنا العار والاثم والاجرام . اقاموا شركات احتكارية لهم فباعوا اموال الصليب الاحمر فى الاسواق ، وتصرفوا بالتوزيع كيفما طاب لهم . فهذا باشا عمل عشرات الالوف من الجنيهات ، وذاك وزير ضبطت فى حيازته اموال مسروقة من ثياب واغذية واغطية ، وهاجمه اللاجئون فترك العمل بين صفوفهم ، واولئك القائمقامون يقدمون الكشوف المغلوطة ويسرقون عشرات الالوف من اكياس

الطحين والمؤن والاقوات . ولا تنس رؤساء البلديات الذين تقاسموا مع بعض رجال السلطة والصليب الاحمر مخصصات اللاجئين ، وما زالت رائحة اجرامهم من حول مهد المسيح .

٨ ـ اقام الفلسطينيون حكومة ضد حكومة ، ووظفوا اولادهم وذويهم واهملوا ابناء اللاجئين الا ما ندر . وقامت السلطات الاقطاعية ترضية للعائلات، وسيراً في عقارب الساعة الى الوراء .

٩ ـ تقدم اهل فلسطين وادعوا تمثيل اللاجئين قسر ارادتهم ، وشكلوا الوفود الى العراق والدول العربية وجامعتها والى اوروبا ، يعززون موقف شرق الاردن ويقررون ان عودة اللاجئين الى ديارهم جناية .

١٠ ـ منعوا اللاجئين من العمل واعترضوا على تشغيلهم في دائرة الاشغال العامة في تعبيد الطرقات ، وقالوا ان ابناء البلد اولا ثم اللاجئين ان كان هناك مجال .

١١ ـ اختلسوا مؤن اللاجئين ومخصصاتهم حيث وزعت على ابناء البلد من غير اللاجئين وترك هؤلاء ليموتوا من الجوع .

١٢ ـ اهمل ابناء اللاجئين من المدارس، وفتكت فيهم الامراض، وكانوا عرضة للبرد والحر ، للفساد والعبث ، ولم تتحرك قلوبهم شفقة او رأفة .

١٣ ـ بنى الفلسطينيون وجاههم ، واقاموا عزهم ، وجمعوا ثرواتهم ، على نفقة اللاجئين وحسابهم . ودكوا جسر اللنبي ذاهبين عائدين ، للذبذبة والبيعة والتقرب والتزلف ، حيث ضربوا الرقم القياسي في هذا الولاء المصطنع .

عملوا كل هذا، وفي جوامعهم ومدارسهم ومغاورهم وتحت ظلال بساتينهم، الوف مؤلفة من الخلق كقطعان الغنم ، يفتك فيها الفساد والمرض والجوع

والعري ، وهم كالذئاب الخاطفة ، يحومون حول القطعان ، وينهشون نعاجها السمينة وخرافها الصغيرة .

معاملة اللاجئين فى الاردن

لا انكر على الاردنيين كرمهم ولا شرفهم . ولم يكن لديهم ما يقاسمون اللاجئين عليه الا الفقر والبطالة والبؤس والالم والنقمة ... هذا ما كان يتجلى فى السلط وعمان ووادي السير واربد وبين رجال البداوة على اختلافهم .

وان كان اللاجئون يشكون ، فشكواهم من بعض رجال الطبقة الحاكمة ومن المستغلين من كبار التجار الذين يتظاهرون بالورع والتقوى والاحسان ، ويأكلون مال اليتيم والفقير والمنكوب واللاجىء وابن السبيل .

واجمالا لم تكن تشعر بين طبقات الشعب تذمراً من وجود اللاجئين ولا تهجما على كرامتهم وشرفهم ، فالشتائم والسباب والاتهامات كانت تنهال على رؤوس العرب المتخاذلين المنهزمين والزعماء والقادة الذين طوحوا بالأمة الفلسطينية و كرامة العرب.

وهذا مشهد من فلم اللاجئين بالاردن :

١ ـ قامت فى عمان شركة من ذوى الخير والاحسان ، اخذت المخصصات الحكومية والمساعدات الواردة للنجده والاسعاف ، وباشروا بالتوزيع . وكان تصميمهم ان يوزعوا الخبز على اللاجئين . فكنت ترى صفوف الخلق نساء ورجالا واقفة على قارعة الطريق وعلى ابواب الفنادق صفوفا متراصة لاستجداء الخبز ، والملتزمون والمتعهدون اطلقت لذممهم الاعنه ، يوزعون على من شاءوا ويحرمون من ارادوا ، يتاجرون بالخبز والخدمة ، ويبددون الاعاشات كيفما

طاب لهم والكثيرون من العائلات المحتاجة تفضل الموت على الانخراط فى هذه الصفوف .

٢ ـ كنت ترى اموال اللاجئين تباع فى الاسواق العادية، وبيوت اللاجئين وجيوبهم وبطونهم خالية خاوية .

٣ ـ اللاجئون يفتك بهم البرد ، والحرامات الواردة لهم وزعت على السجون ومؤسسات الحكومة وعلى الموظفين والأثرياء وابناء شرق الاردن ، وقسم الحرام الى عدة خرق ، وابدلت الحرامات الجديدة باخرى بالية ووزعت على اللاجئين .

٤ ـ الوف اللاجئين فى المخيمات ، بين الاوحال وتحت الامطار ، فى الشتاء وفى وسط الغبار ، بين القاذورات وتحت اشعة الشمس فى ايام الصيف ، فى الشونه والزرقاء وجبل عمان ووادى السير واربد وفى انحاء البلاد .

٥ ـ وكانت المساومة على اعراض الناس من كبار الموظفين وصغارهم فى المخيمات والمعسكرات .

احتكرت الوقود وشح البترول واحتكره بعض الاشخاص. كانت الصفيحة وتكاليفها لا تبلغ خمسة وعشرون غرشاً فتباع بجنيه ونيف فى بعض الاحيان. وفوق السعر للتاجر والموظف .

٧ ـ اطلقت للاجئين حرية التنقل والاتجار والعمار والشراء والبيع،واعطي لهم حق التوظف ، وفتحت فى وجوههم ابواب المدارس واصغت السلطات الى شكواهم ، وحاولت تحسين الموقف بتعيين بعضهم فى مرافق الدولة . ولكن ما زال النقص كبيراً والحالة فوضى وعبثاً حاولوا تخفيف البلبلة .

اللاجئون في سوريا

بلغ عددهم حوالى مئة الف نسمه معظمهم من اهل الجليل وقضاء اللد . تدفقوا فى حالة يرثى لها ولم تكن سوريا على استعداد لاستقبالهم . فبدأ الكرم الحاتمي اول قدومهم ، وخصصت الحكومة المساعدات والرواتب لهم . وكانت سوريا الحكومة الوحيدة التى قامت بهذا الامر بين الحكومات العربية . ولكن المدة طالت ، والنفقات زادت ، والخزينة نضبت فتزعزع العطف وانقطع الاحسان ، وتضوّر اللاجئون فى طول البلاد وعرضها .

وكانت معاملة سوريا لهم كما يلي :

١ ـ حشروهم فى مخيمات كبيرة ، اشهر مخيم فى ضواحي حلب ، ومخيم بالقرب من مدرسة المعلمين فى دمشق . معدومة الشروط الصحية ، لا غطاء ولا كساء ، لا ستر ولا حواجز . والناس خليط حتى فسدت اخلاقهم ، وانحلت اجسادهم ، وذلت نفوسهم ، فانتشروا هائمين على وجوههم فى طول البلاد وعرضها، يلتمسون الرزق ويطرقون ابواب الصليب الاحمر للاستجداء والاحسان.

٢ ـ حالوا دون سفرهم للاقطار العربية المجاورة الا بعد اجراءات شاقة ومواقف ذل واحتقار امام الموظفين والمسؤولين .

٣ ـ كثيراً ما كانت توجه لهم الاتهامات والشتائم ولا سيما بعد ارتداد الجيش السورى وخسائر البلاد فى المعركة فانقلبت عواطفهم نقمة صُبت على رؤوس اهل فلسطين .

٤ ـ كانوا مرتعاً خصباً للموظفين يخلقون لهم على الحدود المشاكل والعراقيل . فهذا لاجىء يحمل بعض المتاع والغذاء ، لا يسمح له بدخول سوريا

الا اذا اعطى جزءاً مما يحمل ، او دفع الخاوة والرشوة للموظفين .

٥ ـ اتخذ السوريون اللاجئين وسيلة للكسب واستغلال حكومتهم. فكانوا يخصصون الاموال لاغاثة اللاجئين ويسرقون معظمها قبل وصولها لايدى هؤلاء . ويخصصون النقود والدراهم لشراء العتاد والسلاح لنجدة فلسطين ، فيسرقون النقود ويبيعون العتاد والاسلحة .

٦ ـ قسموا اللاجئين الى طبقات ، الاستغلاليين ومحسوبيهم ، والهيئة العربية ورجالها ، وكل من قاوم وهجم على جلالة ملك الاردن ، يجدون طرقاً لمعيشته . وكل من سالم وابتعد وسكت ، ترك نسياً منسياً .

٧ ـ حالوا دون عبور اللاجئين من لبنان الى سوريا ، وبالعكس ، الا بعد اجراءات ومعاملات شاذة مختصة فى اللاجئين دون اهل البلاد .

٨ ـ زجوا الكثيرين فى السجون لا قل الاسباب، وفى كثير من الاحيان لمجرد الاتهام دون محاكمة او اقامة بينة .

٩ ـ كانت معاملة الشعب السورى اجمالا غير مرضية ، اذ عاملوا اللاجئين معاملة المنبوذين والاجانب ، وجعلوهم موضع نقمتهم وسبب فشلهم . والصقوا بهم شتى انواع التهم .

١٠ ـ وضعوا قسما كبيراً من ابناء اللاجئين فى مرافق الدولة ، وبذلك سدوا نقصاً عظيما من حاجاتهم . وفازت سوريا بالطبقة المتعلمة من فلسطين .

١١ ـ ولا يسعنى الا ان اذكر واسجل بالفخر والاعجاب موقف بعض شباب سوريا من موظفين ومدنيين ، الذين فهموا واقع الحال وعملوا جهدهم ولم يقدروا على تحسين الموقف . وعلى رأس هؤلاء النبيل اكرم الحورانى فخر شباب سوريا .

اللاجئون في لبنان

حلّ فى لبنان من اللاجئين زهاء ثمانين الفاً ومعظمهم من أثرياء فلسطين، وبعضهم من فقراء الجليل وفلاحيه . وكانت معاملة اهل لبنان لطيفة ادبية ، وكانوا يؤهلون ويرحبون فى اللاجئين ما دامت فى جيوبهم اموال وما زالوا قادرين على الانفاق والصرف . اما الفقراء والمساكين فكانت حالتهم يرثى لها .

واليك بعض المشاهد :

١ ـ فى بيروت وعلى سلالم الفنادق والمقاهي ، بعد منتصف الليل كنت ترى صغار الاولاد يفترشون الارض ، يتوسدون البلاط ، واكفهم ممدودة لذوي الرأفة والاحسان ، حتى اصبحت مناظرهم مألوفة وحياتهم عادية . واخذ الناس يمرون بهم مر الكرام ومثلهم غير قليل فى كل زاوية . وفى الشوارع وبين الزبائن كنت ترى صغار البنات والاولاد يحملون الكبريت وبعض الحلويات لبيعها قصد الاستجداء .

٢ ـ وفى بعض الفنادق رأيت عائلات مصونة كنت اعرفها فى زمن عزها قبل النكبة تعيش برخاء وهناء ، واليوم وقد اصبح رجالها فى الاسر او تحت التراب وبقيت النسوة ، جلست امرأة وبناتها فى صالون الفندق يستقبلن الزبائن لقاء الخبز .

٣ ـ وفى بيروت اسيء التصرف فى مساعدات الصليب الاحمر ، فبيعت فى الاسواق علناً وخصصت لمساعدة اللبنانيين اكثر من مساعدة اللاجئين . واقيمت عصابات من الموظفين استغلوا الموقف ، واستبدوا وأساءوا وسرقوا

ونهبوا ، على مرأى من السلطات وبتعاونها دون اى اعتراض . ولقد اصبح لدى الكثيرين ثروات من استغلال الموقف .

٤ ـ وكانت اعراض النساء اللاجئات عرضة للمساومة من قبل الموظفين وموظفي الصليب الاحمر .

٥ ـ اجرات البيوت استغلالية فاحشة ، ولما نضبت اموال اللاجئين اخذ المؤجر يسأل ان كان المستأجر لاجئاً اعتذر وقال ليس لدي بيوت للايجار .

٦ ـ تنقل اللاجئين محظور ، من اراد مغادرة البلاد لا يمكنه العودة اليها. مسموح لهم العمل فى لبنان ولكن لا اعمال لكسبهم . سيارات اللاجئين موقوفة لا يجوز استعمالها . لا مدارس لابنائهم رغم كثرة المدارس فى لبنان ، الا من كان منهم ذا يسر يمكنه دفع الرسوم عن اولاده . قامت هيئة الامم بفتح المدارس ولكنها بالاسم فقط بغية ايجاد باب لصرف المخصصات .

٧ ـ حرم على اللاجئين الاجتماع للتحدث فى مصيرهم ، وعقد المؤتمرات للمداولة فى قضية بلادهم . واعتبرتهم السلطات فيه ابيدت وانقضت ، لا حق لها فى تعيين مصيرها او مشاركة الزعماء العرب الذين ارادوا الحرب فباعوا البلاد ، وقادوا السياسة فخسروا شرف الحاضر والماضى .

٨ ـ تسكع اللاجئون فى جنبات لبنان ، لا عمل ولا رحمه ولا مساعدة ولا شعور بالعطف والحنان . هذا لبنان الذى استقبل الارمن فاقام لهم القرى وافسح لهم المجال ، وهذا لبنان الذى احتضن البولونيين .. ينبذ اللاجئين ويضيق عليهم سبل العيش وينتزع الرغيف من بين ايديهم ويختطف منهم الاحسان والصدقات ، ويعلن باسم حكومته ان لا مجال للاجئين فى ، لبنان خذوهم فانقلوهم

والى حيث شئتم ابعثوهم ، لقد انتهت الرواية ولبنان لا يمكنه تحمل اللاجئين الا اذا خصصت النفقات الدولية للانشاء والتعمير ، وبعد انقضائها يجب القضاء على اللاجئين وترحيلهم او تشريدهم ثانية .

٩ ـ وكم كان مؤلماً منظر الالوف من اهل اللاجئين على الحدود فى بنت جبيل واليهود من ورائهم والجيش اللبنانى امامهم ، والفقر والبؤس والشقاء والالم والاعياء يرفرف فوق رؤوسهم ، والسلطات تمنع دخولهم الى لبنان الا اذا كان الشخص منهم حائزاً على مبلغ لا يقل عن مئة جنيه لانفاقه فى لبنان . حتى الماء ضنوا به على العطاش وبيع اليهم بيعاً باثمان باهظة .

١٠ ـ جمع اللبنانيون اعانات معظمها من اللاجئين والى اللاجئين، ولكنهم صرفوها فى حفلات الشرب والطعام فى قاعة اليونسكو.

وفى بنت جبيل وقف اللاجئون ليتنفسوا الصعداء ، وهنا علت صرخة من بين صفوفهم ، وسجلوا ظلامة العالم العربى فى بيان اصدروه من بنت جبيل، عم الاقطار وكان موضع البحث وفاتحة ليقظة النيام .

بيان بنت جبيل

من صعايا الحكومات العربية الى الشعوب المخدوعة



حسناء فلسطين

ما كانت الحسناء ترفع سترها   لو ان في هذي الجموع رجالا

تلك هي القصة الخالدة لمقتل بزرجمهر حكيم فارس وفيلسوفها ، حقد عليه النفعيون والمشعوذون والمرتزقون حول عرش كسرى ، فاوقعوا به لدى الملك فاصدر امره باعدامه . وفى اليوم المقرر اجتمعت جماهير الشعب ، وأطل كسرى من شرفة قصره ليشاركهم فى مشاهدة تنفيذ الحكم بالوزير الامين شنقاً. وكانت من الكبائر عند الفرس ان تخرج المرأة سافرة بين الرجال ، وبينما الجمهور مجتمع رأى الملك فتاة تحاكي البدر جمالا، تندفع بين جموع الناس ، فاستغرب امرها وارسل يستطلع الخبر ، فقيل انها ابنة الوزير جاءت لتشهد قتله ، فقال لها رسول كسرى :

« مولاى يعجب كيف لم تتقنعي   قالت أتعجباً وسؤالا ؟
انظر وقد قُتل الحكيم فهل ترى   الا رسوماً حوله وظلالا
فارجع الى الملك العظيم وقل له   ما كانت الحسناء ترفع سترها
لو ان فى هذى الجموع رجالا »

اجل ، ما كانت فلسطين لتمثل فيها هذه المآسى وتراق فيها هذه الدماء ، ويحل فيها هذا الذل، لو ان فى الامة العربية بقية شرف واخلاص، وبصيصاً من هدى وذرة من ايمان .

يوم العيد :

ايها العرب... ايها المسلمون... قدم العيد ومليون وربع من اخوانكم واهلكم واقاربكم يستقبلونه ، يبكون دماً لا دموعا ، يبكون اعزة فقدوهم ، وشهداء اوسدوهم ، وايتاماً حملوهم . يبكون اوطاناً خرجوا منها واموالا اغتصبت منهم ، يبكون عرضاً استبيح وكرامة ديست ، ومقدسات اهينت ، يبكون هذا وفوق

كل هذا يبكون شعوباً عربية شقيقة قبعت واستكانت كأن الامر لا يعنيها .

اذكروا يا قوم يوم العيد من المسؤول عن دمائنا وشرفنا وبلادنا وقبلة اسلامنا..؟ اينها ! وفضلا عن المصيبة التى حلت بالعرب على اختلاف اقطارهم ومللهم، والفاجعة الكبرى التى لم يسبق لها مثيل، اذكروا ايها العرب ان الدول الاجنبية لم تبعنا !! اذكروا يا قوم ان الانكليز لم يقتلونا ! اذكروا ايها العرب اننا لم نندحر لقلة رجالنا !! اذكروا ايها العرب اننا لم نتراجع لقلة درايتنا !! واذكروا ايها العرب اننا لم نتخذل لنقص فى سلاحنا ! واذكروا ايها العرب اننا لم نقهر لقوة اليهود وبطشهم .. ولان منهم شيوعيون او روس كما صوروا ويصورون !! اذكروا ايها العرب ان الجامعة العربية تبنت قضيتنا ، اقرأوا فصلا من روايات البيانات الواردة فى التصاريح الملكية والوزارية ... ان عدتم فذكرتم كل هذا فستجدوا ان الانكليز كانوا يعملون لامبراطوريتهم وان اليهود كانوا يعملون لدولتهم ، ولكن الساسة العرب لم يكونوا يعملون الا لكراسيهم وجيوبهم... لهذا تمسكوا وحرصوا كل الحرص على الصداقة الانكليزية ، ولهذا قرروا الهدنة ثم استئناف القتال ثم الهدنة الابدية والموت السرمدى .

هدايا العيد :

الى اسيادنا ابطال الميادين ، ورجال المسرح العربى من مأساة القرن العشرين ، نرفع لاعتاب جلالة ابن الرسول (صلعم) وابن قائد الثورة العربية ، ازكى ريحانة نبتت على قبور شهداء اللد والرملة ، وفوق اكوام مستعمرة الشيخ جراح ... والى دولة الصلح نقدم كأساً دهاقاً من دموع ودماء الثلاثين الف لاجىء الذين يفترشون الارض ويلتحفون السماء ، والذين تحول السلطات اللبنانية دون لجوئهم الى حدود لبنان ، والذين يقدم اليهم الاستغلاليون صفيحة

الماء بخمسة قروش فلسطينية...! والى فوزى باشا القاوقجي نرفع تقدير واعجاب ابناء الجليل الذين احتل بلادهم بسرعة البرق وسلمها قبل الهدنه بيوم بالسرعة ذاتها، فلهمنا تحيات ستين الف اسير عربي، اخذوا بأموالهم وممتلكاتهم، لم تنشر عنهم صحافة ولم تذكر عنهم اذاعة وبقي امرهم مكتوماً ، انتقلوا من يد صاحب الاقطاع بين عشية وضحاها ...! والى عزام باشا وسام الاستقلال القومى لجامعة الدول العربية ، لتحسينه علاقات الصداقة بين العرب وزبانيتهم الانكليز الذين يشترون بترولنا ، ويستأجرون مطاراتنا ، ويستخدمون ابناءنا ، ويملأون جيوبنا ، ويدافعون عنا امام مجلس الامن ، ويعتنون بقضايا اللاجئين منا ! وان المؤمنين من شبابنا لن ينسوا له هذا الجميل ...! والى زعيمنا المفدى البقيه الباقية من لحومنا ودمائنا ، من خرائبنا وفقرنا وتشريدنا ، لينسج منها لكل فرد من افراد الحاشية برداً لا تبلى ، وليبني لكل عضو من اعضاء الهيئة العربية العليا قصراً يقيهم برد الشتاء وحرّ الصيف .

سر الشعب للشعب:

قضيتنا يا قوم قضية حق ناجحة مئة بالمئة . جيوشنا قوية ، الواحد منها يكفي للقضاء على الصهيونية ، لكنها مهزلة ومسرحية تمثلها الحكومات واعضاء الجامعة العربية مشتركين ...! هذا الملك عبدالله -وشرف الاسلام- لا يريد ان يقاتل بل دخل ليقتل العرب كما فعل فى اللد والرمله والقدس ...! هذه قيادة الانقاذ تتآمر علينا وتسلم بلادنا مدينة بعد اخرى ، وقرية بعد قرية ...! وهذا الجيش العراقي الباسل (ماكو امر) للقتال !! وهذه الجامعة العربية تعود فتوقف القتال ! وهذه الحكومات تتخذ الاجراءات لتقطع اوصال ابناء فلسطين لكي لا يسمع لهم صوت بين الشعوب العربية . فهناك فى كل قطر احكام عسكرية ،

ورقابة على الصحافه والخطابة ، وحواجز تحول دون التنقل والسفر ، وهناك تضييق على اللاجئين . فالحكومات منعتهم من العمل ، ولم تقدم لهم القوت الضروري ، ولم تؤمن دفع اموالهم التى حجزتها البنوك امثال باركليس ، وبنك الباشا ، رئيس الاداره الفلسطينية ، والبنك العثماني .

ان الانكليز ارادوا اجراء هذه العملية الجراحية للامة الفلسطينية فاختاروا عزام باشا ، لانه افرس العرب واقدرهم على استعمال المخدرات والمسكنات ، وهكذا مثّلنا وقومنا باسم الجامعة العربية ، وكأن الجامعة لم تخلق الا لتقرر فى باكورة اعمالها السياسية القضاء على الشعب الفلسطيني ، والمقدسات العربية ، وخلق دولة صهيونية ، ولدت وظهرت واعترف بها رفاق عزام ومن يختفي وراء عزام . وهذا عزام وجامعة عزام يتوسلون لدولة اسرائيل ووسطائها لارجاع العرب الفلسطينيين الذين لم تكن لترهبهم السجون والمعتقلات والمشانق ، والجبال ، والوهاد ، والقنابل والمسدسات ، الى دورهم الى اوطانهم . فيا للعار ثم يا للعار...

تنحّـوا :

ان الذى انهار فى كياننا القيادة ، الزعامة ، الحكومات ، الرؤساء ، الذين وجهوا الدفة الى حتفنا ، وعليهم وحدهم تقع المسؤولية ، وهؤلاء قد افلسوا وفشلوا . والمصلحة العامة والخاصة ، تقضى بأن يفسحوا المجال لغيرهم فكفى لقد افلسوا . كفى يا قوم تخبطاً كفاكم لعباً ... انكم تلعبون بالدم والنار ، انكم تلعبون بمقدرات جيلكم والاجيال القادمة . ويل للقتلة من اهل القتلى . اينها الشعوب العربية تحققي من الوقائع ، ان الجيوش العربية لم تطأ شبراً من ارض الدولة اليهودية المخصصة لها بمقتضى مشروع التقسيم ، وان اليهود لم يخسروا شيئاً ولا مدينة من مدنهم ، وان اليهود لم تتشرد عائلة من عائلاتهم ، ان الاعداء

لم يفقدوا شيئاً من املاكهم ، ان الدولة الصهيونية قائمة على مرأى من العرب وحكوماتهم وشعوبهم . وما الهدنة الا مرحلة انتقال ، لكي تبرد دماء العرب وتنطوي آمالهم، فتهدأ ثورة الشعوب ويزول الحماس من الصدور ، فيقرر الزعماء والرؤساء والوزراء سياسة الامر الواقع . على الشعوب العربية ان تدفع بحكوماتها حالا للعمل فى الميدان ضد الصهيونية . على الجيوش العربية ان تستأنف القتال لا صورة ولا تمثيلا كما فعل بعضها فى الماضى .

على الشعوب العربية ان تكون يقظة لتحقيق هذه الاهداف .

عهدنا:

نعاهدكم يا شعوب العرب ان دماءنا واعراضنا وديارنا لا ولن تذهب هدراً ... فسنبحث عن القتلة اينما كانوا ... فيا ويلهم من هذا الانتقام، اذكروا يا قوم ان وراء النجوم عيوناً ساهرة تجازي الطاغين.

بنت جبيل فى ١٩٤٨/٨/٥ «ابناء الجيل الجديد»

اللاجئون ينظمون صفوفهم

عبثاً حاول اللاجئون فى الاقطار العربية لمّ شملهم وتنظيم صفوفهم . حاولوا فى مصر فحالت السلطات دون ذلك ، وقاموا فى لبنان فعارض ومنع ، وبدأوا فى سوريا فلم يملكوا حريتهم ، فلجأوا الى ديارهم تحت السلطة الاردنية.

وفى مستهل سنة ١٩٤٩ ، قام فريق منهم بتأييد السلطات الاردنية لتنظيم صفوفهم . فاسسوا فى رام الله «دائرة لشؤون اللاجئين» تساعدت مع سلطات

الصليب الاحمر لتنظيم توزيع المؤن والاكسية والعناية فى الاسكان واغاثة اللاجئين والمحتاجين . وهكذا ابناء فلسطين شاباتهم وشبابهم فى خدمة منكوبيهم و كفكفة دموع لاجئيهم .

وفى الشهر الرابع من تلك السنة ، تطور موقف هؤلاء من العناية باسعاف اللاجئين الى وضع حد لآلامهم وتقرير مصيرهم . فدعوا الى مؤتمر ضمّ حوالى ثمانماية مندوب منهم يمثلون كافة اللاجئين فى مختلف انحاء فلسطين .

عقد الاجتماع فى قاعة سينما رام الله التى غصت بالحاضرين ، وتناولوا الموقف واستعرضوا الماضى القريب وجاءوا على مراحل آلام اللاجئين وموقف الحكومات العربية والهيئة الفلسطينية العليا منهم ، وبعد جدال وحوار اتخذوا مقرراتهم الاولى و كانت :

١ ـ الاصرار على العودة الى ديارهم مهما كانت الظروف وبغضّ النظر عن مصير البلاد السياسى .

٢ ـ لا يجوز لاحد ان يدعي تمثيلهم الا المجلس المنتخب من جموعهم ، يختار مجلساً يمثل اللاجئين فى كافة مواطنهم على ان يكون لكل الف منهم مندوب . وهكذا بلغ مندوبو الاردن وفلسطين الاردنية اربعين مندوباً وحفظ لكل من مصر وسوريا ولبنان والعراق مقاعد فى هذا المجلس ، على ان يختاروا من هذا المجلس هيئة تنفيذية مؤلفة من عشرة اعضاء قابل عددهم للزيادة بالنسبة للاقطار العربية الاخرى .

٣ ـ قرروا الاتصال باللاجئين فى الدول العربية وحضهم على التمثيل فى مكتب المؤتمر .

٤ ـ خولوا المجلس المنتخب تمثيلهم لدى كافة الهيئات الدولية الرسمية

وشبه الرسمية ، واعطوا الحق للجنة التنفيذية ان تقوم بمفاوضاتها على ان لا تبت بأى امر الا بعد العودة على المجلس العام لهم .

٥- قرروا وجوب الاتصال مع كافة الهيئات الدولية لتأمين حقوقهم والوصول الى حل لقضيتهم بالاستقلال عن كافة الدول العربية والجامعة والهيئة العليا .

٦ - قرروا تحمل مصاريفهم بأنفسهم دون الاتكال على غيرهم .

٧ - قرروا ارسال الوفود لتمثيلهم امام الهيئات الرسمية الدولية والخصوصية .

٨ - قرروا المطالبة بتعويضهم عن كافة خسائرهم المادية التى لحقت اموالهم المنقولة والغير منقولة .

٩ - قرروا تبليغ مقرراتهم هذه للجامعة العربية والدول العربية ولجنة التوفيق وكانت قد باشرت اعمالها فى القدس .

اتصالهم بلاجئي البلاد العربية :

اتصلوا باللاجئين فى مختلف البلدان العربية . وكانت امامهم عقبات ، واهمها الهيئة العربية العليا التى رأت فى هذه الحركة قضاء مبرما نهائياً عليها ، فاخذت تدس بين صفوف اللاجئين وفى الاوساط الحكومية العربية ، بقولها ان هذا المؤتمر السف وشكل تحت اشراف الاردن وبايعاز وموافقة الملك الهاشمي ، وانه يقصد بهذه الحركة ضم اللاجئين اليه والانفراد بأموالهم واشخاصهم ، فدبت الفوضى فى صفوف اللاجئين ووقفت الحكومات العربية موقف الريبة من ذلك . وثانيهما : صعوبة الاتصال والحصول على التأشيرات للسفر وعدم الحريه فى الاجتماع والتشاحن القائم بين الدول العربية نفسها .

ورغم ذلك تم الاتصال مع مصر ولبنان وسوريا حكومات ولاجئين . اما

الحكومات فقابل مندوبو اللاجئين رؤساء الحكومات والرجال المسؤولين والهيئات المعتنية باللاجئين فى مختلف مواطنهم واسسوا مكاتب مستقلة لهم، وقاموا ببعض النشاط المحلي. ولكننا كنا دوماً لا نرى فى ذلك فائدة بل ضرراً محققاً لتفرق كلمة اللاجئين وادعاء الغير تمثيلهم.

وقامت الهيئة العربية العليا على اثر ذلك وعينت لجان اخرى للاجئين فى سوريا ولبنان ومصر، وهنا وقع التشاحن والتنافس بين لجان الهيئة ولجان اللاجئين.

وفود اللاجئين للجنة التوفيق :

اوفد اللاجئون وفدين رسميين لتمثيلهم والمدافعة عن حقوقهم امام لجنة التوفيق فى لبنان وفى لوزان وقاموا بجهاد متواصل فى سبيل اسماع صوت اللاجئين.

١ - وفد اللاجئين للجنة التوفيق فى لبنان : بلغ اللاجئون مقررات مؤتمرهم الى لجنة التوفيق فى القدس، وقابلوا اعضاء اللجنة واجروا محادثات تمهيدية حول قضية اللاجئين. وعلى اثرها دعت اللجنة مكتب مؤتمر اللاجئين لسماع وجهة نظره الى لبنان.

وفى اليوم التاسع عشر من شهر نيسان سنة ١٩٤٩، ذهب وفد من اللاجئين يمثل مكتب المؤتمر مؤلف من السادة: صالح عون الله من وجوه الناصرة، احمد صالح رئيس مجلس سلمه، عزيز شحاده من محامي يافا ووجوه رام الله، زكي بركات من وجوه لواء القدس، يحيى حموده المحامي من وجوه لواء القدس، محمد يحيى المحامي من وجوه لواء حيفا، نسيب بولس سكرتير هذا الوفد، وكاتب هذه الاسطر. وقابل اللجنة فى لبنان، فاستقبلته بكامل اعضائها. وفى جلسة علنية شرح الوفد مطالب اللاجئين وبين بصورة خاصة:

أ) حقهم الطبيعي بالعودة الى ديارهم وان فى تلك العودة يحقق السلام

والامن فى فلسطين خاصة والشرق الادنى عامة . وتمسك فى تنفيذ قرار هيئة الامم المؤرخ فى ٤٨/١١/١٢ القاضى بعودة اللاجئين والتعويض عليهم .

ب) اقترح الوفد الجلوس مع اليهود مباشرة لبحث شأن عودتهم وتعويضهم واقرار السلام فى فلسطين .

ج) وطالب الوفد بصورة خاصة ان يعرف رأى اليهود القاطع بما يتعلق باللاجئين ، هل يرغبون التفاهم معهم واعادتهم الى ديارهم والتعويض عن خسائرهم او يرفضون ذلك؟

د) وافهم الوفد لجنة التوفيق الاضرار والاخطار التى قد تنشأ عن حرمانهم، وتركهم، واكل حقوقهم، والحكم عليهم بالتشتيت والفناء. وقال « ليست هنالك من قوة بشرية تحول دون انتقام اللاجئين الفردى الشخصى ممن يقضي عليهم بالموت». اذ لا يعقل ان يموت اللاجئون واولادهم فى المغاور والكهوف والصحارى والبوادى من بلاد العرب ويرون فى بيوتهم التى بنوها من عرق جبينهم، عائلات اوروبية مختلفة تسكن بالقوة وتتمتع بالسلام . وليس من يحول دون تسرب هؤلاء افراداً ويهدموا بيوتهم على رؤوسهم ورؤوس ساكنيها .

هذا وأضف الى ذلك الاخطار والاقلاق والاضطراب العام الذى يبقى مهدداً الشرق من جراء ظلم اللاجئين وعدم انصافهم.

ه) قدم الوفد مذكرة خطية بهذا الموضوع وألحقها بمذكرات اخرى فيما بعد للقدس.

عبثاً حاول الوفد ان ياخذ رأى اليهود فى نتيجة هذه المقترحات، واكتفت لجنة التوفيق بالتسويف والتأجيل . ثم فجأة استأنفت المفاوضات فى لوزان ، ودعت وفود الدول العربية لهذا الشأن.

٢ ـ وفد اللاجئين الى لوزان : ذهب وفد مختار من اللاجئين وعلى

نفقتهم مؤلف من اربعة اشخاص الى لوزان . عاد فريق منهم اثناء الجلسات واستمر الفريق الاخر حتى انتهاء المفاوضات التى دامت حوالى ستة اشهر.

ابحاث لوزان

امام لجنة التوفيق لفلسطين

فى اواسط شهر نيسان سنة ١٩٤٩ ، عقد مجلس اللاجئين بكامله اجتماعاً فى دار شؤون اللاجئين فى رام الله، حضره كافة الاعضاء من مختلف الديار الفلسطينية، دام ساعات طوال . تناول المجتمعون البحث من كافة جهاته ، وبعد جدال ونقاش اجمع رأيهم على وجوب مواصلة جهودهم وتمثيل قضيتهم امام لجنة التوفيق بأنفسهم وفقاً لمقرراتهم السابقة ، وقرروا ارسال وفد مؤلف من اربعة اشخاص وهم : الاستاذ عزيز شحادة المحامى ، والاستاذ يحيى حمودى المحامى ، والاستاذ نسيب بولص الصحافى ، وكاتب هذه السطور . وبعد ايام قليلة اعتذر الاستاذ يحيى حموده واختير عوضاً عنه السيد زكي بركات التاجر والمزارع المعروف فى يافا . وكانت مشكلة المال حجر العثرة الاكبر ، فتقرر جمع المال من اللاجئين فى مختلف جهاتهم . وهكذا جمع جزءاً ليمكن الوفد من السفر على ان يتلوه الجمع لتغطية النفقات فى المستقبل . وسار الوفد مزوداً بالتعليمات التالية :

١ ـ ان يكون مقيداً بمقررات المؤتمر بحذافيرها .

٢ ـ ولفت نظره بصورة خاصة الى وجوب التمسك بقرار هيئة الامم ١١/١٢/٤٨ ، وعلى الحرص فى تمثيل اللاجئين بأنفسهم ، واطلقت الحرية للوفد لان يجتمع مع كافة الهيئات الدولية والسياسية تأميناً لحق اللاجئين ، على ان لا

يبتّ بأمر منها الا بعد العودة الى مجلس اللاجئين الاعلى واخذ موافقته .

العقبات التى اعترضت سبيل الوفد :

١ ـ قاوم العلميون او البعثيون فكرة ارسال الوفد واقترحوا ان يحلّ محله فكرة الزحف السلمي على اسرائيل اثناء انعقاد ابحاث التوفيـــق فى لوزان ، الا انا تمسكنا بمقررات مجلسنا واصررنا على ارسال الوفد . فكان من اثر ذلك ان انسحب الاستاذ يحيى حموده نزولا على آراء حزبه البعثيين .

٢ ـ اخذ رجال البيعة الى شرق الاردن ورؤساء البلديات للمدن الباقية من فلسطين يعاكسون الفكرة ويزاحمون يودون ارسال وفد منهم ، ولكن ذلك لم يتحقق لهم .

٣ ـ عارض الوفد الاردنى الى لوزان بادىء ذى بدء ، ارسال وفد اللاجئين وقال بوجوب تعيين بعض الرجالات من ابناء فلسطين للانضمام الى الوفد الاردنى الرسمي وبذلك يؤمنون حقوق اللاجئين : الا اننا رفضنا ذلك واصررنا على الذهاب . وبعد مداخلات وتوسلات حصلنا على اذن من الوزارة لاستبدال بعض نقودنا بالنقود الصعبة السويسرية وذلك بعد ان اعطينا تأكيداً بأن نمثل قضية اللاجئين بصورة لا تضرّ مصلحة الدولة الاردنية .

سفر الوفد الى لوزان

وفى اليوم التاسع والعشرين من نيسان غادر الوفد فلسطين عن طريق الاردن الى مصر ومنها الى سويسرا . وفى طريقنا الى مصر اتصلنا مع السلطات المصرية لنطلعها على مهمة الوفد واستقلاله عن كافة الدول العربية ووفودها . وبصورة خاصة لنزيل من رؤوس المصريين ما قد ألحقه المفتى ورجاله من دعاية على اننا ارسلنا الى سويسرا على نفقة جلالة الملك عبدالله ولتأييد موقفه ضد المصريين .

وصلنا لوزان فى اوائل شهر ايار سنة ١٩٤٩ ، ونزلنا فى بعض الفنادق ، الا اننا لم نتمكن من تحمل نفقاتها الباهظة فاضطررنا لاخذ محلات خاصة لسكننا بين بعض العمال والطلاب عند احدى العائلات .

وفود الدول العربية الى لوزان :

حضرت وفود عربية اربعة : مصر وسوريا والاردن ولبنان وتخلفت الدول العربية الاخرى ، وسبب ذلك أن هذه الدول العربية هى المتاخمة لاسرائيل وهى التى تهادنت مع اسرائيل وهي التى يتوقف السلم فى المستقبل عليها وهى ذات الشأن التى لجأ اللاجئون اليها . اما الدول العربية فبعضها وكل غيره ، فالعراق وكلت الاردن منذ ابحاث رودس ، والحجاز وكلت مصر منذ الشروع فى القتال فى فلسطين ، واليمن لم تدخل اصلا الا اسما وبقيت على ماهي عليه .

الوفد المصرى

مؤلف من سعادة عبد المنعم بك مصطفى ، ممثل مصر فى الجامعة العربية والخبير بشؤون القضية الفلسطينية لانه كان قنصلا لمصر فى القدس . وفى معيته عبد الشافى اللبان ، والسيد رمزى من المفوضية المصرية فى سويسرا . وحل هذا الوفد فى فندق لوزان بلس ، وهو من افخم الفنادق فى المدينة .

وبعد خمسة اشهر من سير المفاوضات اتى الوفد المصرى بوفد فلسطينى آخر ليمثل اللاجئين ملحقاً بالوفد المصرى ، مؤلف من السادة : رشدى الشوا رئيس بلدية غزة ، وموسى الصورانى عضو اللجنة القومية فيها والساعد الايمن للمفتى فى اللواء الجنوبى من فلسطين . وكلا الشخصيتين غير لاجئتين وغير منتخبتين من اللاجئين بل هكذا ارادت السلطات المصرية .

الوفد الاردنى

مؤلف من معالى فوزى الملقي وزير الدفاع الاردنى رئيساً ، وعضوية كل من السادة رياض المفلح من وزارة الداخلية الاردنية ، وراضى الهنداوي ومحمد المعايطة من الجيش الاردنى . والثلاثة الاخيرين كانوا فى مفاوضات لوزان ويرجع لهم الفضل بضم المثلث الى اسرائيل .

وكملحق لهذا الوفد، اتي ببعض الشخصيات الفلسطينية كممثلين للاجئين، وهم السادة : جمال طوقان مساعد الحاكم العام لفلسطين الاردنية وهو ليس بلاجىء واخ الزعيم سليمان بك طوقان رئيس بلدية نابلس، ووليد صلاح النائب العام لفلسطين الاردنية وهو غير لاجىء من اهالى نابلس وابن رئيس حزب الكتلة الوطنية عبد اللطيف بك صلاح ، وادمون روك من ابناء يافا لاجئاً فى شرق الاردن ووزيراً مفوضاً لها لدى الفاتيكان ، وموسى الحسينى من العائلة المالكة للهيئة العربية العليا ومن رجال الاتصال بين الاردن والهيئات الدولية فى القدس .

الوفد السورى

مؤلف من السيد فريد زين الدين وبعضوية كل من الشابين الفلسطينيين الحاملين للجنسية السورية مجدداً السيدين احمد الشقيرى وفريد سعد .

وكان فى صحبة هذا الوفد بعض رجال سوريا فى دور مفوضيتها فى سويسرا . وفى الدورة الثانية حل محل رئيس الوفد السيد فريد زين الدين ، السيد عدنان الاتاسى ابن رئيس جمهورية سوريا هاشم بك الاتاسى بعد الانقلاب الاخير .

الوفد اللبنانى

مؤلف من السيد فؤاد عامون رئيساً وهو من رجال القضاء ، ومن السيد محمد حماده وهو من رجال الخارجية اللبنانية ، ومعه بعض رجال المفوضية اللبنانية فى سويسرا .

وفد الهيئة العربية العليا :

سبق ان قاطعت الهيئة العربية العليا لجنة التوفيـق فى سوريا . ولم تتقـدم امامها لأنها طلبت ان تكون ممثلة لاهل فلسطين فاعتذرت اللجنة عن قبولها بهذه الصفة ، الا انها ابدت استعدادها لسماعها كهيئة عادية مثل باقي الهيئات الفلسطينية، وهي تقدّر قيمتها ولكن الهيئة العربية رفضت وانحجبت. واليوم عادت وارسلت مندوباً يمثلها وهو السيد عيسى نخلة المحامى وكان فى بادىء الامر وحيداً . وفى الدورة الثانية لابحاث لجنة التوفيق حضر وفـد آخر ملحقاً بوفد الهيئة العربيـة السابق مؤلف من السادة يوسف صهيون المحامى من حيفا ورجائى الحسينى من اعضاء الهيئة العليا ووزراء حكومة عموم فلسطين.

وفود اللاجئين الاخرى :

١ ـ وفد يافا ومنطقة اللد : حضر وفـد عن لاجئين لبنان مختار من الملاكـين واصحاب البيارات فى منطقة اللد . وسبق ان تقدم للجنة التوفيق فى بيروت تحت هذا الاسم ، مؤلف من السـادة . سعيد بيدس من يافا ، فريد عازر من يافا ، فريد الجلاد من يافا ، ادوار بيروتى من يافا ، احمد عبد الرحيم من يافا .

٢ ـ وفد عن الملاكـين واصحاب المصالح الحقيقية فى فلسطين ، مؤلـف

من شكرى بك التاجي الفاروقي اكبر ملاكي فلسطين .

الوفد اليهودى :

حضر الوفد اليهودى وهو مؤلف من كبار رجال الخارجية الاسرائيلية برئاسة السيد ايتان وعضوية كل من السادة ساسون ، شلوح ، ارزونى ، هرش ومعه عدد من امناء السر والموظفين .

حلّ الوفد اليهودى فى فندق البورفاج فى لوزان فى نفس الفندق الذى حلت فيه لجنة التوفيق والذى كانت تعقد فيه الجلسات .

شروع وفد اللاجئين بعمله فى لوزان :

اجتمع وفدنا مع وفود اللاجئين الاخرى ، وبعد مذاكرة اجمعنا على وجوب توحيد جهودنا ووفودنا قبل ان نباشر عملنا ومن ثم يجب ان نتحدث ونتفاهم مع وفود الدول العربية قبل ان نتقدم من لجنة التوفيق . ووضعنا نصب اعيننا سياسة مركزة نقترح ان تسير عليها المفاوضات العربية امام لجنة التوفيق حرصاً على مصلحة اللاجئين وبلادهم . وكانت سياستنا ترمى الى حصر موضوع المفاوضات وتحقيق الهدف وتعيين السبيل ، بسلوك طريق واضح مستقيم لا اعوجاج فيه ، لان اوضاع اللاجئين لا تتحمل المواربة والزيغان والاعوجاج ، واللف والدوران ، والرياء والدهاء ، والتطويل والتأجيل ، حتى تبلى العقد وتفتر الهمم ، وترتخي الاعصاب ، وتذلل الايام الصعاب .

فاتفقنا اولا على ان نجتمع مع الوفود العربية ونلتمس منها ان تكون سياستها فى المفاوضات احد امرين : اما ان تعين طلبها من اسرائيل ، فتملي ما تريد بقولها ما تريد كذا وكذا من حدود ولاجئين وحقوق واموال ونصوص وعهود ، والا فالحرب بيننا وبينكم والدنيا لمن غلب . او ان تقر اسرائيل على

ما هي عليه شرط عودة كل لاجىء الى بيته ان كان ضمن اسرائيل فتحت سيادتها وان كان فى المنطقة العربية ففي رعايتهم .

وبعد مداولات ومناقشات بين وفود اللاجئين حول هذه السياسة اجمعنا على كتابة مذكرة بهذا الخصوص ترفع للوفود العربية . وفى جلسة ثانية وقد اعدت مذكرتنا للبحث رأى المجتمعون ان الاوفق مقابلة الوفود العربية مجتمعة للتحدث فى فحوى المذكرة شفهياً فكان ذلك .

وهكذا فى خلال الاسبوع الاول فى لوزان قمنا بما يلي :

١ ـ زيارة للتعارف والسلام حسب الآداب والعرف السياسي الدولي ، لاعضاء لجنة التوفيق .

٢ ـ اجتمعنا مع الوفود العربيه مجتمعة .

الزيارة الاولى للجنة التوفيق :

وفى الموعد الذى خصص لنا بناء على طلبنا حضرنا ، قابلنا بعض امناء سر الوفد الاميركي وقادنا الى غرفة رئيس الوفد فى تلك الدورة المستر أثرج . وكنا قد التقينا به من قبل فى بيروت والقدس وتحدثنا اليه مطولا وقدمنا له مذكرتين بخصوص اللاجئين ولم نأخذ الا اشعاراً بالوصول دون جدوى . وفي هذه الجلسة بعد الفراغ من هذه المجاملات سألناه عما تم فى مذكرتنا وما رأي اليهود النهائي بخصوص اللاجئين هل سينفذون قرار مجلس الامن القاضي بعودة اللاجئين والتعويض عليهم المؤرخ فى ٤٨/١٢/١١ ام لا ؟ هل يريدون التفاهم معنا ووضع حد لآلامنا او ما زالوا فى سياستهم وعنادهم ؟ فكان الجواب : «هذا ما سيقرر بنتيجة هذه الابحاث فى لوزان». ثم طلبنا منه تحقيقاً لحسن النية وتهيئة الجو الصالح للمفاوضات ان تتوسط اللجنة بتحقيق ما يلي:

أ) السماح للجنة ان تذهب حالا الى فلسطين وتعتني ببيارات العرب قبل ان تجف وتموت ونحن لم نفرغ بعد من المفاوضات.

ب) الافراج عن اموال العرب المتجمدة فى بنوك اسرائيل لتساعدهم على الحياة وتخفف من آلامهم .

ج) جمع العائلات المشتتة والسماح لافرادها اللاجئين بالعودة الى اهلهم فى اسرائيل.

د) السماح للجنة من اللاجئين بزيارة فلسطين وتهيئة الجو لتنظيم عودة الذين سيتفق على اعادتهم .

فأظهر المستر اثرج تقديره لهذه الطلبات وعدالتها وطلب منا ان نقدم له مذكرة خطية بوقائع هذه الجلسة واقتراحاتنا خلالها ، ففعلنا .

الاجتماع الاول مع الوفود العربية :

مهدنا لاجتماعات فردية مع بعض الاعضاء الملحقين بالوفود الحكومية من ابناء فلسطين ووفقنا لدعوة جميع الوفود والتقينا سوية فى ردهة الفندق حيث نزلت الوفود العربية . بسطنا رأينا واقترحنا الخطة التي يجب ان يسار عليها شفقة باللاجئين وقضيتهم . ولكن عبثاً حاولنا اخذ جواب صريح من اى من الوفود او ملحقيها اذ كانوا يتملصون و يتخلصون من الموضوع بكل خفة ولطف ولباقة ، ويحرص كل منهم على ان لا يورط نفسه بجواب ما امام اعضاء الوفود الاخرى . وجل ما بدا منهم اللطف المتناهي والعطف العظيم على قضية اللاجئين، واخذ كل منهم يدعي ان لا همّ له الا المحافظة على اللاجئين وحقوقهم وديارهم وعدم السير فى اية مفاوضات الا اذا صرّح اليهود عن استعدادهم لقبول اللاجئين دون شرط او قيد ، ويكون ذلك التصريح دليلا على حسن

نيتهم وصدق طويتهم ، اما كيف يمكن ان ينتزع مثل هذا التصريح من اليهود وبأية وسيلة يتم الحصول عليه ، فهذا موضوع لا مجال لبحثه ، وذلك سر الوفود المفاوضة لا تبيح لهم سياستهم خوضه واظهاره علناً امام الناس .

وكان اكثر رجال الوفود حديثاً وتصريحاً فريد زين الدين رئيس الوفد السورى ، وقد اخذ يحدثنا عن فضيلة الصبر والتريث ، ووصف الوضع بقوله : « نحن لم نخسر فلسطين حرباً ، ولكن هي جوهرة اضعناها فالتقطها غيرنا » . وقال : « لو اجمع القوم على تنظيم الفوضى وتدبير التخاذل والاهمال ، لما اتفق لهم كما اتفق لعرب فلسطين عفواً » .

ضيق ممثلو اللاجئين خناق البحث ، وارادوا ان يخبروا قوة الوفود العربية المفاوضة فسألناهم : هل انتم على استعداد لاستئناف القتال اذا لم يتحقق لكم ما تريدون ؟ وان كنتم لستم على استعداد لاستئناف القتال فهل انتم على استعداد لان تجعلوا السلام معلقاً على حلّ مشكلة اللاجئين واعادتهم الى ديارهم واموالهم ؟

فكان الجواب لفاً ودوراناً حول الموضوع لا فى صلبه ، فكأن الوفود تخشى ان يصرح بعضها امام الآخر .

رأينا هذا المظهر الكاذب من اللطف والعطف والمواربة فاضطررنا للسكوت على مضض وانهاء الحديث عند هذا الموقف .

ثم تلت هذا الاجتماع اجتماعات عديدة مع الوفود العربية مجتمعة ومنفردة .

بروتوكول المفاوضات فى لوزان

احتارت لجنة التوفيق كيف تشرع اعمالها . الوفود العربية تقول : « اتيت لابحث واحقق عودة اللاجئين فقط ، ولست على استعداد لبحث مشكلة الحدود

والسلام مع اسرائيل » . واسرائيل تقول : « اتيت لابحث قرار مجلس الامن على علاته وهو القائل بايجاد السلام والاستقرار والتعاون الاقتصادى وعـودة المسالمين من اللاجئين والتعويض على من لا يعود منهم ، وقبل ان ابحث قضية اللاجئين يجب ان ابحث قضية الحدود والسلام » . ووفود اللاجئين تقول نحن اتينا لنبحث فقط قرار المجلس العام لهيئة الامم المؤرخ فى ٤٨/١٢/١١ ، والقاضي : « بوجوب السماح بعودة اللاجئين الذين يرغبون فى العودة الى ديارهم للعيش بسلام مع مجاوريهم ، فى اقرب تاريخ عملي ، ودفع التعويض للذين لا يختارون العودة الى ديارهم » .

ودامت المشادة والجدل حول هذا الموضوع زهاء اسبوعين الى ان وصلت لجنة التوفيق الى وضع صيغة اتفـاق يوفق بين وجهات نظر جميع الفرقاء . فاتخذت برتوكول المفاوضات فى لوزان الذى ينص : « تحقيقاً للغاية المنشودة من عـودة اللاجئين الى ديارهم واستقرارهم تعلن الوفود المفاوضة عن عزمها لبحث المشكلة الفلسطينية ضمن الخط المبين على الخارطة المرفقة (وهنا اشاروا) الى خط التقسيم لفلسطين بين العرب واليهود كما نصّ عليه مجلس هيئة الامم . »

وقد وقع الفريقان على نص هذا البرتوكول ، الا ان الوفد اليهودى وقع مع تحفظ يقول : « لاسرائيل ان تبحث ضمن هـذا الخط وخارجه » ، وبهذا اصبحت اسرائيل فى حلٍّ من حصر البحث داخل المنطقة المخصصة لاسرائيل بمقتضى التقسيم ، وعاد توقيع البرتوكول المذكور لا يعتبر اعترافاً من اسرائيل بسلوك وفدها وتصرفه بأنه قبل فى حصر اسرائيل ضمن الخط المذكور.

سير المفاوضات :

سارت المفاوضات بكل بطء ، وبطريقة عقيمة معقدة كان من المنتـظر ان

لا يكون نصيبها الا الفشل منذ بدايتها، فكل فريق يبحث مع لجنة التوفيق على حدة ، ومن ثم لجنة التوفيق تنقل حديث احد الفريقين الى الاخر ، ثم تنقل جواب الفريق الثاني الى الاول ، ثم تأخذ بتقريب وجهات النظر بين الفريقين . وكانت النقاط الشكلية والقشور السطحي فى الابحاث الدائرة تحول دون التطرق الى جوهر الابحاث وصلب الموضوع .

العرب يرغبون التطويل والتأجيـــل واللف والدوران ولا يسالون اذ يصرحون أنهم اتوا الى لجنة التوفيق لنداء هيئة الامم فقط، ولم يأتوا لصلح مع اسرائيل ، ولا يهمهم حل هذه المشكلة لان الوقت بجانبهم وطول المدة ستقتل اسرائيل اقتصاديا وتميتها فى المهد، اذ تضطرها لابقاء جيشها جاهزاً تحت السلاح ومجهودها الحربي مستمراً والاستقرار والامن مفقـودان . وهذا وحده كاف لافلاس اسرائيل وتسليمها بحق العرب بلا شرط او قيد، فيستعيض العرب عما خسروه فى المعركة الفعلية بمعركة الـكلام والمفاوضة.

واسرائيل جادة فى الوصول الى سلام بأى سبيل ، ولو تظاهرت فى كثير من مواقفها على ان الصبر بجانبها وانها لا تبالي بطول الزمن ومواقف العرب ، الا انها تبكى دماً على السلام وتنتهز الفرصة لتعض بأنيابها على جثث اللاجئين على صرخاتهم تبلغ قلوب الدول العربية فترق وترحم وتتساهل وتلين. واسرائيل اتخذت قضية اللاجئين سبيلا للمساومة للوصول الى سلام مع الدول العربية ولكنها خجلت من وجه الانسانية ان تعلن ذلك وتقول أنها تريد ان تساوم على قضية اللاجئين ، فأنكرت ذلك انكاراً باتاً قاطعاً ، وقالت انها اكثر دول الشرق الادنى ألما لقضيـة اللاجئين ولكنها ليست المسؤولة عن هذه الآلام

وعزت كل ذلك الى سلوك الدول العربية .

اما اللاجئون فكان موقفهم من هذين الفريقين موقف الفريسة التي يتشاحن عليها السباع وتتآمر عليها الضوارى . نعم الشجاعة كما يقولون صبر ساعة ، وقد تمثل كل من الفريقين بقصة عنترة الذى جاءه رجل وقال : «علمني الشجاعة يا سيد الفرسان» ، فقال عنترة : «خذ اصبعي وعض عليه بنواجذك ، وهات اصبعك لافعل به مثلما تفعل ، وليشدّ كل منا جهده . فتبادلا اصبعيهما وما كان من عنترة الا ان قضم اصبع رفيقه فصاح الرفيق ألماً بأوسع شدقيه ، ففلت اصبع عنترة وبقي صاحبه يصرخ ألماً . فتوقف عنترة وقال : «لو صبرت قليلا لكنت انا الصائح وانت المنتصر . فهذه هي الشجاعة يا اخا العرب » . وهكذا موقف بطولة المفاوضين من كلا الفريقين والفارق بينهما وبين قصة عنترة ، ان كلا منهما يشد على قلوب اللاجئين وهم لا يتألمون ولا يتوجعون ، فان صبر العرب وحدودهم محفوظة واموالهم موفورة وشعوبهم فى رغد من العيش وبحبوحة ، واما صبر اليهود فلن يموت مهاجروهم جوعاً ولا يتمرغ سكانهم فى الازقة والبرارى ، والذى يقضي ويذوب كالشمع المحترق هم اللاجئون فى مختلف جنبات الشرق الادنى ، فى اسرائيل وخارجها .

وما زالت الحال على هذا المنوال ، الدول العربية تبحث عن مقابل للصلح مع اسرائيل غير اللاجئين ، مقابلا يتفق مع مصالحها وغاياتها ، واسرائيل تستفيد من الزمن وتكشف عن نوايا العرب وتقول ان كانت الدول العربية لا تبالي بمصير اللاجئين فالاولى ان انصرف الى شؤوني والعناية بشعبي .

****

ادوار المفاوضات

سارت المفاوضات اثناء وجودنا فى لوزان فى شوطين بينهما هدنة اسبوعين اعطتها لجنة التوفيق لتمكن الوفود من استشارة حكوماتها .

١ ـ اما الشـوط الاول فانقضى والعرب يقولون نصر على بحث مشكلة اللاجئين ، واسرائيل تقول يجب ان نبدأ فى الحدود .

قال العرب على اسرائيل ان تكتفي بحدود التقسيم ، واظهاراً لحسن نيتها للمفاوضات والتسوية النهائية ، عليها اولا ان تسمح بعودة اللاجئين حالا الى المناطق المحتلة الخارجة عن التقسيم ، وثانياً ان تفرج عن الاموال المتجمدة ، وثالثاً ان تعين هيئة خاصة لري البيارات خشية ان تهلك .

وقالت اسرائيل انا على استعداد لان تكون حدودى هي الطبيعية مع سوريا ولبنان وحدود اتفاقية رودس مع الاردن وحدود مصر مع المصريين واني على استعداد لاخذ غزة ومن فيها من لاجئين ولم تذكر اى شيء بادىء الامر عن اللاجئين فى العالم العربي الاخر .

عدت الوفود العربية هذه الاعمال من اسرائيل خروجا على برتوكول لوزان المعقود ، ودار الاخذ والرد حتى استغرق المرحلة الاولى ، وكلما ابتدأت المفاوضات ان تنقطع كلما ابتدأت تسير الى ان تأزمت الامور ، ورأت اللجنة ضرورة البحث باللاجئين والحدود ، فأجلت الابحاث كى تمكن الوفود من مراجعة حكوماتها فى الموضوع .

٢ ـ الشوط الثاني : عادت الوفود وصرحت اثر عودتها بأنها اتت بنيـة

حسنة لفض الخلاف وبحث الحدود واللاجئين على ان تتقدم اسرائيل بمقترحات عملية .

وفى هذا الدور رأت اللجنة ان تقسم اعمالها الى لجان ، فاعترضت الوفود العربية اول الامر على هذه الاجراءات ثم عادت فاذعنت وشكلت لجنة خاصة لبحث موضوع الاموال المتجمدة ولجنة عامة لسماع الفرقاء ببعض الامور التي تحال اليها من قبل اللجنة الرئيسية .

تقدم اليهود باقتراحهم ، وفى هذا الدور تركوا غزة وقالوا ببقائهم على حدود الهدنة الحالية وانهم على استعداد لقبول مئة الف لاجىء فقط على ان يتبع ذلك السلام النهائي . الا ان ذلك لم يرض الوفود العربية وعاد الجو فتلبد ، واخذت المسائل تتعقد ثانية . وفى هذا الدور انسحب عضو اللجنة الاميركي المستر اثرج وكرّ راجعاً الى بلاده ، وجاء عوضه المستر بول بورتر والاخير محام قدير واقتصادى كبير.

قام المستر بورتر بنشاطه فى هذا الجو المتأزم ، وبعد اجتماعات فردية عقدها مع الوفود العربية ، اسفرت النتيجة عن وضع نقاط حلا للنزاع القائم ، حصرها فى نقاط ووضعها فى مذكرة وجهها للوفود المفاوضة للاجابة عليها .

نقاط الخلاف البورترية :

رأت الجنة ان النزاع القائم يمكن حصره فى اسئلة استجوابية معينة ورأت ان الدافع الوحيد الذى قد يحمل الوفود المفاوضة على التساهل والتفاهم ، هي المساعدات المالية التي ستقدمها هيئة الامم لتحسين الشرق الادنى وتقوية اقتصادياته . فقالت فى خاتمة المذكرة « ونلفت نظر الوفود على ان المساعدات المالية المعدّة للشرق الادنى تكون موقوفة على حل مشكلة اللاجئين واقرار السلام فى ربوع

هذه الديار» . اما النقاط فهي :

١ ـ هل يوافق وفدكم على ان مشكلة اللاجئين يمكن حلها بعودتهم الى ديارهم ، او اسكانهم فى البلاد العربية المجاورة والتعويض عليهم ؟

٢ ـ هل توافقون على تمديد مدة اعاشة الصليب الاحمر لستة اشهر اخرى لحل النزاع القائم ؟

٣ ـ هل توافقون على ان عودة اللاجئين تكون موقوفة على تعيين الحدود والعكس بالعكس ؟

٤ ـ ما هو عدد اللاجئين الذى تقبل به حكومتكم ؟

٥ ـ هل توافقون على تعيين لجنة للاستقصاء فى الشرق الادنى تبحث امكانية اسكان اللاجئين واستقرارهم واستعداد البلاد الاقتصادى لذلك ؟

وفصل ثاني ، يتعلق بالحدود يحوي سؤالا واحداً ، ما هي الحدود التي ترغبها حكومتكم ؟

اجوبة الوفود

١ ـ الوفود العربية : بعد خلافات ومشادات كبيرة وقعت بين الوفود العربية ، اجمعوا على تقديم مذكرة خطية حول هذا الخصوص جاء فيها :

أ) نظرية التعويض الاقليمي : قالوا بوجوب عودة اسرائيل اولا الى حدودها حسب نطاق التقسيم . وان رغبت عدم عودة اللاجئين الى المنطقة المخصصة لها بالتقسيم ، فعلى اسرائيل ان تعطي جزءاً من الارض المخصصة لها للعرب الفلسطينيين مقابل اللاجئين الذين لا تسمح بعودتهم اليها ، على ان تكون الارض كافية لاعطائهم مجالا حيويا لمعيشتهم .

ب) اما الحدود فطالبت مصر بضم النقب اليها ، بحجة ان النقب جزء

من مصر وان الحدود مع مصر زمن الانتداب عينت على اساس ان الدولة المجاورة لمصر هي بلاد عربية ، اما وقد تغير الموقف فمصر بحاجة الى مراكز حربية للدفاع عنها في النقب والى ارض تصلها بالعالم العربي ولا تعزلها عنه. وقالت لبنان وسوريا ان الجليل كان فى عهد الاتراك جزءاً من ديارنا ويجب ان يُضم اليها . وقالت الاردن انها راضية بموقفها الخالي من الحدود.

ج) اما بخصوص اللاجئين فأعلنت الوفود ان اكثر من دولة عربية واحدة ابدت رغبتها فى ان يستوطنوا ديارها . ولم يقولوا بان الدول العربية على استعداد ، لان مصر لا ترغب ان يبقى فيها اى لاجىء وتزعم ان ذلك لاسباب اقتصادية ، والحقيقة هي ان مشارب اهل فلسطين واخلاقهم لا تتلاءم مع المصرية الحاكمة فى البلاد. ولبنان يدعي ضيق بلاده وضعف اقتصادياته والحقيقة ان لبنان بلد مسيحي من جهه ، وفضلا عن انه مسيحي فهو لطبقة خاصة من المسيحيين ووجود اللاجئين فيه قد يؤثر على وضع لبنان السياسي ويوجد عنصراً جديداً يخلُّ بسيادة ابناء البلاد الاصليين .

اما الاردن فهي لا ترغب ان يخرج صوص من اللاجئين من ديارها وتبدى رغبتها بضم جموعهم وتعتبر ذلك حلا طبيعياً وان لا فارق بين فلسطين العربية والاردن . اما سوريا فترغب اسكان فريق منهم فى اراضي الجزيرة لتعميرها والاستفادة من اعانات هيئة الامم.

اجوبة اسرائيل:

ترى اسرائيل ان العالم العربي يريد ان يزحف عليها ويبتلعها ، فأعلنت انها ليست على استعداد لأعطاء متر من اراضيها وانها لا تتنازل قيد شبر عن البلاد التي احتلتها حرباً وتعتبر ان الهدنة قائمة بحدودها وهي مستمرة اتوماتيكياً

وترحب بكل من يرغب نقضها . اما بخصوص اللاجئين فهي على استعداد ان تساهم من وجهة انسانية بحل مشكلتهم بصفتها احدى دول الشرق الادنى، وقد اعلنت عن رغبتها فى ان تساهم بقبول مئة الف فى ديارها ، وقالت ان هذا العرض لا يبقى مفتوحاً الى الابد وان اياديها ممدودة لقبول هذا العدد ويأتي زمن تتعب اياديها فتسحب هذا العرض . اما بخصوص لجنة الاستقصاء فتسمح بوجودها على ان تكون اعمالها ضمن اسرائيل مقيدة بسياسة اسرائيل .

اجوبة اللاجئين:

واجابت وفود اللاجئين الثلاث على هذه الاسئلة بمذكرة واحدة مشتركة لم يكتفوا بتبليغها الى لجنة التوفيق فحسب بل بلغوها الى الدول العربية واسرائيل والدول الكبرى وسكرتارية هيئة الامم اعتقاداً منهم ان قضيتهم تنحصر فى الاجابة على هذه الاسئلة وكانت خلاصة اجوبتهم كما يلي :

١ ـ السؤال الاول : نسلم بأن حل قضية اللاجئين يكون باعادتهم الى ديارهم فى اسرائيل واسكانهم فى الجزء الباقي من فلسطين وفى الدول العربية.

الا اننا نقول يجب ان يترك الخيار لكل لاجىء يرغب العيش ضمن نطاق اسرائيل بسلام ان يعود الى بيته ، ومن لا يرغب يترك له الخيار ، ان شاء سكن الجزء الباقي من فلسطين ، وان لم يرد ذلك فيجب ان تضمن له حرية الاستيطان اين شاء فى الدول العربية على اختلافها . شرط ان من يعود منهم الى اسرائيل يجب ان يمارس كافة حقوقه المدنية والسياسية والدينية وتضمن له الحرية المطلقة ضمن اسرائيل دون تفرقة بينهم وبين اليهود من سكانها . وعلى ان لا توضع فى المستقبل اية تشاريع تحرمهم مثل هذا الحق او تضطرهم للتشرد وترك بلادهم واملاكهم .



رئيس وفد اللاجئين محمد نمر الهواري يتحدث مع السيد وليم بورتو عن قضية اللاجئين ومذكرتهم الاخيرة الى لجنة التوفيق

والذين لا يرغبون فى العوده الى اسرائيل يجب ان يكتسبوا جنسية البلاد العربية التى يحلونها دون فارق بينهم وبين سكان تلك الدول الاصليين .

وتدفع للذين لا يرغبون فى العودة الى اسرائيل بدل املاكهم الثمن الحقيقي المثلي لتلك الأملاك فى التاريخ الذى كانت تساويه عند تركهم لتلك الاملاك ، يعين بموافقة اللاجئين على ان تتبع فى الاجراءات امام تلك المحكمة نفس الاصول المتبعة فى قانون نزع الملكية للمصالح العامة زمن حكومة الانتداب وان لا يطبق قانون البينة المتبع فى تلك الاصول .

وفضلا عن هذا ان يعوض اللاجىء العائد الى اسرائيل عن كافة مخاسره كي يتمكن من استئناف حياته الجديدة العادية ضمن اسرائيل . ويعوض الذين

لا يعودون عن مثل هذه الخسائر فى اموالهم المنقولة التى فقدوها .

٢ ـ وأجبنا على السؤال الثاني : بموافقتنا مع اعلان الاسف والاحتجاج على تمديد مدة الاعاشة لستة اشهر اخرى نظراً لسوء حالة اللاجئين وحاجاتهم؟ ووجه الاسف اطالة مدة آلامهم اذ كان يجب ان يبت بمصيرهم منذ امد بعيد.

٣ ـ وجوابنا الثالث : اننا لا نوافق على تعليق قضية اللاجئين على الحدود والعكس بالعكس . وقلنا يجب ان يقرر مبدئياً عودة اللاجئين كما اسلفنا واذا ما تقرر ذلك فيجب ان لا تتأثر عودتهم فى بحث الحدود . اذ عند بحث الاخيرة يكون اللاجىء بالنتيجة تابعاً للحكم والسيادة التى يكون فيها بيته . فان كان فى المنطقة العربية فبها ، وان كان ضمن اسرائيل فلا حول ولا .

واظهرنا استعداد اللاجئين للرضوخ للسيادة التى قد تحكم عليهم الظروف ان يكونوا تحتها ويؤدوا كافة الواجبات التى عليهم شرط ان تضمن كافة حقوقهم كما اسلفنا .

٤ ـ وعلى السؤال الرابع: قلنا تعيين عدد اللاجئين الذين تقبلهم الدول المفاوضة امر خطر يضر بمصلحة اللاجئين ، فيجب ان تقبل اسرائيل بتطبيق قرار مجلس هيئة الامم القاضي بعودتهم وبتعويضهم والمؤرخ فى ٤٨/١٢/١١ ، ومن لا ترضيه العودة يجب ان تكفله الدول العربية ، على ان يترك له الخيار ان يقطن حيث شاء فى ربوعها .

٥ ـ بخصوص السؤال الاخير : وافقنا على ارسال اللجنة للاستقصاء شرط ان تعمل على تنفيذ رغبة اللاجئين وان لا تتحكم بمصيرهم بصورة استبدادية ، وان يعود لهم الامر فى قبول ما تقترحه اللجنة ان كان فى مصلحتهم ، وان ترفض ما تقترحه ان كان يمس تلك المصلحة .

٦ ـ وبخصوص الحدود قلنا : هذا لا نتعرض له ونتركه للوفود انما نقبل بالسلطة التي تكون علينا مهما كان نوعها .

وفي الخاتمة علقنا تعليقاً طويلا على الملاحظة القيمة التي عرضتها لجنة التوفيق في خاتمة استجوابها ، والتي تلفت نظر الدول المفاوضة للمساعدات المخصصة من قبل هيئة الامم لتقدم الشرق وتحسينه . وكانت خلاصة تعليقنا على ذلك ما يلي :

أ) تلفت نظر هيئة الامم سلفاً ان لا يكون تلميحها بتقديم المساعدات للدول المفاوضة طعماً لاغراء الحكومات المفاوضة على التهاون في حقوق اللاجئين وهضمها .

ب) تلفت نظر هيئة الامم ان اقرار السلام والتقدم والتحسن الذي تنشده في الشرق العربي لن يكون الا باقرار مبادىء العدل والانسانية والانصاف لتأمين حقوق اللاجئين .

ج) تلفت نظر هيئه الامم ان كل مساعدة تقدم لدول الشرق مع هضم حقوق اللاجئين ، ستكون حتماً سبيلا الى الاضطراب وعدم الأستقرار وايقاد الفتن ان عاجلا او آجلا .

د) تلفت نظر هيئة الامم على ان لا يكون توسع احدى الدول على نفقة اللاجئين وحسابهم .

اللاجئون يلمسون التآمر على مصالحهم

بنتيجة الابحاث الدائرة في لوزان ، لمس اللاجئون التآمر عليهم وعلى ديارهم ، وكأن الدول العربية واسرائيل والهيئة العليا والدول الاستعمارية المتمثلة في لجنة التوفيق وما وراءها جميعهم يعملون على القضاء على اللاجئين



رئيس الوفد الاسرائيلي السيد ايتان يتحدث مع رئيس الوفد المصري السيد عبد المنعم مصطفى في لوزان

وابادتهم واليك كل موقف على حدته : وهذا مما ورد فى تقرير رفضته فى حينه للدولة السعودية بواسطة سمو الامير منصور آل السعود وزير الدفاع للملكة السعودية فى مدينة افيان فى فرنسا .

١ — المصريون : صرح سعادة عبد المنعم بك مصطفى ممثل مصر فى قضية اللاجئين يقول : «ان مصر لا يهمها فى هذه المفاوضات الا نفسها . ومصير اللاجئين قد تعين من اللحظة التى ترك فيها الجيش المصرى يضرب وحده فى النقب . وان مصر ستقاتل عن مصالحها فقط بغض النظر عن العرب بأسرهم واللاجئين ومصيرهم» . واستطرد بقوله اكثر من مرة : «لا يهم مصر مصير اللاجئين ، وما قيمتهم بالنسبة لمصر والى سبعين مليون عربى ، ان ماتوا او

عاشوا على حد سواء والذى يهمنا فقط عرش مصر وشرف مصر. اما اللاجئون فما قيمتهم، نهر ان علا، اغرق اضعافهم، بركان ان ثار اهلك امثال امثالهم، الوباء فى مصر اهلك اكثر منهم، فمصر لا يهمها ما يؤول اليه مصيرهم. والمقابل الذى تريده مصر حل مشاكلها فى السودان والسويس مع الانكليز واخذ قروض اميركا واسلحتها.

٢ـ الاردن: يقول، هؤلاء ابنائى الاعزاء الاحياء لا افرّط بهم ولا اومن بوجوب عودتهم الى ذل اليهــود وسيطرتهم. لا بل عودتهم للمناطق اليهودية هي جناية كبرى، يجب ان يبقوا فى شرق الاردن والجزء الفلسطيني المنضم. وهناك نبني مدينة ودولة تعرف كيف تنتقم للعرب وتعتني بمسح العار عنهم وتسير كما يريد الانكليز.

٣ـ سوريا: تقول، يهمني مصير اللاجئين ولا ارغب فى اجراء صلح مع اسرائيل يؤمن عودتهم، بلاد الجزيرة واسعه فنرحب بهم، وستبقى علاقتنا مع اليهود على ما هى عليه حتى يزال هذا العار ونمسح هـذه السبة من صفحات التاريخ. اما فى الوقت الحاضر فلا يسعنا الا ان نشاركهم الالم ونشاطرهم الشقاء. وتتأثر سياسة سوريا احيانا باغراء اميركا، واحيانا اخرى بدس الانكليز، واحيانا بوحي القومية التى تظهر احيانا فى جو سوريا المتلبد.

٤ـ لبنان: تقول:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

افهم قضية اللاجئين، لا يمكنني البت فى مصيرهم ولا متسع بين ربوعي لايوائهم. فانا لله وإنا اليه راجعون.

٥ـ الهيئة العربية العليا: تبدي عكس ما تضمر، وتقول عكس ما تفعل،

وجاء مندوبوها بمذكراتهم يقولون بالاصرار بعودة اللاجئين الى ديارهم بغض النظر عن وجود اسرائيل. وتشير الى اعمال اليهود الاجرامية وعداونهم وتنتقد اعمالهم المنكرة وتستخلص من كل هذا ان المسبب والمسؤول عن هذه الجرائم هو بن غوريون واعوانه ، فتتهمهم باثارة الحرب والاجرام وتطلب محاكمتهم كمجرمي حرب واعادة اللاجئين الى ديار يحتلها هؤلاء .

والحقيقة ان الهيئة العربية العليا لا ترمي ولا تعمل على اعادة اللاجئين وحل قضيتهم ، لان فى ذلك قضاء مبرما على الهيئة ورجالها . فالذين سيعودون الى اسرائيل تتقلص عنهم السيادة المزعومة للهيئة العليا من جهة ، والذين سوف لا يعودون ويستقرون فى الدول العربية تتلاشى سيادة الهيئة عليهم ايضاً فيبقى المفتى وصحبه وحدهم فى الميدان ، لا وطن ولا شعب ولا قضية .

٦ ـ اسرائيل : كان جل اعتماد اليهود فى مفاوضات لوزان على ضعف العرب وانقسامهم وعلى نفوذ اسرائيل وسعة دعايتها وقوة اقناعها وبراعة خطتها الدولية فى كسب الموقف الى جانبها . وانتهزت فرصة ضعف اللاجئين وتشتتهم وانقسام كلمتهم واضطهاد العرب لهم . فأسقطتهم من الحساب واخرجتهم من الميدان .

وكان هدف اسرائيل التخلص من قرار هيئة الامم ٤٨/١٢/١١ القاضي بعودة اللاجئين ، وعدم اعتبارها ذلك القرار مقيداً لها . وانه لا يمكنها ان تقبل من اللاجئين الا نفراً محدوداً قدمت على سبيل المساومة مئة الف ، وحجتها فى ذلك ان احوالها الاقتصادية لا تمكنها ، وسلامة اسرائيل لا تبيح اعادة كافة اللاجئين .

وترغب اسرائيل ان تساوم على قضية اللاجئين بالوصول الى السلام مع

الدول العربية وذلك بالاعتراف بها والتبادل الدبلوماسي والاقتصادى بينها وبين الدول العربية . وترغب اسرائيل ان تجلس مباشرة مع الدول العربية لاقرار السلام والبتّ فى قضية اللاجئين . والدول العربية لا ترغب الجلوس مع اسرائيل ، لانها بدورها تتطلع الى مقابل بدل هذا الجلوس واللاجئين ليسوا بذلك المقابل الصحيح فى نظرهم .

واسرائيل ترغب فى اجراء السلام بالدرجة الاولى مع مصر لانها هى الدولة العربية ذات القيمة فى نظر اسرائيل والتى يمكن ان تشكل خطراً على اسرائيل ان ارادت يوماً ما فى المستقبل. وان كانت العلاقة حسنة بين اسرائيل والاردن . الا ان الانكليز لا يبقون الجو صافياً دوماً .

٧ ـ الاميركان : يهمهم اقرار السلام فى ربوع الشرق الادنى وهذا لا يتم الا بكفالة اسرائيل وتوطيد اركانها . لهذا ترى اميركا تبذل جهدها وتعمل ضغطها على الدول العربية للصلح مع اسرائيل وتعد هذه الدول بالمساعدات المالية للترفيه والتقدم وتحسين الحالة الاقتصادية وتعزيز قوى الدفاع المحلية . واسرائيل قلعة الاميركان فى الشرق لدعم سياستهم فيه. فاسرائيل فى نظرهم هى القوة الانشائية المعمرة وهي المدنية المتحفزة لانارة الشرق وانقاذه من خطر الشيوعية الزاحف .

وفى اسرائيل مركز المنافسة الداخلية بين صفوف الحلفاء، وانكلترا يمكنها ان تقوم بما تشاء فى الشرق، الا انها لا تعجز عن مقاومة او مجابهة الرغبة الاميركية التي احتضنت اسرائيل وتبنتها .

٨ ـ الانكليز : ابتعدوا عن لجنة التوفيق ولم يكن لهم فيها ممثل، ولكنهم يلعبون دورهم مع الدول الكبرى التى منها يتلقى اعضاء اللجنة توجيهاتهم . وفى

هيئة الامم سردت اللجنة للانكليز كلمة محترمة مسموعة ، وعلى الدول العربية السمع والطاعة لأرادتهم .

ففي اللحظة التي تؤمن فيها مصلحة بريطانيا فى مصر والاردن وسوريا ، ويتم البرنامج المعين لتشريد اهل فلسطين وقتلهم وابادتهم ، سيأمر الانكليز بارخاء الستار على هذه المأساة ويتم التوفيق بين العرب واليهود . ولكن الدور لم يتم بعد .

لجنة التوفيق مقصلة اللاجئين البطيئة :

بعد ان فرغت لجنة التوفيق من سماع وجهات النظر المختلفة ، جمعت الوفود وبلغتهم ارجاء المناوضات الى امير كا وصرحت بأن المقترحات والمذكرات المقدمة من جميع الوفود المفاوضة غير عملية وغير قابلة للتنفيذ. ونصحت الوفود باستشارة حكوماتها على ان تأتي الى امير كا بمقترحات منطقية معقولة قابلة للتوفيق .

القصد من لجنة التوفيق ولجانها العديدة ، وابحاثها البطيئة وتعويقها ، قتل الامة العربية الفلسطينية قتلا بطيئاً فنياً ، كما يقتل الاطباء المرضى تحت البنج على تخت التشريح .

وها هي اللجنة عادت من امير كا مرة اخرى الى جنيف ، وها هي تعلن العودة الى ربوع الشرق وما زالت كما كانت ، تمعن باللعب والاستهتار . ولو قيض الله للعرب ابطالا كابطال برنادوت لعلموا الامم كيف تكون عاقبة الاستهتار بمصير الشعوب .

وستبقى اللجنة تنسج على منوالها الى ان يقضي الله امراً كان مفعولا .

وفد اللاجئين يحادث الوفد اليهودي

رأى وفد اللاجئين الحالة المحزنة التى تسير فيها المفاوضات ، ولمس التآمر الدنيء الذى اجمعت عليه الدول السياسية لقتل اللاجئين وأحاط بموقف الجامعة العربية ودولها من اللاجئين وديارهم ، وسمع ادعاءات اليهود الكثيرة برغبتهم للتفاهم مع العرب ، واعتقد ان خير سبيل لوضع حـــد لآلام اللاجئين اجراء مفاوضات مباشرة مع اليهود .

واستناداً للصلاحيات المخولة لوفد اللاجئين من اللاجئين انفسهم ، والتى نصت صراحة على انه لا يحق لاحد ان يمثل اللاجئين الا وفدهم ، وان الحق لهذا الوفد ان يتصل مع كافة الهيئات الدولية لتأمين حقهم وتمثيل قضيتهم ، لهذا تقدم وفدنا لاجراء محادثات علنية رأساً مع الوفد اليهودى.

وكانت لنا مع الوفد اليهودى عدة اجتماعات ومفاوضات اطلعنا عليها ممثلي الدول العربيه فى حينها فى لوزان . وكتبنا خلاصتها الى مجلس اللاجئين العام وتبادلنا الكتب والرسائل مع بعض وزراء اسرائيل واوقفنا الوفود العربية منفردة ومجتمعة على كافة تلك الرسائل وتفاصيل الأحاديث التى دارت.

اجتماع اللاجئين مع بعض رجالات الوفـد اليهودى :

تقدمنا وطلبنا ان نجتمع مع الوفد اليهودى فكان لنا ما طلبنا ، وفى نفس اليوم لبى احد اركان الوفد اليهودي السيد الياهو ساسون دعوتنا واسرع لمقابلتنا وفى احدى زوايا مقهى «اوشي» فى لوزان ، اجتمع كاتب هـــذه الأسطر بالنيابة عن اللاجئين مع السيد ساسون بحضور مندوب الأهرام الى لوزان السيد البير عمون .

شرعت فى الحديث وخلاصته : «تعلمون تمثيلنا للاجئين وشرحت له كيف تم انتخابنا ، ومن نمثل ، وما هي مقررات مؤتمرنا ، وما هي الصلاحيات المخولة لنا ، وكيف اننا نرغب بأنفسنا ان نتوصل الى حل مشكلتنا والتفاهم مع جيراننا الذين لا مندوحة لاحدنا عن الآخر ان آجلا او عاجلا . »

وكان السيد «ساسون» مصغياً ، وكأني به يستعرض الماضي البعيد والقريب، ويأمل الحاضر، ويرقب المستقبل، ببصر الذكي اللامع وبصيرة السياسي الداهية المحنك، كيف لا وهو الركن الاساسى فى هيكل اسرائيل لشؤون العرب والاسلام فى الشرق . يعرف العربية كأحسن من الكثيرين من ابنائها ، شب وترعرع فى دمشق ، واشتغل فى الحركة العربية ايام جلالة المرحوم فيصل . وجمع الى ذكائه ودهائه الغيرة والحنكة وسعة الاضطلاع وعلم النفس فى شؤون الاجتماع ، يعرف العرب اكثر من العرب انفسهم .

وما كدت افرغ من قولي الا واستهل الحديث : «من انتم؟» (مع احترامي لشخصكم) وما قيمتكم ؟ وما وزنكم واثركم ؟ انسيتم انكم تحدثون اسرائيل الدولة الناشئة الفتية ؟ وهل غرب عن بالكم اننا اتينا هنا لنحادث الدول المعترف بها ؟ والتى لا بد لنا ان نعيش بين ظهرانيها آجلا او عاجلا . لا اخالكم تجهلون ان اسرائيل ككل دولة ، لا تجري حديثاً مع اى فرد او هيئة الا اذا كانت لها مصلحة وهناك فائدة من جراء ذلك الحديث . فما هي المصلحة او الفائدة التى تعود على اسرائيل من التحدث مع اللاجئين ومندوبيهم؟ هل باستطاعتكم ان تمنحوا السلام او تعلنوا الحرب ؟ هل بمقدوركم اعطاء اسرائيل امتيازات اقتصادية او حربية او تجارية فى دياركم؟ هل تطمع اسرائيل فى الاستيلاء على موانىء او مطارات او مواقع حربية فى دياركم ؟ كنتم فى الماضى

وكنا بجوار كم نتودد للتفاهم فرفضتم، واضطررنا لخوض غمار الحرب مجازفين بالنفس والنفيس حتى وصلنا الى ما نحن عليه وقامت دولتنا واعترف بها العالم، قل لي بربك ماذا كان مصيرنا لو قدر لكم النصر ولنا الخذلان؟ نعم نحن نشعر بوجوب العطف عليكم من ناحية انسانية. ولكننا لا نقدر ان نعمل لكم اكثر من الدول العربية التى تذرعتم بها واصغيتم لندائها، فهي افضل ان تعتني بمصيركم وتقطب جراحكم وتؤمن لكم الحياة والاستيطان فى اراضيها الواسعة وعلى ضفاف انهارها الخصبة، اما نحن فكاحدى دول الشرق الادنى ومن ناحية انسانية على استعداد للمساهمة. »

سمعت مالم اكن انتظر ورأيت مالم اتصور، وكأن نشوة النصر بلغت فى رأس صاحبنا ما يبلغ الخمر فى رأس الفتى الرنوي من الصهباء، فوقف ينشد الشباب والهوى والامل، ويتحدى الارض والسماء كأنه وحيد عصره وفلتة زمانه.

وفى تلك اللحظة لمعت فى خاطرى نصيحة الملك عبد الله يوم ان اتيته وبعض صحبي نطلب اليه ان يسمح لنا بالذهاب الى رودس لمحادثة الوفد اليهودى بالنيابة عن اللاجئين فقال: «يا بنيّ لا اريدكم موقف ذل مع هؤلاء ... هذه ديارى مفتوحة لكم، والشوكة التى تمس اللاجئين كأنها فى فوادى».

ولكن لا مفر لي من ان احمل ولا مندوحة لي الا الصبر، فقد يكون للسيد ساسون عذره والأمر ليس بيني وبينه ولو كان كذلك لكان من السهل ان نتقابل ومن الميسور ان نتصافى ولكن هي كارثة، والآلام والمصائب حبلت بها رؤوس الأفاعي والثعابين، وولدت وترعرعت حتى ازمنت وأصلت واستعصت وتعذّر حلها وسالت دماء الكثيرين فى طريقها. وسمعت وقرأت ان

دهاة السياسة يعود الفضل فى دهائهم لكبح عواطفهم وتحكيم عقولهم وعدم الثورة والغضب ، وهكذا جرّبت ان انحلى بما ليس بي ، وان اصبر على مضض ، وأبلع واجرع وأرد بما يشفي غليلي . ويثبت حديثي ويفتح ابواب المستقبل للمفاوضات لا غلقها وقطعها عند اول صدمة واقل اثارة .

ولست ادرى، هل هذا الداهية اليهودي قصد حكّتنا ولحصنا ليسبر غورنا ويعرف سعة تحملنا للضغط وقوتنا على كبح جماح النفس وتحكيم العقل على العاطفة .

وبينما كان صاحبي البير محدقاً صامتاً ، يتأمل فى شخصينا ويتفرس فى وجهينا ، وبعد دقائق من السكينة قلت : « كان من المنتظر ان اكون انا العصبي الثائر الناقم العاطفي وامثل الدور الذى تفضلتم به لانى لاجىء قد اغواني الجوع وأثارتني الآلام فتوترت اعصابي واختلت فخرجت عن العقل والاتزان ، ولكن ارى الامر بالعكس والفضل للنصر والله يأتيه من يشاء . وهكذا قدّر لنا ، فان كان اعضاء وفدكم صورة طبق الاصل عن شخصكم الكريم فلا سبيل الى التفاهم والتزاور ، فنحن سنعود الى من ارسلنا نبلغ الرسالة ، وان كان بين وفدكم من يخالف رأيكم هذا ، فالى اولئك نريد ان نتحدث ، فان وافقوا فأرجوا ان تتصلوا بنا والا فاشكركم بتنازلكم باللقاء . وقبل ان اودعكم ارجوا ان ابلغكم من نحن ... نحن ... قطاع طرق ، شذاذ آفاق ، لا فى العير ولا فى النفير ، لا وطن ولا دولة ، تماماً وضعنا كما كنتم قبل ان اخرجنا ، وكما انتم كذا كنا ، وكما نحن كذا ! ، تكونون والدهر ايام ودول ، ودوام الحال محال .

استأذنت بالانصراف ، وافترقنا على ان يبلغ حديثنا لاعضاء وفده .

اجتماع اللاجئين الثاني مع الوفد اليهودى

بعد بضعة ايام اتصل بنا الوفد اليهودى ، ورغب ان يلاقي اعضاء وفدنا لنتحدث فى قضيتنا . اجتمع ثلاثة منهم وهم المحامي عزيز شحاده ، والسيد زكي بركات ، وكاتب هذه السطور ، مع ثلاثة من اعضاء الوفد اليهودى وعلى رأسهم السيد ساسون .

تحدثت اولا فقلت : « تعلمون حقيقة وفدنا وتمثيله ومهمته ، ويهمنا جداً ان نلاقيكم . اما لجنة التوفيق واعضاء الوفود العربية فمن الميسور ان نجتمع بهم دوما كما سبق ان اجتمعنا ولقد اطلعت اخواني وفد اللاجئين على ما دار فى الاجتماع الاول بيني وبين السيد ساسون ولا شك عندى بأن صاحبكم اطلعكم على تفصيل ما دار بيننا ، وبنتيجة هذا الحديث التقينا اليوم لنستأنف البحث » . وقدمت لهم رفاقى .

تكلم اولنا وقال. « ارى ان الفرصة سانحة لان تتحدثوا وتتفاهموا معنا، لقد كنتم فيما مضى تدعوننا للتفاهم والجلوس معكم فلم يجرأ احد منا على ذلك خشية سيف الارهاب المسلط على رقاب جميع العرب فى فلسطين . وكان فى الماضي بيننا فريق معتدل لم يستطع ان يقف فى تيار المعارضة المتطرف الذى لا يريد ان يتفاهم مع اليهود بأى صورة من الصور . واليوم وقد زاد عدد المعتدلين لا سيما بعد ان رأوا كيف طوّح بهم تطرف المتطرفين فأوصلوهم الى هذه الكارثة . والآن الأمر بين ايديكم ان شئتم انصفتم انفسكم وانصفتمونا،وبذلك تكونون قد قضيتم على كل معارضة متطرفةوشجعتم عناصر السلام والتفاهم لتثبيت اقدامها وازديادها ، والا ان اعرضتم عن هذه الطبقة المعتدلة ، كان مصيرها حتما احد سبيلين اما ان تنقلب فتسير فى طليعة المتطرفين حفظاً لبقائها وتحولها

عن عقيدة ظهر لها خطأها، فتزرع بذور الحقد والبغضاء فى بوادى العرب، وتنشر الشقاق والنفاق فى ربوع الشرق الادنى، وتعمل على الاضطراب والفتن فى كل مناسبة.

ثم تكلم رفيقنا الثاني فقال: «يا قوم الا تخافون عاقبة هذا الظلم والطغيان، والله ان حديثكم لعجيب وتصرفكم لغريب، لم يروه التاريخ ولم يتفق لبشر، سمعنا بحروب وفتوح وانتصار واحتلال وفيها كلها حتى الجرمان الذين يتحدثون عن وحشيتهم وشدتهم وظلمهم، لم يرتكبوا ما ارتكبتم، احتلوا فرنسا ومعظم اوروبا فلم يشردوا اهلها، ولم ينهبوا املاكهم واموالهم. اما انتم فاعمالكم تخالف القانون والتاريخ، والعرف، والحق، والعدالة، والانصاف ... »

قاطعه السيد ساسون وقال: «بلا عدل ... بلا قانون ... بلا حق ... بلا انصاف، هذه كلمات لا معنى لها فى قاموسنا، فالحق للقوة .. فهي التي تقرر مصير الامم وتعين مقام الشعوب ... »

واشترك العموم فى احاديث فردية، كل يبحث مع الثاني فى نظرية وناحية تختلف عن ابحاث الآخرين .. وكثر القشاد وابتعدت وجهات النظر ... اليهود يعتمدون على الامر الواقع والحالة الراهنة ويقولون لا تفكروا فى الماضي، انظروا الحاضر فقط واعملوا للمستقبل ... ونحن على استعداد للتفاهم مع العرب عامة ... ولا سبيل لديكم الا حملهم والضغط على دولهم ان كنتم تريدون وضع حد لآلامكم، وذلك فى يد الدول العربية ان تفاهمت معنا وعملت على تحقيق السلام، عندها فقط تتضح اموركم وتستقر احوالكم وتنالون حقوقكم. اما انتم كلاجئين فنعطف عليكم كل العطف ولا نقدر على مساعدتكم وتخفيف آلامكم.

وبعد جدال طويل ، وحديث كثير قلنا : «يا قوم ما الذى حملنا على الجلوس هنا معكم والتحدث اليكم ؟ هو شعورنا بأن فى ذلك مصلحة لنا . وما الذى دعاكم لتلبية دعوتنا والجلوس معنا ؟ هو مصلحتكم . فهنالك مصالح متبادلة لكل منا . اما ما هى مصلحتنا فلا نخالكم الا وتعلمونها ، اما مصلحتكم فترى ان نؤكد لكم اننا على ثقة ويقين منها . انتم تبحثون عن السلام والاستقرار بعد ان فزتم بما كسبتم بنتيجة هذه المأساة. وترغبون ان تستقروا لتبنوا دولتكم وتنصرفوا الى شؤونكم المدنية والعمرانية لتقفوا كدولة لها شأنها بين الامم . وحجر العثرة فى سبيلكم هو اللاجئون . نحن معكم نقر ونعترف ان وجودهم ضرر على دولتكم ومستقبلكم ، سواء اكانوا فى داخل دولتكم او فى خارجها . ولا نريدكم الاَ ان تفرقوا بين اخف الضررين واهون الشرين ، اللاجئون اشبه شيء بالوحوش الكاسرة ان بقيت خارج ديارها محرومة منبوذة مهضومة الحقوق، ستبقى تتحين الفرص للانقضاض والاعتداء والاخلال بالأمن وسيبقون الى الأبد يتسللون ويطاردون ويطارَدون،ويقتلون ويُقتلون،وينهبون ويُنهبون، والحرب سجال والايام طويلة فلا يهدأ لكم بال ولا تطمئن لكم قلوب ، وان سمح لهم بالعودة الى ديارهم تكونوا قد ادخلتم هذه الوحوش الكاسرة ضمن اقفاصكم وتعهدتموها وروضتموها ، واذا ما احسنتم اليها كسبتموها واستقر امنكم وسلامكم وعشتم واياهم ابد الدهر بخير وصفاء . واننا نؤكد لكم ان كبارهم الذين تخافون سرعة انقلابهم وتبدلهم وتأثرهم بالدعاية والزعامة سوف لا يأتون من هذه الامور شيئاً لانهم اخذوا درساً قاسياً وعذبوا فى بلادالعرب وليسوا على استعداد بعد كل ما لاقوا فى غمرة لجوئهم. ان يعودوا الى غابر ايامهم وسالف سلوكهم. واما اولادهم وصغارهم فسيكونون رهن تربيتكم وطوع

عنايتكم وفى كلا الحالين السلام والاستقرار . وتصوروا الخطر الجاثم على حدود دولتكم ان بقوا محرومين وجراحهم حية وآلامهم ماثلة امامهم وامام ابنائهم ، يلعب بهم اعداؤكم ويجدون فيهم تربة خصبة لاثارة الفتن والقلاقل ضدكم . لا شك ان دولتكم تواجه خطرين لا مفر منهما : الاول اللاجئون فى خارج دياركم ، والنهضة العربية الحقة فى قلب الجزيرة المندفعة من صلب الامة العربية لا مأجورة ولا مدفوعة ، وهذه كامنة فى صدر العرب لا يعلم الا الله متى تبعث . وان بقي اللاجئون فى الخارج فسيكونوا اكبر حافز على نهضة العرب ويقظتهم ، وستكون تلك اليقظة مشحونة بالحقد والكراهية والثأر والانتقام، وقد يقول بعضكم لا مقام لهذه الصفات بين الامم والشعوب ونقول ان حل هذا القول على كافة الامم فلن يشذ عن ذلك الا نحن وانتم .

وانتهت الجلسة على ان يستشير الوفد حكومته ونلتقي فى مناسبة اخرى.

الوفد اليهودى يعود بعضه لاسرائيل ويعود :

غادر بعض رجالات الوفد اليهودى الى اسرائيل، وحمّلناه كتاباً مفصلا عن قضية اللاجئين الى وزير الدولة صديقنا السيد باخور شتريت ، وبعد ايام عاد ومعه رسالة طويلة معنونة لنا وموجهة للدول العربية قاطبة .

حملنا حديث الوفد اليهودى ورسالة الوزير الينا واجتمعنا بكافة الوفود العربية وبسطنا لهم ما اتفق لنا مع الوفد اليهودى واطلعناهم على رسالة السيد شتريت وجوابنا اليه ، وبحثنا مع الوفود العربية باسهاب كل ما جرى ودار .

اما الوفد اليهودى فأبلغنا على لسان مندوبه السيد ساسون ما كان لحديثنا من اثر حسن فى الوزارة الاسرائيلية وابلغنا ان حكومته بناء على محادثتنا اعلنت السماح للعائلات المجزأة من العرب فى فلسطين ان تعود الى ديارها ، وكان هذا

اظهاراً لحسن النية وحباً للتفاهم وقال علينا ان نتريث حتى نفرغ من مفاوضاتنا مع الدول العربية فان تعذر علينا الوصول الى اتفاق يؤمن حقوق اللاجئين عندها سنبحث معكم ونتكل على الله . وهكذا شعرنا انه لم يبق بيننا وبين الوفد اليهودى الا شعرة من الامل ، كلما شدوها ارخيناها وكلما ارخيناها شدوها ، لا يريدون قطعها وتركنا ولا نرغب فى هجرهم والانصراف عنهم . هم لهم مصلحة فى التفاهم معنا ، ونحن لنا مثل تلك المصلحة واكثر . ولكن كيف يكون السبيل للوصول الى ذلك التفاهم وهم فى بلبلة وحيرة ونحن فى شقاء وألم !

وكان اجمل ما فى كتاب السيد شتريت لنا ، قوله : «لا تفسحوا المجال لتأليف رواية موضوعها اماني اسرائيل واللاجئون ، ولا تتركوا المجال لخلق ممثلين جدد يلعب بهم المستعمرون لتمثيل هذه الرواية» . وقال : «كم كنا نرغب ان نحل مشكلة اللاجئين ولكن ذلك لا يمكن ان يكون مع اللاجئين انفسهم لتعذر اجتماعهم فى صعيد واحد واتفاقهم على هيئة واحدة . فلو فرضنا جدلا اننا اتفقنا واياكم على شيء فمن يضمن لنا نفاذ ذلك الشيء ؟ الا تعارضنا الهيئة العربية وحكومة فلسطين ؟ انسلم من الحكومات العربية ومن شايعها وبايعها وسار فى ركابها من رجالات فلسطين ؟ »

محاولة تقريب وجهات النظر بين الوفود:

ولما تضايقنا من المفاوضات والابحاث ، اردنا ان نحزم امرنا ونعود راجعين الى ديارنا . لهذا حاولنا جهدنا القيام بالمفاوضات والتوسط بين وفود الدول العربية والوفد اليهودى .

وكان الوفد اليهودى يتهافت مشتاقا للاجتماع المباشر مع وفود الدول العربية ، وكثيراً ما سمعنا ذلك منه ووجدنا فى قوله سداداً ورشداً ، حكمة

ومنطقا ، وقلنا للوفود العربية ان كان فى مثل هذا الاجتماع خير فلماذا لا يكون الاجتماع ؟ وطالما سبق ولبى العرب الدعوة الى لجنة التوفيق ، فلماذا لا يتبعون اقصر الطرق واقربها وهى المفاوضات المباشرة ؟ اما اتفاق او خلاف والعودة من حيث اتينا ! وهل فى اجتماع العرب واليهود مغبة او حرمة او خطيئة ؟

عرضنا هذه الاسئلة على الوفود العربية بكل صراحة وقوة وبيان ، لم نخش بالحق لومة لائم ، همنا الوصول الى نهاية او مستقر ، والبت فى امور واقعية ليس لنا من دونها مفر .

يا اسيادنا ... يا اخواننا ... يا حماتنا ... يا رجالات العرب ... وقعت الواقعة ، وحاق بنا القدر ، ونحن فى هذا المأزق ، وكل يوم يمر على اللاجئين كأنه سنة . اذا انتهت المفاوضات او انقطعت عاد كل منكم الى وطنه وبيته ينعم بين اهله وذويه ... ويبقى اللاجئون حيث حط بهم الزمان يتقلبون فى ظلام الكهوف واقفار البوادى ، يقاسون ألم النزع لا احياء يرزقون ولا اموات يرحمون . حسن جداً ان ساويتموهم بنفوسكم وشاطرتموهم الآلام والاحزان ، ولكنكم عنهم لاهون ، وهم وحدهم على مرأى من جموعكم يقضون . لو انصفتم لتعهدتم اولادهم وكفلتم معيشتهم ولا يكلفكم ذلك الا بعض التنظيم وصدق العزم وحسن النية . لو جبيتم بضعة ملات من مكلفيكم خصيصاً لاغاثتهم لكفيتموهم شر الجوع والتشرد . لو تساهلتم واحسنتم اليهم كما تحسنون للاجانب فى ديار كم ، لسبقوكم فى الصبر مراحل . ولكنكم ما فعلتم شيئاً من هذا ولستم على استعداد لتفعلوا ، لا ترحمون ولا تسمحون لمن يرحم ، ولا تريدون ان تحل رحمة السماء وقد انعدمت رحمة الارض !!

لم نكن لنرى جوابا معقولا من الوفود العربية الرسمية على سلوكها هذا ،

فبعضهم يقول هذه تعليمات حكومتي افندم ، وغيره يقول ان الله مع الصابرين ، وثالث يقول افهمكم واسلم بمنطقكم ولكن فى الوحدة قوة فيجب ان نبقى متكاتفين ، ورابعهم يقول لن نجتمع معهم ما دامت السماء سماء والارض ارضاً . والا نكى والامرّ ان المستشارين الفلسطينيين الملحقين بالوفود العربية الرسمية ووفد الهيئة العربية العليا يقولون : يا للعار ... يا للفضيحة ... يا للخيانة ... يا للاثم ... اتريدون ان تجالسوا اليهود ...؟ اترغبون محادثتهم رسمياً ؟ اما كفاكم خروجكم على المجموع ومحادثتهم بصورة خاصة ؟ وماذا جنيتم من محادثتهم الا اللعنة والنقمة والخيانة للامة العربية ؟

قلنا : يا قوم لو سلمنا جدلا معكم ان اليهود انجاس كفرة فجرة ، لا يجوز للمؤمن شرعاً ان يحادثهم او يجالسهم، ففيما تفسرون مفاوضتكم لهم وتزاحمكم على المفاوضة فى رودس والناقورة وجسر بنات يعقوب ؟ عندما كان الضرب على مدنكم ورعاياكم وجيوشكم اشفقتم وحاسبتم وتراكضتم حيث اجتمعتم ، ووسطتم، وفاوضتم، واتفقتم، وهادنتم، ووقعتم، وانسحبتم الى حيث انتم ؟ ولما انفردنا بالشقاء والآلام ، وانزلت علينا المصائب والويلات ، وجاع اولادنا واستبيحت اعراضنا ، واهينت كرامتنا ، وديست حياتنا ، وقفتم منا موقف الشامت المتفرج . وها انتم فى موقفكم لا تحيرون جواباً ولا تحركون ساكناً ؟ اما هيئتنا العربية فلو كان لديها العقل والحكمة لما اصبنا اصلا بهذه البلايا !!... ولو كان مستشاروكم من الفلسطينيين المنكوبين او اللاجئين او من الشاعرين بالمصيبة والالم ، لتبدل موقفكم وتغير سلوككم ؟

اننا لا نرى فى محادثة اليهود اثماً او حرجا ، فنحن كمسلمين نحترمهم وشرعهم ، مباح لنا معاشرتهم واكل ذبيحهم والتزاوج من بناتهم .

ثم قلنا يا قوم نحن لا ندعوكم لان تسلموا لليهود بمقدراتكم ومستقبل بلادكم، ولا ان تستسلموا لما يطلبون ويطمعون، نريدكم ان تجالسوهم للمفاوضة وانتم قد قبلتم مبدأ المفاوضة معهم. وجل ما نرجوه منكم ان تقصروا حبل المفاوضة، فان رأيتم منهم استعداداً وحسن نية فاستمروا والا فلا جناح عليكم ان اعرضتم وابتعدتم. وان كان هناك سبيل للاتفاق والوفاق كان فى ذلك خيرنا وخيركم وخيرهم، والا قطعنا الحبل وعدنا من حيث اتينا، وتركنا الامور تجري فى اعنتها ولا بد لكل بداية من نهاية.

ولكن عبثاً حاولنا اقناع الوفود العربية بذلك. وكم توسلنا الى لجنة التوفيق ان تقوم بمثل هذا فكان جوابها: «الافضل فى مثل هذا الوقت ان لا يكون هنالك اجتماعات مباشرة بين العرب واليهود، لتباعد شقة الخلاف بينهما ونخشى ان وفقنا الى جمعهم ان تنقطع المفاوضات وتبوء اعمالنا بالفشل.» وهكذا شعرنا بأن هذا التسويف والتطويل هو جزء من الرواية ومشهد من المأساة مصمم مقصود.

وبينما نرى الوفود العربية وحواشيها تعلن مجمعة على عدم مجالسة اليهود ومحادثتهم وتعيب علينا اننا جالسناهم وخاطبناهم علناً واطلعناهم على ما فعلنا، تراهم فى نفس الوقت يجالسون اليهود ويخاطبونهم وجهاً لوجه سراً فى لوزان وجنيف وباريس وديار العرب.

ـ غضب الاردن على وفد اللاجئين

بعد ان قطعنا شوطاً من المفاوضات فى لوزان ، وبعد محادثات عديدة مع مختلف الوفود واعضاء لجنة التوفيق وحواشيها ، رأينا هنالك عقبات جمة ستؤدي حتماً الى فشل المفاوضات منها :

١ ـ لجنة التوفيق نفسها لم تنصب كقاضي عدل يحكم بالقسط بين الاخصام . وفضلا عن ميولها السياسية تبعاً لاهداف دولها ، ترى ميولها لاحد الخصمين دون الآخر . العضو الاميركي يميل للتمسك بقرارات هيئة الامم ، والافرنسي لا هم له الا تدويل القدس ، والتركي لا يؤمن بعودة اللاجئين بل باستبدال السكان وكانت هذه الغايات والنيات تبدو وتختفي فى مناسبات ومناسبات .

٢ ـ الدول العربية : لم تبين غايتها وهدفها ونواياها عن الجزء الباقي من فلسطين ومصير اللاجئين. فمصر والاردن تتشاحنان وبينهما سوريا ولبنان تتذبذبان .

٣ ـ اسرائيل : تنهز الفرص فى هذه الاجواء للاستفادة من كل خلاف ونية وتدعي الاولوية ان لم يكن فى فلسطين كلها فأقل ما يمكن فى الجزء العربي الذى تحتله منها .

رأينا ان خير سبيل لمصلحة اللاجئين ، ان لا نقف مكتوفى الايدى تجاه هذه الصعوبات والعقبات ولا يضيرنا ان جربنا ان نتواسط لازالتها والتغلب عليها . وبعد مذاكرة ودرس وجدنا ان هناك قرارين هامين فى مصلحة

اللاجئين ما علينا الا ان نطالب بتنفيذهما ، وفى ذلك كل الخـــير لا سيما اذا احيلت قضية اللاجئين من لجنة التوفيق الى هيئة الامم ثانية وهما :

١ ـ قرار التقسيم ٢٩/١١/٤٧ القاضي بتأسيس دولتين فى فلسطين، عربية ويهودية وما يتبعه من تحفظات بشأن التدويل والممرات والتعاون الاقتصادى الخ.

٢ ـ قرار مجلس هيئة الامم بتاريخ ١٢/١١/٤٨ القاضي بعودة اللاجئين والتعويض عليهم .

فقلنا لم لا نطالب الوفود بتنفيذ هـذين القرارين واعلان استعدادهم لترك فلسطين لاهلها عرباً ويهوداً،فينظم كل منهما حياته ودولته وفق هذين القرارين . وما على الوفود العربية الا ان تتمســك بهما وتطالب بالتنفيذ لا التعديل ولا التغيير ولا الخروج او المقاومة ، وفى ذلك مصلحة اللاجئين الكلية. اولا يعود كل لاجيء الى بلده ويعوض عليه وثانياً تعين الحـدود بين اسرائيل والدولة العربية الفلسطينية كما عينها هيئة الامم ، ولا يكون هنالك مجال لتمسك اى فريق من الوفود فى تمزيق البلاد .

كانت لنا الجرأة الكافية لبحث هذا الموضوع مع الوفود ولجنة التوفيـق وعارضنا كل حل لا يؤمن عودة اللاجئين الى ديارهم . وبناء على تعليمات وردتنا من مجلس اللاجئين العام قدمنا معارضتنا الى لجنة التوفيق على الاقتراحات التي قدمتها الوفود لحل مشكلة اللاجئين . وطيرنا برقية باسم وفـود اللاجئين الى الرئيس «المستر ترومن» فى الوقت الذى زاره عضو لجنة التوفيق المستر بورتر قبل وضع نقاطه النهائية باسبوع .

علمت شرق الاردن بعملنا فغضب علينا جلالة الملك واوعز الى الحـاكم العام لفلسطين المداد حة باشا ، فجرد قواه العسكرية على مكـتب شؤون اللاجئين

فى ساعة مبكرة من النهار والناس نيام ، وطوقه واحتـــله وتغلب على ارادة اللاجئين وحجز كافة ما فيه من ادوات واوراق، وجمد الاموال خاصة اللاجئين واوقفت الحكومة الاردنية السماح بتحويل نقد لوفد اللاجئين لمتابعة عمله .

لم نبال بسرنا وقطعنا شوطاً بعيداً فى التوسط لتحقيق هذه النظرية. ووجدنا استعداداً وقبولا لدى بعض الوفود الرئيسية فى هذا الموضوع الامر الذى اغضب شرق الاردن واعطى مجالا للهيئة العربية لان تدس علينا . ولما كانت هذه الابحاث جد سرية لا ارى من المصلحة فى هذا الوقت وقضية فلسطين ما تزال تحت البحث ان اتوسع فى التفصيل .

ولكن اشهد الله وحده اننا لم نقم بما قمنا كراهية او حقداً ، ولا محبة او رغبـة ضد اى فريق ، او لمصلحة اى فريق ، بل كان رائدنا مصلحة اللاجئين انفسهم ليس الاً .

ومن حولنا طارت هذه النظرية حتى تبناها الشيوعيون فى فلسطين واخذوا يدافعون عنها فى نشراتهم وصحفهم ، ولم يسيروا بها للامام قدماً .

ولم نكتف ببحث هـذه النظرية بين الوفـود العربية ، بل كتبنا حـولها التقارير المفصلة ورفعناها لوزارات الخارجية لبعض الدول العربية لبحثها وتبنيها ووجدنا آذاناً صاغية ولكن عاد غراب البين ولحق اللاجئين فخرب عليهم عملهم وقطع الطريق . وهذا سر زيارة المفتي فى شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٩ للدولة السعودية .

انتهاء وفد اللاجئين من لوزان :

انتهت ابحاث لوزان فى شهر ايلول سنة ١٩٤٩ ، على ان تعود فتعقد جلسات لجنة التوفيق فى اميركا بالقرب من هيئة الامم . وقبل انتهاء لجنة

التوفيق كان قد عاد معظم وفود اللاجئين نظراً لطول المدة وكثرة النفقات . وكم كان يود اللاجئون متابعة السير فى اميركا لتمثيل قضيتهم لدى لجنة التوفيق وهيئة الامم والشعب الاميركي ، ولكن النفقات كثيرة وجيوب اللاجئين خاوية خالية . نهبهم اليهود وسرقهم بنك عموم فلسطين ، وحجزت الاردن دراهمهم ، واهملتهم الجامعة العربية ، واعلنت الهيئة العربية العليا الحرب عليهم ، لهذا كله عدنا الى بلاد العرب لابلاغ اللاجئين النتيجة ولتنظيم الصفوف ونعيد الكرة الى هيئة الامم . وهكذا عدنا بعضنا الى مصر والآخر لشرق الاردن وكاتب هذه السطور الى سوريا ولبنان .

نشاط اللاجئين بعد لوزان

عدنا فى اواسط شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٩ الى لبنان فوجدنا امامنا الحملات المنكرة والاتهامات الشنيعة من الهيئة العربية العليا ، نشرت على صفحات جريدة السياسة فى مصر واليوم فى لبنان ، وخلاصتها اننا كنا جواسيساً وعيوناً لليهود . سرقنا اوراق الوفود العربية وسلمناها لهم ، امضينا ووافقنا على بيع فلسطين لليهود ، وتنازلنا عن حقوق اللاجئين والعرب فى فلسطين ، والمتهمون ثلاثة : كاتب هذه السطور وكان رئيساً لوفد اللاجئين فى فلسطين والاردن ، والسيد شكرى التاجي عن اصحاب الاملاك والمصالح الحقيقية فى فلسطين، والسيد سعيد بيدس مندوب وفد اللاجئين فى لبنان ، ومقابل ذلك طوبت لنا دور وبيارات فى فلسطين .

اما فى مصر فاتصل بي شكرى بك التاجي واعلمني انه اقام قضية على جريدة السياسة يطلب فيها رد التهمة وعقاب الناشرين ودفع مبلغ عشرة آلاف جنيه كعطل وضرر من جراء تلك النشرة . فجاءت الجريدة المصرية كي تتخلص من هذه الورطة وافادت السلطات المصرية والمحكمة ان الذى زودها بالخبر وكتب النشرة الهيئة العليا . وغادرنا البلاد ولم يفصل فى القضية بعد .

اما فى لبنان فكان قدومنا اليها سبباً كافياً لدحض افتراءات الهيئة العربية العليا وتبديد اكاذيبها وزهق باطلها، فطفقنا نجوب اماكن اللاجئين ومخيماتهم نطلعهم على حقيقة ما جرى ، وعن اهمال الهيئة العربية العليا . واينما سرنا كانت اللعنات فى مختلف الجهات تنزل على الهيئة ورجالها. وهكذا سرعان ما انقشعت الغيوم وزالت حملات الزور والبهتان . واجتمعنا بلجان اللاجئين واتفقنا مع معظمهم وايدونا التأييد التام فى موقفنا ، حتى اللجنة التي خلقتها الهيئة العربية العليا فى لبنان وهي مؤلفة من ثمانية عشر عضواً ناصرنا معظمهم وعددهم اثنا عشر عضواً الامر الذى اقلق راحة الهيئة ولم تر سبيلا لتوطيد اقدامها الا ان تعود فتصرف لموظفيها كافة الرواتب المتأخرة لهم ، وان تضاعف عدد المجرمين والمأجورين من رجال الاغتيالات حولها . وكم حاولوا الاعتداء علينا ولكن الله حفظنا من شر هيئتنا .

زارنا من دمشق اعضاء لجان اللاجئين فى اواسط تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ ، وطلبوا الينا زيارة الشام ، فلبينا الدعوة . وفى دمشق عقدنا مؤتمراً للاجئين حضره اعيانهم وكبارهم من مختلف انحاء البلاد العربية ، فاستعرضنا ما كان من امر المفاوضات واجمع المؤتمرون على مناصرتنا وتأييدنا وتوحيد صفوفنا واتخذت القرارات التالية :

أ) الدعوة الى مؤتمر عام يعقد فى بيروت يوم ٤٩/١٢/١٠ بحضره مندوبان عن كل قطر عربي من اللاجئين .

ب) مواصلة العمل فى سبيل قضية اللاجئين الى اميركا .

ج) اعلن المؤتمرون ان لا هيئة يجوز لها تمثيل اللاجئين امام كافة الهيئات السياسية والدولية الا وفود اللاجئين ومجالسهم بأنفسهم .

د) اعلن اللاجئون عن رفضهم كل حلّ يقصيهم عن العودة الى ديارهم .

ه) انتقد اللاجئون تقرير السيد كلاب القاضي بتشغيلهم لمصلحة غيرهم .

اعلنت مقررات المؤتمر فجنّت الهيئـــة العربية العليا وتنشط زبانيتها فى الدس والكيد والاخبار والتحريض بواسطة اعوانهم من رجال الامن فى سوريا، وكان لحملتهم اثرها . وفى اليوم الثاني جاء رجال الامن السورى واوقفوني للاستجواب . وفى سوريا فى دوائر امنها شباب من العرب يتوقدون غيرة وحماساً لابناء فلسطين ، فما سمعوني انحدث بينهم بكل جرأة وصراحة وقوة عن اعمال العرب عامة فى فلسطين والمفتي والهيئة العربية بصورة خاصة، الا وانقلبوا ساخطين ناقمين على هؤلاء وطلبوا مني أن ادون لهم فى مذكرة خلاصة الاجوبة التي سألوني عنها . فكتبت تقريراً مفصلا عن نكبة فلسطين ودسائس المفتى وموقف جلالة الملك عبد الله ومؤتمر اللاجئين وابحاث لوزان واجتماعنا مع اليهود ، وقصدنا من اجتماعات اللاجئين اليوم ، ومن المؤتمر العام الذى ننوي عقده فى لبنان . وما كاد رجال الامن يطلعون على تفاصيل التقرير الا وجاءوا يعتذرون عن اساءتهم لي وللاجئين وسلموني اوراق سفري واعطوني الحرية لان اتجول حيث اشاء واجتمع مع من ارغب واعمل بين اخواني لمصلحتهم . وبعد ايام قضيتها فى سوريا بين اللاجئين عدت الى لبنان .

وفى يوم ٨/١٢/٤٩ قبل انعقاد المؤتمر الذى دعونا اليه بيومين ، جاءت السلطات اللبنانية ومنعت اللاجئين من عقد الاجتماع ، واخذت مني ومن بعض اللجان الداعية لهذا الاجتماع توقيعاً على تبليغنا امر المنع .

حاولنا عبثاً بعد اتصالنا برجال الامن ووزارة الخارجية لنحول دون هذا المنع ، فكان الجواب ان حكومة لبنان لا يمكنها ان تسمح بانعقاد مثل هذا الاجتماع فى ديارها لان بعض الحكومات العربية لا ترغب بذلك ، ولم تعين تلك الحكومة .

وجاء وفد عن اللاجئين فى فلسطين والاردن يطلب الينا العودة لعقد مثل هذا المؤتمر فى فلسطين العربية . ورأى المجتمعون ان حريتهم لا تؤمن فى الاردن ولا يمكن ان يتم ما يريدون الا فى بلد محايد خشية ان يكون اللاجئون تحت تأثير السلطات المحلية .

العودة الى فلسطين:

سُدت فى وجهي كافة السبل ، ولم استطع العمل فى اى بلد عربي لمصلحة اخواني اللاجئين. وجدت الاقامة عبثاً بين اللاجئين فى اقطار العالم العربي ولكل بلد اطماعه الخاصة باللاجئين وديارهم ، وكل بلد تطمع فى الشباب الفلسطيني ان يعمل لحسابها. هنا وقفت محتاراً... أأعود لمصر وفيها عائلتى واقاربي... ومصر فيها قيادة الدجل والباطل ، الهيئة العربية العليا وحكومة عموم فلسطين .. والمصريون يريدون تسخير القوى الفلسطينية لمصالحهم ولا يهمهم اللاجئون ومصيرهم ... أأعود للاردن ... وهى اكثر البلدان طمعاً فى هضم اللاجئين واستيعابهم ... وهل باستطاعتى ان احول دون اطماع البيكاوات والباشوات فيها .. وهل اسلم من الانكليز وكيدهم وقد فضحت امرهم .. أأعود لسوريا ..

وسوريا لا تريد سلماً ولا حرباً وترغب فى دفن اللاجئين فى الجزيرة والكيد ضد جلالة الملك عبدالله ؟... او ابقى فى لبنان وقد منعت واخواني من العمل فى سبيل قضية اللاجئين ... وبقائي فيها سيؤدى حتما لارتكاب جرم منى او عليّ ...! احترت فى امرى أأذهب للدولة السعودية ... وسبق ان كلفت من قبل سمو الامير منصور وزير دفاعها ، لاعمل فى ربوعها ... ايجوز لي ان اذهب لانتحي العمل جانباً واترك اللاجئين الذين وثقوا بى ...؟

فكرت كثيراً ثم قبلت اقتراح اليهود عليّ فى لوزان بالعودة الى اسرائيل، بلدى ومسقط رأسي ، فأعمل بين البقية الباقية فيها لخير المقيمين واللاجئين جهد استطاعتى ، واسعى لتحقيق السلام فى ارض السلام . وهكذا عدت لاسرائيل فى يوم ٤٩/١٢/١٠ ، عدت وانا اردد فى نفسي قول الشاعر :

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهند

الشرق الادنى

مراحل النزاع

موقف العرب واليهود بالامس – موقفهم اليوم – وغموض المستقبل

مطامع فاشلة

منذ فجر الحركة العربية بثورة شريف مكة ، الملك حسين بن علي ، على الدولة العثمانية ، حتى اليوم ، جرت عدة معارك ، اصطدم فيها العرب بالصهيونية وكان نصيبهم الفشل :

خذل العرب فى الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ ، يوم ان خدعهم الانكليز وقطعوا وعد بلفور لليهود فى الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ، ضاربين فى وعودهم السابقة التى اعطوها للعرب بواسطة اللورد كتشنر فى ٣١ تشرين الاول سنة ١٩١٤ عرض الحائط .

وخذل العرب فى مؤتمر السلام في باريس ، وفى ميثاق عصبة الامم الذى اذيع فى شباط سنة ١٩١٩ – حيث ادرج وعد بلفور فى صك الانتداب على فلسطين ووافقت عصبة الامم على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود .

وخذل العرب فى كافة مراحل الانتداب على فلسطين منذ تعين هربرت صموئيل مندوباً «سامياً» على فلسطين لادارة الوطن القومي حتى رحيل آخر مندوب سامي عنها يوم ٤٨/٥/١٥ – اذ كانت سياسة دولة الانتداب تقوم على

تعهدها فى صك الانتداب فى وضع البلاد تحت ظروف سياسية واقتصادية تساعد على انشاء الوطن القومي .

وخذل العرب يوم ان اعلنت جامعتهم ودولهم وعصاباتهم وجيوشهم اجتياح فلسطين وقهر الصهيونية والقضاء على اليهود فى عقر بيوتهم على اثر قرار التقسيم فى ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ .

وخذل العرب فى اواسط سنة ٤٨ يوم ان ارغموا دولة اثر دولة على التعاون مع اسرائيل والتسابق للتفاوض معها فى رودس وعلى الحدود وحملوا على الخضوع الى قرارات هيئة الامم بتوقيف القتال وقبول الدعوة الى لجنة التوفيق الفلسطينية واحالة قضية فلسطين من فتح وتحرير واستقلال وعزة الى تراجع واستعباد وذل وتشرد ولجوء واعانات واغاثات من صليب وهلال، من يونسف وكويكوز وكلاب .

العرب واليهود بتاريخه

انسلخت فلسطين عن الامبراطورية العثمانية - ووقعت تحت الانتداب البريطاني - وجاء الانتداب ينقض بعضه بعضاً يتعهد بانشاء الوطن القومي اليهودى والمحافظة على سكان البلاد الاصليين - فاليهود يريدون دولة يهودية - ويسعون لتحقيقها بفتح ابواب الهجرة وشراء الاراضي .

والعرب من الجهة الاخرى كانوا يفسرون المحافظة على حقهم بغلق ابواب الهجرة وتقييد بيع الاراضي وتشكيل دولة مستقلة بحكومة من اهل البلاد الشرعيين اي اعطائهم الحق الديمقراطي الطبيعي فى حكم انفسهم بأنفسهم فى مسقط رؤوسهم وموطن اجدادهم .

ولذلك كان العرب يعارضون ويرفضون كل حـل لقضية فلسطين يعطي اليهود حق انشاء مجتمع قومي سياسي ذى سيادة فى بقعة من فلسطين . وبالنتيجة يرفضون اى مشروع لتقسيم فلسطين ـ ولا يعترفون الا بحقهم فى تأسيس مجتمع سياسي يمثلهم وكافة اليهود الذين دفعت بهم الهجرة بعد الانتـــداب ودخلوا البلاد دون موافقة اهلها الشرعيين لا حق لهم فى الاشتراك فى الدولة الفلسطينية. وبذلك تكون الاكثرية العربية فى فلســـطين هى صاحبة السيادة فيها داخلياً وخارجياً ، واليهود الاصليون من السكان رعايا محترومو الحقوق والواجبات من كافة الوجوه السياسية والدينية والاجتماعية دون تفرقة بينهم وبين سائر ابناء الدولة . وبذلك يقضى على الوطن اليهودى قضاء مبرماً نهائياً .

السياسة العربية الحالية

هذا ما كان بالامس يوم كانت فلسطين وكان اهلها العرب فيها وقبل الرحيل والتشرد وقبل الحرب والدمار والخراب ، وقبل ان قامت اسرائيل واصبحت ذات سيادة تملك جيشها وعلمها وتمثيلها الخارجي والداخلي ومركزها بين سائر الشعوب وفى احضان هيئة الامم .

أ) المذهب الاول : وهو مذهب العرب المتطرفة ـ

منهم الاخوان المسلمون ، والبعثيون وهم فريق من الشباب يعمـل لبعث الحضارة والسيادة العربية ، وكثير من شباب فلسطين المثقفين الذين يرون فى اخراجهم من ديارهم بالصورة التى اخرجوا فيها ـ شكلا ابشع ما عرف التاريخ من ظلم واستبداد ووحشية وهمجية لن يمحو اثرها من نفوسهم واحفادهم الا الثأر والانتقام ، والقوميون العرب فى مختلف اقطارهم .

وسياسة هؤلاء حرب دائمة ـ اذ يعتبرون قضية فلسطين ليست قضية عربها فحسب بل هي قضية البلدان العربية بأجمعها.

ويرون ان الصهيونية هي وليدة وربيبة الاستعمار فى بلاد العرب وباقامة دولة اسرائيل رسخت اقدام الاستعمار فى بلادهم ، وكما اقام اسرائيل بالامس سيبقى محتضنها حتى النهاية ، ليحميها من جاراتها العربيات . وهكذا فى قلب العالم العربي، الذى هو فلسطين، سيستقر الاستعمار على بعد يسير من عواصم البلدان العربية يهدد حرية الشاميين واللبنانيين والمصريين والعراقيين والعرب اجمعين... فلا جلاء ... ولا استقلال ...

ويرى هؤلاء ان اسرائيل غير قانعة بما نالت من ارض وسيادة بل ساعية كما يدينونها بأقوال خطبائها وقوادها وزعمائها ، للتوسع فى بلاد العرب كلما سنحت الفرصه للقضاء على حريتهم وحضارتهم واستعبادهم فى عقر دارهم .

ويرون ان حربهم مع اسرائيل ليست بالحرب الدينية ولا العنصرية فما وجبت محاربتهم لانهم يهود او من عنصر آخر غير العنصر العربي، ولا بقصد الاعتداء والسلب والاستعمار والتلذذ بالغلبة ، بل هي حرب الدفاع عن النفس والوطن ، هي حرب المحافظة على المستقبل القومي والسياسي ـ محافظة على الفلاح وارضه ، والتاجر وربحه ، والعامل وعمله . وهؤلاء لا يضمرون لليهود كراهية لانهم يهود ، بل ولو جاء غيرهم بالبرنامج الذى جاءت به الصهيونية وكانوا مؤيدين برسالة من رب السماء للقضاء عليهم لحاربوهم بكل ما أتوا من قوة حرصاً على مستقبلهم وحريتهم .

ويرون فى النزاع القائم بين العرب واليهود حرباً متمادية مستمرة. وليست كغيرها من الحروب تقع بين دولتين وتنقضي بتغلب الواحدة على الاخرى ،

ولا بخصام على منفعة تريد احداهما احتكارها دون غيرها ، لو كان ذلك لامكن التعويض ماديا ومعنويا ، وسهل على هيئة الامم بتداخلها حل الخلاف واحلال الوئام والسلام محل التدابر والتناحر . انما يرون فى هذا النزاع قضية التنافس بين الشرق والغرب ، قضية النزاع بين المبادىء الاسلامية والتقاليد العربية ، وبين الثقافة الاوروبية المختلطة التى تمثل فى سكناج اليهود من المانيين وبولونيين واميركيين وافرنسيين ، والغربية فى جوهرها وذاتها عن ثقافة اليهود السفارديم القريبة للعرب وذوقهم وفهمهم . يرون فى هذا التناحر قضية الحرية المتحفزة فى نفوس الشعوب والامم لخلع نير الاستعمار وتقرير المصير بالشكل الذى يرغبونه دون تدخل اجنبي ودون تدخل امر وسيطرة وقـــوة . يرون فى هذا الصراع تطاحن قوتين عالميتين لهما اثرهما فى حيز الوجود العالمي . احـداهما قوة اليهودية العالمية يسندها المال ، والعلم ، والتنظيم ، والاخلاص ، والمراكز الهامة الممتازة التى اكتسبوها بفضل انتشارهم بين الشعوب والدول ، والسيطرة والنفوذ الذى يتمتعون فيه بالاوساط النيابية الاميركية بفضل اثرهم الفعال فى الانتخابات. وبين العالم العربي وتسنده المواقع الجغرافية والاستراتيجية فى مختلف انحاء الدول العربية المترامية الاطراف ، وثروة البلاد الطبيعية من كنوز ومعادن تتفجر من قلب الارض ، وحضارة قائمة بذاتها قوية فى جوهرها ، سليمة فى عقيدتها، عملية فى تنفيذها ، كان لها الفضل الاكبر فى تألق نجوم العرب فى الماضي واليها سيعود الفضل فى اشراق شمسهم بعد غيابها عن العالم حينا من الدهر .

يرون فى الحرب القائمة بين العرب واليهود حربا صليبية ثانيه طويلة الامد. كثيرة الفصول والمشاهد ، لا حربا مقتصرة على صراع الجنود فى الميادين والمعامع ، هي جهاد مستمر بين فكرتين وعقيدتين وثقافتين وحضارتين تصطدمان

منذ القدم فى الديار المقدسة وسرعان ما تعود شمس الشرق تقطب الجراح وتكسو البشرية المتعاركة ثوبها الشرقي القشيب فتختار الغرس الملائم لتربة الارض وجوها فينمو ويتكاثر اما الفسائل الدخيلة والاشتال الغريبة والاشجار التى ليس باستطاعتها هضم تربة هذا الوطن ، والانتفاع بمائه وهوائه ، والتى لا تقوى على تحمل اعاصيره وخماسينه وشراقيه وحرارة انفاسه ، وان عاشت وازدهرت فالى حين ، ولا بد للطبع ان يغلب التطبع ، ولا بد من رجوع الاشياء الى اصولها .

ب) المذهب الثاني : العرب المعتدلة ـ

لم يترك اليهود فرصة منذ ابتداء الانتداب على فلسطين حتى انقضائه ، الا واعربوا عن حسن نيتهم ، وطيب سريرتهم ، ونيل اهدافهم ، ومشروعية اعمالهم ، وعدالة مطالبهم ، وكلها على اختلافها تتلخص فيما يلي :

١ ـ لم شعث اليهود المبعثرين فى انحاء العالم والذين قاسوا الأمرين من الاضطهاد والاستعباد فى مختلف انحاء الارض قبل نشوء النازية وحشدهم فى فلسطين لايجاد وطن لهم فيها يكون امينا آمنا ، هادئا ، ناعما .

٢ ـ تعمير فلسطين وتحسينها من جهات عدة ، اقتصادية وزراعية وصناعية وثقافية ، حتى تعود بالهناء والرخاء ، لكافة القاطنين والمواطنين .

٣ ـ التعاون مع سكان البلاد الأصليين والمحافظة على حقوقهم ومستقبلهم فى هذا المجتمع الحديث دون اية تفرقة بين دين وجنس ولون .

٤ ـ وكانت الصهيونية دوما تكذب فكرة الاحتلال والاستعمار واجلاء سكان البلاد الاصليين وتشريدهم وابادتهم والسيطرة على ديارهم ونفوسهم والقضاء على معتقداتهم وثقافتهم وتراثهم واستيعابهم ودمجهم فى الكيان اليهودى

بشكل يهضم مع الزمن معالم وجودهم وآثار انفرادهم .

٥ ـ وكانت الصهيونية دوماً تزعم ان هذه البلاد فيها المتسع الكافي والمجال الحيوي الوافي ، لفتح ابوابها على مصراعيها ، للهجرة اليهودية الواسعة، اذ مهما دخل هذه الديار من الوف اليهود فما زال فيها متسع لاضعاف اضعاف سكانها الاصليين من العرب ، لا سيما اذا ادخلت وسائل الانتاج الحديثة من زراعية وصناعية التي ستجعل من الصحارى والبرارى ، والصخور والمعاصي ، اراض تدر لبناً وعسلا وتعود على كافة السكان بالبركات والطيبات .

٦ ـ وكانت الصهيونية دوماً تتقرب الى العرب من ناحية النسب والثقافة والحضارة وتزعم ان اليهود من شجرة شرقية مباركة ، جذعها سامي ، ومن اكبر فروعها العرب والعبريون،وان الصلة وثيقة برجوعهم الى اكرم بيوت العرب نسباً الى الجد الاكبر سيدنا ابراهيم خليل رب العالمين . اما الثقافة فالعرب لم يكونوا قبل الشريعة المحمدية السمحاء شيئاً مذكوراً والى هذا الدين الحنيف تعود حضارة العرب وفتوحهم ومدنيتهم التي عمت الشرق والغرب ، وترتكز هذه الحضارة على نفس المبادىء والسنن التي بنيت عليها الشريعة الموسوية وقامت عليها حضارة اليهود في عصورهم الذهبية . فاللاسامية يتعذر وجودها في ديار الساميين ، واسباب الوفاق والاتفاق موفورة من حيث الاصل لا يعكر جوها ، ولا يكدر علاقتها ، الا الاستعمار ، واصحاب المصالح في استغلال العرب واليهود .

٧ ـ وتزعم الصهيونية ان في انتعاشها وحريتها واستقلالها ، حرية العرب واستقلالهم ، لانها ستكون عاملا فعالا لانقاذهم من نير الاستعمار ومن كابوس الجهل ، بفضل ما تحمله للعرب من مبادىء، وعلوم، وفنون، وصناعة، وزراعة،

وفلسفة جديدة للحياة تكفل حرية الفرد وسعادته واستقلال المجتمع ورفاهه.

ولم يترك العرب المتطرفة سبيلا الا وسدوه في وجه الصهيونية ، ولا تهمة الا وألصقوها بهم ، ولا لعنة الا وصبوها على رؤوس مشايعيهم وانصارهم ، حتى المتساهلين والمعتدلين فى الحكم عليهم ، والخلاصة هم يرون بالصهيونية الخطر الداهم ، والداء الدفين ، والعدو اللدود الذى سيقضي على العرب وحضارتهم وعقائدهم ومجتمعهم . ويرون فى الاستعمار على انواعه اخطاراً بسيطة ان قيست بأخطار الصهيونية – هم يقولون الاستعمار يستغل البلاد ، ويحافظ على سكانها لاستغلالهم واستعبادهم ، ولكن الصهيونية تستغل البلاد والعباد وهمها ابادة السكان ودك معتقداتهم ومحو آثارها واحلال غيرهم محلهم من اليهود بوجودهم ومعتقداتهم ولغتهم على انقاض العروبة وفوق اجداث امجادها .

وهنالك فريق من العرب ذوو ثقافة طيبة ، سمعوا نداء الصهيونية ، واصغوا الى اقوال العرب المتطرفة ، ورافقوا النزاع القائم فوق ربوع الديار المقدسة ، من ثورة سنة ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ حتى ٤٧ – ٤٨ . فرأوا :

ان سير الفريقين على خطين متوازيين لا ينتفع منها الا اصحاب سياسة فرّق تسد ، من المستعمرين والمصطادين بالماء العكر . اولئك القوم الذين لا يعيشون الا على القلاقل والفتن ولا ترسخ اقدامهم الا فى بلاد الغباوة والجهل ، فتراهم يشايعون هذا ويساعدون ذاك ضد بعضهما ، صيفاً وشتاء على سطح واحد ، تارة يحملون العرب على اليهود واخرى اليهود على العرب ، ليرضخ كل فريق لمقاصدهم وتخنع كل طائفة اليهم ، فيرى العرب فيهم الصديق الحامي ويرى اليهود فيهم الخل الوفي ، فيعود العرب لا غنى لهم عنهم ويعتقد اليهود ان لا حياة لهم بالا بتعاد منهم وهكذا تتم لهم السيطرة على كل فريق ، على اهون سبيل.

ورأوا فى الصهيونية غير رأي العرب المتطرفة ـ لم يصدقوا الصهيونية بما زعمت ولم يستغرقوا فى التشاؤم استغراق المتطرفة ـ ولم يقولوا ان قضية فلسطين اعقد من ذنب الضب لا يمكن حلها الا مع الايام ، وفى النهاية بحد السيف والقضاء المبرم على احد الفريقين ، قضاء لا تقوم بعده قائمة .

رأوا ان هنالك سبيلا للتفاهم على تقرير المصير ـ ولكن دونه عقبات جمة لا بد من تذليلها تدريجياً مع الزمن ، متبعين الترتيب الاولى فالاولى ، الى ان تذلل الصعاب وتسنح الفرصة ولكل اجل كتاب .

عاد هؤلاء الى التاريخ فوجدوا ان العصر الذهبي فى بغداد والشام والاندلس قد ساهم فيه اليهود بقسط وافر فى مختلف نواحي الحضارة العربية ، ففادوا واستفادوا ، اخلصوا واخلص لهم ، ايدوا العرب فأعزّوهم وعاشوا عيشة راضية باذخة ، عيشة الاحرار ، كلها رغد وكرامة .

عاد هؤلاء الى التاريخ ورأوا ان منذ اخذ نجم العرب بالافول اخذت حرية اليهود تتقلص وكراهتهم تعم الشعوب والامم . وباتوا فى كل بقعة حلوها رغم مركزهم العلمى والاقتصادى مضطهدين مهددين ، مكروهين منبوذين .

عاد هؤلاء الى العرب فوجدوهم رغم اتساع رقاعهم ، وكثرة تعدادهم ، وثروة بلادهم ، وتراث آبائهم ، غنيمة باردة ، وفريسة سهلة هدف كل فاتح ، ومطمع كل غاز . فشمال افريقيا مسرح للطليان والافرنسيين وقلب الجزيرة واطرافها مستقر للاميركان والانكليز ـ وفى مراكز العالم العربى فى عواصمه وحواضره اقاموا عائلات من العرب سخروا ابناءها لخدمة مآربهم والوصول الى مقاصدهم . فكان من ذلك امارات وقبائل، ممالك ودول ، اعلام وحدود، برلمانات وبرلمانات ، ملوك وامراء ، ثورات وانقلابات ، اغتيالات وعصابات.

اقضّت مضاجع العالم العربي وذهبت بريحه وحالت دون تقدمه وازدهاره.

استعرض هؤلاء العالم العربي فوجدوا نفوساً تشرئب للحرية والاستقلال، ووجدوا تقاليد وشرائع هي جوهر الحضارة وزبدة المدنيات، خنقها التعصب الاعمى، وقضى عليها الجهل الضارب فى الآفاق، ووجدوا بلاداً ثرية غنية، ذات مواقع تجارية وحربية، ومنافع اقتصادية وزراعية، وكنوز وفيرة دفينة، ووجدوا افراداً وجماعات حبتها الطبيعة بجمال فطري، لا يعوزها الا الصهر والصقل، فتنطلق من كنانة الزمن، سهاماً حادة، تنفذ سريعة الى افق الانسانية، حاملة مشاعل الهدى والنور، الى هذا العالم الحائر المتخبط.

ورأوا اليهود اليوم، وقد اختلطوا مع كافة امم الارض وشعوبها، واقتبسوا من المدنيات والحضارات، شرقية وغربية ما جعلهم فى طليعة الشعوب ومقدمة الامم، علماء اثرياء، لهم اثرهم فى كل حقل، ولهم وزنهم فى كل دولة، ان احبوا رفعوا، وان كرهوا اسقطوا.

والى جانب العرب واليهود وجدوا العالم مقسما الى معسكرين، الواحد للاخر بالمرصاد، هذا يميني وذاك يساري، وحضارة كلاهما تقوم على المادة والقوة، وان تلاقتا كان الدمار والخراب، كانت الهمجية والبربرية، كانت المصائب والويلات. والشرق حجر الزاوية، ومهد الحضارة الروحية، ومستقر المبادىء السامية، ومهبط الوحي، رسول العدل والحق الى عالم الذرة والدمار.

وجدوا حاجة ملحة الى بعث حضارة واقامة فكرة، لا يمينية ولا يسارية، — فوق المادة والقوة — واين مستقرها؟ ومن رسلها؟ وجدوا المستقر فى الشرائع الروحانية السماوية، ومستقرها الشرق، ورسلها ما زالوا يتمخض عنهم الزمن ولا بد ان يتولدوا من هذا العراك القائم بين العرب واليهود، فهم مواليد هاتين

الامتين - ولن يكتب لأى منهما النجاح والفلاح الا اذا اجتمعتا وتفاهمتا وتعاونتا .

ان تمّ التعاون والاجتماع كانت قوة ثالثة جمعت ذكاء الشرق بذكاء الغرب جمعت العلم والمال ، الى البلاد الواسعة والكنوز الدفينة ، جمعت ابناء الجامعات الحديثة بأبناء الجامعات القديمة ، جمعت مكانة اليهود العالمية بكثرة العرب وعددهم وعديدهم ، جمعت النفوس المضطهدة بعضها الى بعض ، فتتولد تلك القوة المعنوية الخارقة التى ستقوض حصون الاستعمار فى بلاد العرب، وتضرب اعناق العتاة الظالمين من قادة الاضطهاد وطغاة الاستعباد فى شتى اقطار الارض.

يرون ان فى بلاد العرب متسعاً لكثيرين ان كانوا يرومون الخير والسعادة والحرية والمساواة - فان كانت اليهودية العالمية ترى حريتها باللجوء الى العرب، وكان العرب يتطلعون لحريتهم بالتعاون مع اليهود - كانت هنالك البركة فى البلاد والشعوب .

ويرون فى سبيل الصلح بين العرب واليهود اليوم ، تقوم عقبات . العرب يعزونها الى تعنت اليهود ، واليهود ينسبونها الى تصلب العرب . والحقيقة التى لا جدال فيها ان كلا منهما مخطىء وقد ركب رأسه ، واصرّ على ان لا يتزحزح قيد انملة عن موقفه . وتقوم فى اذهان كلاهما نظريات واحساسات تبعدهما عن السلام ، وهذه وليدة الريبة والخوف . ربيبة سوء الظن وسوء التفاهم ، اذ كل منهما يتصور الثاني وحشاً كاسراً يتحين الفرص ويرقب الايام لينقض على الآخر فيمزقه شرّ ممزق . والزمن والاحداث والاجانب ما من شأنهم الا زيادة التعقيد وابعاد الشقة ، وشحن النفوس بالحقد والضغينة ، اذ صار كل فريق يستعد للدفاع عن نفسه مما قد يحتمل من مبادرة فى العداء من الطرف

الآخر ، وهذا الاستعداد لا يقتصر على المادة والتسلح بل يتناول شحذ النفوس واعدادها للمعركة ، وتربيتها تربية متطرفة عدائية عدوانية للفريق الآخر ، واذا سمح لهذه الحال بالاستمرار ، غلت مراجل النفوس ، وارتفع الضغط ، ووصلت الحرارة درجة الاشتعال ، ولأقل سبب وقعت الطامة الكبرى ، والتحم الفريقان فى معارك دامية لا يعرف نتائجها الا الله .

ويرون فى معركة الامس ، درساً قاسياً ، وعبرة لمن يعتبر ، كان اليهود يتوسلون فى بدئها للتفاهم والمسالمة مع العرب ، والعرب معرضون عن ذلك مصممون على اخذ حقهم بالقهر والقوة ، وهكذا بادروا بالاضطراب قبل انحلال الانتداب . وكانت النتائج ان انقلبت الاوضاع ، وبات العرب اليوم بعد المعركة يمثلون دور اليهود يتوسلون للتفاهم ، يوّدون لو لم يركبوا رؤوسهم ولم يصغوا للمتطرفين منهم لبقوا فى مسقط رؤوسهم ولدى اموالهم ، وهمهم اليوم اصلاح ما فات ، وعاد اليهود بعد المعركة يعرضون عن احاديثهم بحجة انهم هم الذين جنوا على انفسهم . والمصلحة المتبادلة اليوم تقضي بايجاد حل وسط بين الفريقين يؤمن مصلحتيهما ، دون الحاق ضرر فى احدهما . والسؤال الواجب حله هو هل يمكن ايجاد مثل هذا الحل ؟

اجل يرى هؤلاء ان مثل هذا الحل ليس ببعيد ان تيسر :

١ ـ تشجيع المعتدلين من الفريقين على تولي زمام الحكم ما بين الأمتين . واليوم مع الاسف يسود كلا المعسكرين فكرة المتطرفة .

٢ ـ ازالة المخاوف القائمة فى كل امة من الاخرى وذلك برفع المستوى العربي الى الدرجة التى وصلتها اسرائيل من كافه النواحي المعنوية والحربية والاقتصادية .

٣ ـ حل مشكلة اللاجئين حلا «عادلا» ، يكفل عودة المسالمين الراغبين فى العيش تحت راية اسرائيل والتعاون معها الى مسقط رؤوسهم ، والتعويض المناسب للذين لا يرغبون العودة عن اموالهم التى خلفوها فى اسرائيل .

٤ ـ معاملة الاقليات اليهودية والعربية الموجودة فى الدول العربية وباسرائيل معاملة عادلة على قدم المساواة مع سكان البلاد دون تفرقة او تمييز بين دين وجنس ولون .

٥ ـ رعاية التقاليد الدينية واستقلال الطوائف المختلفة فى ادارة شؤونها الشخصية دون اى تدخل من قبل الدولة .

٦ ـ المحافظة على المقدسات ، والآثار القومية ، والاوقاف الدينية ، من عبث العابثين سواء اكانوا افراداً عاديين او حكوميين .

٧ ـ تقريب وجهات النظر بين الثقافة العربية والعبرية، بتربية الناشئة تربية حديثة تأخذ بمحاسن الحضارتين العبرية والعربية .

٨ ـ تشجيع الاحترام المتبادل بين الفريقين ، ببعث الصداقة والقربى والتعاون الذى كان بينهما فى عصور العرب الذهبية ، والعمل على نسيان ماتركه الماضي القريب من كراهية وحقد وانتقام فى النفوس .

ويرى هؤلاء ان المبادرة فى تمهيد سبيل للصلح يجب ان تكون من اسرائيل لانها خرجت رابحة فى المعركة من جهة ، ولأن فى ذمة اسرائيل حقوقاً يجب تأديتها للعرب ، ولان اسرائيل طارئة والعرب اصيلون ثابتون، ولان اسرائيل تحمل افكاراً وآراء ونظريات واهدافاً حديثه ، ولديها امكانيات ووسائل وطرق اكثر وفرة ، واسهل عملا ، ولان فى اسرائيل قيادة واعية متحدة موحدة ، متفاهمة متفقة . يتعذر وجود مثلها فى العالم العربي .

ويرى هؤلاء ان الصلح يعود بالخير والمنفعة للعرب واليهود ان توفرت اسبابه، ولم يكن على حساب فريق لمصلحة الآخر، واسرائيل تنتعش اقتصادياتها وتجد فى العرب الاسواق الرابحة لهذه الصناعات والفنون التى نراها مكدسة عندها ولا منفذ لها . واسرائيل تفتح ابوابها للرواد والسياح والتجار وذوى الحاجات من العالم العربى وهؤلاء ثروة مستمرة ذات سعة . والعرب ينصرفون الى شؤونهم الداخلية ومن اسرائيل يقتبسون الكثير من صناعة وزراعة وعلوم وفنون ومدنية وكثيراً من الشؤون المادية والمعنوية . واسرائيل تستهلك الكثير من حقول العرب وانتاجهم الموفور الذى لا يكاد اليوم يسد رمق منتجيه ، وبمساعدة اسرائيل تستغل ثروات بلاد العرب الطبيعية ، وبتعاون العرب واليهود يتحرر العالم العربي من كابوس الاستعمار ، وترفرف فوق ربوعه راية الاستقرار وينصرف ابناء الامتين الى بحث حضارتهم ونشر رسالتهم الى العالم مرة اخرى.

ويرى هؤلاء اسرائيل محقة فى تمسكها بحدودها ، مخطئة فى حرمانها اللاجئين العرب من العودة الى بيوتهم فيها ، وجانية فى هضمها حقوق الذين لا يرغبون العودة ، ففي أسرائيل متسع كاف للراغبين فى العودة ، وعلى اسرائيل ان تعوض تعويضاً سخياً عمن لا يريد ان يعود .

ويرى هؤلاء ان الصلح بين الفريقين ان ترك لهما وعلى ما هما عليه بعيد الوقوع ، ان لم تظهر قوة ثالثة منهما او غريبة عنهما ترغم كل فريق ان يتنازل عن بعض مواقفه .

ويرى هؤلاء ان عرب فلسطين اللاجئين هم اصحاب القول الاول فى الصلح وان لهؤلاء اثرهم فى العالم العربي وكلما استقروا على مضض فى خارج فلسطين كلما زادت الكراهية بين العرب واسرائيل، وكلما اتسعت شقة الخلاف، وتعذّر

رتق الفتق .

ويرى هؤلاء ان عرب اسرائيل جزء لا يتجزأ من عرب فلسطين وانهم اخوان اللاجئين وذووهم ، وان حل مشكلة اللاجئين سيجعلهم اكثر اخلاصا ومودة لاسرائيل .

ويرى هؤلاء ان عرب اسرائيل هم رهائن العالم العربي فى اسرائيل وكلما عاملتهم اسرائيل بالحسنى والعدل والمساواة مع الكرامة والحرية الدينية كلما كانت اسرائيل محبوبة مرغوبة من العالم العربي المجاور والعكس بالعكس .

ويرى هؤلاء ان دولة اسرائيل قائمة وحقيقة راهنة ، وان العرب مستقبلهم القريب ، سيجعل منهم امة عظيمة ، اذ لديهم كافة المواد الاولية لذلك بوفرة ، وتحفزهم لبلوغ ذلك مستمر وسريع وقوي ، وعلى اليهود فهم هذه الحقيقة والعمل على ضوئها ، وعلى نصيحة العالم المتضلع منهم ، العارف كنه العرب وجوهرهم ، وان لا تغرهم غطرسة الجندى الثمل من نشوة النصر .

ويرى هؤلاء ان المصلحة المتبادلة والمستقبل الزاهر لتعاون الامتين يجب ان تكون عقيدة الجيل الجديد وايمان النشء الحديث ، وانه بدافع هذه المصلحة يجب ان يسير الطرفان للمح لا بضغط الانكليز ولا بدولار الاميركان . فالقوة تزول والمادة تتلاشى والروح المتوثبة فى صلب الامة هى التى لا تتحول ولا تزول .

ج) المذهب الثالث : العرب الفارطة ـ

هم فئة من العرب ، فقدوا الحس الاجتماعي ، ونسوا او تناسوا انهم عرب ، اصيبوا بميوعة فى خلقهم وبذبذبة فى اخلاقهم ، هم كالسوائل تأخذ شكل الاناء الذى هى فيه ، هم كما يريدهم الغير ، كالسائمة تنقاد لمن يتسلم مقاودها ، وتختال

من تحت من يعلو صهواتها ، همهم اشباع البطون وارواء الشهوات ، والحرص على الحياة ، رغم القول المأثور : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » .

وهؤلاء طائفتان الاولى متعلمة مثقفة والثانية امية جاهلة تجمع بينهما صفة واحدة وهي المروق عن العرب والعروبة ،والخروج عن طريق الآباء والاجداد ، والشذوذ عن مستوى الانسان الطبيعي المدرك المعتدل .

فالمتعلمون مثلهم مثل شجرة زرعت على قارعة الطريق لا تثمر ولا تورق فلا الناس من ثمرها يأكلون ، ولا تحت ظلها يستفيئون ، ولا هم من شرها ناجون .

والعامة منهم كريشة فى مهاب الريح ، لا مبدأ ولا خلق ، لا وطن ولا قومية ، لا ماضي ولا حاضر ولا مستقبل - ومبدأهم من اخذ امي فهو عمي .

هؤلاء القوم منتشرون فى ارجاء العالم العربي ، يشكلون نسبة عالية من السكان ، وساعد على كثرتهم وانتشارهم ، الجهالة والامية والانحطاط الخلقي ، الذى خلقه الاستعباد مع الايام فى بلاد العرب ، والتعليم الناقص والتربية الاستعمارية ، والثقافة الفاسدة ، التى تلقنها المتعلمون منهم من الاوساط المعادية للعروبة وحضارتها .

وهؤلاء منتشرون، المثقف منهم يتربع على كرسي القيادة فى بلاد العرب، يقود سفينتهم الى مهاوي ذلها ، وسحقها ، ومعظمهم من زبانية الاستعمار ، وغير المثقف يعمل لمناصرة سيده الاول من حيث يدرى ولا يدرى، يعمل جرا لمغنم، او حبا لشهرة ، او طمعا فى جاه او مركز .

هؤلاء هم العرب الفارطة - رأوا ما حلّ بالعرب بعد نكبة فلسطين، وباتوا يعتقدون ان الداء عضال ، والمرض قتال ، ولا بد من الخضوع والاستسلام ،

فلماذا هذه المكابرة والاصرار ؟ يقولون «اتفقت العرب ان لا تتفق ... عبثاً اصلاح ما افسده الدهر ... يجب ان نسلم بالامر الواقع، ويجب ان نوقع على معاهدة الصلح مع اليهود دون شرط او قيد .

تراهم قد دبّ الرعب فى قلوبهم، وباتوا يتخوفون من احتلال باقي الاقطار العربية من قبل الصهيونية، وان لا سبيل لهم للوقوف فى وجه هذا الخطر الداهم الا بالخضوع والاستعمار .

اختلفوا فى تقدير مصير خضوعهم ، ايخضعون الى الانكليز ؟ وهم الحماة من كل خطر صهيوني وعدوان يهودى ؟ او الى الأمريكان ؟ وخزائنهم تطفح بالاصفر الرنان ؟ او الى اليهود مباشرة وفى وسعهم شراء الضمائر والنفوس مهما غلت الاثمان ؟

وهذه الفئة من العرب تجدهم فى الشرق الادنى فى الحواضر والبوادى العربية وفى داخل اسرائيل على حد سواء .

هذه الطبقة الانهزامية الخائرة الخالية الخاوية - لا تعمل لذل العرب وخسفهم فحسب ، بل بذات الوقت تعمل لتضليل اليهود وغشهم ، فلا العرب يقوون على توحيد صفوفهم ، وسلوك الطريق السوي بوجودهم ، ولا اليهود يدركون الواقع ويشقون صراطاً مستقيماً لقلوب العرب وألسنتهم .

هذه الطبقة كانت فى الماضي وسيلة ناجحة اتخذها اليهود والاستعمار اداة فعالة لنصر اليهود ودمار العرب ، فوقعت الكارثة التى حلت بالديار المقدسة ، ولن تقوى هذه الطبقة التى اتت اليهود بالنصر فى الماضي ان توصلهم الى السلام والصلح فى الحاضر .

هؤلاء الناس ما زالوا يتاجرون بين العرب فى بلاد العرب وبمقدراتهم ،

وبين اليهود فى بلاد اليهود وبحياتهم ـ فهم حجر العثرة فى سبيل كل حديث للسلام ، لان كسبهم وجنيهم ومورد رزقهم قائم على الشقاق والنفاق والفساد والافساد ، فكيف نرجو على ايديهم خيراً ؟؟

هؤلاء الناس فى خارج اسرائيل يعملون اليوم رسلا للاستعمار الانكليزى يأتمرون بأمرهم ، ويقولون برأيهم ، ولا همّ للاستعمار الا ابقاء معسكرين عربى ويهودى ، يقف احدهما للاخر بالمرصاد ، ويكتفي الاستعمار بالسيطرة على الموقف بفضل هؤلاء . وفى داخل اسرائيل يعملون رسلا للصهيونيه يزينون لهم افعالهم ، يوافقونهم على آرائهم ، يتكلمون باسم العرب ولكنهم ينطقون بما يريد اليهود ، ولقد انتشروا وشجعوا وخلا لهم الجو بنزوح العرب المتطرفة من اسرائيل ، وبانزواء العرب المعتدلة فيها ، فلا ترى فى اى مجتمع عربى اجانب او يهود ، الا ويثنون ثناء عاطراً ، ومديحاً عظيما لدولة اسرائيل الفتية وطرقها الحديثة فى الحكم والادارة والديمقراطية والعدل .

هذه الطبقة من الناس لا تصلح ولن تصلح لحمل اعباء الصلح بين العرب واليهود لانهم لا يجرؤون على ذلك ، ليس لديهم الاستعداد ، ولا الاهلية ، ومهما نفخوا وعظموا وارتفعت سهامهم ، فهم للاستهلاك الاستعمارى والصهيونى المؤقت لا قيمة لهم ولا وزن فى ميادين السلام .

هذه الفئة من العرب ... حرف ساقط ... وامعاء زائد ... وجراثيم لا لا يؤمن شرها ولا يرجى خيرها . فهم اخلص الناس اليوم الى المملكة البريطانية واصدقهم للامركان ، اما عند اليهود فهم اكثر يهودية منهم ، لا لمجرد موافقتهم على البرامج الصهيونية بل فى الواقع يدّعون انهم من اصل يهودى وامة عبرية ، اضطر آباؤهم فى غابر الدهر ان يخضعوا للقوة ، فتنصروا واسلموا ،

ولكن سرعان ما عادت المياه الى مجاريها ، وزال المانع فعاد الممنوع ، فهم يؤمنون باسرائيل ديناً وعقيدة وسياسة وحكومة ودولة .

هذه الطبقة خادعة مراوغة ، كاذبة ماكرة ، تلبس لكل حالة لبوسها ، كانوا مع الاتراك اتراكا ... وسرعان ما طعنوهم فى ظهورهم ، وكانوا مع الانكليز اصدقاء ... وسرعان ما باعوا الصداقة ... وهم اليوم مع الواقف ... واذا ما وقع كانوا اول المعتدين والطاعنين ...

موقف اليهود من الصلح مع العرب

اينما سرت فى اسرائيل ومع من تحدثت ، كلهم يتساءلون متى يحل الصلح بين العرب واليهود ؟ وكل مقتنع ان الصلح ضرورى لا غنى لاسرائيل عنه ، وانه آت كما يأتى الليل بعد النهار - وكلهم مقتنع بأن اسرائيل سوف تجني من الصلح فوائد جمة اهمها تثبيت اقدامها والانصراف الى بناء مدنيتها فى هذه الدولة رغم ضيقها ، اذ فيها متسع كاف للحياة بخلق الوسائل المبتكرة الجديدة فى مختلف حقول المدنية التى ستجعل اسرائيل جنة الله فى ارضه .

فان اتيحت الفرصة انصرف اليهود الى الانشاء والتعمير ، وفى اقرب وقت يحل فيه الصلح ستسخر رؤوس الاموال العالمية من يهودية واجنبية للاستغلال ، واليهود بطبيعتهم امهر الامم واقدر الشعوب فى مضمار الدعاية وخلق المشاريع واستغلال الاموال .

واذا ما باشرت اسرائيل فى جو هادىء سلمي بناء البلاد وتشييد المدنية الاسرائيلية الجديدة ، فلا مجال للشك فى مقدرة اليهود وكفاءتهم فى كل فن وعلم وصنعة وثقافة وعمل . ان انطلقوا احراراً لتحقيق اهدافهم فستر اسرائيل

فى وقت قصير ـ جنائن تجرى من تحتها الأنهار فيها من كل فاكهة وزرع ، من كل خضرة وزهر ، ما لا يتيسر لأوسع البلاد وانشط العباد ، فيها الابنية العامة والخاصة ، قصور تتيه جمالا وفخامة ، وناطحات تزهو عظمة وضخامة ، وفيها المعامل والمصانع تنتج كافة ما يلزم من اجهزة واوعية ، من ادوات وآلات، من رياش واثاث ، من اغطية واكسية ، من ملبوسات ومفروشات ، فيها المدارس والجامعات تعج بالرواد والطلاب وتكتظ بالأساتذة والخبراء، ابوابها مفتوحة، لمن يرغب ان يكرع من حياضها ويقطف من رياضها، فيها المستشفيات والعيادات، على احدث طراز ، وبأدق اجهزة ، وافضل الخبراء ، وكلهم فى خدمة الانسانية جنود مجندة ، للتغلب على داء عضال ، واستئصال كل بلاء قتال ، واختراع كل علاج فعال ، لانقاذ الانسانية من عللها وامراضها .

وفيها الجنائن الخلابة ذات الأشجار الباسقة ، والأزهار النضرة، والطيور المغردة ، والحيوانات الأليفة الظريفة ترتع فوق اديمها وتمرح فى ارجائها.

وفيها اهل الفن يرسلون الحانهم الشجية ويلعبون ادوارهم الموسيقية ، فتنطلق بعذوبتها تملأ سماء الديار المقدسة راحا وروحا. وفيها المصورون والرسامون يسجلون فوق لوحاتهم اسرار الشعراء وخيال العباقرة ، وفيها الأدباء والشعراء يعيدون للشرق امجاد الأنبياء ، وحكمة الحكماء ، وبلاغة البلغاء ، وعباقرة الأيام ، وفلاسفة الزمان .

لا شك ستغدو اسرائيل قبلة الآمال وكعبة الأنام ، لا تضاهيها بلد ولا يسبقها قطر .

لهذا كان شوق كل يهودى للسلام عظيما ، ورغبتهم فى الصلح اكيدة وحاجتهم اليه ماسة . اذ للصلح فى حسابهم مقابل لا يقدّر بمال ولا يوزن

بميزان وكل خسارة تعوض وكل عوض ضئيل .

واليهود يعلمون حق العلم ان العرب سائرون الى الأمام وهم بحاجة الى كل ما تنتجه اسرائيل من عظيم وحقير ، وفى بلاد العرب الاسواق الرائجة الى تجارتهم وانتاجهم ، ومن بلاد العرب يأتيهم المال والاقبال ، فاسرائيل بمالها وجمالها وفنها وعلمها ورقيها وخدمتها تستهوى قلوب العرب فتصبح محطاً لرحالهم ، ومصرفاً لأموالهم ، وسبيلا لراحتهم ، ومركزاً لثقافتهم ، وقوة جذابة تجرفهم بتيار مدنيتها الحديث ، عندها تنتعش اسرائيل وتزدهر وتأمن شر النائبات.

ويحاول اليهود ان يقنعوا العرب أن الفائدة من الصلح متقابلة وان اليهود بدورهم سيشترون أنتاج العرب ويصرفون فى بلادهم لتكون النعمة عامة لكليهما .

ورغبة اليهود فى الصلح تعم كافة طبقاتهم واحزابهم ، بعكسها لدى العرب فالمتطرفة منهم يجدون فى ذلك مغنماً لاسرائيل ومغرماً للعروبة .

ولا يتفق مع اليهود اليوم فى ان الصلح منفعة مشتركة الا العرب المعتدلة ، وهؤلاء كما اسلفنا لا يملكون القوة الكافية للوصول الى الصلح المنشود .

والغريب فى أمر اليهود ، رغم اجماعهم على فوايد الصلح ورغم تطلعهم الى مستقبل اسرائيل المنتظر الا أنهم غير متفقين فيما بينهم على الطريق الذى يجب ان يسلكوه للوصول الى السلام والصلح .

فالأكثرية الحاكمة المسيطرة على دفة الامور ، والتى قادت اسرائيل الى النصر بالأمس ، ما زالت تقود الدفة للسلام والصلح ، ولكن بنفس الأساليب والطرق التى نالوا فيها نصرهم . وهذا عين الغلط ومستقر الحماقة .اذ اعتمدوا فى وصولهم للنصر على العرب الفارطة وما زالوا يعتمدون على هذه الطبقة حتى اليوم للوصول الى السلام ، وقد سبق ان اسلفنا ، ان هذه الطبقة كانت وسيلة للهدم

ولن تكون اداة للبناء ، فهم اليوم كمية مهملة لا تسمن ولا تغني من جوع .

ولقد نجحت الهيئات اليهودية حتى الآن فى اقناع الرأى الدولي العالمي فى اتباع الطرق المؤدية الى الصلح ، وذلك بتعيين لجنة التوفيق للبحث فى تسوية الخلاف بين العرب واليهود . وفى حمل هيئة الامم على بذل المساعدات والهبات للاجئين . وتعيين اللجان والخبراء للبحث فى ايجاد مشاريع لاعمالهم ووسائل لاستقرارهم ، الا ان كافة الجهود المبذولة فى هذا السبيل ذهبت ادراج الرياح ، وبقيت قضية اللاجئين لا بل ازدادت تعقيداً وتهديداً للامن فى الشرق الادنى.

ولقد خسرت اسرائيل فى سلوكها خلال المدة التى انقضت من يوم الهدنة بين العرب واليهود حتى اليوم كثيراً من انصار التفاهم والسلام من معتدلة العرب، وشجعت من حيث لم تقصد موقف المتطرفة ، وعززت مركز المفتي بعد ان كاد يتلاشى ، وكانت سبباً فعالا فى القضاء على بعض اصحاب المقامات الرفيعة فى بلاد العرب، لتساهلهم معها فى بعض المطالب، التى يعتبرها متطرفة العرب جرماً لا يغتفر .

ولقد خسرت اسرائيل قسطاً وافراً من صداقة اصدقائها المقيمين بين ظهرانيها والذين يحسنون الظن فيها فى بلاد العرب، وذلك لسلوكها من الاقليات العربية فى اسرائيل ، ذاك السلوك الذى لا يرضي الكثيرين ، والذى يتعذر عليهم ايجاد سبب معقول لوجوده ، ومنطق مقبول لتبريره . فعوضاً عن ان تجعل من اعدائها اصدقاء فى هذه الفترة، كان الامر معكوساً . اذ جعلت من اصدقائها اعداء او كادت .

ولقد خسرت اسرائيل الكثير من العرب المعتدلة من جـراء انجراف الهيئات والسلطات فيها وسرعة ردها ، وقوة بطشها ، فى الرد على الاعمال التى

قام بها المتسللون ضمن حدود اسرائيل ولم يكن منطق الهيئات الحاكمة فى استعمال الشدة وكيل الكيل كيلين او اكثر سبباً لتقليل اعمال العدوان والتسلل.

رغم انه من جهة اخرى، كان دليلا على العدوان والاعتداء والتحفز لمثل هذا فى نظر الكثيرين من العرب على مختلف مبادئهم السياسية .

وانه لمن الخطأ الفادح اقامة حالة توتر تهدد الامن والسلام فى الشرق الادنى من طرف اسرائيل لحمل الدول الكبرى على التدخل فى فرض الصلح والسلام بينهما ـ اذ الصلح الذى تنشده اسرائيل ليس حبراً على ورق، ولا صكوكا وعقوداً توقع ممن فرضهم الاستعمار فوق ربوع العرب ، بل صلحاً تمليه المودة والمصلحة والاتفاق وحسن الجوار والتفاهم الاكيد والمستقبل الزاهر لمن يؤمنون بذلك .

ولقد خسرت اسرائيل فى معارضتها لقرارات هيئة الامم واعلان قادتها عن نواياهم فى رفض ارجاع اللاجئين والاصرار على ابقائهم فى مختلف انحاء بلاد العرب ، وزعمها ان ذلك يهدد امنها واقتصادياتها دون ان يكون هنالك التمحيص الكافى والتدقيق الوافى فى فحص هذه الحقائق والتأكد من نتائجها .

ولقد خسرت اسرائيل فى تجاهلها قضية اللاجئين وعدم الاعتراف رسمياً فى ممثليهم الشرعيين . ولسعيها لتحقيق الصلح مع الدول العربية وحدها اذ تعتقد ان اللاجئين انطووا وانقضى امرهم. هذا، وعوضاً عن ان تجعل لهم الاهمية الاولى فى حل هذه المشكلة واقناعهم فى قبول المشاريع والحلول المعروضة ، سها عن اسرائيل ان اية دولة عربية واى ممثل لاية مصلحة عربية لأعجز من ان يأتي بحل او يبرم امراً لا يتفق ورغبة اللاجئين ومصيرهم .

لقد فات اسرائيل ان تفهم بأن اللاجئين قوة فى بلاد العرب يحول دون نشاطها وظهورها فى الميدان الحالة غير المستقرة التى وصلها اللاجئون والفقر

والاهمال وقلة الاعمال والتنظيم والعناية ، التى يقاسونها فى مختلف معسكراتهم ، وأنهم فى اللحظة التى سيستقرون فيها سيكونون اشد عداء واكثر مناوءة لاسرائيل ومن يفكر فى مصالحتها .

ولقد فات اسرائيل ان تفهم ان قضية اللاجئين الفلسطينية هي غير قضية اللاجئين فى اوروبا والهند - اذ اللاجئون الفلسطينيون انتشروا فى كافة الاوساط العربية بين اهلهم وذويهم فى اوساط يسهل عليهم التأثير عليها واثارتها ضد اسرائيل - بينما اللاجئون فى البلاد الاخرى ضاعوا مع الايام وباتوا نسياً منسياً.

وهنالك فريق من اليهود وعلى رأسهم جماعة « الاحود » وهم وحدهم اليهود المعتدلة فى آرائهم وطلباتهم وموقفهم من الصلح مع العرب ، ولكن اثرهم فى اسرائيل ضئيل ونفوذهم هزيل امام عظمة الاحزاب الاخرى .

بشائر السلام

ما زالت بشائر السلام بين العرب واليهود بعيدة ، محجوبة وراء الغيوم ، وان لم تسطع شمس الحقيقة فى افق الامتين فالصلح بعيد الوقوع ، وان لم يلتق المعتدلة من الفريقين فى جو هادىء بعد ان يبادر كل فريق لتهيئة الجو فى افكاره واقواله واعماله ، وتقم قرائن صحيحة وادلة محسوسة على حسن نوايا الفريقين، وهى البشائر الاولى لهذا الحلم الذهبي فسيبق الشرق الادنى فى قلاقل واضطرابات مستمرة .

وان الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى وانك لن تهدى من احببت ان الله يهدى من يشاء . وان غداً لناظره قريب ؟

السياسة العربيـــة الحالية

سقطت سهواً هذه الفقرة وهى فى صفحة ٣٩٨ قبل « أ) المذهب الاول »:

« والمسألة اليوم تختلف عما كانت عليه بالامس ، وباختلافها اختلفت اهداف العرب ونواياهم ونوايا اسيادهم ، ولما كانت لهذه النوايا والاهداف اهميتها فى قضية السلام يجدر بنا ان نأتي عليها بالايجاز . فهنالك ثلاثة مذاهب فى الاهداف السياسية بين الشعوب والحكومات العربية وهى : »

فهرس الكتاب

وردت في الكتاب بعض اغلاط مطبعية نذكر هنا اهمها، والباقي لا يخفى على القارىء اللبيب

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
ا	٤	جناح	جنح	٢٢	٩	تهينوا	تهنوا
ب	١	وابنائكم	وابناؤكم	٢٤	١٩	وخادما	وخادم
ب	٧	ندنوا	ندنو	٢٤	٢٠	واجيراً	واجير
١	٣	كان	ان	٢٥	٤	مجبولا	مجبول
١	١٦	وبأي	وبأية	٢٥	١٢	وملىء	وملء
٤	٥	تكتفو	تكتفوا	٢٧	١٢	يبحث	يبحثون
٥	١٠	اولهما	اولها	٢٩	١	جناح	جنح
٥	١٣	وثانيهما	وثانيها	٣٥	١١	تحكم	تحلم
٥	١٤	وثالثهما	وثالثها	٣٩	١٥	يسولوا	يسولون
٨	٦	يتعاونوا	يتعاونون	٤٠	٣	ومروجوا	ومروجو
٨	١٨	عمي، او طرش	عمياً طرشاً	٤٠	٧	تنالوا من البر	تنالوا البر
١٠	٨	احرار ، ونواب	احرارا ونوابا	٤٠	١١	تفسره	تفسرونه
١٢	٥	ليكن	ليكون	٤٥	٣	حلة	حالة
١٢	٩	انكشف	انكشفت	٥٣	٦	ويديه	ويداه
١٤	٩	مجداداً	مجدداً	٦٠	٩	مهاب	مهيب
١٤	١١	بن	بين	٦٠	١٢	عل	على
١٤	١٢	فلسطينيين	فلسطينيون	٦٢	٦	والمنتنى	والمثنى
١٦	١٥	قنن	قمم	٦٥	٢٠	قومية	قوية
١٧	٩	مرخ	مرخياً	٦٩	١٧	القريشي	القرشي
١٧	١٧	واملا ضئيلا	وامل ضئيل	٧٣	٢	اختلف	تخلف
١٧	٢١	وتروعها	وترعاها	٧٧	٧	الصباج	الصباح
١٨	٤	السكرى	السكارى	٨٠	١٦	يكادوا	يكادون
١٨	١٤	توى	نوى	٨٢	٦	علمو	علموا
١٩	٢	حجورها	جحورها	٨٢	١٠	موطفة	موظفة
٢٠	٣	اضرحه	اضرحة	٨٣	٦	عمرو	عمرا
٢٠	٤	ايدبهم	ايديهم	٨٥	١٨	وافنيتم	وافتيتم
٢٠	٥	مورداً	مورد	٨٦	١	قد	نحن

(تابع اغلاط الكتاب)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٧	١٣	وبجيوشهم	وبجيوبهم
٨٧	٢٠	من	عن
٨٩	٩	نقل	ثقل
٩١	٢١	عمر	عمرو
٩٢	١٠	وريعه	وربعه
٩٣	١٥	تسمعوها ولا تفهموها	تسمعوها وتفهموها
١٠٠	٧	اي	اية
١٠١	٩	شكى	شكا
١٠٢	٩	وشكى	وشكا
١٠٤	١٣	وثبنا	وثبتنا
١٠٤	١٣	وحرمت	وحرمنا
١٠٦	٢	لتغيير	لتغير
١١١	٢٠	هم	همو
١١٢	٩	اي	اية
١١٧	١٥	اي	اية
١٢٢	٦	الرئيسين	الرئيسيون
١٢٤	٤	لبعضهم	بعضهم
١٢٦	١١	تكونون	تكونوا
١٣١	١٤	اي	اية
١٣٢	٦	اي	اية
١٣٦	٨	يغير	يغتبر
١٣٦	١٩	اخرا	آخر
١٣٧	١٣	شابا	شاب
١٥٠	١٣	وابو	وابوا
١٦٤	٤	الضاربة	الضاربة
١٦٨	١٩	بصرة	بصرى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦٩	١	ملاخة	ملاحة
١٧١	١٥	هلى	هل
١٧٩	٣	لنتقيها	لتتقيها
١٨٢	٦	اي	اية
١٨٧	٢	واغرائهم	واغراؤهم
١٩٠	١١	شورم	ميشيريم
١٩٢	٨	وباشرت	وبوشرت
٢٠٠	٢٠	المختلفان	المتخلفان
٢٠١	١٣	واعتدمها	واعتمادها
٢٠٦	٤	تواصي	نواصي
٢٤١	٣	مرسح	مسرح
٢٤٤	٤	اقوى	قوى
٢٥١	١٣	ساساتهم	ساستهم
٢٥١	٢١	المديرة	المدبرة
٢٨٠	١٠	منبت	مُنعت انا
٢٨٧	١٣	وقواد	وقوادا
٢٨٩	١١	اي	اية
٢٩٤	٣	اللتان	اللتين
٢٩٤	٨	الاخرين	الاخرون
٣٠٠	٢	الهندوي	الهنداوي
٣١٠	١٩	واصغرا	واصغر
٣١٦	١٢	١٩٤٧	١٩٤٨
٣١٨	١٢	يلفط	يلفظ
٣٢٠	١	المجتاجين	المحتاجين
٣٢٢	٩	وعريوا	وعروا
٣٢٣	١٢	اتو	اتوا
٣٢٩	١٠	وانفق	واتفق

(تابع اغلاط الكتاب)

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٣١	١٦	اجارات	ايجار	٣٧٠	٣	وقى	وفي
٣٣٣	٢	أجرامهم	اجرامهم تنبعث	٣٧١	١	رفضته	رفعته
٣٣٣	٤	ضد	ضمن	٣٧٢	٦	الاحياء	الاحباء
٣٣٤	١٩	والمتعمدون	والمعتمدون	٣٧٤	٤	واللاجئين	واللاجئون
٣٣٥	١٥	وعشرون	وعشرين	٣٧٩	١٦	فارجوا ، ارجوا	فارجو ، ارجو
٣٣٩	٥	اجرات	ايجارات	٣٧٩	١٩	تكونون	كنتم
٣٤٣	٨	شيوعيون	شيوعيين	٣٨٠	١٦	باي	باية
٣٤٩	٥	لجان	لجانا	٣٨٢	٢٠	.	،
٣٥١	١٠	حمودي	حمدودة	٣٨٥	١٣	ان	لو
٣٥٤	٤	الاخرين	الاخيرون	٣٩٨	٦	داخليا وخارجياً	داخلا وخارجا
٣٥٤	١٠	لاجئا	لاجيء	٤٠٢	٧	اراض	ارضا
٣٥٤	١١	ووزيراً مفوض	ووزير مفوض	٤٠٣	١٤	منها	منه
٣٥٥	١٥	لاجئين	لاجئي	٤٠٥	١٤	كلاهما	كليهما
٣٥٦	١٥	والزيغان	والزوغان	٤٠٦	١٦	كلاهما	كليهما
٣٦٢	١٧	مقابلا	مقابل	٤١٢	١	عبثاً	عبث
				٤١٩	١٨	وان	وانما
				في تقديم وتعريف	آخر سطر	او يجبره	ويجبره